

١٧١



## في تفسير القرآن الكريم

الشيخ علي عجايب الشيخ الأقران وفارس الألبان

تأليف

الأستاذ الحاج أحمد شيخ ططاوي جوهري  
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بحجته أمين

## المجلد العشرون

طبع مطبعة

مصر في السبابة الحسنية واولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وباشطه محمد امين عمران

رمضان سنة ١٣٤٩ هـ



إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة الشورى

( هي مكية )

إلا أربع آيات من قوله - أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله نختم على قلبك - إلى قوله - والكافرون لهم عذاب شديد - مع قوله - وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ويفسر رحته وهو الولي الحميد - فندية

آياتها ٥٣ - نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم \* عَسَى \* كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \*  
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ \* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ  
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ  
الْعَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ \* وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ



الْجَمْعَ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ \* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
 وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ  
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ  
 مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ \* فَاطِرُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
 شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ \* لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا  
 وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا  
 تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ  
 الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ \* فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
 أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ  
 اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ نَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
 وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ \* وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ  
 رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ \* اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ  
 وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ \* يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ  
 مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَإِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ \* اللَّهُ لَطِيفٌ  
 بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ \* مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي  
 حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ \* أَمْ لَهُمْ  
 شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا الْفَصْلُ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ  
 الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَبِيرُ \* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّوَدَّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْسَلُونَ \* وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ \* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقُدْرِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِمَا عَمِلُوا خَبِيرٌ \* وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ \* وَمِنَ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ \* وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ \* وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَمِنَ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ \* إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدُهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ \* وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حَافِظٍ \* فَأَوْتَيْنَاهُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَحْتَدِبُونَ كِبَازَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَنِ اتَّصَرَ بِعَدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ \* وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا



أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ لَهُ مِنْ سَبِيلٍ \* اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ \* فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا إِنْ هَدَيْتَ إِلَّا الْبَلَاءُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فََرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَمِيَّةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ \* لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْكَوْرَ \* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ \* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ \* وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَعْبِيرُ الْأُمُورُ .

اعلم أيها النكبي أن هذه السورة تشتمل على قسمين : القسم الأول من أول السورة الى قوله ... لهم عذاب شديد ... وفي هذا القسم :

(١) إن لله ملائكة يقومون بتدبير شئون العالم المادي من جناد وحيوان وانسان . وأيضا يقومون باطعام الناس ما ينفعهم في أمورهم الدينية والدنيوية تنمي لقوله ... سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ... فان ما يعرفه البشر من العلوم والمعارف يكون باطعام ، فاذا استعد الانسان لعمل نافع دنيوي أو أخروي أحس في قلبه بفكرة ، ثم هو نفسه بعد ذلك يتصرف فيها بعقله ، لأنهم لا يلهمون إلا من وجدوا عنده استعدادا للإلهام

(٢) وانه ﷺ أنزل عليه قرآن عربي لينذر أهل مكة ومن حولها ، وذلك بالوحي الذي أنزله الله عليه بواسطة الملائكة المذكورين كجبريل ، وليس الوحي لقوم والإيمان والكفر الآخرين إلا على مقتضى الاستعداد ، وهذا العالم لا يمكن أن يكون جميع أفراد على حال واحدة ، فهم مختلفون في جميع الأحوال ، وهذا الاختلاف نجم منه الاستعداد للإيمان والاستعداد للكفر ، فها هنا لا يصح إلا على هذا الضرب من الاختلاف

(٣) وكما اختلف الناس في أحوالهم كالإيمان والكفر اختلف كل شيء في السموات والأرض كالذكر والأنثى والانسان والأنعام ، فأما هو فليس كذلك شيء ، وانما مفاتيح العوالم بيده ، فمن شاء وسع له في رزقه ومن شاء ضيق عليه ، فاذا اختلف الناس إيمانًا وكفرًا ، واختلفت المواقف ذكورة وأنوثة ، وتنوعت الخليفة فهكذا اختلفوا في الأرزاق بحسب الاستعداد والنظام ضيقًا وسعة

(٤) ثم رجع القول الى الوحي والدين والنبوة ، فأفاد أن الوحي الذي أنزله الله على الأنبياء جميعا كنوح

محمد ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى يدعوا إلى أمر واحد وهو الإيمان بالقلب والطاعة بالعمل وأن لا يختلفوا في هذا الأصل ، ثم إن شرائعهم تتفرع كل بحسب زمانه كما تفرعت الحيوانات إلى أنواع وذكران وإناث والأصل واحد وهي الحركة والنمو ، ثم إن الأمم بعد ما عرفوا أن التفرق ضلال وأن رسالهم حق وقد قرءوا كتبهم وعقلوها تفرقوا ، وهكذا هؤلاء الذين دعوتهم كبر عليهم ما دعواهم إليه وهكذا أهل الكتاب في زمانك أصبحوا في شك مقلق

(٥) فاصدع بأمرك ، وادع للدين ، واستقم على السعوة ، ولا تتبع أهواءهم ، وكلهم في القوة العامة والقوة العلية ، وحججهم لا تقوم ضد الحقائق الثابتة

(٦) ثم انه سبحانه أبان أن نظامه كامل والعالم كله موزون منظم ، وهذه الكتب الدينية إنما نزلت لأقامة العدل بين الناس بحسب الظاهر ، فمن كان باطنه غير كامل وهو ظالم فأمامه العدل العام في السموات والأرض يتلقاه يوم القيامة ، وهذا برهان إما خطائي وإما عقلي على اليوم الآخر كما ستراه بعد ، والناس فريقان : في أمر الساعة ، فريق مستهزئ بها ، وفريق مصدق خائف . إن الله وسع في ملكه البار والفاجر والصالح والطالح ، فلم يهلك المستهزئ ، بل أمهل إلى يوم القيامة . وأن أمر الرزق ليس تابعا للعائد بل هو تبع للشئنة والصلحة المأومة عنده تعالى . وأمر الآخرة يرجع إلى إرادة الإنسان نفسه . فمن جعل همه العاجلة نالها لا غير . ومن جعل همه الآجلة أعطى النعمتين . وذلك على حسب النظام العام . والعدل أن لا يعطى الإنسان إلا على مقدار ما يستحقه وما يقبله استعدادا . ولذلك يكون الظالمون يوم القيامة وبليين خائفين من ذنوبهم والصالحون منعمين . وهذه هي البشارة التي بشر الله بها عباده الصالحين . ثم أمر نبيه ﷺ أنه لا يسألهم على التبليغ أسجرا وإنما يسألهم أن يودوا الله ورسوله في تترجمهم إليه بالطاعة والعمل الصالح وذلك ليكونوا في روضات الجنات

وأما القسم الثاني وهو من قوله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده - إلى آخر السورة ففيه إن تسخير العباد في جلب الرزق لم يكن عبثا بل هو لتدريجهم على العمل ، ومن فوائد ذلك عدم التكبر والبطر والظلم ولأجل ارتقاء نفوسهم وتدريبهم على الصبر جماعهم بين رجاء وخوف وضيق وسعة ، فلا ينزل الماء عفوا بلا طلب بل يجعل الأرض يابسة ليطلبوا الماء ويشتاقوا إلى المطر ، ثم ينزل ليكون ذلك أدعى للتفكير والتدبر والاستبصار والشكر ، وإذا ركبوا في البحر جرت الرياح جريا غير متصل ليحصل لهم الخوف والرجاء كما حصل في المطر على أنه إذا نزل المطر وهم الخصب واستقامت السلامة ، فليس كل هذا له معنى في نفسه ان ذلك متاع الحياة الدنيا ، وليكن الفضائل النفسية والأخلاق والعلوم هي الباقية ، فمن تلك الفضائل الشورى بين المسلمين والاحسان ، والجود بالمال على مستحقه ، والعفو عن المذنب ، وأن لا يكون عقابه إلا على قدر ذنبه ، وخير من هذا العفو ، فهو خير وأبقى

ثم ختم السورة بما يفيد اختصاصه بالملك ، وأنه يفعل ما يشاء على مقتضى حكمة يعلمها ، وأن الناس مختلفون في الذرية من حيث الذكران والإناث والتهم وعدمه ، وهكذا في القرب منه حتى خص الوحي بفريق مستعد لذلك ، ومع ذلك فلا كلام الله معهم شرائط وأحوال ثلاثة . انتهى إجمال المقال على السورة

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(حم حم) الطاء والميم يرجعان للحمد كما تقدم في السور السابقة ، والحمد يرجع لأمر الدنيا والآخرة فهو متضمن معرقة النعم ، وذلك يستوجب سائر العلوم ، وقد جاء الحمد في السورة السابقة في قوله تعالى - تنزيل



من حكيم حديد ، وفي هذه السورة في قوله - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - والعين في العزيز والعظيم والعلی ، والقاف من قدير في قوله - وهو على جميعهم اذا يشاء قدير - ، والسين من الساعة ، فهذه الحروف داخله فيما تقرّر في أول « آل عمران » وغديرها وتخصّص بما اختصت به آل حم في أنها حاشية على الحمد وازدياد العلم والحكمة ، لاسيما بما سيأتي من البرهان على الساعة وقيامها . فان هذا البرهان على أوقافنا يرتاح اليه النفوس وتطمئن القلوب كما ستراه لأنه مستمد من علوم الخليقة والنظام الطبيعية . فانه يقرّر في النفوس قدرة الله على جمع النفوس البشرية يوم القيامة . وهذا دلالة السين والقاف . أما العين فرجعها جلال الله وعظمته وكبرياؤه وعزته وعلوّه . فهمنا محامد وعلوم يراد بها القرين من ذي العزّة والعظمة . وبهذه العلوم تعرف البراهين الدالة على عدله وانه لا يدع أصغر العالم سدى بل لا بد من بعثهم وحسابهم ، وكأن هذه المعاني التي تشير لها هذه الحروف أهم ما في السورة فان العلوم جميعها وأخصها ما تعلق بالله وباليوم الآخر ليس بمدها مزيد لمزيد . قال تعالى ( كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ) أي مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحى اليك الله العزيز في ملكه فلا يكلم أحدا إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء ، ذلك لعلوّ وعزّته وحكمته ، فلمزته ترفع عن أحوال الحوادث ، وحكمته كلهم على مقدار حالهم . ثم أوضح عزّته وعلوّه فقال ( له ما في السموات وما في الأرض وهو العليّ العظيم ) هذه الجمل كلها التبيان عظمته وعلوّه وكبريائه وحكمته ( تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ) أي ينظرن من علوّ شأنه وعظمته أي تسكاد كل واحدة تنفطر فوق التي تليها من عظمتها الله تعالى . ولذلك ترى هذه العوالم التي نفيس فيها واشتقت منها المادة ماهي إلا أثر أي عوالم لالون لها ولا طعم ولا وزن فهي في الحقيقة عوالم ذاتية منفطرة بل تسكاد تكون حركات مضطربات لا مستقر لها ومنها كوّنت الشمس . فهذه الشمس السارحات في عالم الأثير تسكاد تنفطر وذلك من عظمتها ، انه على ، وانه عظيم ، وعلوّه لا تتناوله الحواس وهكذا المادة التي خلقها هو ودبرتها الملائكة لا تصيبها الحواس وانما الشمس والأقمار والأرضون هي التي تناهها الحواس . وهذه على شفا جرف هار ، فهي أيضا مستعدة للانفطار والانشقاق كما ثبت في علم المصير الحاضر ، فاما من كوكب أو شمس أو قمر إلا وهي مستعدة يوما ما لأن ترجع أثرا ، فهي تسكاد ترجع للطبيعة ككرة أخرى لأنها مفروسة في العالم الأثيري اللطيف فتسكاد ترجع لأصلها ، وانما الذي يحفظها ويقيم أمرها هم عوالم الملائكة بأذن ربهم وهذا قوله ( والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ) فهم يحافظون على هذه العوالم خيفة أن يتطرق اليها الخلل بنواميس سنّها لهم ، ويلهمون الناس ما يحتاجون اليه ، فامثل الملائكة إلا كمثل الضوء يعطى الحياة بحرارته ويعطى الهدى بنوره ، هكذا هؤلاء الملائكة يحافظون على الشمس والأرضين بقوتهم المستمدة من ربهم ، ويلهمون الخير لمن استعد لذلك . فالشمس التي نراها والأرضون لولا الملائكة لذابت في الأثير والحافظ لها الملائكة . وانما نبه الناس على ذلك ليفكروا في ذلك ويلهموا أن هذا العالم الذي نفيس فيه كله حياة وحكمة . فعلى الانسان أن يفكر في أن يكون عضوا نافعا في جسم هذا العالم السكلي حتى يلحق بالآ الأعلى . فليكن من المصلحين في الأرض على قدر طاقته . ولا جرم أن إلهام الملائكة ومحافظتهم على الناس بأمر ربهم مفيدة للناس ، وذلك دلالة على أن الله كثير المغفرة والرحمة إذ سخر الملائكة للاستغفار لمن في الأرض فغفر لهم ورحمهم وذلك قوله ( ألا إن الله هو الغفور الرحيم ) والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء ( الله حفيظ عليهم ) رقيب على أعمالهم فيجازيهم ( وما أنت عليهم ) يا محمد ( بوكيل ) بموكول اليك أمرهم ( وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا ) أي مثل المعنى الذي في الآية التي قبل هذه من أن الله رقيب عليهم لا أنت ، بل أنت منذر ، وقد تكرّر في القرآن في مواضع كثيرة ، أوحينا اليك قرآنا عربيا ( لتذر أم القرى ) أي أهل أم القرى وهي مكة ( ومن حولها ) من العرب ( وتندري يوم الجمع ) يوم



القيامة تجمع الخلائق فيه والأرواح والأشباح والأعمال ، وقوله (لأريب فيه) جلة اعتراضية وهم بعد جهنم (فريق في الجنة وفريق في السعير) ولو شاء الله لجهلهم أمة واحدة) مهتدين أوصالين (ولكن يدخل من يشاء في رحمة) بالهداية (والظالمون ما لهم من ولي) يدفع عنهم (ولأنصير) ينجيهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء فأنه هو الولي) هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وكيف يستحق أحد أن يكون وليا إلا من كان بهذه الصفة (وما اختلفتم) أنتم والكفار (فيه من شيء) من أمر من أمور الدنيا أو الدين (فحكمه إلى الله) مفوض إليه ، فهو يميز الحق فينصره من المبطل فيخذله (ذلكم الله ربى عليه توكلت) في مجامع الأمور (واليه أنيب) أرجع في المضلات (فاطر السموات والأرض) خبر آخر أنكم (جعل لكم من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) حلال (ومن الأنعام أزواجا) أصنافا ذكرا وإناثا (يتزوكم) يتخلقكم أو يكاثركم (فيه) في الرحم (ليس كذلك شيء) كلمة التشبيه كبرت لتأكيد نفي التماثل أى ليس مثله شيء (وهو السميع) لسائر السموات (البصير) لسائر البصيرات (له مقاليد السموات والأرض) مفاتيح الرزق فيهما ، ففى السماء بالأسطار وفى الأرض بالانبات ، ولذلك أعقبه بقوله (يسيطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ، ذلك لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شيء عليم) من البسط والتضييق (شرع لكم من الدين ما رضى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من أرباب الشرائع أى الأصل المشترك بينهم وهو الدين بقوله (أن أقيموا الدين) الإيمان والطاعة (ولاتفرقوا فيه) ولا تضافوا فى هذا الأصل ، فأما فروع الشرائع فهى مختلفة (كبر) عظم (على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد (الله ينجي إليه من يشاء) يجتلب إلى الدين (ويهدي إليه) بالارشاد (من ينيب) يقبل عليه (وما تفرقوا) أى الأمم السابقة (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بأن التفرق ضلال (بنينا بينهم) عداوة وطلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالإمهال (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لتفضى بينهم) باستئصال المبطلين (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى أهل الكتاب المشركين فى عهد النبى ﷺ فان هذين القسمين أوتوا القرآن وشككوا فيه بعد ما تفرق قدام أهل الكتاب وهم يعلمون أن التفرق ضلال ، فقوله (إنى شك منه) من الكتاب أى القرآن (صريب) مقاقى ، أو مدخمل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك (فادع) إلى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) واستقم على الدعوة (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى جميع الكتب السماوية (وأمرت لأعدل بينكم) فى الحكم إذا تخصصتم فتخاصمتمكم إلى (الله ربنا وربكم) أى كنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) كقوله «لكم دينكم ولى دين» (لا حجة بيننا وبينكم) لاختصاصنا لأن الحق قد ظهر والحجة قائمة عليكم (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم إلى الجاهلية (حججهم داحضة) باطلة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (وهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل (والميزان) أى العدل والتنوية وهو النظام العام ، ولا جرم أن الكتب السماوية من نوع الميزان العام والعدل الشامل الذى ظهر فى عالمنا الأرضى والسماوى ، ولما كانت الأحكام القضائية لا تعتمد إلا على الظواهر وكان هناك مواطن مخبوءة أرجئت لقيام الساعة حتى يكون الميزان الانسانى تاما كالميزان العام ، فسكان سائلا يقول : يارب إنا نرى الناس فى الدنيا يفسحون ويكذبون ولا عدل بينهم والقضاة يحكمون بالظاهر ، وأيضا ربحا رأينا الصالح حقيرا والشرير عظيما فأين الميزان فى عالمنا ؟ فأجاب (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء



(والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها (ويسلمون أنها الحق) السكائن لا محالة (آلا إن الذين يمارون في الساعة) يجادلون فيها (أني خلال بعيد) عن الحق (الله لطيف بعباده) في إيصال النافع وصرف البلاء من وجهه بلفظ إدراكه (يرزق من يشاء) يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته ، وفي الحديث : « إن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك » ، ثم قال (وهو القوى العزيز) الباهر القدرة المنيع الذي لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة ، أي من كان يريد بعمله الآخرة (نزدله في حوزته) بالتضعيف (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ، سمي ما يعمل به العامل مما يتقنى به الفائدة حرثا مجازا (نؤته منها) شيئا (وماله في الآخرة من نصيب) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (أم لهم شركاء) أي بل لهم شركاء (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين ما لم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) القضاء السابق بتأجيل الجزاء (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أي وإن المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وإن لم يعذبوا في الدنيا (تري الظالمين) المشركين (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) والروضة أطيب بقعة في الجنة وأنزهها (لهم ما يشاءون عند ربهم) أي ما يشتهون ثابت لهم عند ربهم (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه) على التبليغ (أجرا) نفعا منكم (إلا المودة في القربى) أي لكن أسألكم التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح وهذا قول الحسن ويدخل فيه مودة النبي ﷺ ومودة قرابته ومودة القرابة من المسلمين ، فمن تقرب إلى الله أحب رسوله وأكرم قرابة الرسول وقرابته هو من المسلمين ، وهكذا يكرم أبويه إذا كانا كافرين ، فهذا القول يجمع سائر الأقوال ، ومن أكرم قرابته ﷺ تعليمهم إذا جهلوا ، وتذكيرهم إذا غفلوا ، وأما إكرامهم بمعنى التعظيم وحده فهو قصور معيب وجهل بديننا القويم (ومن يقترب حسنة) ومن يكتسب طاعة ، سيما حب آل الرسول ﷺ (نزدله فيها حسنا) أي في الحسنة بمضاعفة الثواب (إن الله غفور شكور) أم يقولون بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن (فإن يشأ الله يختم على قلبك) أي إن يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجتري بالافتراء عليه ، ثم استأنف فقال (ويمح الله الباطل) حذفت الواو من محو خطا ولفظا وهي مثبتة في مصحف نافع ، فهو فعل صرفوع بضمه مقسرة على الواو (ويحق الحق بكلماته) أي بما أنزل من كتابه على لسان نبيه ، وهذا وعد قد تحقق ، فهو محاط لهم وأثبت حق الإسلام ، وأيضا لو كان ما يقوله محمد ﷺ مفترى لحقه الله جريا على عادته أنه يحوكل باطل (إنه عليم بذات الصدور) فهو يعلم المبطل والحق فيعامل كلا بما هو أهل له (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه ، والتوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب ، وأن لا يجد حلالة الذنب في القلب عند ذكره (ويعفو عن السيئات) وهي ما دون الشرك ، فهو يعفو عن شيء بالتوبة (ويعلم ما تعملون) من التوبة والمعصية (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على ما طلبوا (والكافرون لهم عذاب شديد) في الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أي لو أغناهم جميعا (لبغوا في الأرض) أي لبغى هذا على ذاك ، وذلك على هذا ، فالغنى يبطر أو يتكبر (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (إنه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا أمرهم وظواهر حالهم فيعطى كلا ما يناسبه (وهو الذي ينزل الغيث) المطر الذي يفيشهم من الجنب (من بعد ما قنطوا) أيسوا (وينشر رحمته) في كل شيء من مخلوقاته (وهو الولي) الذي يتولى عباده بأحسنه

ونشر رخصته (الحديد) المستحق للمحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والأرض) مع عظمهما (وما بثّ فيهما من دابة) أي وما فرق من الدواب في الأرض وحدها ، والتعبير بهذا للتعبير في قوله - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان - مع ان اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح كما يقال بنو قيم فيهم شاعر مجيد وإنما هو في نقد من أنفادهم . هذا اذا وقفنا عند النظر السطحي . فأما اذا فكرنا فانا نجد هناك من العوالم ما تستحق أرضنا بالنسبة له . ولقد يظن علماء الهيئة الآن أن أقل عدد يظن من الأرضين لا ينقص عن ثلثائة ألف ألف أرض فيها سكان قياسا على أرضنا التي نحن عليها ، هذا ما يقوله علماء الفلك ، فأما علماء الأرواح فانهم لما استنطقوها قالت : « إن هناك عوالم في هذا الكون مسكونة تستحق أرضكم بالنسبة لها ، وما أنتم بالنسبة لهم إلا كالنخل بالنسبة لكم »

وهاك جملة من كلام روح غاليلي لما استحضروها قال : « إن الملايين من الشموس المؤلفة منها مجرتكم يحيط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة ، فيها ما يماثل نجم (سيريوس) الذي يربو حجمه وبهاؤه على شمسكم ألوفا من المزار والسيارات المحيطة به تفوق سيارات الشمس كبرا وسناء ، ومنها شمس مشاة أي نجوم توائم تختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمسكم ، ففي السيارات المحيطة بتلك الشموس المثناة لا تعد السنون والأيام كما في أرضكم ، وأحوال الحياة فيها يتعذر عليكم تصورها ، ومن الشموس مالا سيارات له إنما أحوال سكانها خير الأحوال » انتهى المقصود منه

فها هوذا (غاليلي) لما استحضروا روحه أفادنا أن من السيارات ما هو خير من أرضنا كما ان شمسنا أحسن من شمسنا ، ومن السيارات ما يسكن نفسه وتكون السكنى فيه والحياة خيرا من سواء ، وأن السيارات التي تتبع الشموس التوائم تكون الحياة فيها كأنها جنة بالنسبة لأرضنا ، وعلى ذلك أصبح ما كان عند الفلكيين ظنا عند علماء الأرواح يقينا ، واذن يكون هذا تفسيرا للقرآن ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هذا هو سر القرآن إذ يقول الله تعالى - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - في السورة السابقة ، وأي آيات أبدع من هذه ، يقول الله - وما بثّ فيهما من دابة - ، ويقول العلم الحديث ظنا تارة واقناعا أخرى ، إن أرضنا لا قيمة لها والحياة فيها حقيرة ، والحياة هناك أجل ، وسعادتها أتم ، بل جاء في مقال هذه الروح أيضا أن هناك عوالم أقل من أرضنا استعدادا وأهلها أكثر شقاء من أهل الأرض ، إن ذلك من معجزات القرآن ، قد أرانا الله آياته في الأنفس والآفاق ، والمسامون مقصرون في البحث والعلم والتفكير ، فليجدوا في علوم الفلك والطبيعة والأرواح وقوله تعالى ( وهو على جميعهم اذا يشاء قدير ) أي في أي وقت يشاء متمكن منه . ثم إن قولنا في هذا المقام ان اللؤلؤ لا يخرج إلا من البحر الملح كذب العلم الحديث أيضا فسيأتي في سورة الرحمن أن الماء العذب يخرج منه اللؤلؤ . فهذه معجزة ثانية للقرآن (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بالمصائب الأحوال المسكروحة من الأوجاع والأستقام والقحط والغلاء والعرق والصواعق . والذي كسبته أيدينا هي الذنوب والمعاصي ( ويهفوا عن كثير ) من الذنوب فلا يعاقب عليها . وهذه الآية في المجرمين . أما غيرهم فان مصائبهم لرفع درجاتهم بالأجر أصبرهم عليها . وفي رواية عن ابن عباس : « انه ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يهفو الله عنه أكثر » . وروى عن علي كرم الله وجهه : « ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ - ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويهفوا عن كثير - وسأفسرها لكم يا أهل : ما أصابكم من مصيبة أي مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني (بتشديد النون) عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فأن الله أحلم من أن يعود بعد عفو » . وروى عن غيره ما يفيد أن المصائب إما لرفع درجة أو لغفرة ذنب . هذا ملخص ما عليه جمهور أمتنا الاسلامية . وقالت طائفة تميل الى التناسخ : « لولم يكن للأطفال حال كانوا عليها قبل



هذه الحالة ما تأملوا . وأجاب السامع بأن الآية مخصوصة بالمتكلمين كما هو السياق . وإذا أردت تحقيق المقام عقليا فارجع الى ما في هذا التفسير في ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى - وبشر الصابرين - انك فاباك ستري كيف كان القرآن محجزا . وكيف كان الفيلسوف قابس ألف كتابا على هذا المعنى يسمى ﴿لفرقابس﴾ وأماط اللثام عن هذا المقام . هناك تعرف سر القرآن وأن العلوم كلها له برهان . فوالله ما قلت لك هذا وأنا من المتكلمين وانما أنا من الموقنين . والا فكيف تتحد العلوم الفلسفية والآيات القرآنية . وكيف يقول قابس في رسالته التي ترجمت الى جميع لغات أوروبا انه لا ينال السعادة في هذه الدنيا إلا الذين عركهم الدهر وطعنهم بكاسكه ومصرهم على تحمل المصائب وأذاقهم العذاب الهون حتى صقلهم بصقاله وآذاهم بنباله وقتلهم بسيوف رجاله وخط بساحاتهم ونزل بديارهم وأجلب عليهم بخيله ورجله وشاركهم في الأموال والأولاد ولم يعبأ بالعلوم وفهمها ولا بالآداب ودرسها ولا بالنعم وحوزها ولا بالأموال وكنزها . وجعل ذلك كله يصيب البار والفاجر والعالم والجاهل كالليل والنهار والحر والبرد والحسن والقبح فأى علاقة لسعادة الانسان بما يهتريه من الأحوال انه لا سعادة له كاملة إلا بأن تصقله المصائب صقلا وتنزل عليه تفصيلا وجلا حتى يتكامل عقله ويكظم غيظه ويتم احتماله ويظهر جماله . بهذا يظهر جمال القرآن ويعرف الناس سر الفرقان . ولكن بعد أن تدرس ما كتب في سورة البقرة . وكأن الانسان خلق وفيه نقص كثير بطبعه . وهذا النقص لا يذهب إلا بأعمال شريفة وعلوم منيعة ومصائب تساعد على ارتقائه . فالكسب ربما كان لما هو أعم مما جبل عليه الانسان من النقص وما فعله بيده من الذنوب والله هو الولي الجيد . ثم قال تعالى (وما أنتم بمحجزين في الأرض) أى فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) يحرسكم منها (ولانصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (في البحر كالأعلام) كالجبال (إن يشأ يسكن الريح) التي تجرى بها السفن (فيظللن رواكده على ظهره) أى فيبقى ثوابت على ظهر البحر (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل مؤمن كامل صبر على المصائب وشكر على النعم وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكير في آلائه الذي هو نوع من الشكر (أويوبقهن) أى أوبهك أهلهن (بما كسبوا) من الذنوب بارسال الريح العاصفة المغرقة ، والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيفرقن بعصفها (ويصف عن كثير) من الذنوب فلا يجازي عليها أى ان يشأ يهلك قوما وينج آخرين على طريق العفو عنهم ، وانما يوبق من يوبقهم بما كسبوا لينتقم منهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) في ابطالها (ما لهم من محيص) مهرب من العذاب (فما أوتيتهم من شيء) من زينة الدنيا (فتنازع الحياة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وحينئذ يكون المؤمن والكافر مستويين في متاع الحياة الدنيا فاذا صاروا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الإثم) كالقتل والزنا والسرقه (والفواحش) ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أى يكظمون الغيظ ويحكمون (والذين استجابوا لربهم) أى أجابوه الى مادعاهم اليه من الطاعة (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدونهم ولا يجادلون ولا ينفردون برأى لشدة تيقظهم وحذرهم ، يقال « ما تشاور قوم إلا هتوا لأرشد أمرهم » (وما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغي) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم من غير تعدي ، قال النخعي : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا . فالؤمنون إذن قسمان : قسم يغفون فبدأ بذكرهم وهو قوله - واذا ما غضبوا هم يغفرون - . وقسم ينتصرون من الظالم وهو المذكور في هذه الآية . ثم نخصهما فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الثانية سيئة للازدواج (فن عفا وأصلح فأجره على الله) وفي هذا تعظيم للعفو عنه (إنه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم (فأولئك

ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة والمقابلة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتدأرون بهم بالإضرار  
 (ويذهبون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظلمهم (ولمن صبر) أي لم ينتقم (وعفوا) تجاوز  
 عن ظلمه (إن ذلك) السبيل والتجاوز (لمن عزم الأمور) أي مما ينبغي أن يوجب العقل على نفسه ولا  
 يترخص في تركه ، وحذف الضمير الراجع لأنه مفهم أي أن ذلك منه الخ ، وأعلم أن هذه الآيات كلها لا يصح  
 المقام وتبينه ، ففيها ذم الظلم لا ابتداء أو تجاوز الحد ، وفيها أنه لا عتاب على من عاقب بمثل ما عوقب به ،  
 وفيها إعظام أمر العفو ، فهنا ظلم وانتصار وعفو (ومن يضل الله فإله من ولي من بعده) من ناصر يتولاه  
 من بعد خذلان الله إياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل إلى صرة من سبيل)  
 أي أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار (خاشعين من الذل) متذللين خاضعين  
 (ينظرون من طرف خفي) يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين  
 خسروا أنفسهم وأهليهم) بتعرضهم للعذاب المخلد (يوم القيامة) ظرف لخسروا (ألا إن الظالمين في عذاب  
 مقيم) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فإله من سبيل) أي وصول إلى الحق  
 في الدنيا والجنة في العقبى (استجيبوا ربكم) أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا ﷺ (من قبل أن يأتي يوم  
 لا مرد له من الله) لا يردّه الله بعد ما حكم به (مالكم من ملجأ) مفرّ (يومئذ وما لكم من نكير) إنكار  
 لما اقترفتموه لأنه مكتوب في صحائفكم وتشهد به أشنتكم وجوارحكم (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا)  
 رقيباً ومحاسباً (إن عليك إلا البلاغ) ليس عليك إلا البلاغ ، وفيه تسليّة له ﷺ (وإنا إذا أذقنا الإنسان  
 منا رحمة) كالغنى والصحة (فرح بها وإن تصبهم سيئة) حقا أو مرض (فإن الإنسان كفور) نعم الله المترادفة  
 عليه كأنه يقول : إن هذا الجنس موسوم بكفران النعم أي أنه إذا مسه الشرّ يكون جزوعاً كما إذا مسه الخير  
 فانه يكون منوعاً ، ولكن تهذيب نفسه بالعلم والدين يجعله محتملاً صابراً . ومن تأمل النفوس الإنسانية  
 وجدها كالمجبولة على اليأس ونكران النعمة وقت هجوم المصائب . ولا يخرج الناس من هذا المأزق إلا  
 الدين والعلم والصبر . وما ابتلى به الناس فيجعلهم يكفرون النعم أمر النورية ، فيقول من لا ولد له ياليت لي  
 ولداً ، ويقول من رزق بنات ياليتني أعطيت ذكراً ، ومن عنده ذكور يقول ياليت لي من البنات ولو واحدة  
 ومن عنده القسمان ربما اعتراه أحد أمرين : إما الإعجاب والطمع ، وإما كفر النعمة من الفقر والنصب  
 في تغذيتهم وتربيتهم ، فليعلم الناس أن ذلك منهم رعونة ، فليرض كل بما قسم له فانهم إنما خلقوا في الأرض  
 ليتعاملوا الصبر والقناعة ، وهم لا يطيطون إلى العالم الأعلى إلا بقواهم النفسية ، فلا ذكر ولا أنثى عند الموت  
 ولأمال ولا جند ولا أعوان ، إن الله رب الجميع وهو مالك السموات والأرض ويعلم المصالحعة ويعطي زيدا  
 ما منع عمراً بالحكمة أرادها . ويخص كلاً بزيادة ، فيعطي من لا ولد له هزبة أخرى ، ويحرم من له ولد من  
 بعض المزايا وهكذا (لله ملك السموات والأرض) فله أن يقسم النعم والنقم كيف يشاء (يخلق ما يشاء يهب  
 لمن يشاء أنثى أو ذكراً) فلا يولد للأول ذكر ولا للثاني أنثى (أو يزوجهم ذكراً وأنثى)  
 يجمع بينهما فيولد له الذكور والأنثى (ويجعل من يشاء عقيم) فلا يولد له ولد (إنه عليم) بما يخلق (قدير)  
 على ما يريد أن يخلق فيفعل ما يفعل بحكمة وعلم . هذا في تقسيم النعم البدنية ، وأعقبها بتقسيم النعم العقلية  
 وأفاد أنها أيضاً على مقتضى الحكمة ولا اعتراض على القسمة فيها . فالناس محجوبون عن ربهم لأنهم في عالم  
 المادة وهو منزه ، ولكن منهم من رقى بحجابه وخلعت نفسه (١) فيحس بمعاني تلقى في قلبه وهو معنى  
 النفث في الروح كما روى « نفث في روعي » أويرى رؤيا منامية كرويا الخليل عليه السلام بذبح ولده (٢)  
 أو يسمع كلاماً من وراء حجاب كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه . فالعبد هنا  
 يسمع كلاماً ولم يرا المتكلم (٣) أو يرسل الله ملكاً فيوحى الملك إلى النبي بأذن الله ما يشاء . ومن النوع الأول



نبوة النبي ﷺ في ابتدائها فانها كانت في المنام ستة أشهر ، ومن الثالث ما بين ذلك ، فقد كان جبريل ينزل عليه بالوحي ، وأما الثاني فهو ما حصل لموسى عليه السلام ، وهذا قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) أي وما صحح أن يكلم الله أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو رسولا ، وقوله (إنه على) أي من صفات المخوفين (حكيم) يدل ما تقتضيه الحكمة (وكذلك) وكما أوحينا إلى سائر الرسل (أوحينا إليك روحا من أمرنا) نبوة أو قرآنا فهي به حياة الأرواح (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب) أي القرآن (ولا الإيمان) أي شرائعه (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا القرآن أو الإيمان نورا (نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي) أي لتدعو (إلى صراط مستقيم) دين الإسلام (صراط الله) دين الله الذي شرعه لعباده (الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) أي أمور الخلائق فيضع كلا في درجته من جحيم ونعيم . انتهى التفسير اللفظي للسورة كلها

### ﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن - والملائكة يسبحون بحمدهن ويستغفرون لمن في الأرض -
- (٢) وفي قوله - جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا - مع قوله - يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور - الخ وقوله - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة وهو على جمهم إذا يشاء قدير -
- (٣) وفي قوله - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ
- (٤) وفي قوله - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز -
- (٥) وفي قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون -
- (٦) وفي قوله - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - الخ
- (٧) وفي قوله - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير -

### ﴿ اللطيفة الأولى والسادسة ﴾

- (١) في قوله - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن - الخ
  - (٢) وفي قوله - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - الخ
- لقد جاء في هذه الآية الثانية وجه آخر غير ما تقدم ، فيقال : لا يكلم الله البشر إلا بأحد طرق ثلاث : إما أن يوحى إلى الأنبياء بالملائكة ، وإما أن يكلم الأمم بواسطة هؤلاء الأنبياء الذين تلقوا عن الملائكة ، وإما بأن يكلم الأنبياء من غير أن يروه كمسألة موسى عليه السلام ، وأذن نشرع في عجائب هاتين الآيتين . فنقول : اعلم أن الله عز وجل جعل العالم المادى والعالم الروحى بينهما تشابه كما قال تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقال - ووضع الميزان - ألا تظفروا في الميزان - فالعالم الروحى والعالم الجسمى يختلفان جوهرًا ويتحدان في النظام العام ، فانظر أولا في هذا العالم المشاهد وتأمل ، تجد الناس يعيشون في وسط الأنوار ، فأما الظلمات فهي قليلة ، إن الشمس لا تكاد تعد ولا تحصى ، فأما السيارات حولها فهي مستضيئة بها ، وكذلك التوابع ، فأرضنا وقرنا يستضيئان بنور الشمس ، وكذلك السيارات ، ويظن أن للشموس سيارات ولكن لا يستضيء منها إلا ما كان جسمه معتما كأرضنا أي برد سطحه وصار مثلها ، وجميع الأجسام تنقسم إلى

ثلاثة أقسام : أجسام مضيئة كالشموس التي هي هذا العالم كله ، حتى أن أرضنا كوكب مضيء لولا قشرتها .  
فأما باطنها فإنه نار على حاله ، فأكثر أجسام عالمنا مضيئة ، والنادر جدا مالا ضوء له وهي أمثال قشرة أرضنا  
الصغيرة ، وأجسام معتمة كسطح الأرض والقمر والنبات والحيوان والأحجار ، وأجسام شفافة كالهواء .  
فالأول يفيض النور ، والثاني يستضيء به ، والثالث يقبله ولا يحجبه عن المتلم . والأجسام المعتمة منها ما هو  
صقيل كسطح المرآة فإنه يقبل النور ويحجبه عما وراءه واسكنه يعكسه على ما أمامه . هذا هو العالم المشاهد  
وأقسامه ، فلننظره نجد أن الشمس تفيض النور والهواء شفاف منفصل وسهم العين شفاف متصل بالأجسام ،  
فلننظر في عالم العقل والروح نجد أن في العالم الانساني من يقبلون العلم بالتعليم وهم جمهور الأمم ، فهم في  
قبولهم العلم أشبه بهم حين يقبلون الصور التي وردت من طريق العين الواردة من الخارج ، ونجد الأنبياء  
والعلماء فيهم أشبه بالعيون المركبة فيهم ، فكما قبلت العيون الصور بسبب ضوء الشمس وأدتها الى النفوس  
هكذا قبل الأنبياء وهم عيون الأمم العاوم ووصلوها الى أممهم . فاذن تبين لنا أن العالم المشاهد أوضح لناست  
مسائل من ثمانية ، وايضا نحن اننا نقول : في العالم الروحي نفس متعلمة وأنبياء معلمون وملائكة موصولون  
والله مبدأ الفيض ، فنحن لانعلم من هذه الأربعة إلا اثنين : نعلم النفس المتعلمة ، والنفس المعلمة ، ولكن  
الاشان الباقيان محجوبان عنا ، وهما الله والملاك ، فأرانا الله هذه الأقسام الأربعة في العالم المادي وقال :  
انظروا تجدوها واضحة ، أجسام مظلمة تستضيء ، وأجسام شفافة متصلة تقبل ، وأجسام شفافة منفصلة ،  
وأجسام مضيئة للنور . فهذه القسمة تامة في العالم المادي وقد رأيت اثنين في العالم الروحي ، فبطريق الاقتناع  
تعرفون أن هناك ملكا وراء الملك إله كما كان وراء العين هواء ووراء الهواء شمس ، وهذا لمن لم يقرأ علم  
الأرواح ، فالله تعالى هو المعلم وهو الذي يكلم الناس بالملك وبالأنبياء كما أن الشمس تضيء على الأرض وتوضح  
لنا الصور بطريق الهواء الشفاف وبطريق العيون والفضل كله راجع للشمس ، هكذا العلوم الدينية والعلمية  
والصناعية ، وجميع ما في الأرض من علم مكمل لأهلها مصدره الله تعالى ، غاية الأمر أنه تارة يكون بوسط  
للجمهور وبغير وسط للنفوس الشريفة ، وهذا يوضح لنا قول علمائنا : « إن الله عليم الجود ليس بمانع له  
عن أحد ، ولكن الفيض يكون على مقدار الاستعداد »

فإذا سمعنا أن زيدا قد أظم العلم ونشر الحكمة ، فلتعلم أن في نفسه صفاء استعداد به أن يتقبل الحكمة  
العامة المفروسة في قلوب نفوس الأرواح الخائنة حولنا وهي مستمدة من الله كاستمداد الهواء النور من الشمس  
وإذا سمعنا أن عمرا اتبع هواه وأغراه الشيطان فلنعلم أن النفوس التي ألهمته منحرفة وهو يشابهها في الانحراف  
كما نرى الزجاجة الملونة تلون الماء الذي وراءها فنراه أصفر أو أخضر أو أحمر تبعاً لها مع أن النور عام والناس  
مطلعون عليه ولكن لاقدرة لهم على تغيير الطبايع ، فالأرواح الشريفة يرون الشياطين أمامهم أشبه بذلك  
الزجاج الملون ، ويرون الأحياء الذين يشاكلونهم مغرمين بأرائهم عاكفين على الاصغاء اليهم  
هذه مجامع الحكمة في هذه الآيات . إذا عرفت ما ذكرته لك . فانظر في هذه الآيات . ذكر الله السموات  
والأرض وأن عظمة الله تكاد تنفطر فيها السموات . ثم أتبعه بذكر الملائكة مشيراً الى ما ذكرنا كأنه يقول  
انظروا الى السموات والأرض والى عظمتي فيهما فانكم ترون الظلمات والأنوار الخ فانظروا الى الملائكة انهم  
يسبحون ويحمدون . فهم يعرفون جلال الله واكرامه أي صفات التقديس وصفات الاكرام فهم يعرفون  
بعده عن مشابهة المخلوقات ويقدمونه تقديساً ويقروون عجائب صنعته وحكمته وقدرته المعبر عنها بالجد ، فهم  
يعرفون أن ذاته كاملة تفيض الخير ، فقدم التسبيح لأنه يرجع لكمال الذات وآخر الحمد لأنه يرجع لتكميل  
الغير وافاضة النور . فالمقدس ذات منزهة كاملة . والمقدس المحمود ذات كاملة مضيئة الخير والكمال على غيرها  
وبهذه العلوم والمعارف كانت الملائكة أرقى من أهل الأرض لأن أرواحهم لطفت فلم تلتأم هذه المادة ولا



تميل فيها فأصبحت كالهواء من حيث قبول النور الملمس وافاضته . وليس ينجم الناس عن ذلك الكمال إلا الجهل كما قال سقراط : « الناس لا يصدقون إلا لجهلهم » ولولا سعة علم الملائكة ما ارتفعوا عن المادة وما كانوا مسيطرين عليها ، وطى مقدار جهل الانسان يكون بعيدا عن العالم الروحي »

فهذا ملخص ما يفيد قوله - يستبحون بحمد ربهم - . وأما قوله - ويستغفرون لمن في الأرض - فهو افاضة اخير ، فهم من حيث التقديس والتعظيم يفاض عليهم من الله ، ومن حيث الاستغفار مفيضون الخير على الناس . ولما كان الانسان لا يقدر أن يرى النور إلا بآلة متصلة به وهي العين هكذا لا يقدر الجمهور من الناس أن يدركوا العلم إلا بنفس نكون منهم تشبه العين في جسم الانسان ، فهي تتصل بالملائكة من وجه وتتصل بالناس من وجه آخر ، أي ان الأنبياء بروحانيتهم متصون بالملائكة وبماديتهم يتصون بالناس كما اتصلت العين بالضوء من جهة الهواء واتصلت بالمخ من الداخل واتجهت الصور منها الى النفس فأدركتها فهي قابلة موصلة والأنبياء قابلون موصولون ، فالله كلم الأنبياء بالملائكة وكلنا بالأنبياء ، ويشير الى هذا المقام أيضا ما جاء في ﴿سورة النبأ﴾ - رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا -

وبهذا نفهم الآيتين في أول السورة وآخرها ، وهذا المقام من عجائب العلم والحكمة ، إن الناس يرون هذا كله بأعينهم الجاهل والعلماء ، ولكن لا يدركه إلا من انفتحت بصيرته اليه . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى والسادسة

### اللطيفة الثانية والرابعة

- (١) في الكلام على التناسل واختلاف الذكور والاناث في الحيوان والانسان
- (٢) واطف الله في تغذيته

فن الثاني ما جاء في كتابي جواهر العوم في صحيفة ٩٩ وما بعدها وهذا نصه

فقال ابراهيم : اعلمى نورك الله بنور العلم أن الخالق جل اسمه جعل تركيب الأسماك مناسبا لمعيشة في الماء كما جعل للطيور أجنحة تساعد على الطيران في الهواء . فقالت : وكيف ذلك ؟ فقال : ان الأسماك تحتاج في تصرفها في معاشها وتقلبها في أطوارها الى أن تعوم في الماء من جهة الى أخرى أو تنخفض تارة وترتفع أخرى أو تتجه يمينا ويسارا لتبحث عن غذائها أو تهرب من عدوها أو تطلب صيدها فجعل الله سبحانه وتعالى لها عوامات كمجاذيف السفينة تشاهد في الأسماك في الجوانب وعلى الظهر ومن خلفها وحوصلة تسمى حوصلة العوم وهي عبارة عن كيس مملوء هواء خالصا تضغطه اذا أرادت أن تغوص في الماء فيصغر حجمها وتمده اذا أرادت أن تطفو على سطحه فيكبر حجمها وجعل ذنبها مستعدا لأن يديرها يمينا وشمالا في البحر فكما أن للسمة عوامات تمنح بها الماء كذلك جعل للسفينة مجاذيف وشرعا تديرها حيثما أراد الانسان وكما أن لها ذنبا يكون مواز لجسمها عند الانحراف يمينا وشمالا كذلك جعلت الدفة (السكان) للسفينة حتى يسهل التقاطها يمنة ويسرة فلوا انقطع ذنب السمكة مثلا ما أمكنها أن تنحرف الى إحدى الجهتين بل تتجه دائما جهة الأمام ولو انهدمت عوامتها التي في جوانبها وعلى ظهرها لوقفت في مكان واحد وتعطلت عن اكتساب معيشتها ومن العجيب أن الأسماك جعل شكلها على هيئة تناسب اختراق الماء فلم يجعل رأسها مفرطحة حتى تقاومها لجج المياه فتعوتها عن السباحة فما أدق صنعه سبحانه وما أعم رحمة وكل حي يغدو ويروح في بحار نعمه مشمولاً بسوائغها قال عز وجل (وما كنا عن الخلق غافلين) فحجائب الكون ظاهرة والناس عنها غافلون بلذاتهم وشهواتهم . قال عليه الصلاة والسلام : لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت

السموات والأرض فلا بل مثلاً قصرت أذناها لاستغنائها بطول أعناقها ونكس ذلك في البقر وكم من حكم ضربنا  
عن ذكرها صفها ليراجعها محب الحكمة في العلوم الطبيعية (وانته يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

### (فصل في حكمة خلق الحشرات)

فقلت ياسيدي اني أعتقد أن كل هذه العوالم مؤسسة على حكم تحار فيها العقول ولكن الى الآن لم أصل  
الى حكمة خلق الحشرات من نهم الزناير والذباب والبعوض فهل عثرت على ذلك في كتاب قال نعم ان الله عز  
وجل يخلق الشيء لحكم كثيرة منها ما يعرف ومنها ما لا يعرف أما هذه الحشرات كالزناير والذباب وغيرهما فان  
حكمها كثيرة منها أن العفونات الفاسدة التي على وجه الأرض لو بقيت لفسد الهواء وجاء الوباء وانتشر الهلاك  
وعم الخراب خلق الله سبحانه وتعالى تلك الحيوانات منها ليصفو لها ولا يمرض لها الفساد الذي هو سبب الوباء  
وهلاك الحيوان ولتلك ترين الزناير والديدان والخنافس في دكان القصاب (الجزار) واللباس (١) أكثر مما  
يرى في دكان البزاز (القماش) والحداد فاقضت الحكمة الالهية صرف العفونات اليها ليصفو الهواء منها ونسلم  
من الوباء ، ومن الحكم العجيبة والأسرار الطبيعية الالهية انك ترين ان نحو الحيات والعقارب تسكن عادة وتكثر  
في الأماكن العتيقة والمحال الفاسدة وهكذا خشاش الأرض من الخنافس والصراصير وغيرها ، وترين (الناموس)  
لا يتولد إلا في المحال المستنقعة وكذا الذباب يكثر في المحال القذرة وذلك كله لطف من الله بعباده ورحمة بهم فهذه  
كلها فضلا عن كونها تحيل الى جسمها المواد الفاسدة وتنقي الهواء فهي من جهة أخرى مؤذية بطبعها ينفر منها  
الإنسان فتحملة على ازالة ذلك السبب فكأن إنسان حال الحيات والعقارب يقول ان لم تصالح هذا المكان أو تخرج  
منه والادغتك

ولما كان الهواء الفاسد الحامل للمواد المضرّة لا يحس الإنسان بضرره فيحدث الضرر في الأجسام أو يميت  
الإنسان وهو لا يشعر به جهل الحكيم الخبير تلك الحيوانات وأودع فيها سما يحس بألم الإنسان فيتنبه فيتخذ  
الاحتياطات اللازمة للابتعاد عنه وهو مع ذلك لم يقصد منه إلا البعد عن تلك الأماكن العفنة فضلا من الله ونعمة  
وهكذا ترى أن من على وجهه قدر يعاوه الذباب لينقي ما عليه وخلق في الإنسان كراهية طبيعية لذلك حتى  
يضطر أن يغسل وجهه فيزيل ذلك القذر فكأن الذباب شرطى (جنسدى) يلزم أهل القذر ويأمرهم  
بالنظافة ولا يضربهم بسوط يؤلمهم وهو الكراهية الشديدة ، فسبحان من أودع في كل صغير وكبير من الحيوانات  
من الحكم والغرائب ما يحججه أكثر الناس وهو نافع لهم ولذلك ضرب الله بهذه الحيوانات الأمثال حتى قل  
(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت  
لو كانوا يعلمون) فأنكره الجاهلون من المشركين فرد عليهم بقوله (ان الله لا يستجيب أن يضرب مثلاً ما بعوضة  
فما فوقها فأما الذين آمنوا فليعلموا أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)  
ثم بين ان الذين يفهمون ذلك هم العالمون فقال في آية أخرى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا  
العالمون) خلق الله السموات والأرض بالحق ان في ذلك لآية للؤمنين) فأفاد بهذه الآية أنه لا يفهم تلك الحكم  
الا أصحاب النفوس العالية الشريفة الناظرون في ملكوت السموات والأرض الذين عبر عنهم بالعالمون بكسر  
اللام هذا ، ومن عجيب الحكم انه عز وجل جعل صفارها مأكولة لكبارها ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض منها فليس  
في ملكه ذرة إلا وفيها من الحكم ما لا يحصى وأعجب من هذا أن كل ما جعل سببا لهلاك حيوان جعل له سببا  
لدفع ذلك السم فان الأطباء الأقدمين قالوا ان في لحم الحيوان قوة دافعة لسمه فادخلوها في الترياق والتجربة  
تشهد أن من لدغته عقرب يلطخ الموضع برطوبة لحمها فيسكن ألمها في الحال . ثم ان هذا النوع من الحيوانات

(١) الدباس هو صانع الدبس وهو ما يسيل من الرطب



يختلف ساطعا عند الشتاء فيها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يكمُن فيه ولا يأت كل شيئا كالحيات والعقارب ، ومنها ما يدخر ما يكفيهِ لشتائها كالنحل والنمل ، فتأمل تلك الأفعال العجيبة واعلم أن هذا العالم كله حكم ومصالح (وما يهملها إلا العالمون) فربما ظهر للخاصة من حكمه ما لا يظهر للعامة وظهر للخاصة ما لا يظهر للعامة فان من رأى تلك الحشرات الصغيرة لم يدرك في خلقه أن لها بعض تلك المنافع والحكم من تلقيح الأشجار واصفاء الجو من العقونات فهي من المعينات على ما كنا وبقاء حياتنا ، وإن من أجل الحكم والطفها وأدقها أكل الحيوانات بعضها بعضا فكم في الجبال والأودية والسهول والقفار من حيوانات لو بقيت جثثها لفسد الهواء ثم هبت الرياح إلى ما جاورها من البلاد وعم الخراب ولذلك قال الشيخ كمال الدين الدميري في حياة الحيوان الكبرى أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفى فيأكلها والأفى يصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله والجراد يلتهم فراخ الزناير فيأكلها والزناير يصيد النحلة فيأكلها والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها والذبابة تصيد البهوضة فتأكلها اه على أن في ذلك فضلا عن تصفية الجو تغذية الحيوانات وعدم ضياع ذلك الجسم سدى بلا فائدة فلو ترك بلا أكل لتطالت حكمته إذ ليس في الملك ما تضيع حكمته ألبتة ففيه دفع مضار وجلب منافع اه

ومن الأول ما جاء في كتاب جواهر العلوم أيضا وهذا نصه :

« ومن عجيب صنائه ككيفية التناسل التي ليست على نمط واحد ، فان من الحيوانات ما يتم جنينه في داخل جسمه ثم يلد كالحوانات اللبونية ، ومنها ما يخرج بيوضها ، منها ثم يتخلق الجنين فيها مهثاله داخلها جميع ما يلزم من الغذاء وذلك كالطيور وبعض الحيات ومن ذلك ككيفية اللقاح وتغذية الجنين فانها ككيفية متباينة تؤدي إلى مقصود واحد فبعض الحيوان لا يتم تلقيح ذكره الا اذا وصل المنى في باطن الأنثى ولو تعرض للهواء لفسد كالانسان وكثير من الحيوان ومنه ما يلقى منه على بيض أنثاه بعد خروجه منها فلا يفسده الهواء ، ومنه ما يفسده في وقت معين ، ومنه ما لا يهين لوقته ، ومنه ما يعلو أنثاه عند السقاة ، ومنه ما يدبرها ومنه ما يلصق جنبه بجنبها ويحاكها حتى تلقى بيضها وهو يلقى منه على تلك البيوض فيلقحها وذلك كبعض الأسماك ومنها ما ينفذ صغاره بلبن أعده الخالق الحكيم الرحمن الرحيم في ثدييه أو ثديته التي تكون على عدد أولاده في الغالب ، ومنه ما يرق أولاده زقا كالحمام ، ومنه ما يسهى بأولاده ويدبها على أقواتها كالسجاج ، ومنه ما يشترك في تربية أولاده الذكر والأنثى وذلك عندما يكون أولاده غير قادرة على السهى من أول ولادتها وذلك كالعصافير والحمام والانسان لأن انفراد الواحد بالتربية مع سعيه على رزقه أيضا يكافه فوق طاقته ، ومنه ما تنفرد أنثاه بالتربية وذلك عندما تكون أولاده قادرة على السهى وذلك كالسجاج والحجل فاذا تأمل العاقل في هذه العوالم وجدها تسمى لمقصود واحد خاضعة لأرادته متجهة لنظام السكون متعاونة على أكمله فالعلويات والسفليات مرتبطة ارتباطا تاما بقوانين الجذب العام والتناقل وعقول بني آدم وادراك الحيوانات وما بينهما من المحبة والألفة والشوق فالجذب العام كمحبة عمومية بين جميع أجزاء العلويات والسفليات وحب الحيوانات لبعضها وشوقها روابط جزئية بين أجزاء صغيرة من هذا الكون فكل ما نراه في الحقيقة إنما يسمى للنظام التام وهو يظن أنه يسمى لمصلحته الخاصة ، انتهى ما أردته من كتابي جواهر العلوم

### اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ (١)

اعلم أن هذه الآية قد كنت رأيت في المنام منذ نحو ٢٧ سنة حينما كنت أؤلف كتاب جواهر العلوم

(١) سيأتى في اللطائف العامة دلائل بقاء الأرواح ألقاها خطيب مصري على سبيل الخطابة وهكذا آراء

أفلاطون والمؤلف مع بدائع التفسير هناك

وأنا مقيم بالجيزة أن قائلا قولا هذه الآية أماني ، وألقي في نفسي أن معناها ما تقدم من أن النظام تام في هذه الدنيا ، وأن الأحكام الشرعية والقضاء تسكون على حسب الظاهر ولم يبق إلا الباطن فيرجع إلى النظام العام وهو يكون يوم القيامة ، ولذلك لما استيقظت من النوم كتبت ثم أدرجته في الكتاب ، فأنا اليوم أشهد الله عز وجل إذ حييت على هذه الأرض حتى أتيح لي تفسير القرآن ووصلت إلى نفس الآية ، وأقول الآن إنني لما استيقظت من النوم إذ ذاك وفكرت في الآية ، لم أكن لأصدق أن الآية كما رأيت في النوم ، بل ظننت أنها حصل فيها تغيير ، فلما سألت مدرس القرآن بالمدرسة قراها لي كما رأيت ، ونظرت المصحف فوجدتها كما هي طارقا فرحا ، وكتبت المعنى في كتابي « جواهر العلوم » ، وقد كتبت في نفسي ، وهأنذا اليوم أكتب لك ما جاء في « جواهر العلوم » وإن لم أذكر فيه من أين جاء وهذا نصه :

#### الفصل السادس عشر

في الاستدلال على اليوم الآخر وعلى وجود الله بأدلة عقلية قريبة غريبة

ثم قال إبراهيم : قد تكلمنا في مجالسنا السابقة على كثير من دلائل قدرة الله عز وجل ، وهي في الحقيقة أدلة عقلية ، فهل عندك من دليل غير ما يذكره في كتب علم الكلام بحيث يكون مقنعا للعقول ، فأنا كثيرا ما أسمع قولهم في كتب التوحيد أن دليل الآخرة سمعي ، أي أننا نأخذ من الأدلة الشرعية لامن العقل . قالت الفتاة : أنا لا يمكنني أن أقول غير ماسطر في كتب التوحيد . فقال إبراهيم : أنا قد خطر لي دليل لا يفهمه إلا أولوا الألباب والراسخون في العلم ، فأشرف وجه الفتاة وقالت : هات ما عندك :

فقال من نظر بعين البصيرة ، فيما أودع في هذا العالم من الحكم والعدل والقوانين السارية في العلويا والسفليات والحيوانات والنباتات وادراكاتها وعقولها حكم بالبداهة على أنها جارية على نواميس حقنة وحساب منتظم دقيق لا يأتيا الباطل من بين يديها ولا من خلفها هذه الكواكب والشمس والقمر سابحة في مداراتها على قوانين لا تقبل التغيير والتبديل ثم لننقل نظرنا إلى السفليات نجدها حذت حذو العلويا في النسق والترتيب والنظام فأى حيوان تعدى طوره وأى نبات تجاوز سنته ثم لننظر العقول البشرية نجدها مفعورة على حب العدل والنظام وحذت حذو ذلك النظام الأعلى فلا ترى إنسانا على وجه الأرض إلا واستحسن العدل واستقبح الجور ولذلك ترى أرباب القوانين المخترعين لها من نوع الإنسان بل المستنبطين لها في الحقيقة من الشرائع الألهية يبحثون على بواطن القضايا كظواهرها هذه الدول الغربية أمامنا كم ينفقون الأموال ويرساون إلى الجهات المتباعدة من يبحث على الجاني ولو انفقوا ما أنفقوا وكل ذلك لميل العقول إلى العدل ، وأن يجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وما لنا ولأرباب القوانين والسياسة فلم ننظر إلى سيد العائلة فإنه يعاقب على ذنوب أهل منزله ويجازى كلا بما فعل بل أى إنسان ولو من أضعف الناس عقلا وأقلهم ادراكا رأى رجلا يضرب آخر فإنه لا يتمالك نفسه أن يأخذ بناصر الضعيف (فطرة الله التي فطر الناس عليها) دعينا من الإنسان ونظري الحيوانات فإنه مذكور في جبلتها العدل أيضا لما شهد كثيرا فيها بل كثيرا ما علم أنها تعاقب بالقتل على التهمة بالزنا وغير ذلك مما هو مشاهد فثبت أن هذه الفطرة منبثة في كل حي على وجه البسيطة بل هي من الموازين التي قامت بها السموات والأرض واستقر بها كل موجود ومن العلوم لسكل من اطلع على علم الهيئة والفلك والنبات والحيوان والإنسان وعلوم الأحكام والمنطق وعلوم الأدب كاللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وغيرها إن هذه العلوم كلها قوانين تدلنا على سر بيان النظام في كل شيء من الموجودات وعلى نهجها وضعت قوانين للجرمين في هذا العالم وتجري على يد الإنسان ولكنها مهما بالغ العقلاء فيها لا تحكم إلا على الظواهر ولا يمكن وصولها إلى الحقائق بوجهها فهي أشبه شيء بالجمال الظاهري فإنه يدل في الغالب على الجمال الباطني ومن غير الغالب قد تختلف القضية فكذلك الأحكام بالقوانين الشرعية أو الوضعية تابعة لأقوال الشهود والقرائن



ودلائها ظاهرة فقط وقد قدمنا ان كل شيء في العالم يسير على نهج الحق والصدق والميزان العدل فلا بد أن يكون لبادئ هذه القضايا حكم يفهم فيها في وقت آخر حتى يكون ميزانها على حسب الموازين الأخرى الصادقة من العاويات والسفليات وأيضا قد تقرر انه لا يضيع شيء سدى في هذا العالم كما هو مقرر في العاوم الطبيعية فلا تضيع حركة ولا حرارة ولا كهربائية قط بل تنقلب الحركة حرارة والكهربائية تكون حرارة ثم ضوءا فهكذا تنقلب هذه الأعمال في الآخرة نعيما أو عذابا ألما فتذكر يا أولي الألباب فلم تضيع أفعال العباد والذين لم يؤخذ بناصرهم أو الذين أحسنوا في هذه الدنيا ومن تأمل فيما قلناه فهم معنى قول الشاعر :

من يزرع الشمر يحصد في عواقبه ✽ ندامة ولحصد الشمر إبان

وقول الآخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ✽ لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول الآخر .

الخير أبقي وان طال الزمان به ✽ والشمر أخبث ما أوعيت من زاد

الأثرين ان زارع الورد لا يجنى الشوك وزارع النخل لا يجنى النرة . وعلى هذا القياس ترين النفوس تتأثر بأقوالها التي تصدر منها حسنا وقبعا فن أكثر من ذكر شيء أحبه بل خاطر الانسان يؤثر على أخلاقه شرفا وفضة فعلمنا ان هذه القاعدة مطردة في المحسوسات والمعتقولات وجميع الموجودات ومن فهم ما قدمنا جزم يقينا انه لا بد من يوم يقوم الناس فيهرب العالمين حتى يقوم بين الناس بالقسط لما ثبت أن كل هذا العالم قائم بالعدل وبقيت أفعال الانسان لم توزن الا وزنا ظاهريا فلا بد من وزن آخر ليكون فصلا حقا بميزان عدل لا يخس شعيرة وكيف ينتقم رئيس الأسرة وسيد العشيرة من المسمى ويحسن الى المحسن ولا يفعل ذلك رب الأرباب ( أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ) ( أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ) ( أخسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لا ترجعون ) ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) ثم ان كل ما صرحت به أولوحت في هذه المقالة من بحر آية من القرآن وهي قوله تعالى ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ) قد فسر بالعدل والقسوية كما في الخازن والنسفي ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) فليتأمل العقلاء وما يدريك لعل الساعة قريب بعد قوله أنزل الكتاب بالحق والميزان وليلاحظوا ما ذكرناه في هذه المقالة يظهر وجه هذا التعقيب العجيب ثم أعقب ذلك بقوله جل شأنه ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة ) يخاصمون فيها أو يشكون ( اني ضلال بعيد ) عن الحق لهدم فطنتهم وادرا كههم موازين هذا العالم وفطرة حيوانه على الجزاء وعدم تدبرهم ما أنزل في السكتب السماوية المطابقة تمام المطابقة لما يرى في العوالم بالعقل والنظر الصحيح على ان لنا وجهها آخر في ذلك وقد عرضته سابقا على أكابر العقلاء والعلماء فاستحسنوه جدا وهو أن كل بني آدم على أي دين تراهم يحبون تخليد أسمائهم اما نقشا على الأحجار أو في السكتب المؤلفة أو على ألسنة الناس وأيضا يحبون الخلود وطول الأعمار ولا نرى أحدا يحب الفناء الا من شد شدوذا بينا ثم ذلك الشدوذ لا يدوم وأيضا نرى جميع أهل الأرض قاطبة يزورون موتاهم ويتصدقون على أرواحهم واذا نظرنا الى هذه الفطر الثلاث المنقرسة في نفوس البشر دلتنا دلالة واضحة ان لنا بقاء بعد موتنا اذ جميع فطرنا التي فطرنا عليها صادقة وليس فيها كاذبة ألبتة ولعمري لا يفهم ما قلناه الا من درس جميع العاوم وعرفها حق معرفتها ألا يرى شهوة الغذاء والتناسل والغضب وما فيها من حياء وجبن وكبر وشجاعة وغير ذلك فكل هذه الفطر خلقت فينا لمصالح صحيحة ومنافع عظيمة وكلها فطر صادقة كما يعرفه أهل العلم فكذلك هذه الفطرة فطرنا البقاء وتخليدنا أسمائنا دليل على ان لنا بقاء

بعد الموت وزيارة الأحياء للأموات وشموم هذه المادة في جميع بني آدم دليل على وجود أرواح الأموات والا  
فما هذا التفات على المقابر والتصدق على الأموات ولنا وجه آخر وهو أننا لا نقتنع في هذه الدنيا بمال ولا علم  
مصدقا لقوله ﷺ (منهومان لا يشعبان طالب علم وطالب مال) وكل نفس من النفوس البشرية تستشعر في  
نفسها حب لذة أعلى من جميع اللذات في العالم المشاهد لها بدليل أنها لا تقف عند حد محدود بل كلما ارتفعت  
زهدت فيما وصلت اليه وأحببت أعلى منه وما سمعنا بأن أحدا قال غير هذه العبارة (هل من مزيد) فهذا  
لاستشعار النفوس جميعها بأن لها لذة أعلى من هذه فلا بد أن تكون في عالم آخر الذي يطابق وصفه ما أحسسته  
النفوس وخت اليه

وهذه الأدلة كلها لم أرها في كتاب وإنما هي سوانح (١) ويقرب من هنا أن كافة بني آدم يميلون إلى  
عبادة الخالق في كل صقع من أصقاع الأرض حتى أهل جزائر المحيط الهادئ الذين تباعدت ديارهم عن المتمدنين  
وأنما اختلافهم في تعيينه فمنهم من ظنه شجرا ومنهم من ظنه تمثالا ومنهم من لا يخصى كما هو معلوم مستفيض  
شائع ولا شك أن هذه الفطرة وحدها كافية للاستدلال على صانع هذا الملك العظيم . فأعجب الفتاة ما قال إبراهيم  
وقالت ما سمعت أدلة أوضح وأبين من هذه ما جاء من كتابي جواهر العلوم  
فالحمد لله الذي وفقني إلى تأليف هذا التفسير والشكر له على أني عشت حتى وصلت إلى تفسير هذه الآية  
وذكرت ما كان خطري منذ ربع قرن فأكثر، وما كان ليخطر لي إذ ذاك أني سأكتب هذا أو أنشره بين  
الناس فالحمد لله رب العالمين

### اللطيفة الخالصة

في قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم -

أذكر في هذا المقام ما اتفق لي أثناء هذا التفسير إذ ألغى الترك دولة الخلافة وأقاموا الجمهورية مقامها  
وكتب المسلمون في ذلك ، وطلب مني بعض أصحابي أن أكتب في هذا الموضوع فكتبت رسالة في جريدة  
المقطم وقد تقدمت في سورة النساء

هذا ولندكر هنا ما جاء في جريدة وادي النيل يوم الخميس ٢٩ ربيع أول سنة ١٣٤٧ هـ بجمهورية الموافق  
١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م في معنى هذه الآية . وإنما ذكرناه هنا لما فيه من الأخبار لزيادة الفائدة ، فقد  
جاء فيها ما نصه :

### الدين والدستور

جاءتنا هذه الرسالة ونحن ننشرها عملا بجمهورية النشر محتفظين برأينا الذي أبديناه من قبل في هذا الموضوع  
ثارت مناقشات عفيفة بين الشيخ محمد شاكر والسيد وحيد الدين الأيوبي في مرجع الضمير من قوله تعالى  
- وأمرهم شورى بينهم - وقوله تعالى - وشاورهم في الأمر - فجعله الأول خاصا بأولى الرأي المعتد بهم  
في الإصلاح . وجعله الثاني عاما لجميع الافراد . ومع كثرة المقالات في أعداد المقطم واتساع نطاقها خرج الفريقان  
من الميدان على غير نتيجة للقراء

ولما كان البحث دينيا يجب تمحيصه لخلاص العقيدة انتظرنا العودة إليه من غيرهما فلم يكن فكان

(١) اطلعت بعد هذا على استدلال أفلاطون بحب البقاء والخوف على الحياة على أن هناك أمرا ثانيا وهي  
صورنا الدائمة في عالم آخر ثم اطلعت على بقية هذه الوجوه في كلام الحكماء بعد تأليف هذا الكتاب بسنتين  
فحمدت الله جدا كثيرا اه المؤلف



حقاً علينا وعلى جريدة وادي النيل بالأخص «لأنها المدافعة عن الدين الاسلامي والشرق» أن نفتتح هذا الباب مرة أخرى لفحص علمه وضماره فنقول . ان المشاورة في الأمر هي المشاركة في الآراء المستحصل على النتائج النافعة لاقتنائها أو الضارة لاتقائها . وإن تكون كذلك إلا من أهل الحكمة والفقه والتقوى والأمانة قال تعالى - فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون - وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان أي وزيران بطانة تأمره بالمعروف وتعضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتعضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى» قال في القسطلاني فيؤخذ من هذا الحديث مشروعية أن يكون عند الحاكم أهل مشورة من أهل التقوى والعلم والأمانة اهـ

وقد استشار رسول الله ﷺ خواص أصحابه في غزوة بدر ثلاث صرات ولم يستشرهم كلهم . وفي ثالث مرة قال له زعيم الأنصار سعد بن معاذ : يا رسول الله كأنك تهرّض بنا ولعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تنهرك إلا في ديارهم . واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطهن حيث شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطينا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت . وما أمرت فيه من أمر فأمرنا نابع لأمرك . فوالله لأن سرت حتى تبلغ البرك من عمان لأسيرن معك . والله اثن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك . وقال له المقداد : لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ففرح رسول الله ﷺ وقال لهم سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين واني قد رأيت مصارع القوم اهـ

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال حين أذن له المسلمون في عتق سبي هوازن وكانوا جاءوه مسلمين وطلبوا منه أن يرد عليهم سيدهم وأموالهم . فن أحب منكم أن يكون علي حظه حتى نعطيه إياه من أول ما بقى الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك فقال ﷺ اني لأدرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم فرجعوا (أي العرفاء) الى النبي ﷺ فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا له أن يعتق السبي اهـ من الفتح . وكان هؤلاء العرفاء زعماء المجاهدين وكلهم نافذة ولم يرجع العرفاء لكافة المسلمين في هذا الحكم الديني بل الى البعض ويشترط في العريف أن يكون كفوءاً عالماً فطنا وقوراً رأي بارز لأنه عضو عامل في المملكة كالعضو العامل في الجسد ولكل عضو من الجسد خاصية يمتاز بها عن غيره قال رسول الله ﷺ «لقد هممت أن ابعث الى الأمم رجلاً يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم في الدين فابعث ابن أبي كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كافل عيسى ابن مريم عليهما السلام فقالوا يا رسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال ﷺ هما لا بدلي منهما . هما مني بمنزلة السمع والبصر» اهـ يعني أنه يستشيرهما في الأمر وهما خواص من خواصه في الشورى ولو كانت عامة لاستغنى عنهما بغيرهما وقال ﷺ «ان الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم» رواه مسلم والمناصحة هي المشاورة في الأمر . والناصح لا يكون جاهلاً أو مفسداً . وقال ﷺ «العراقة حق ولا بد للناس من عريف والعرفاء في النار» رواه أبو داود . قال في الفتح (قوله) والعرفاء في النار يشعر بأن العراقة على خطر . ومن بشرها غير آمن من الوقوع في المحذور وترك الانصاف المنفض الى الوقوع في المعصية فلهذا يجب أن يكون من ذوي الأمانة والعلم والتقوى

ولما طعن سيدنا عمر رضي الله عنه قيل له استخلف قال إن هذا الأمر شورى بين ستة رهط من قريش وأرسل اليهم وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله (وكان غائباً) والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيماً اجتمعوا لديه (ماعداء طلحة) قال يامعشر المهاجرين الأولين : اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان

جاءكم طلحة الى ذلك والافاعزم عليكم بالله لاتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحداكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم أمركم وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شئ واحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس فان لهما قرابة وأرجو البركة لسكر من حضورهما وليس لهما من الأصر شئ ويحضرا بنى عبدالله مستشارا وليس له من الأصر شئ . ثم قال : ان الناس لن يهدوكم أيها الثلاثة (يعني عثمان وعلي وعبد الرحمن) ثم قال فان كنت يا عثمان في شئ من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بنى أمية و بنى أبي معيط على رقاب الناس . وان كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس وان كنت يا عبد الرحمن فاتق الله ولا تحملن أقاربك على رقاب الناس ومن تأمر من غير اصره فاقتلوه اه

فحضر سيدنا عمر الشورى في ستة رهط فقط والتمس منهم احضار بعض من يوثق بأرائهم وتلتمس بركاتهم مع أن الأصر في الخلافة هو أهم ما يستشار له ويهتم به كافة المسلمين اه

أمين ابراهيم الازهرى

### اللطيفة السابعة

في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ - الخ  
لقد عرفت مجمل ما قاله العلماء في الآلام التي تصيب الأطفال والبهائم والانسان . وأزيد الآن ان بعض علماء الاسلام يقول : « إن الأطفال والبهائم لا تألم » وهذا القول قال به بعض علماء أوروبا من الفلاسفة وعملوا تجارب على ذلك ومنهم فيلسوف ألماني عظيم كان يقطع عضوا من أعضاء الكلبة بلاشفقة ولارحمة وهي ترضع ولدها ولم يلبها قطع رجلها عن إرضاعها ولدها ، فكان هذا بعض أدلتهم ولأذكر لك الآن طرق النوع الانساني في حال الانسان ، فان القرآن قد فتح المجال ليرقى العقول ، اعلم أن أم الهند ترى أن الناس بعد الموت يبقون في حال أشبه بما كانوا عليه في الدنيا من الأخلاق فان كانوا أشرارا عاشوا عيشة بطريق التناسخ تسكون عقابا لهم ، والأخير يعيشون في حال أجمل حتى اذا خلصوا من المادة رجعوا الى ربهم

اليك خلاصة ما أثبتته العلامة (جاكوليو) و (ديبوا دي جانسيني) و (هالدوسيدسه) و (برونوف) و (روديه) و (بونسن) وكثير غيرهم ، أثبت هؤلاء أن الهنود تركوا تعاليم عجيبة وفلسفة وحكمة ، ومما كانوا قد اعتادوه انهم كانوا يؤثرون موت ملك أو انتخاب (براهماتما) أى بابا البراهمة ، أن يسطروا على كتاب خاص النقطة التي بلغت الشمس في منطقة فلك البروج في الدرجة والدقيقة والثانية

يقول مؤلف الكتاب : إن معنى هذا انهم كانوا يراعون مبادرة نقطة الاعتدال التي تتقدم كل نحو ألفي سنة برجاً واحداً ، وفي نحو (٢٥) ألف سنة (١٣) برجاً ، ويقول علماء الهند انها (٣٦) سنة لا (٢٥) سنة ، فلنرجع الى مانحن فيه فنقول :

إن هؤلاء الهنود لهم أربعة أسفار مقدسة عندهم ، يقولون إن الله واحد ، قيوم بذاته ، موجود في كل الكائنات ، لا تصيبه الحواس المادية ، بل الروح وحدها ، وهو المنزه عن كل ما يرى

وقال كولوكا الهندي : « إن المؤمنين الأقدمين مع انهم ألهوا الطبيعة المتعددة لم يعتقدوا إلا إلهاً واحداً مبدع الكائنات ، أزليا غير مادى ، حاضرا في كل مكان ، منزها عن كل كدر وهم ، وهو الحق بذاته ومنبع كل عدل وحكمة ، مدبر الكل ، والمرتب نظام العالم ، لاشكل له ولاصورة ، ولاحد ولانسبة »

وكان البراهمة يقولون لمن دخل عندهم في الدرجة الثانية هكذا : « يا بنى انه لا يوجد إلا إله واحد فقط



رب الجميع ، وعلة الكائنات ، والواجب على كل برهمن أن يعبده في الباطن ، وهذا سرّ يجب عليك كتمه عن العامة والجهال »

ومن تعاليمهم : « إن الكائنات نشأت من الله ، وإلى الله سوف تعود بواسطة الترقى والنشوء الدائم ، والنفس عند انفصالها من البدن لا تفقد المادة تماما ، ولا هلكت في الكون العظيم ، بل يبقى لها جسم مصوغ من النار ، والانسان شرارة أوشعاع من النار الإلهية تبقى مع جسدها اللطيف البهيمى ، ثم بعد زمن تتحد بجسد جديد منظور عند ما يأتى وقته » اهـ

فانظر وتعجب كيف وحدوا الله كما نوحده نحن ، وكيف يقولون : « إن الميت تكون روحه في جسد نارى بهي جيل » ولعلّ هذه النفس هى الصالحة وتكون الشقية معذبة بذلك الجسم النارى كما ان حرارة الشمس تنفعنا تارة وتؤذينا تارة أخرى . وانظر كيف يقولون : « انه يرجع بعد زمن جسما منظورا » وهذا هو البعث عندنا في دين الاسلام إما الى جنة وإما الى نار على حسب الأعمال . وكانت لهم عبادة قلبية وأخلاق ذكرها (مانو) المشتريع الفيلسوف قبل موسى عليه السلام بألاف السنين : « الصبر ومقاولة الاساءة بالاحسان ، والقناعة ، والاستقامة ، والطهارة ، وكبح جراح الحواس ، ومعرفة الكتب المقدسة ، ومعرفة الله ، والصدق ، واجتناب الغضب » . فهذه هى الوصايا العشر عندهم . وبها يخرج الانسان من العذاب بعد الموت

وكان للهنود نساك ينفردون في الغابات . ويعبدون الله . ويفسرون الكتب الدينية . ويعرفون أسرار الطبيعة . ولهم بقية الآن . وعلى هؤلاء تعلم (خريستا) وهو أول مؤسس دين ظهر في التاريخ سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد المسيحى ، فهناك بعض تعاليمه مما يخص مانحن فيه أو ما يقرب منه . قال : « إن الجسد فيه النفس وهو زائل وهى باقية ، النفس سرمدية لا وزن لها ، ونصيبها بعد الموت يرجع لسرّ التناسخ اذا انحلت الجسد عن الروح ، فان غلبت الحكمة على النفس طارت الى الأقطار العلوية ورأت الله ، وان كان الهوى متملكا رجعت الى الذين هم متعلقون بالأرضيات ، والمولود شقيا كان أوسعيدا نتيجة عمل سابق »

وهنا سرّ أعظم من هذا ، وهوانه من رام بلوغ الكمال فليكسب علم الوحدة التى هى أجل من الحكمة أى يلزمه أن يتعالى الى الكائن الأسمى الذى هو فوق النفس المستقرّ فى كل منا ، إن فى باطنك صديقا إلهيا لا تعرفه لأن الله مستقرّ فى باطن كل امرئ ، ولكن قلّ من يعرف أن يجده ، فمن يضعى رغباته وأعماله للكائن الأزلّى الذى منه نشأت مصادر الأشياء كلها وبه تتكوّن العالم ، ينال بهذه التضحية الكمال لأن من يجد فى ذاته سعادته وفرحه ونوره فهو واحد مع الله ، فاعلموا إذن أن النفس التى وجدت الله تعتق من المولد والموت والشيخوخة والألم وتشرب من ماء الخلود »

ثم جاء قبل التاريخ المسيحى بستمائة سنة (بوذا) المسمى (ساكيا موثى سودو دانا) ملك كايلا فاستو فلما بلغ العشرين من عمره أخذ يتأمل فى حال شعبه ، ومادخل فى الدين من الطقوس والخرافات ، وله وصايا عشر وتعاليم أشبه بما تقدم ، ووصاياه هى :

« لا تقتل . لا تسرق . كن عفيفا . لا تشهد بالزور . لا تكذب . لا تخلف . تجنب كل كلمة نجسة . كن خالى

الغرض . لا تأخذ بالشار . لا تعتقد اعتقادات باطلة » اهـ

لعلك تقول : هانحن أولاء اطلعنا على الدرجات الثلاث لدين البراهمة ، فما فائدة ذكرها هنا ؟ أقول لك ذكرتها لتتطرق فى تعاليم الأمم وتفكر فى العقائد والأخلاق ، انظر الى عقيدة التناسخ فان الدين القديم قبل ظهور (خريستا) لانس على التناسخ فيه ، بل قال ان الروح لها جسم نارى بهي وتبقى أمدا حتى تلبس جسما منظورا متى قضت بذلك شريعة الله ، ولم يقل جسما بعد جسم ، فلا تناسخ ولا أجسام ، فهذه الشريعة

أشبهه بشريعة الاسلام إذ جاء فيها : « اننا نعذب أولئك الى يوم البعث ويكون لنا أجسام منظورة »  
ثم انظر : لما جاء خريستا ، ماذا فعل ؟ تكلم عن التناسخ . أي ان الانسان بعد الموت اذا كان مذنباً  
يدخل في جسم أرضي ويعيش مثل ما يعيش نحن ، ويعتبر هذا قضاء لذنوب ارتكبها ، وكل مصيبة تصيبه  
تكون لأجل ذنب مضى .

انظر كيف يتوسع صاحب الدين المتأخر في المعنى الذي قاله المتقدم . ثم انظر من جهة أخرى الى وصايا  
(خريستا) والى وصايا (بوذا) ، فوصايا خريستا أرقى لأنها ترجع الى العلم والأخلاق الباطنة ، ووصايا بوذا  
ظاهريّة كالخلف وما أشبهه ، فكأن القوم أيام (خريستا) كانوا أرقى ، وانظر الى أمتنا الاسلامية كيف كان  
الصحابه والتابعون رضي الله عنهم يراعون البواطن من الاخلاص والصدق ، وكيف تأخر المسلمون اليوم فلم  
يهرقوا إلا العبادات الظاهرة وأكثروا عن البواطن معرضون فلا يحاسبون عليها

ثم انظر نظرة إجمالية في قول الهنود : « ان الله في باطن كل امرئ » ، وانظر كيف يقول الله تعالى  
- وهو الله في السموات وفي الأرض - ويقول - وهو معكم أينما كنتم - ، وكيف يقولون : « ان الاخلاص  
لله هو الذي يعتقنا من العذاب » ، وانظر الى القرآن كيف كان كله على هذا النمط

ثم انظر الى علماء الاسلام رحمهم الله تعالى ووازن بين آرائهم وآراء الهنود لتقف على الحقائق ، انظر كيف  
يقول علماء الهنود المتأخرون فيما تقدم : « ان المولود يكون على حسب ما كان له في التجسد السابق ، إن  
كان شريرا يكون هنا في ذلك ، وإن كان صالحا يكون في حال سعيدة »

وانظر الى علمائنا رحمهم الله تعالى كيف نظروا الآية التي نحن بصددناها وهي - وما أصابكم من مصيبة فَمَا  
كسبت أيديكم - الخ . فقال قوم منهم : « إن الاسلام لا تناسخ فيه » وهم جمهور الأمة ، ففسول هذه  
المصائب ليس بذنب سابق وإنما هو امتحان وتكليف لاعتقوبة ، ومعنى قوله تعالى - فَمَا كسبت أيديكم - أي  
ان الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم لأن الدنيا ليست دار جزاء بل هي دار  
تكليف .

وقال أهل التناسخ من أمة الاسلام : « إن هذه الآية تفيد التناسخ ، ألا ترى أن الأطفال والبهائم  
يحصل لهم الألم فلا بد أن يكون لهم وجود سابق ، والألم نتيجة ما كانوا عليه سابقا »  
وقال الذين ينفون التناسخ : كلا . فالبهائم والأطفال لا ألم عندها ، والقول بالتناسخ فاسد  
وقالت طائفة : « دعونا من هذا كله ، يقول الله - فَمَا كسبت أيديكم - هذا الخطاب للعقلاء ، فأى  
دخل للبهائم والأطفال ؟ »

### ﴿ رأى المؤلف ﴾

اعلم أن الأمم من هنود ومسلمين وغيرهم إنما يكامون الناس على قدر عقولهم حتى نفس الأرواح كما  
سيأتى والا فالنتيجة واحدة ، وإيضاحه أنه اذا فرضنا أن الناس كان لهم وجود سابق وأذنوا فيه ، فما الذنب  
إلا من النقص في النفس ، ولو كانت كاملة ما أذنبت ، فلو قيل نقصها نشأ من الذنب السابق نقول يلزم التسلسل  
وهو مستحيل ، فالأصل هو النقص ، والله سبحانه وتعالى يرقى النفوس بالألم كما يرقىها بالعلم والعمل ، وغاية  
الأمس ان علماء الأمم لا يريدون أن يزيدوا على ما ورد في كتبهم والله أعلم

### ﴿ آثار هذه الآية في الأمة ﴾

عن الحسن رحمه الله . قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد فقل له : إنا لنغتم من بعض  
ما نرى . فقال : لا تفعلوا ، فوالله ان أحبه الى الله أحبه الى ، وقرأ - وما أصابكم من مصيبة فَمَا كسبت  
أيديكم - فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتيني عفوري اه



واملاك تقول : وما رأيك في هذا المقام ؟ أقول لك : أما رأيي الذي ألقى الله عليه فهو أمر عام واحد لا غير وهو أن النفس الشريرة تلاقى ألما ، والنفس الفاضلة تلاقى خيرا . وهذا هو المبر عنه بجحهم والجنة . وجههم ليست خاصة بالنار بل ورد فيها الزمهرير . وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : « انهم يحرقون بالزمهرير كما يحرقون بالنار » وهو عجيب جدا لأن العلم الطبيعي أثبت هذا وهو أن البرد الشديد يحرق الأجسام كالنار . وهكذا فيها الحيات والعقارب ، وجميع أنواع العذاب الروحي والجسمي ، والجنة بالعكس ، فيها جميع أنواع اللذات ، يقول الله : « فيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين » ويقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »

فالمسلم عليه أن يعتقد الاعتقاد العام ، وهو سهل بسيط ، أن يفعل الخير بقدر الامكان ، ويحترس من الشر ويرتقب رضا الله

### رأى الأرواح

واعلم أن العلماء الذين يحضرون الأرواح يرونهم مختلفين في هذه المسألة ، فهم من يقول هناك تناسخ ومنهم من يقول كلا ، وهذا إما انهم يحجبوا عن الحقيقة ، وإما انهم عرفوا ، ولكن كل يعطى تعاليمه على حسب ما يرى من السامع ، ونحن نقول : مالنا ولهذا سلكه ، لانهم بالتفصيل ، فلنجد انخلص من المادة ، ونرجع الى الله ، ونخلص نفوسنا من الطمع والغل والحسد وما أشبه ذلك : ونعلا القلب بالمعارف والعلوم اه

﴿ اعتقاد قدماء المصريين ﴾

إن اعتقاد قدماء المصريين مشتق من اعتقاد الهنود ، وكما رأيت أن (خريستا) صرح بالتناسخ ولم يكن صريحا في دينهم القديم لأن الشهب كانت حاله تقضى أن يقال لهم ذلك ، ترى قدماء المصريين لما أخذوا هذه العقيدة ألبسوها لباسا آخر ، فإذا فعلوا ؟ اعتقدوا أن الروح لها جسم ، وهذا الجسم اسمه (خات) وبعد الموت يتحول الى جسم روحي (سمحو) وهذا الجسم يهيش مع الملائكة في السماء . وبالاختصار الانسان عندهم :

- (١) جسم فان
- (٢) جسم روحي
- (٣) قلب
- (٤) ازدواج
- (٥) نفس
- (٦) ظل
- (٧) روح (أى مادة أثرية لطيفة مضبوطة غير ملموسة)
- (٨) (شكل إلهي)
- (٩) اسم

ويقولون : « إن الانسان بعد الموت يأكل مواد لا تهفن ، ويشرب خرا لا يفسد » وبالجملة فعقيدتهم أشبه بالقرآن من حيث النعيم

﴿ فتوح الرحمن الرحيم ، ونور الدين الاسلامي ﴾

انظروا الذكي ، تعجب من أمر الأمم ودين الاسلام ، انظروا صغ لما أقول ، وتعجب من العلم ، وكيف أضاء الله للسامعين الدنيا ، وأشرقت الأرض بنور ربها

ألا تعجب مني فيما أقول لك ! أقول لك ما فتح الله به الآن فقط ، أنا الآن أقرأ ما سطره علماء أوروبا يوم (٢١) أغسطس سنة ١٩٢٤ ومنه مقالة عن عقيدة قدماء المصريين ، انظر كيف جاء فيها أن شريعة التخصيط إنما جاءت سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ، وانظر إلى ما ذكرته لك ، وهو أن (خريستا) جاء قبل المسيح بنحو سنة ٨٠٠ ، وتأمل ما فاتته لك ، وأن التناسخ لم يكن مصرحاً به في كتابهم المقدس وصرح به (خريستا) ، وانظر إلى قدماء المصريين ، فانهم استعملوا التخصيط خمسة آلاف سنة أي من سنة ٥٠٠ قبل الميلاد إلى سنة خمسمائة بعد الميلاد ، أفلا ترى مني أن عقيدة (خريستا) انتقلت إلى مصر في ثلاثمائة سنة وانهم فهموها فهمها معكوساً فقالوا : « ان الانسان اذا مات يبقى زمناً طويلاً في السماء منعماً ، أوفى الجحيم معذباً ، وذلك بما غلب على نفسه من صلاح أو طلاح » مثل ما قال البوذية سواء بسواء ، ولذلك جعلوا هناك ٣٠ قاعياً ولهم ميزان يزنون به قلب الميت وأعماله فتغلب الحسنات أو السيئات ويكون الجزاء على مقتضى تلك القلبة كما رأيته في تعليم الهنود وكما جاء في القرآن سواء بسواء ، فكأن العالم كله يفهم شريعة متشابهة من حيث الاصول ، ثم انظر كيف يقول الهنود قبل المسيح بأربعة آلاف وعاممائة سنة : « إن الانسان يرجع بعد أمد إلى الأجسام ويولد ثانياً ، ويكون في حال على مقتضى حياته السابقة ، ولا يزال يهود صرارا حتى يظهر ، وبعد ذلك يرجع إلى الله مع الملائكة الأعلى »

وقد قلنا لك ان هذه جاءت من (خريستا) لا من قبله أشبه ببديعة ديفية ، ثم انظر كيف نقلها المصريون بعد ثلاثمائة سنة محرقة ، فقالوا : « يرجع الانسان إلى جسمه الأصلي »

يا عجباً ! إن الأمم تأخذ العلوم على مقتضى أخلاقها ، قد كان قدماء المصريين يعالجون عظام موتاهم بالقار لأجل حفظها من الفساد ، فلما سمعوا هذه الفكرة عن الهنود قلبوها إلى عاداتهم وقالوا : يرجع الانسان لنفس جسمه الأصلي ، فأخذوا يحنطون الأجسام خمسة آلاف سنة

إياك أن يهرك الفلسفة والعلم والحكمة عند قدماء المصريين . فتقول : لم خرفوا ؟ فاعلم أن فلاسفة كل أمة ينشأون على العقائد التي عندهم ، فإذا رأيت الزخرفة والنقش والحكمة ، وما أذاعته الجرائد عن قبر الملك (توت عنخ أمون) وأن فيه مسرجتين من مصر لما أوقدوا المصباح فيهما ظهرت صورة الملك والملسكة بألوان باهرة ، فلما انطفأ المصباح ظهرت المسرجتان بحالهما تماماً لا صورة فيهما ، وقد قيل ان هناك (٣٠) صندوقاً مختومة بختم الملك لم تفتح وستفتح فيما بعد ، والسائحون من سائر أقطار العالم يفتدون على بلادنا لمشاهدة هذه العجائب

وظهر قبر آخر بجوار الهرم على بعد (٣٠) متراً من سطح الأرض ، ويقال انه كشف عظيم الأهمية . أقول : اذا سمعت ذلك فلا تدهش لأن الأمم كلها أشبه بعمل عند صاحب العقيدة ، فترى الفيلسوف والصانع والأمير والمزارع ، كل هؤلاء ينطقون بفكرة واحدة ، أعني ان أكبر فيلسوف عندهم لا يقدر أن يقول ان هذا خرافة بل يقدسها كما يقدسها القوم ، والمهندس والصانع وأمثالهما ، كل هؤلاء يتقنون الصناعات وهم عند الفكرة الدينية أشبه بحاشية الملك والرعية كلهم يقدسونه ولو كان فاسقاً ويطيعونه ، هكذا عقيدة التناسخ التي ظهرت في الهند وغيرت وجهتها في مصر إلى رجوع النفس إلى جسدها بنفسه بقيت أمداً طويلاً حتى جاء دين المسيح ودين الاسلام فغيرت العقيدة

تغيث الأمم آلاف السنين ولا تتخرج عن عقائدها ، حتى اذا جاء مصلح غيرها ، فهنا جاء الاسلام ونزل في القرآن اننا بعد الموت نعذب أو نعيم ، واننا نحشر على مقتضى سابق حياتنا ، وأن منا من ينظرون ربهم ، ومنا من يحجبون عنه وهكذا ، فلم يذكر رجوع الجسم للولادة مرة أخرى ولا رجوعه لجسمه ثانياً ثم انظر إلى الأمة الاسلامية كيف احتجبت أنظارها الآن عن أسرار الكون وبدائعه وغاب عنها ذلك



وتشبهت بالوقوف على الفواهر ، وأن الله اليوم يريد رجوعها الى أصل دينها ، وما أصابها إلا النظر في عجائب العلم والحكمة ، ودراسة السكون الذي نسكنه حتى نلاقى ربنا ونحسن معرفته ونحبه ، ونسكون في الدنيا قد قضينا ما علينا لأمتنا وللأمة حولنا ، فانا نحن ... خير أمة أخرجت للناس ...

ليكن المسلم خليفة الله ، ليكن العالم كله تحت رعايتنا . لنسكن خلفاء الله فندرس نظامه ونكمل عبادته لأنهم اخواننا ، فن تدخل في ديننا فيها ، ومن لم يدخل أعناه ، ورعايتنا وأخطائنا ، وإن اعتدى أديبنا ، هكذا جاء ديننا ، وانرجع الى أخلاق السلف الصالح من الشفقة والاخلاص وصراعاة أحوال القلوب ، ذلك هو الذي يرمى اليه الاسلام ، بل هو مستقبل الاسلام والمسلمين

﴿ سؤال ورد على المؤلف ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام . قال لي أحد الفضلاء : كيف يعقل أن يحنط المصريون موتاهم بمجرد ماسمعوا التناسخ عن (خريستا) بالهند . قلت له : إن لاقوم قصة خيالية هذا الفرض قد تقدم ذكرها في هذا التفسير ، يزعمون أن (أوزيريس) كان محبا للمصريين ولنوع الانسان كله ، وأخذ معه (توت) وسار بجيوشه وفتح الأرض كلها باللطف لا بالحرب ، فلما رجع الى مصر حسده أخوه (سيت) ، فصنع صندوقا جديلا ، وصنع ولية ، وقال . من كان هذا الصندوق على قدر جسمه فليأخذه لنفسه ، فكان ذلك على قدر (أوزيريس) فأطبق الصندوق عليه خيانة ورموه في النيل ، فقامت زوجته ايزيس وجزعت وقصت شعرها وبحثت عن الصندوق فوجدته على شاطئ فينيقية ، فأنزله في سفينة الى آخر ما تقدم ، وانها وضعت عند غابة ، فعثر عليه (سيت) فقطع أخاه أربع عشرة قطعة ودفنها في مواضع كثيرة ، ثم جمعها هي وحنطتها . وهنا بيت القصيد ، فسكون ايزيس حنطت أوزيريس زوجها هي التي أثارت هذه الثائرة . ولكن الذي أقول ان هذه الخرافة لا تكفي في هذا العمل الشاق ، فلا بد أن تكون العقيدة هندية لاتفاق التاريخين . فأما هذه الخرافة فهي لاتستبعد أمة بتمامها . انتهى والله أعلم

## اللطائف العامة للسورة كلها (١)

### اللطيفة الأولى

بهجة العلم في الحكم المودعة في بسم الله الرحمن الرحيم . حم . عسق

بدائع أسرار التنزيل

( بسم الله الرحمن الرحيم )

في ليلة الجمعة ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٠ استيقظت قبيل الفجر . ولكني لم أستطع أن أقوم بعمل ما من عبادة أو علم لعارض جسمي طارئ عليه ، ففيل لي كأني انسلخت من هذه العوالم المادية ، وكأني أنظر الى المجرات وشموسها ، والسدم وأحوالها . ولا جرم أن الخيال لكل امرئ لا يعدو معرفته . ونحن نعرف أن مجرتنا التي شمسنا فيها قد عرفت الأهم أن شمسها بحسب ما وصل اليهم تبلغ عشرة آلاف مليون شمس وهذه مجرة واحدة من آلاف الملايين منها . وهكذا خيل لي أيضا أنها كلها دوائر وحولها سياراتها وأراضيها وأبقارها . وكل شمس لها حركة خاصة كما ان كل سيارة حركة خاصة حول شمسها وكل قرحول الكوكب السيارة فاذا اجتمعت هذه كلها مرة واحدة ولا حظها الانسان خيل له كما خيل لي أن العالم كله موسيقى فوق ما يتصوره المفكرون . وانعمات بهجات فوق ما يتجهج به المبتهجون

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

الله أكبر . هنالك ازدادت في الخيال تعمقا . وتوغلت النفس في صورها . وابتعدت عن العالم المحسوس الى عالم الخيال المحض ، فهناك هنالك خييل لي كأن انسانا تراءى لي ، وجسمه من النور ، ولكن له جميع خصائص الانسان الجسمية ، اذا هو يحقق ببصره الى ، فأخذ فسكري يحول في أسره ، وفي نظراته ، وفيهم يتفرس من أسرى ، وأى الامور يريد أن يحدثني بشأنه ؟ فاجبتني قائلا : - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - فقلت : خبرني ماذا تريد رحلك الله ؟ فقال : أحدثك في أمر نفسك وأمر المسامين في الأرض ، فقد اتبع خيالك علمك ، وراح يحول في ساحات واسمات ، وباحات صفت فيها العصور ، وظهرت فيها الحكم ، وبهر النور ، هذا الخيال الذي تبتى لك اليوم تابع لما قرأت من كشف الحقائق ، ولكن هناك بعد مفارقتك هذا البدن ستري ما هو أعجب وأبدع ، نظرا حقيقيا لاختياليا ، واذا كانت المسرة التي تحسبها نفسك الآن تكاد تكون فوق طاقتها ، فذلك لأنها محبوسة في المادة ، ولكن اذا انطلقت منها ستحتمل من اللذات مالا حد له ويكون ذلك على مقتضى العلم ومقتضى العمل - والسكل درجات مما عملوا -

أنت الآن تتخيل الموسيقى في العالم العام تخيلا وهناك سيكون ذلك حقيقة . فقلت : وكيف تقول ان هذا العالم موسيقى ، وهل هذا المنظر الذي يخيل لي له مناسبة ما بالسور التي تطبع الآن في التفسير ؟ إن الله عز وجل عودني أثناء طبع هذا التفسير أن لا يمر بخاطري فكر قوي إلا كان مناسباً أشد مناسبة لما أنا بصددده ، فهل هذا الخيال من هذا القبيل ؟ فقال إى وربى . فقلت : وكيف ذلك ؟ قل : إن هذه المناظر سيستجلى بها بعض أسرار « بسم الله الرحمن الرحيم حم حم عسق » ، فارداد عجبى ! وقلت : فلان تركنى يرحك الله . فقال : كلا لا أتركك فاستبشر وقر عينا ، فاني مرسل من عالم آخر لأقر عينك في هذا التفسير ولكني لم أحضر في خيالك إلا الآن . فقلت : كيف أعرف أن هذه المناظر مفسرات لما ذكرتم . فقال لأسالك أولا :

- (١) ماصفة الموسيقى عند القدماء
- (٢) وماهيئتها عند علماء العصر الحاضر
- (٣) ثم ماصفة الموسيقى في العالم كله الذي تخيلته أنت الآن ، وهل هذا النظام البديع تابع لعلم عالم حكيم أم هو مصادفة
- (٤) ثم مانتائج هذه النظم كلها من الرجات
- (٥) ومتى أحسن العقلاء بالرجة وعاموها جدوا مسديها
- (٦) وهنالك يتجلى معنى البسملة والرجة فيها ، ويتجلى معنى الحاء والميم والعين والسين والقاف ، إذن في المقام ستة فصول ، فها أنا ذا سائلك في :

## الفصل الأول والثاني

ماصفة الموسيقى عند القدماء ، وماصفتها عند علماء العصر الحاضر

فقلت يا سبحان الله . أنا لست من علماء الموسيقى حتى تسألني هذا السؤال . قال نعم . أنت لست من علماءها ، ولكن لك إلمام بها الإلمام علميا ، فاذكر ما تعرفه . فقلت أنا أتذكر أن (فيثاغورس) الفيلسوف سمع مطارق حداد فأطربته رناتها ، وسرته مناسبتها ، فوزنها فكانت نسبتها هكذا ٩ و ٨ و ٩ و ١٢ فأتى بأوتار أربعة متساويات طولا وسمكا ، وعلق فيها أنقلا على هذه النسبة ، فكانت مطربة مفرحة تشرح صدور البائسين . هذا كان أول ماخطر له ووضعه . فقال هذه العبارة بالحرف من كتابك « الموسيقى العربية » واسكن هناك أمر آخر أقرب من هذا . فقلت نعم في كتاب « اخوان الصفاء » فان أوتار العود لها نسب غير هذه والأوتار عند القدماء أربعة وهي (الزير والمثنى والمثلث والبم) وهي مرتبة من أعلى الى أسفل ، وقد كانوا



يظنون انها مناسبات لسكرة الأثير والهواء والماء والأرض بهذا الترتيب ، الأعلى مماثل للأدنى والأدنى مماثل للأدنى ، وقد قالوا :

« إن وترالزير مركب من (٢٧) طاقة من الحرير ، والمثلث يزيد عليه الثلث فهو (٣٦) طاقة والمثلث يزيد عليه ثلث (٣٦) فهو إذن (٤٨) والهم يزيد على ما قبله ثلثه وهو (١٦) فيكون (٦٤) وهذا انتظمت النغمات وابتهجت النفوس »

قال هذا هو الذي كنت أريد أن أسمعه منك ، وهذا في القديم ، فهل تذكر نظير ذلك في الموسيقى الحديثة . فقلت : لأذكر الآن . فقال عجبا ! تتذكر ما في كتابك في الموسيقى وقد مضى على تأليفه سنون ولا تتذكر ما كتبت في (سورة مريم) من الموسيقى الحديثة . فقلت نعم أتذكر الآن اني ذكرت هناك وهو « ادراك الانسان للأصوات ينحصر في (١٠) دواوين أي أبعاد كلية موسيقية ، فإذا ورد على الأذن

(١٦) موجة في الثانية ، فهذا أقل الأصوات ثم ٣٢ ثم ٦٤ — ١٢٨ — ٢٥٦ — ٥١٢ — ١٠٢٤ — ٢٠٤٨ — ٤٠٩٦ — ٨١٩٢ — ١٦٣٨٤ »

ومعنى هذا أن أسمعنا تفرح بنظام الحركات بأي شكل كان ، ففي العود العربي القديم تفرح نفوسنا بالنظام المبني على ازدياد الطاقات بالثلث ويكون ذلك منتظما . وههنا تفرح النفس بما تحس من نظام المتواليات الهندسية البديعة . فنفسنا هي قديما وحديثا لا تفرح إلا بما هو منظم ، وأقرب شيء لها الأصوات التي يعرفها الجهلاء والعلماء . فقال أحسنت أحسنت ، أتم القول . فقلت : أما نظام الأفلاك وحركاتها وعجائبها ونظام الطبيعة فليس يدركه إلا الأقلون . فقال هذا هو الذي أريد أن أختبرك فيه

### الفصل الثالث

في النظام العام في العالم

فخدتني إذن : هل النظام العام على مثال ما رأيت الآن في الموسيقى القديمة والحديثة . قلت نعم . فقال : فاضرب لي أمثالا . فقلت :

(أولا) ان أبعاد السيارات تتبع نظاما معلوما ، فإذا أخذنا الأرقام التالية وهي (٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٦) ثم أضفنا (٤) الى كل رقم كانت سلسلة متتابعة تفهمنا نسبة مسافات السيارات وأبعادها عن الشمس وهي (عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل) فهي على هذا الترتيب في بعدها عن الشمس أي انها على مقتضى المتواليات الهندسية (وبعبارة أخرى) هي أشبه بالدواوين المتتمة ذكرها في الموسيقى الحديثة التي يدرسها الفرنجة الآن في قسم من أقسام العلوم الطبيعية ، فأما الأقدمون فكانوا يدرسونها في العلوم الرياضية ولكل وجهة صادقة ، فالموسيقى ترجع للصوت أولا وحسابه ثانيا ، فالقدماء جعلوها في علوم الرياضة لمكان حسابها ، والمتأخرون جعلوها في العلوم الطبيعية لأن الصوت أمر طبيعي لأنه حركات في الهواء

(ثانيا) ان الحجر اذا نزل من أعلى الجبل الى أسفل البئر كان حسابه هكذا : في الثانية الأولى يقطع (١٦) قدما انجليزيا ، وفي الثانية الثانية يضرب هذا العدد وهو (١٦) في (٣) ، وفي الثانية الثالثة يضرب هذا العدد في (٥) وهكذا (٧) و (٩) و (١١) و (١٣) الى مالا ينهائي

وإذا ربنا الثواني وضربنا المربع في (١٦) يكون الحاصل ماطعه الحجر جيفه ، فإذا مضت ثانيتان ضربنا ٣ في ٣ يساوي ٩ ونضربها في ١٦ ، وإذا مضت ثلاث ثوان ضربنا ٩ في ٩ وهكذا ، فهذه كلها مضاعفات منظمت كما انتظم ما قبلها

ثم توقفت عن القول برهه . فقال : فسكرفيا كتبته في ﴿سورة الرعد﴾ عند قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار -

﴿ثالثا﴾ وذلك في أمر الصوت والنور والحرارة والجاذبية ، فهذه الأربع تقل بمقدار ما يزيد من البعد عن الجسم الحار والجاذب والمثير والذي منه الصوت فتذكرت ذلك ، وهناك أمثلة تبين المقصود فلم أشأ أن أكتبها هنا خيفة الإطالة ، وهناك نظام وحساب في سير الأجرام الفلكية أقرب به ما تقدم في ﴿سورة يس﴾ وفي ﴿سورة الزمر﴾ وتجد في ﴿سورة يس﴾ أيضا موازنة ما بين الشمس والوسيقى وحساب الفلك ، كل ذلك تقدم موضحا

فهذه المظم في أبعاد الكواكب ، وفي سقوط الأحجار ، وفي سرعة الأصوات والأنوار الخ تحيط بالمادة وكلها منظمة أنظمة جميلة حسابية موسيقية ، فإذا رقينا قليلا رأينا نفس النور على هذا الخط أي أنه جار على حساب باعتبار ألوانه السبعة ، ذلك ان العين لا تتأثر من تموج الأثير الذي يزيد عدد درجاته في الثانية عن (٧٩٠) مليون مليون ، أو ينقص ذلك العدد عن (٤٠٠) مليون مليون ، فأقل الألوان وأولها الأحمر وأكثرها تموجات وآخرها البنفسجي وبقية الألوان بينهما ، إذن حاسة السمع آلة اسماع حركات في الهواء ، وحاسة البصر آلة لالتقاط حركات الأثير فتظهر لها بهيئة نور ، إن هذه العوالم كلها حسابية موسيقية عجيبة ، فوافقنا سمينا جيلانا ، ولم يوافقنا سمينا قبيحا مؤلما فهذه الحركات في الهواء المحصورة بين النهايتين الكبرى والصغرى فيما تقدم ، وهكذا عددها المحصور ما بين النهايتين في الضوء كلاهما قد أحدث أثرا في أسماعنا وفي أبصارنا ، والمسألة ترجع الى نفس الآلة ، وهكذا نقول في نعومة الحرير وخشونة الخيش ورائحة الورد والروائح الكريهة وطعم التفاح والحنظل ، فهذه منها المكروه ومنها المحبوب ، ولا حب ولا كره إلا على مقتضى الملائمة والمنافرة ، ولا ملائمة إلا على حسب المظم المحسوب حسابا جاريا على قوانين توافق حواسنا ، ولا منافرة إلا على مقتضى اختلاف القوانين المذكورة ، فها هذا العالم كله إلا حركات ، وغاية الأمر أنها باعتبار الآلات القابلة فينا أصبحت هذه نورا وهذه صوتا وهذه رائحة وهذه ذوقا الخ

ألنرى رعاك الله الى ما قررناه سابقا أن كل الجوامد وكل السوائل مثلها كمثل الأنوار في أنها حركات وتلك الحركات تمثلت لنا أجساما وأنوارا ، ومن الأجسام سوائل وجوامد وغازات ، كل هذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير

فاما سمع ذلك . قال : أحسنت كل الاحسان ، فلنشرع في الكلام على :

الفصل الرابع ، والخامس ، والسادس

وهو الكلام على نتائج هذا كله وهي الدرجات ، ثم ما يترتب عليها من المحامد

ثم معنى الحياء والميم ، والعين والسين والقاف

فقلت : أما هنا فاني أرجو أن تفتح لي الباب حتى أفهم هذا المقام . فقال انظر انظر بالبصيرة ، فنظرت . فقال ما ترى ؟ قلت أرى المجرات والشموس والسيارات كلها كأنهن حفات ذات بهجات ، وكأن النور انقلب أصواتا ونغمات ، بل هذه العجائب ألد عند عقلي من أن أسمع نغمات العود والغاني ، فهذه جمال وابداع وحسن وكمال . فقال من الذي يدير هذه الكواكب ؟ فقلت : نفوس عالية وهي الملائكة . فقال : فإذا سألك أهل الأرض وقالوا لك ما البرهان ؟ فقلت : أقول لهم قد تقدم في سورة حم (السمجدة) عند آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ أن النبات على قسمين . قسم يحلل المواد في الأرض . وقسم يركبها . فالحلل للمواد هي (الفطر والبكتريا) وهذه وان جلب بعضها الأمراض فإن أكثرها لولاه لم نعش يوما واحدا لأنها تخضر الأغذية في خبايا الأرض وتجهزها للنبات الذي يقيتنا ، بل أزيد على ذلك أن هذه الفطر (بضم



الفاء والطاء) ونحوها تمش في الأمعاء الفلاظ تتر بص الأغذية التي تمر في الجوارح الطمسي وقد عجز عن مضمها أنواع الهاضمات من الينابيع الستة التي في الفم ومن البنكرياس ونحوها ، فتتلقاها تلك الأنظار التي لا تراها العيون ، فتحلل ما بقي فيكون بذلك تمام أغذيتنا ، ولولا هذا لم يكمل غذاؤنا ، بل نموت جوعا وإن كنا آكلين . فإذا كان غذاء النبات وغذاء الحيوان وغذاء الإنسان لا يتم الانتفاع به إلا بهذه المخاوقات التي لا ترى وما كان أحد في الخلق يظن أن ذلك يحتاج لفاعل يفعل فـكيف تكون شمس وكواكب وأرضون وأقمار ومجرات تجري ولا يجري لها ؟ فإذا كانت الأمراض كالكوليرا والتيفوس والجذري ، وإذا كانت الأغذية كل هذه أفعالها أسباب موجودة ، فكيف يحتاج أحقر المخلوقات الى فاعل ولا يحتاج أعظمها الى فاعل ! إن ذلك يخالف العقل والمنطق واصواب

وعليه أقول : ان هناك ملائكة هي التي تدير هذه الكواكب والمجرات والشموس وبسبب هذا الدوران المختلف حصلت لنفسى مسرات أكثر مما تسرّها نفحات الموسيقى . فقال : حدثني ، أهؤلاء ليس لهم قائد . فقلت بلى وهو قاهر فوقهم . فقال إذن أنت فهمت الجواب . فقلت لم أفهم . فقال بل فهمت والله ، ألا تذكر أن الرحمة في البسملة . قلت أذكرها ، فقال هذه الكواكب والعوالم هي آثار هذا النظام والحساب فهي رحمت الرحمة لا تكون إلا مع علم كما تقدم في آية - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - ، فالرحيم لا يتم رحمة إلا إذا كان عالما بمواضع الحاجات لمن يرحمهم . قالت إى وربى . قل الحاء والميم فى (حم) تذكرة بالرحمة أولا وتذكرة بالحمد ثانيا ، ألا ترى أن مبدأ المخلوقات علم الله ، ثم انه على مقتضى العلم خلقها ، ولما أحسننا بالنعمة وعلماها حمدناه . فقلت حسن . قل هذا هو ملخص الآيات ، علم الله فرحة منه فإلهنا فحمدنا ، الرحمة فى البسملة والحمد فى قوله - يسبحون بحمد ربهم - فالرحمة مبدأ والحمد نهاية ، والرحمة إلا مع علم ، ولا حمد منا نحن إلا مع علم . ثم ان هؤلاء الملائكة المدبرين لهذه الكواكب مسكنهم فى السموات ، وهم عارفون بجلال الله فهم يسبحون (السين) وبهذا نزل الوحي وهو القرآن (القاف) وملخص هذا انك لما تخيلات هذه العوالم :

- (١) عرفت الرحمة السابقة والحمد اللاحق ويشير لهما الحاء والميم
- (٢) وتفكرت فى أن الملائكة فى السموات يعرفون جلال الله وهم يدرون هذه الكواكب بهذا النظام الموسيقى ، وهذا ظهر فى قوله « السموات والتسبيح » لأن كلا منهما مبدوء بحرف السين
- (٣) ولاحظت فى عقلا أن الله فوق الجميع علما وقدره ، وهذا فى قوله « العزيز . العلى . العظيم » كلها مبدوءة بحرف العين

- (٤) وهذا الوحي نزل فى القرآن ، وهذا حرف القاف ، وأيضا هذه العوالم كانت فى أزمان سابقة وهى لاتزال كذلك الى الآن ، وهذا فى لفظ من قبلك (القاف)

ولاجرم أن قوله تعالى - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض - أصبح واضحا مما تقدم ، لأن العوالم حركات لا غير كما أثبتته أنت فى التفسير صارا ، وما الأثير إلا كالخيال فى النفوس البشرية ، والخيال متى تركه صاحبه طاح وذهب ، والأثير أشبه بهذا الخيال لأنه ليس مادة ، فهو يكاد يتفطر لأنه فى الحقيقة لا شيء . والحركات هي التي تتجلى لكم . ثم ان الملائكة لهم (صفتان) صفة معرفة الله ، وصفة تعليم الخلق ، وللاولى - يسبحون بحمد ربهم - والثانية - ويستغفرون لمن فى الأرض - وفى كليهما السين ، وهذه هي الخصلة التي تجب على كل عالم فى الاسلام علم بجلال الله وجماله . ثم أن يكون مفضالا منبعا للخير فيأىضا نافعا للناس . هنالك قلت ياليت شعرى . اذا كانت هذه الحروف لم نفهم منها الآن إلا ملخص الآية من حيث انها رمز لها فإذا أفادتنا ؟ فقال انها جمعت العوالم العلوية والسفلية فى

نظر النفس وأصبحت كأنها هيئة مبهجة تشرح الصدور وتعرف جلال الله وجماله . وهذه تأتس بها الأرواح  
والإشارة أبلغ من العبارة ، وهذه لا تدرك إلا بالنفوس ، وإنما الفرق بين هذه المزايا التي جاءت في هذا التفسير  
وبين المزايا التي فهمها المتقدمون أن مزايا هذه الاشارات هنا تحت على العقل والتفكير ، فأما ما جاء عن  
بعض المتقدمين أن هذه الحروف مقتطفات من اسم الله ، أو أنها تشير إلى أعداد خاصة كالجل (بتشديد الميم)  
كما زعم اليهود ، أو كأن تكون إشارة إلى مافي العوالم العلوية من المنازل كما تقدم في أول (سورة آل عمران)  
فإن ما ذكر هنا أقرب منه إلى رقي الأمم الإسلامية . وأي مبهجة ونعمة أبهج وأكمل من استحضار صور العلوم  
كلها وكأن الله مشرف عليها والنفس تطالع ذلك وهي مقتبضة أي اغتباط ، وذلك عند النطق بخمسة حروف  
جاءت العوالم ، ثم فصلت تلك المعاني بعد ذلك في السورة

### منافع الموسيقى العلمية

#### وضرر الموسيقى العملية

فقلت له : لقد طال المقال في نظام الموسيقى العالمي في السموات والأرض . وأن المطلعين على هذا التفسير  
ربما يرون أن الموسيقى في الأرض عند العامة والجهلاء كالموسيقى التي أبدعها الله لأنني وازنت ما بين العود  
ونظامه والسموات ونظامها . فقال : حقا إن هذا يقبدر إلى الذهن . فبين هذا المقام هنا ؟ فقلت : لقد ذكرت  
في أول (سورة الصافات) مافي التعليم العربي في الأمم الإسلامية من النقص الفاضح والجهل المريع من حيث  
الشعر العربي . ولاجوم أن بين الشعر والموسيقى صلة نسب واتقان واتصال . إن الأمم الإسلامية منيت بأشعار  
العرب قبل الإسلام وبعده وفيها الغث والسمين . ولقد سرت هذه الفكرة سريان النار في الهشيم . وظنوا  
أن هذه الأشعار على علانها تعرف أسرار القرآن . والحق الذي لا مفر منه أن كل ما أخل بالأخلاق من  
الأشعار . وما كان منه فيه مجنون أو غرام فهو أغور بل ضار . لأن ذلك يعلق في النفس من صباها فلا يتركها ،  
فيصبح خلقا فيها وتلازم الغرام والعصوبة في الشباب فعلا وفي الشيخوخة قولاً وأما في . واني ليدهنني والله  
أن أرى هذه الأمة في الأندلس وفي الشرق لا تفرق بين الشعر المحرّض على العفاف والشعر المزرى بالمرودة ولم  
أجد من يحذر من ذلك الخلط ، لافي زماننا ولا في الأزمان السابقة ، وهكذا أجدهم فعلاوا ذلك في الموسيقى وفي  
الأغاني ، فكل هذه أباحها القوم ولا تكبر إلا عند الفقهاء ، وأسمعهم يروون جميع الأشعار في كتبهم وفي  
سحرهم وفي مجالسهم ، بل أرى الصوفية يرمزون بالفزل إلى الذات العلية ، وأجد العلامة الغزالي يبيع السماع  
بشروط ، والعلامة ابن سينا يحمله هو وطائفة من الصوفية صرقيا للنفس بشرائط خاصة كما هو واضح في آخر  
(كتاب الاشارات)

والحق الذي لا محيص عنه أن أكثر الأشعار وأكثر الأغاني وأنواع الموسيقى ضارّة بمجموع هذه  
الأمة . إن ما يقوله الامام الغزالي رحمه الله من جوازها بشرائط ، وهذه الشرائط ترجع إلى أمر واحد وهو  
انها اذا سمعها الانسان لم تتوجه نفسه إلى محرم بل تتوجه إلى ادراك المعاني وشريف الخصال  
أقول : إن ما يقوله حق ، ولكن أكثر الناس غير مستعدين لذلك ولا هم يذكرون ، فأكثر الأشعار  
وأكثر الموسيقى ضارّة بمجموع هذه الأمة ، والقليل منها هو النافع ، إذن ليست موازنة الموسيقى في الأرض  
عند الناس بالموسيقى في السماء عند الله من حيث الحساب تفيدنا أنهم ماسيان في الكمال . كلا . فهناك الموسيقى  
نظام جميع العلوم ، وهنا استعماها أكثره منر بنوع الانسان وهكذا الأشعار

واقدر أنحي (سقراط) في الكتاب العاشر من الجمهوريّة على طائفة الشعراء ، وأخذ يلو (هوميروس)  
الشاعر ويحط من أقدار هذه الطائفة ويقول انهم لاهم في العبر ولا في النفي ، قوم لاحقائق عندهم ولا علم ،



وما هم إلا مقلدون للحقائق ، وما مثلهم إلا كمثل الرسام الذي رسم لجام الفرس واللباحم صنمه صانع وهذا الصانع وضعه بالهيئة التي طلبها راكب الفرس . فراكب الفرس هو الذي يطلبه والصانع يعمل على مقتضى الطلب ولكن الرسام يقلد الصانع ، هكذا الشاعر فما هو إلا راسم للمعقولات ، لا متعقل ولا عالم ، إذن الشعر خيال والخيال غير الحقيقة

عجب أن تكون أكثر الشعراء هذه قيمتها ! والله يقول : والشعراء يتبعهم الغاؤون . - وههنا عجب وألف عجب أن نسمع القرآن يذم الشعر . وقد وافق في ذلك الفلاسفة من قبله . وهذا قوله تعالى : بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . -

ثم إن المسلمين في الشرق والغرب طاحت دولهم وذهب مجدهم في السولة العباسية والدولة الأندلسية بما تركوا مواهبهم ، ولم يكن لهم هم في الأكثر إلا في الشعر ونسوا المعقول وتركوه للأعاجم . لذلك ذهب ربحهم وأصبحوا أثرا بعد عين

إن « حم . عسق » جاءت رمزا لنظام العالم العلوي والسفلي وهو الموسيقى الجلية والعلم والحكمة . أما شعر الشعراء في الأرض وغناء المغنيين فضمهما أكثر من نفعهما ، فليفسكر العلماء في الاسلام بعدتنا في قوانينهم للشعر النافع والموسيقى ، وليحتاطوا في ذلك ، وليفرقوا بين النافع والضار ، فلانكون الموسيقى إلا حيث يكون انعاش النفوس للعالى والعلوم وأشرف الأخلاق ، وكذلك الأشعار . فأما اذا كان كلاهما لتبسيج الزوات فليحرم بتاتا . إذن هناك فرق بين ما دلت عليه « حم ، عسق » وبين ما يفري بالخطا النفوس الانسانية

فلما سمع ذلك . قال : أجدت ووفيت المقام حقه . وبعد أن سمعت هذه الجلة منه انصرف الخيال من أمامى ، ونظرت في نفسى ، فوجدت اننى لا أزال في الفراش ، وعجبت من نفسى كيف كان حوارى مع خيالها النورى تخيلته هى ، ثم أخذت أفكر في هذه المعانى فوجدتها « مقولة » بل فرحت بها فسطرتها تبصرة وذكري لى ولأصدقائى قراء هذا التفسير والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأحد ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م

### إشراق شمس هذه المقالة

في سحر ليلة الاثنين ٣ من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٠ استبان لى من خوى هذه المقالة أن (حم عسق) رسمت للحكماء والعلماء في هذه الأرض أربعة منازل وهى :

(١) انبعث النفوس من الخلق الى أنوار الحق

(٢) ثم اقتناسها بتلك الأنوار

(٣) ثم يكون الاقتباس بعد الانتناس

(٤) ثم الافاضة على الناس من تلك الأنوار

فالمنزلة الأولى هى الانبعث ولها (حم) وذلك أن تشاهد أنفس أهل العلم بهجة هذه الكرات السماوية وتطالع أنوارها وحسابها وأعدادها وعظمتها ، فإذا امتلأت بتلك الأنوار وأشرقت بها أيما إشراق تكون المنزلة الثانية ، وهذه المنزلة الأولى تشير اليها الحاء والميم لأن تجليات العوالم وظهورها من العدم سرّ الرجات والرجة يسبقها العلم والعلم به النظام وتقدير الحركات والدرجات . وبإدراك ذلك الجبال ترتقى النفس الى المقام الأعلى وهو المنزلة الثانية (ع) الانتناس إذ تتجلى للفكر تلك العزة والعظمة والعلو اللاتى أشرقت بها أنوار العين في (عسق) ، وههنا ارتقت النفس من المقدمة الى النتيجة ، ومن الخالق الى الخالق ، ومن الأثر الى

المؤثر ، ومن الرحمة الى الرحيم ، ومن الجلال الى الجليل ، ومن الصنعة الى الصانع ، وهناك تتجلى أعمال الملائكة الحافين حول العرش ، وهم يشاهدون العوالم كلها ، مطلعين على بدايتها ، منظمين لحركات السموات ولم يتم ذلك إلا بعد اشراق نفوسهم بما استمدوا من علم وما استفادوا من حكمة من العلي العظيم ، وهذه هي المنزلة الثالثة وهي الاقتباس (السين) من (عسق) فإذا كانت المنزلة الأولى ارتقاء من الصنعة الى الصانع ، والثانية تفكير في أوصافه ومشاهدة أنوار الآثار ، فالثالثة الاقتباس ، ألا ترى أن المؤثرين الذين لم نرهم شاهدنا آثارهم ، وعلى مقدار اختلاف الآثار يكون اختلاف المؤثرين ، وهم الذين سميناهم ملائكة ويضرب لهم المثل في نظام العوالم بنظام أعضائنا ، فكما أن في كل عضويات خاصة ، هكذا في كل عالم ملائكة مختصون به يديرونه ، وكما أن أعضاءنا تطيع القوت المدبرة لها هكذا العوالم المشاهدة تطيع الملائكة المدبرين وكما أن الانسان من له نفس واحدة ، وهذه النفس لها قوى كثيرة لا نقدر أن نحصيها نحن والله يحصيها هكذا الله واحد وله ملائكة ينفذون أمره وهم كثيرون ، وكما أننا نحس في أنفسنا بأن هناك في عقولنا قوى مختلفة مثل : « الخيلة ، والمفكرة ، والحافظة ، والذاكرة » وفي أجسامنا قوى أخرى أقل منها درجات من القوة الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والغاذية والنميمة والمولدة ، ومثل الغدد المختلفة كغدة الصفراء والبنكرياس وغدد اللعاب الالتي في الفم وهي ست ، وهكذا مما تقدم إيضاحه في ﴿ سورة فاطر ﴾ هكذا في العالم :

﴿ أولاً ﴾ ملائكة سماويون يدبرون العوالم تديراً محكماً بنظام متقن ، وهم يستمدون ذلك من المقام الأقدس كما تستمد الحافظة والمفكرة ونحوهما من الروح الانسانية معارفها واختراعاتها ، إذ لولا أرواحنا ما كانت هذه القوى الالتي تحت سيطرتها ولا كانت معارفها ولا أعمالها

﴿ ثانياً ﴾ ملائكة أرضيون يدبرون الزرع والشجر والبر والبحر كما نرى الماسكة والهاضمة الخ والغدد المختلفة تفعل في أجسامنا أفعالا مختلفة وأطوارا متباينات وهي أقل منزلة من قوى الدماغ لأن تلك للعالم والتدبير وهذه للعمل واحداث الآثار

وما هذا الذي ذكرته إلا ضرب مثل - والله المثل الأعلى - فإذا ضرب الله لنوره مثلاً بالسراج لاهموم فما أسهل ، وما أبعد ، وما أجمل أن نبين لنوى العقول السليمة والحكماء والعلماء في الاسلام قاطبة :

(١) ان نفوسنا وأجسامنا وقوانا توضح هذه الآيات إيضاحاً شافياً ، وأن وحدة النفس مثال لوحدة الله تعالى وان كان الفرق شاسعاً بين المثل والممثل له كالبعد ما بين نور الله ونور السراج

(٢) وأن قوانا في الدماغ ضرب مثل للملائكة السماوية الحافين حول العرش

(٣) وأن قوانا الجسمية من البنكرياس والصفراء وأمثالها ضرب مثل للملائكة الأرضيين

إذن ظهر بضرب المثل معنى قوله - وتري الملائكة حافين من حول العرش - في سورة أخرى ، وإياك أن تظن أن المشبه كالمشبه به ، فقول القائل « وجهه كالقمر » ليس معناه انه هو نفس القمر أو انه مثله من كل وجه ، فهذا أمر واضح هكذا هنا ، فإذا كانت قوانا الجسمية لاعقول لها مستقلة فالملائكة ليسوا كذلك فهم ذوو عقول مستقلة بها يدبرون ، ولكن لهم صلة برهبهم صلة القمر بالشمس يستمد منها

هذا معنى كونهم حافين من حول العرش فهمناه فهما إجمالاً ، وأما كونهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، فهذا موضع الاقتباس ، فان قوانا المختلفة في الدماغ الالتي لها وظائف عامة من فكر وحفظ وذكر وهكذا لم تتركها أرواحنا سدى بل لها صلة بها ولن تكون أعمالها إلا على مقتضى ما وصلت اليه أرواحنا ، فليس حفظ ولا فكر ولا تذكرة زيد مشابها كل الشبه هذه الثلاثة عند عمر ، ومعنى هذا أن هذه القوى مستمدات الاستمداد التام من نفوسنا بدليل انها مناسبة لها لا غيرها ، فهكذا تقول في



الملائكة - ولله المثل الأعلى - انهم لم يكن لهم عمل إلا على مقتضى عاونهم المستمدة من ربهم ، ولذلك نجد النتائج منتظمة ، فهم إذن عارفون بصفات الجلال وصفات الاكرام أى الصفات السلبية من أنه مخالف للحوادث ، وأنه لا أول له الخ و بصفات الاكرام وهى صفات المعاني كالقدرة والعلم الخ والأولى تدخل تحت التبيين والثانية تدخل تحت الحمد ، فقله - يسبحون بحمد ربهم - دخل فيه العلم بالجلال والاكرام (وبعبارة أخرى) صفات التنزيه ، وصفات الافاضة ، والخلق والرحمة

ليس من المعقول أن يكون للسمع عالم الأصوات ، وللبصر عالم الأضواء ، وللذوق عالم الطعموم ، وللشم عالم الروائح ، وللمس عالم الخشن والناعم الخ ثم لا يكون للعقل عالم يناسبه وهو عالم كله عقول ؟

ليس من المعقول أن كل فعل من الأفعال الطبيعية له فاعل من جنسه كما تقدم فى النبات وفى الحيوان من أن هناك (الفطر والبكتريا) التى تحلل المواد الأرضية لغذاء النبات والمواد التى فى الأمعاء الفلاظ لا كمال الهضم كما تقدم قريباً ثم تكون آرائنا وأفكارنا لم تستمد من عالم عقلى يشبهها ! إذن هنا ملائكة وهؤلاء هم الذين يمدوننا على حسب قرأنا ، وسيأتى إيضاح هذا المقام إيضاحاً تاماً فى كتابى المسمى « صراة الفلسفة » أذكره عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وهناك يزول ذلك الاشكال الذى بقى ٢٤ قرأنا فى أمر العقول والنفوس والمادة وعلاقتها بصانع العالم ، وقد وصلت بحمد الله لحل هذا الاشكال المعقد ، وسترى هناك صراة الفلاسفة فى العالم ، وكيف كان أفلاطون يقول بالمثل الأفلاطونية ، وكيف رد عليه تلميذه أرسطاطاليس بأن هذه المثل ليست تحل المشكلة ، والصواب عنده أن العلوم مرجعها غير تلك المثل وهى الصورة القائمة بالمادة . ولما جاء بعدهم قوم آخرون رأوا الخلاف عسيراً والحل صعباً ، توقفت العقول عند هذا الحد ، فتركوا الإلهيات واقتصروا على العلوم الأخرى ، وسترى أن (سبنسر) الفيلسوف الانكليزى والاستاذ سنتلانه الفيلسوف التليانى يقولان : « اننا بالنسبة لاصول الفلسفة أمثال هذه المسألة لا قدرة لنا على حلها ، ونحن بالنسبة لأمثال سقراط ومن معه كالبقعة بالنسبة للفيثاغوريين »

وأنا أعلن للمسلمين خصوصاً والعالم الإسلامى عموماً أن الله عز وجل قد منّ على بالتوفيق فى تلك الرسالة وسترى فيها طريقاً غير طريق هذين الحكيمين خالياً عما ورد عليهما من الاشكال ، فقد بينت لك هناك اثبات برهان وجود الملائكة ومعرفة الله بطريقة كطرق الهندسة يفهمها الخاص والعام من أهل العلم ، وهناك ثبت عالم الملائكة ثبوتاً هندسياً

وقد تقدم فى السورة السابقة فى آية - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بعض ذلك واضحاً وتاماً سيأتى فى الرسالة المذكورة ان شاء الله تعالى

وبناء على ذلك نفهم قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط - فالعلم منه وهو يفيضه على الملائكة والملائكة يفيضون على الناس ، فقله تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - راجع ذلك لاستمدادهم منه بالبرهان الذى ستراه فى (سورة محمد) عليه الصلاة والسلام والناس يستمدون من الملائكة ، فاستغفارهم لمن فى الأرض ان يتم لهم إلا لما نالوا من العلم بجلال الله واكرامه ، والناس من الملائكة يستمدون ، وهذه هى المنزلة الرابعة من المنازل المتقدمة

فالمنزلة الأولى نظام العوالم ، والثانية إدراك صانعه ، والثالثة إدراك الملائكة ، والرابعة العلماء فى الأرض فهم يعرفون العوالم كلها ثم يفيضونها على الناس ، ولهذا الإشارة بقوله - يوحى اليك وإلى الذين من قبلك - فالوحى هو القرآن وهذا هو حرف القاف (وبعبارة أخرى) - يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض - فهم يتبعون الملائكة حذو القذة بالقذة والملائكة يستمدون من الله

هذا ملخص « حم ، عسق » فهي أربعة منازل : هي نظام هذه الدنيا وعقولها وعالمها وهيام القلوب بصانعها ، وهل هذه المنازل الأربعة إلا أشبه بما جاء في « جمهورية أفلاطون » من المغارة والنار

### حم . عسق ، ومغارة أفلاطون

اعلم أن مقررنا من المنازل الأربعة في (حم ، عسق) هو نفسه الذي قرره أفلاطون في جمهوريته كما تقدم في هذا التفسير ، ألم تر أنه تصوّر جماعة في مغارة وجوههم متجهة إلى مؤخرها ، وأمامهم ضوء نار على ذلك المؤخر وهم مسلسون بحيث لا يرون ما وراءهم من النارات التي تضيء وراء سور ، وهناك أناس يسرون وهم يحملون أنواعا من الحيوان والنبات والنار ترسم تلك الصور في مقابلة وجوه هؤلاء الذين في المغارة ، وهؤلاء سموا هذه الصور بأسماء وقالوا إنها هي الحقائق بعينها ، ثم إن أحدهم خرج منها وأخذ يترن على نور القمر في الماء وكذا النجوم ليلا ثم يراها بأنفسها ، يرى صورة الشمس في الماء ، ثم يراها بنفسها ، وبعبارة أخرى : أنه أخذ يتدرج في النظر فأدرك أن هذه الصور التي على الحائط ما هي إلا آثار صور الحيوانات الحقيقية وأن النار نفسها ما هي إلا أثر من آثار الشمس ، وبه تعرف الفصول والسنون والشهور والأيام ، فإذا جعلنا الشمس بدل النار ، وجعلنا سكان الأرض بدل سكان المغارة ، وجعلنا النبات والحيوان بدل الصور التي على الحائط ثم لنا المقصود وظهر المثل بأوضح معانيه ، وعليه تكون الشمس ضربت مثلاً للنبات والحيوان يكونان على مقتضى عالم المثال الذي يقول به أفلاطون ، وسكان أهل الأرض كسكان المغارة ، فهم جهال وليس يدرك الحقائق إلا أناس تركوا آراء الجمهور وبحثوا فعرفوا العالم ، ثم إن ذلك الذي خرج من المغارة وعرف الحقائق في مثال أفلاطون رجع ثانيا إلى أخوانه وقاسى الشدائد في تفهيمهم كما قاسى المشتقات في تمرين عيفيه على نظر الأنوار الحقيقية ، إذن هنا صعود من المغارة ثم تعلم ثم رجوع إلى من فيها وتعليم لهم أفليس هذا كله هو عين (حم ، عسق) ، ارتقاء عن المادة ، معرفة بالله والملائكة ، ثم رجوع إلى الناس وتعليم لهم على مقتضى ما تعلم

هذا هو معنى قوله - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - فالحمد لله على نعمه الوافرة ، وآلائه الفاخرة اهـ

### جوهرة في آية : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان

وما يدريك لعل الساعة قريب

إن المتعلمين أكثرهم نبذ الكلام على الآخرة والدين وإن ذلك تقدم في التفسير . وهذه أول مرة قام فيها رجل له همة وله احترام من المتعلمين بهذه الخطبة . وهذه بشارة أزفها بأن الجو في متعلمي الشرق الأدنى أخذ يتغير إلى الأحسن بعد أن كانوا يحتقرون هذه الآراء . وهذا الاحتقار أضاع بلادهم . وهالك نص الخطبة المذكورة

### بأي ميزان ترن الحياة ؟

( محاضرة الأستاذ توفيق دياب )

ألقاها في ألف ومئتي مستمع

أخواتي وأخوتي :

ذلك السر الغامض الذي يبدأ باليلاد وينتهي بالوفاة . ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى



أنفسنا في شمسه متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء . ذلك البحر الخضم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبجنا فيه شوطا قصر أوطال ، نزعنا منه تلك القوة الخفية حين يحلّ الأجل ، وهذه الحركة التي تساق إليها غير مختارين ، ونفصل منها غير مختارين . هذه الحياة ماهي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليست أحدا يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمتين . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقديما كان ، وإلى اليوم مازال هذا السر الرهيب موضوع البحث والملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجبا أن يفكر الفلاسفة في سرى الحياة ، وأما العجب ألا يفكر في سرى الحياة جميع الناس .

نولد أجنة وندرج أطفالا وننشأ صببية ونراهق فتيانا ونستوى رجالا ونبلغ السكهوة ونهركنا الشيخوخة إن قدر لنا أن نعلم ، ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوي الأزاهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير فلفظها فإذا نحن رفات . وذلك دون أن نفكر يوما لماذا ولدنا ولماذا حينئذ نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم أو جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذت سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها ، فلن تستقر على حال من الدهش ، حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذاك بك إليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أية حديقة أو فناء تشرف . ستفتح الباب فإن كان موصدا عاجته حتى يفتح أو ينحطم ، فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة في ذهول وحيرة . ثم جعلت تطوف بارجاء الدار مسائل نفسك أين أنا وما هذه الدار ولين هي وفي أية مدينة . ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالمرضاة فتنبئك بأن هذه الدار (عافاك الله) مستشفى ، وإن اغمأ طارئة غشيتك نحف عليك والدك فأسرع بك إليه ، حتى إذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لا خطرفيه . آثر لك الإقامة هنا أياما إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليما معافى

حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك إليه وما السبب فإذا عرفت أن الغاية هي استشفائك مما بك ، لم يزدك علمك بهذه الغاية إلا أخذنا بأسبابها واستيفاء شرائطها ، حتى يتم لك منها ما أراد والدك وما أصبحت تريده لنفسك

هذا شأننا من الدهش والتساؤل إذا طوحت بنا الطوائف إلى مكان نجهله . فما بالناس تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار ، نطهر ونختفي على سطح هذا المحيط الهائل . كالفقايح تنفخ وتنفجر في مثل لمح البصر ، دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الخبرة والتساؤل والتفكير

لماذا بحثنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا . ألنقض في هناها أو عناها ، في صحتها أو مرضها في غناها أو فقرها ، في عدلها أو ظلمها في إخوانها أو أولادها ، في رفقتها أو جفائها ، أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاما إذا طال بنا العمر

وماستون أو سبعون عاما في امتداد الأزل الذي لا أول له . وفي امتداد الأبد الذي لا نهاية له . إن العلماء ليمحصون السنين التي سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين لآلاف ، ويقدرونها بالبقاء فيه ملايين أخرى تربو على الإحصاء . فما أنا وما أنت ، وما نصيبى وما نصيبك في هذا السرمد الذي تحار فيه الأبواب . ذرة ضئيلة من جبل أشم ، قطرة هينة من محيط مترام

وإذن فاحياتك ومحياتي ومحياة هذا الجيل كله ومحياة الأمم الحاضرة كلها ، حتى نجعل موضوع هذه

### المحاضرة (بأى ميزان تزن حياتك ؟)

أن التاريخ المدون أو المكتوب لا يهدو ستة آلاف من السنين . وهى التى شغلت أقلام المؤرخين ، وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت أمم وانحطت أمم ، وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب ، وطغى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتماقب فيها على الجماعات والافراد من السهادة والشقاء . وأظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم (ما تضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات ومئات الألوف من العقول . وهذا كله ثراث ستة آلاف من السنين . وماهى من ماضى الانسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب ، وماهى من مستقبل الانسانية الذى لا تترامى الى حدوده عين الخيال) إلا بمثابة الدقيقة الواحدة من ألوف الأعوام

إذن أليس من الفرور أن أتسكلم عن حياتك وحياتى وعن ميزان حياتك وميزان حياتى .

ما حياتك وما حياتى اذا قستهما بهذا المقياس الخفيف . إنك لو نظرت اليها بالميكروسكوب اهز على الميكروسكوب أن يكشفها لمن ينظر اليها من أفق الأزلى القديم والأبد الخالد .

ألا تصدق ؟ إذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين وسيعيش فيه أحفادك ملايين أخرى لا يحصىها العد ، أن لم يصطدم به جرم سماوى آخر فاذا أرضك هباء فى مثل قصف الرعد أو خطف البصر (ألا تعلم أن هذه الأرض بماضيها الزاخر ومستقبلها العظيم الباهر إنما هى شظية تطايرت من الشمس كما تطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك فى الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحوالت حصاة (مستقلة ذات سيادة)

أنا وأنت وهو وهى وهم وهن آحاد فى عداد ملايين الأمة المصرية . والأمة المصرية إححدى العشرات الكثيرة من أمم هذا العصر . وأمم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع الى ماض لا يدرك الخيال مبتداه وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الأرض وهذه الأرض شظية كانت ملتزمة تناثرت من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور فذا عسى تكون حياتى وماذا عسى تكون حياتك . لاسميا وأنت تعلم أن نظامنا الشمسى ليس إلا واحدا من نظم كثيرة تماثله . لو أطلنا التفكير فى كنهها وفى تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين فى التفكير ، دون أن نزداد فى تفهمها إلا ذهولا وحبيرة سيداتى وساداتى :

هل تحتملون منى كلمة جريئة . إذن تفضلوا فاسمعوها :

إذا كانت الحياة هى الأعوام الستون أو السبعون التى نعيشها فى هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا اليها للحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، اذا كان مولدنا فى هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، اذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لأسباب مادية لأقل ولأكثر ، اذا كانت أيماننا فى هذه الدنيا برزخا ناعسا بين بلقيين : بلقع الماضى قبل أن نولد ، و بلقع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، اذا كان كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل الانسانية ، اذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو اليها الأمم جيلا بعد جيل ، اذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد (هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاما محدودة بحددين ، عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق الى الأبد ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين .) اذا كان



الأمر كذلك ، فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون . إن الانتحار أولى بهم وأجدر ، أما أنا فلو كنت منهم لانتحرت . إن هذه الأعوام الستين التي يعيشها المرء في هذه الدنيا لا تساوي في ذاتها عضة الفقر ولا ذلة الحاجة عاما واحدا . إنها في ذاتها لا تساوي برحاء المرض الممض نصف عام . إنها في ذاتها لا تساوي احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجبرين . إن المرء ليصادف في هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد ، هو أن الحياة سر قديم خالده . لا حياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر ، جل في نفوس الناس أو هان .

إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية إلى تسلم ، إذا سألتهم لماذا يعيشون . قالوا نعيش ملوعا لغريزتين ، غريزة الطرح على بقائنا ، وغريزة الطرح على بقاء النوع . أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى في الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح في الأم تسهر على ذرايحها ، والأب يقول أبناءه . حتى ولو كانت الأم حيوانا أعجم

ونحن نفهم هذا التعليل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء ، فلما وهم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجعوا حكم العقل على اندفاع الغرائز ، فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بأن الحياة الفرد اتصالا وثيقا بالخلاود . كان أولى بهم أن يدركوا هذه الأعوام القليلة التي ستساهم عملاقا قريب إلى فناء لا وجود لهم بعده ، هذه الأعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب في مظاهر كاذبة وزارح باطلة ، ولا تستحق منهم هذا المكوف على المساميل والآلات والمنظار المكبر والمنظار المصغر والتحليل والتحليل والكسح بالليل والنهار ، للوصول إلى حقائق مهما تكن في نظرهم جليلة فهي تافهة مادامت هذه الخلائق الانسانية ، والسادة العلماء في طليعتها . كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام العدم . لتنتهي في الغد إلى ظلام العدم . كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء ، وأن يقولوا للناس فيم الكد وفيم العناء في سبيل غاية مقفرة مظلمة . إلى العدم العاجل بيدك أنت أيها الانسانية مخنارة طائفة فذلك أكرم وأروح للبال من أن يحل بك العدم غير طائفة ولا مخنارة :

يقولون إن حياة الانسانية شيء وحياة الفرد شيء آخر . حياة الفرد إلى العدم فأما حياة الانسانية فإلى البقاء . لذلك يخدمون الانسانية بالعلم والفن والأدب ، ليحیی الجيل اللاحق خيرا من الجيل السابق ، ولتحيي الحضارة الآتية أعظم وأروع من الحضارة الماضية ، وهذا في الحق سخف عظيم . لأن معناه أن جميع الأجيال الماضية وجميع الأجيال الآتية كانت وستسكن مجرد عتبات ومدارج ، أو مطايا وبراذع . يعاودها في النهاية آخر جيل تنخمض عنه الانسانية ، فإذا استوى الجيل الأخير على قمة المجد لم يكن مجده خالدا ، بل كان مجده زائلا كذلك ، ولو عمر الانسان الأخير بفضل العلم ألف سنة . ثم ينقضي هذا الجيل الأخير بانقضاء صلاح الأرض للحياة . وانتهت الدنيا إلى غايتها . وفنت حضارة الشمس ، وانطفأ ضياؤها . واستعالت البحار جليدا والشجر والنبات هباء أمت الانسانية عندما مطلقا إلى آخر نسمة فيها (ولم يبق للانسان المسكين حتى ولا الذكري ، إذ من ذا يذكر الانسان وقد انمحق من صفحة هذا الكون آخر إنسان ، وانمحق لا يسموا إلى عالم آخر ، ولكن ليبقى غريقا في غمرات الفناء ، خالدا فيها أبد الآبدين

هل هذه إذن غاية الانسانية ؟ هل غايتها أن تقضي مئات الملايين من السنين لتضع جيلا واحدا هو الجيل الأخير ، ثم يكون هذا مصير ذلك الجيل الأخير ؟ أتعرف الساحر الذي يخرج علبة من جوف علبة ثم يخرج الثالثة من جوف الثانية ، والرابعة من جوف الثالثة والخامسة من جوف الرابعة وهكذا حتى تعد عشرات من العلب يخرج بعضها من جوف بعض ، حتى ينتهي بك إلى علبة لا تكاد تراها أضوئها ، ثم يوهك بأن فيها قطرة من سائل هو ماء الحياة ، فإذا تناولها المتناول وأسرع بالقطرة إلى فيه ليرزق الخلاود خرقا على الأرض فاقد

الروح - تلك صورة فكاهية من الحياة الانسانية كما يفهمها أولئك الماديون  
سيداتي وسادتي :

هل تريدون منى كلمة جريئة أخرى ؟ هذا الانسان أكبر وأعظم من الأعرام السبعين أو المائة التي تمتد  
اليها حياته في الدنيا . لكن هذا الانسان متناقض عجيب ! أتذكرون أيامه الغابرة ؟ أيام كان يأوي الى الكهوف  
ويأكل العسيدة نبتاً ، ويضرب في الغابات عارياً ، ولا تسكاد تميزه من سائر الحيوان .

هذا الانسان ما الذي هداه الى ما هو اليوم فيه ؟ ما الذي صعد به الى المستوى الذي بلغه في القرن العشرين  
محجزة القرون ؟ في الدنيا حروب وفيها عدوان وفيها آفات وفيها عيوب ، ولسكنها عيوب الصاعد الى المشي  
الأعلى رويدا رويدا ، ولا سبيل الى أن ينجو من تراث الماضي وغرائز الأنانية الأولى كل النجاة في ألف عام  
كلا ولا في عشرة آلاف . قد يشن الحروب ويعتدي على الحقوق ، ولكن لطيفة خفية تنزع به الى السلام  
والانصاف بعض النزوع . له اليوم قوانين وشرائع ان طغت عليها يد العدوان يوما ، فان الجماعة كفيلة برّد الحق  
الى نصابه وان كره المعتدون . له اليوم علوم قيمة وفنون جميلة وآداب أفسحت أمام عقله سببهاات الهداة  
المعنوية . له تعاون على البر والاحسان ، يلطف من تعاون الأشقياء على الفسار والاساءة . له أديان مشروعة  
ومثل من الأخلاق موضوعة ، له طائرات في الجوّ وغائصات في البحر وله أسباب محدودة تراها العين أسلاكا  
برقية أو تلفونية ، أولا تراها ، لأنها أسباب من الأثير تحمل الأصوات ، وتتخفى من النظرات

وهو مع ذلك متناقض عجيب . ذلك الذي دوخ الأرض وسخر الجوّ والبحر ونفذ في الصخر وكشف من  
الأسرار عجائب كانت قبل عشرة أعوام أو عشرين في عداد المجازات ، ذلك الذي يقف وراء المدفع الضخم  
فيطلقه على البرج المشيد أو القرية العاصرة فإذا هي أطلال ، ذلك الذي كشف أسرار الأفلاك والسكواكب  
والنجوم ، وعرف مضاج بعضها وتأليف مواده وتركيب عناصره وقاس أبعادها وحدق حسابها حتى ليتنبأ لها  
بحوادثها ويجرياتها قبل أن تقع بمئات الأعوام ، ذلك الذي اتخذ من الغاز سموماً ، ومن الهواء غذاء ، ومن حرارة  
الشمس وهدير الماء قوة مستعملة أو مذخورة ، ذلك الذي أضاع الليل بثريات مكهربة فسكنها شمس وأقمار  
ذلك الذي يطوف الآن حول الأرض على متن الهواء قبل أن يطوف أخوه البدوي مناخ قبيلته على ظهر  
البعير ، ذلك الذي كشفت له الاشعة مكنون الجسوم واخترقت له حجب الغيب ، فأصبح يرى ما لم تكن  
تراه العيون

ذلك الانسان تقتله البعوضة وتمرضه نسمة الهواء ، وتشرقه جرشة الماء ، ويصرفه الهوى عن الجادة ، ويريد  
الأمر المستطاع فيصرفه عنه التخاذل ! ذلك الانسان يهدل ويظلم ، ويقسو ويرحم ويتخذ العلم للشر ويتخذ  
العلم للخير . فما هذه القوة وما هذا الضعف ؟ وما هذا النور الساطع وما هذا الخلق الدامس ؟ وكيفما يجتمعان  
ولأيهما الغلب آخر الأمر . وهل نستطيع أن نستخلص من بين هذه الأطوار المتنافرة ، والمظاهر المتناكرة  
حقيقة الحياة وغاية الحياة وميزان الحياة ! . نعم وأبيك يجب أن نستطيع

سيداتي وسادتي :

هل تريدون منى كلمة جريئة أخرى ؟ نحن تلاميذ القوة العظيمة التي بعثتنا الى هذه الدنيا يوم ولدنا ،  
والتي تتوفانا يوم يحلّ الأجل نحن تلاميذها وهي تعلمنا من حيث لانراها ، وقد أودعنا سرا يسميه الفلاسفة  
عقلا ، وتسميه الأديان روحا ، وأنا لايمنى ماذا نسميه . هو قبس من هذه القوة العظيمة وشعاع من نورها .  
وليس يولد انسان إلا وينطوى على هذا القبس أو هذه الشعاع كائنة ! وانما توقظها تجارب الحياة من ألم  
ولذة وحرمان واحراز ومرض وصحة واختفاق ونجاح ! فالألم يوقظ هذا السر السكمن ، ويروضه على النظر كيف  
ينجو من الألم . واللذة تبعث فيه حب الاستزادة فخب الحركة في سبيل احراز تلك اللذة ، والحرمان يبعث فيه



حب التحصيل والاحراز ، ولثة الاسترازة تدفعه الى طلب المزيد . والمرضى يعلمه التوقى ويملك الصبر والجلد ، والصحة تشمره الهناء ، والاعفاق يفر به بالكسح ومعاودة العلاج ، والتجاسع يزيده همة وعزيمة . كان هذا منبت الفرائز في الانسان الأول ، ثم رأى ذلك التلميذ الناشئ على كر الأجيال ان في بعض لذاته اياديا لاخوته ، وان في بعض سعادته شقاء لسواه ، فازدادت فيسه الحساسية ، فوازن قليلا بين سعادته وشقاء الآخرين ، فانصرف قليلا قليلا عن الأنانية المطلقة ، ومازج تقديره شيء من العطف على سواه . السر الدفين يستيقظ ، الشعاع السكينة ترسل ضوءها خارج نفسها لأول مرة ، بذرة الانصاف والعطف والغيرة تستحيل نبتة مزهرة . التلميذ يتعلم في مدرسة الحياة درس العدالة . فيعجا كي المعلم الأعظم الذي بعثه الى مدرسة الحياة ، التلميذ يدرس منهاج الفضائل في مدرسة الدنيا مكرمة بعد مكرمة ومجدة بعد مجدة . أليس المعلم الأعظم كريما حميدا ، وهذا تلميذه أودع فيه قلبه لينقدح بزمام الحوادث والتجارب . أهى البسالة والاقدام ؟ ان المعلم الأعظم يسلو عن المخاوف فهو القوى المنين ! أهو الدأب والكفاح والعزيمة لا تعرف اليأس ولا القنوط . ان المعلم الأعظم شديد المراس يسلو عن الفترة والوهن ! أهو البر والاحسان ؟ ان المعلم الأعظم هو المحسن البار وهو ينبوع البر والاحسان

وما من فضيلة ولا مكرمة الا اشتق أصلها من تلك القوة المهيمنة ومن ذلك المعلم الأعظم . ولكن المعلم الأعظم لا يملأنا الشجاعة ولا قوة العزيمة ولا البر والاحسان الا عن طريق الحوادث والتجارب . فقبل الشجاعة ساد الجبن حتى استيقظت شعاع المعلم الأعظم في التلميذ فاحتقرت الجبن والجبناء ، وقبل الوفاء ساد القدر ، وقبل البر والاحسان سادت القسوة والجفاء .

وفي هذه المدرسة مازال التلاميذ يدرسون ولن يزالوا . والى جانب الاخلاق التي تروضهم عليها حوادث المدرسة ويقظة السر السكينة ، يتجه ذلك القبس الى محاكاة المعلم الأعظم في العلم والقدرة والارادة ، فلا تفقا الأشعة الأزلية الخالدة التي تصل قلوبنا بعظمته ، لانفتحت تبحث وتنقب في أسرار هذا الوجود ، فتستكشف اليوم قانونا من قوانين الطبيعة وتستكشف غدا جوهرها من جواهرها الخفية ، حتى استطاع التلميذ بحركة من أصبعه أن يحيل الغرفة المظلمة نورا وهاجا ، لأنه عرف سر الكهرباء ، فما كان بالأمس مهجزة يرتاب في جوارها العقل ، أصبح اليوم حقيقة مألوقة لا يدهش لها الأطفال

واستطاع التلميذ أن يشافه صاحبه بكلمات تلو كها الألسن وتسمعها الآذان ، هذا في جنوب المعمور وذلك في شماله من غير حاجة الى أسلاك . واستطاع التلميذ أن يشارك الطير في ارتياد الجو فكأن كل محلق في الجو سليمان . وغاص مع الأسماك في مسارها . وتبعتها الى مهاربها

ذلك أن المعلم الأعظم يريد لتلاميذه أن يحاكوا عظمته في العلم والارادة والقدرة ، كما يريد لهم أن يحاكوه في المحامد والمكارم ! أليس المعلم الأعظم قديرا على كل شيء ، أليس فعلا لما يريد ! أليس يقول للشيء كن فيكون ! وهاهو ذات لهيذه ، هاهو ذا سره وقلبه في هذه الدنيا - الانسان - قد استطاع أن يسخر الهواء والماء والكهرباء ، وكثيرا مما نرى ولا نرى من قوى هذه الطبيعة العذراء .

سيداتي وسادتي :

اذن لا يرو عنكم أن تكونوا ذرات صغيرة الأحجام محدودة الأعمار في هذه الدنيا ، اذن لا تستهينوا بأنفسكم اذا قستموها بما سبقكم من الأجيال وما خلفكم منها حتى اذا رجع الماضي الى الأزل وامتد الى الأبد ولا يهولنكم أن يكون كوكبكم شظية ناثرت من الشمس ! فكل واحد منكم سيداتي ، وكل واحد منكم سادتي يحمل بين طواياه سر الوجود . هذه الأرض ستفنى . والشمس التي هي أصل الأرض ستفنى ، والنظم الشمسية على اختلافها قد يجعلها المعلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته وصورا جديدة لارادته . لكن ذلك القبس

الذى هو نفخة من روحه جعلت روحه وعلمت عن الأرضين والشموس والأقمار ، ذلك القبس الذى يصلكم به صلة أزلية خالدة لاتنفصم ، ذلك القبس هو سر الوجود .

فبأى ميزان تزن الحياة ، أبعزان الطعام والشراب والفقر والغنى والنور والظلمة والنعيم والوظائف والمناصب ، أم بعزان المحامد والمكارم والعلم والارادة وكبريات الصفات التى تحاكي بها معانيك الأعظم ؟ نعم لا تحتقر الطيبات من الرزق ولا تنفض اليكم كسب المال وانفاقه فى سبيله الخسيرة ، بل تخضع على ذلك ففيه حفر للههم وعود على النفس وذوى القربى وأهل الخصاصة بالمتاع الحلال . ولكن الأسر كل الأسر الذى أريد أن أذكر نفسه به وأذكركم ، هو أن كل مرافق الحياة من متاجر ومزارع وصناعات ، ومن مطاعم ومشارب ومساكن ، هى أدوات ووسائل لابد منها ولكنها ليست غاية الغايات أذكر نفسي بهذه الحقيقة الأولية وأذكر بها حضراتكم لأغضا من الوسائل ولا صرفا لكم عن اتخاذ الأدوات ، ولكن لأنك لو أحصيت فى زماننا هذا أولئك الأيقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة ، لألفيتهم نورا يسيرا لا يبلغ عددهم فيما أحسب واحدا فى كل ألف

أولئك يزنون الحياة عامة ، وزنون حياتهم خاصة بما تحوى جيوبهم من مال ، لا بما تحوى نفوسهم من خصال ، وبما يشغلون من مناصب لا بما يتقدمون من مبادئ ساداتى وساداتى :

هذه الأرض مدرسة بعثنا اليها بديع السموات والأرضين . وهذه حقيقة الحياة ، حياة الافراد وحياة الأمم . وغاية هذه الحياة هى أن نحكي صفات العلم الأعظم ، نحكي عظمته فى غير صلف ، نحكي رحته فى غير ضعف . نحكي علمه وقدرته فى غير زهو ولا نفار . نحكي ارادته فى غير تجبر ولا غرور ساداتى وساداتى :

فى هذه المدرسة الربانية الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم فمنهم المبرز ومنهم المتخلف . فلاتعجبوا اذن لبعده ما بين الناس من تفاوت فى الأخلاق والعزائم والعرفان . اسكن حين يعلم الناس أنهم هاهنا تلاميذ ، وانهم لم يرسوا الى الحياة لعبا ولا هوا ، وأن معلمهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل فى كل قلب مضى ، ورأس عامر بالعلم ونفس خفاقة بالشعرا وبديع الفن الجليل . حين يعلم كل ذى موهبة . وكل ذى فضيلة وكل صاحب اختراع وكل مستكشف أسرار الطبيعة . أن ملهمه ومرشده هو ذلك القبس المستمد من قوة الله حينئذ يبطل الغرور حياء من الله . وتتضاعف لهم مرضاة للعلم الاعظم . ويكون ميزان حياتك هو مبلغ محاسنك لصفات المصدر لكل عظمة من عظام الصفات

\*\*\*

هذه هى الخطبة التى ألقاها الاستاذ توفيق دياب ونشرت فى الجرائد ، كتبته لأنها تمت الى الحقائق بسبب ( وبيان ) أن الناس قسمان : قسم لا يعرف من الوجود إلا الظواهر ، وهذا القسم هو أغلب نوع الانسان ، وقسم يبحث عن حقائق الوجود ، وهذه الخطبة تمت الى القسم الثانى ، لسبب ذلك كتبته فى هذا التفسير . وهل لك أيها النكبي أن أحدثك حديثا عجبا ! إن هذه الخطبة ذكرتى بجوهريتين : الجوهرة الأولى أنها تقرب من كلام أفلاطون فى جمهوريته فى الكتاب الخامس . الجوهرة الثانية : أنها تقرب بعض الاقتراب بما خطر لى وملا قلبى جمالا وبهجة وسرورا وانشرحا صباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م

الجوهرة الأولى فى موازنة هذه الخطبة باراء أفلاطون فى جمهوريته ترجع هذه الخطبة كلها الى أن كثيرا من الناس لا يفقهون إلا الحياة الحاضرة ، وهى فى ظاهرها مسبوقة



بعدم ويلحقها عدم ، فسواء أكان اجتهد الناس في الدنيا موجهها لأنفسهم عدم ، أم كان موجهها لأبنائهم عدم وأحفادهم ، أم كان موجهها إلى مواطنيهم ، أم كان موجهها للأمم كلها ، أم كان موجهها لأجيال سيأتون بعد آلاف آلاف السنين ، فهذا كله ماهر إلا وبال رضى الخير فائدة ، فالوجود الذى يسبقه القضاء وجود خير منه الهدم والفناء

هذا ملخص الخطبة ، وعادة هذا الانسان المتدين والمليح نهم لا يفكرون على هذا الاسلوب ، وغاية الأمر أن المتدين يقول : « أهمل خيرا ليكون لى ثواب ، فأتمتع باللذات بعد موتى » أما أمثال هذه الآراء فان عادة الانسان فى الأرض عدم خطورها ببالة خطورها يبعث على البحث ، وإذا خطرت يذرونها بلا بحث ويكتفون بدياناتهم التى نشأوا عليها وهم لا يفهمون منها إلا قصورها ، فهناك ما قاله أفلاطون فى جمهوريته إن هذا الفيلسوف كما تقدم كثيرا فى هذا التفسير لا يرى أحدا يصلح لحكم الأمم إلا الفلاسفة ، ذلك لأنهم وقفوا على الحقائق فصاروا كأنهم خلفاء الله فى أرضه ، وبهذه الخلافة يقلدونه فى صنع ما هو كامل ويحفظون الأسم كما يحفظ هو الكون كله ، وعلى هذا أخذ يصف هؤلاء الفلاسفة ، ويدور محور كلامه على أمرين اثنين لا ثالث لهما ، وهما أن الموجود ان كان دائما فالقائم به المتحقق به هو الفيلسوف ، وان كان الموجود غير دائم فالمكتفى به ليس فيلسوفا لأن علمه متعلق بما ليس له دوام ، فهو يبنى أساس عقله وعلمه على ما ليس بثابت ، فهو أشبه بمن يبنى قصوره على شفا جرف هار ، أو على أرض بركانية يشرب فيها البركان وقتا بعد وقت ، أو كمثل من يركب الأسد ، فهو فى جميع أحواله خائف يرتقب الهلاك وهكذا مصاحب الكاذب الخائن ، فهو فى جميع أوقاته يترقب غدره وإيقاعه فى الهلاك وهكذا

إن ما هو معدوم يكون تصوّره جهلا ، وما هو موجود دائم يكون إدراكه علما ، وما يكون مترددا بين الوجود والعدم يكون إدراكه تصوّرا ، فهو متردد بين العلم والجهل

هذا إجمال كلامه وان أردت بإصاح إلا الانصاح ، فدونك الصور الجيلة والأنعام الشجيرة والتصور الفخمة والأطعمة اللذيذة والسيارات الملوّنة والأشربة المفرحة والمزارع النضرة والبساتين الجيلة والممالك الواسعة التى يملكها الملوك ، والأرض الواسعة التى يملكها الأفراد ، وأمثال ذلك مما يعرفه جمهور الناس وهو شائع بينهم هذا كله موجود مشاهد ، والناس فى الشرق والغرب قديما وحديثا لا يرون لهم سعادة ولا عزاء ولا مجدا ولا لذة إلا فى التمتع بهذه وأمثالها ، فتجد الانسان مفتونا بمعشوق جميل ملك قيادته كفاءة هيفاء أو بنوع من الشراب يفتنى فيه أوقات فراغه . أو قصصى يقص عليه أخبارا مسلية . أو جوقة تمثل رواية غرامية ، أو السينما (دار الصور المتحركة) التى تهكس صورها بهجة غريبة

وبالجيلة ان هذه كلها هى التى يفرح بها الناس ويظنون أن هذا وجود حقيقى وهذا خطأ . إن كل هذه متردّات بين الوجود والعدم . فن وقف نظره عليها خانه عقله وأخطأه جدّه فان هذه كلها لها وقت فيه تتغير ولا تبقى . فالقصور والبساتين والمزارع والغادات الفاتنات والصور المتحركات فى السينما اذا أخذناها باعتبارها هى وانها مقصودة لذاتها وأن هذا الجمال الذى فيها لا نطلب شيئا وراءه فان عقولنا إذن تكون فى غاية الخطأ . والدليل على ذلك أن حياتنا محدودة . وكذلك وجود كل هذه المشاهدات التى فرحنا بها . إذن وجودها عدم وأى عقل يفرح بما ليس بدائم . العقل الذى يفرح بما ليس بدائم عقل مخبول . فهذه الصورة الجيلة التى سلمت لى وأخذت على مشاعرى . وهذه الحديثة الجيلة . وهذا الملك الواسع . وهذه السلطة ، سيحصل أحد أمرين : إما أنى أنا أضعف عن التمتع بها بموت أو مرض أو غيرهما . وإما أنها هى تزول أو تفارقنى أو تأتى عوارض تحول بينى وبينها . فترى هذه الغادة الجيلة أغرمت بغيرى أوماتت . وهناك ينقلب العشق مرضا ولفنا وحزنا . وهكذا يقول أفلاطون : كل هذه الأشياء مترددة بين الوجود والعدم . فالفرح بها

والاعتداد بوجودها والوقوف عندها عدم عقل وضعف في البصيرة ، إذن ماذا يفعل هذا الانسان المسكين الذي سماه لا يعرف إلا هذا ؟ فقال : يتخذ هذه الصور الجميلة ، وهذه اللذات المختلفة والقصور والصور والممالك والأبهة وسياة للتوصل بها الى إدراك أن هناك جالا مطلقا ومسلكا كبيرا وعدلا تاما ونظاما دائما لا يعتريه الفناء ، ومعنى ذلك أن الفيلسوف يبحث بالطرق العلمية ويدرس جميع العلوم وجميع هذا الوجود ، وتقوده تلك الصور الجميلة والنظام البديعة الى ما وراءها من جمال دائم وملاك واسع ، وما هذه إلا صور تشفى عما وراءها ، ويكون كل ما يصوب اليه الجهال من صور جميلة ومال عند الحكيم مذكرا ووسيلة لترقى عقله الى جمال أتم وملاك أوسع ولذة أكمل مع الدوام يلحظه بعقله ويعيش قري العين بحيث اذا غاب ذلك الجليل أو غدر أوزال ذلك المالك أو المال فان نفس الفيلسوف سعيدة ، ذلك أن محبوبها لم يغب عنها ، فان محبوبها هو الجلال المطلق والملاك المطلق ، فأما هذه الصور التي ظهرت له فما هي إلا ظواهر مذكرات بما وراءها لاحقائق فأمثال هؤلاء الفلاسفة هم الذين يجب أن يقوموا بنظام الأمم

أنا الآن أعتقد اني قدمت لك أيها الذكي فكرة عامة عما يريد أفلاطون في جمهوريته ، وهذا القول الوجيز هنا يكفيك الآن

فأذا عرفت هذا ففهمت ما قاله مترجم الكتاب في صحيفة ١٢٣ وهذا نصه : « الفيلسوف الحقيقي هو الماهر كل الغرام ، بالحكمة في كل فروعها . وعلينا أن نميز في هذا الموقف ، أدق تمييز ، بين الفيلسوف الحقيقي وبين المدعى حب الفلسفة تدجيلا . وتستقر نقطة الفرق بينهما في أن السجال يكتفى بدرس الموضوعات الجميلة مثلا . أما الفيلسوف الحقيقي فلا يقف عند ذلك الحد ، بل يتجاوزه الى إدراك الجلال المطلق . ويمكن وصف حال الأول العقلي بأنه « تصور » ، وحال الثاني أنه « معرفة حقيقية » أو « علم » . فهناك الوجود الحقيقي الذي يتناوله العلم ، واللاوجود ، أو العدم ، الذي نسبته الى الجهل نسبة الوجود الحقيقي الى العلم . ويتوسط بين العلم وبين الجهل التصور . فنستنتج أن التصور يتناول الوجود الظاهري . فالذين يدرسون الوجود الحقيقي يدعون محبي الحكمة أو « فلاسفة » والذين يدرسون الوجود الظاهري يدعون محبي التصور ، لا فلاسفة »

وفهمت ما جاء في المتن . وأذكر لك بعضه في صحيفة ١٤٨ من الجمهورية إذ سألت سقراط غلوكون .

فلسقراط (س) ولغلوكون (غ) وهالك نصها :

(س) إن الراغب في تذوق كل أنواع المعرفة فيكسب على دروسه بسرور ورغبة ولا يكف ان انسانا كهذه بحق ندعوه فيلسوفا ، الاندعوه ؟

(غ) ان وصفك هذا يشمل عددا عديدا ، ويضم طائفة مستهجنة . ويحسبه كل عشاق الطلب فلاسفة لأنهم راغبون في المعرفة ، وكذلك المنصبون على سماع القصص هم طبقة خاصة بين الفلاسفة . أعني بهم الذين لا يشهدون محاوره فلسفية ، ولا غيرها من أنواع المحاورات على انهم سامعون مواظبون لا يغيبون عن حفلة ديونيسية (١) في مدينة اوقرية . فكأنهم أجروا آذانهم للسمع ، لكل جوقسة في وقتها . أفنهب هؤلاء لقب فلاسفة ، ولا مثاهم ممن لا ذباى نوع من الدروس ، ولأستاذة الفنون الصغرى .

(س) مؤكدا لا . بل ندعوهم فلاسفة زائفين

(غ) فمن هم الذين ندعوهم فلاسفة حقيقيين ؟

(س) هم الذين يحبون أن يروا الحقيقة

(غ) لا يمكن أن تخطئ في هذا واسكن هل تريد أن توضح ماتعنيه ؟

(١) أو بختالية . نسبة الى باخس . وهي حفلة شرب ومرح



(س) ليس ذلك سهلاً مع غيرك ، أما أنت فتجود على التسليم الذي أنشده

(غ) وما هو ذلك التسليم .

(س) هو فيما يأتي : لما كان الجلال ضد القبح فهما شيئان

(غ) مؤكداً أنهما شيئان

(س) وإذا كانا شيئين فشكل منهما واحد على حدة

(غ) وهذا أيضاً حق

(س) ويتمشى هذا الحكم نفسه على العدالة والتعدي ، وعلى كل التصورات الممومة فكل منها شيء

واحد ، لكنه يظهر متعدد ، باعتبار علاقاته المتبادلة بالأشياء والأعمال التي بها يتجلى في كل مكان

(غ) أنت مصيب

(س) واستناداً الى هذا المبدأ أميز بين الذين وصفناهم الآن أنهم عشاق النظر والصناعة ومحبة الفنون

ورجال العمل من جهة واحدة ، وبين الذين نحن في صددهم وهم وحدهم نسميهم فلاسفة في الجهة الأخرى

(غ) أوضح ما تعني

(س) أعني أن محبي النظر والسمع يهجون بالجيل من الأصوات والأشكال والألوان والصور ، وكل

مادخلات في تركيبه هذه الأشياء من منتوجات الفن . ولكن فهمهم يقصر عن ادراك ، كنه الجلال واعتناقه

(غ) نعم أنه كما تقول

(س) أوليس القادرون على التفكير الحر في الجلال المطلق هم قلائل ؟

(غ) حقاً انهم قلائل

(س) فإذا أدركت أمر وجود الأشياء الجلية ولكنه جمحد الجلال المطلق وعجز عن اتباع من تقدمه الى

ادراكه ، أخفما تحسب حياة انسان كهذا أم يقظة . تأمل أليس الحالم ، في يقظة أو في منام ، هو الذي يخلط

بين الحقائق وبين الصور المنعكسة عنها .

(غ) اعترف أن امرءاً كهذا حالم

(س) وما قولك في من غايه ، ففهم الجلال المطلق ، وامتلاك قوة التمييز بين هذا الجوهر وبين الأوساط

التي يتجلى بها فلا يخطئ في حساب المجالي جوهرها ولا الجوهر مجالي ، أخفما تحسب حياة هذا أم يقظة ؟

(غ) يقظة دون شك

(س) أفلسنا مصيبين إذ ذاك ، في تسمية فعل الشخص الثاني العقلي معرفة لأنه أدرك الحقيقة ، وفعل

سابقه تصوّراً لأنه تصور فقط

(غ) غاية في الصواب

(س) حسناً . فإذا امتنع من سميناه متصوراً لا عارفاً ، وغضب علينا مدّعياً أن ما قلناه غير صحيح ،

فهل لنا من سبيل لتلطيف غضبه وإقناعه برقة ولين . سائر ين عنه حقيقة حاله ، وهي أنه ليس في حال الصحة

(غ) ذلك أمر مرغوب فيه

(س) فانظر فيما يلزم أن تقول له . أتستحسن أن نحدّثه مسامحين أنه لو عرف شيئاً لما حسدناه على علمه

أقل حسد . بل كئنا نسر بأنه كما يدعي . ولما كنا نقول له أجب عن هذا السؤال . اذا عرف ذوالحيجي فهل عرف

شيئاً أولاً شيئاً . أجب عنه يا غلوكون

(غ) أجب أنه عرف شيئاً

(س) أموجود ذلك الشيء أولاً موجود ؟

- (غ) بل موجود . لأنه كيف يتكلم غير الموجود أن يعرف
- (س) أفتثبتون نحن من هذه الحقيقة . في أية صيغة نظرنا فيها : أي أن الموجود حقيقة يعرف معرفة تامة . أما المعلوم فجهدول بتاتا .
- (غ) أنا متثبتون منها كل الثابت
- (س) حسنا . فإذا كان هنالك شيء متردد في الوقت نفسه بين الوجود وبين العدم ، أفلا يوضع في رتبة متوسطة بين الموجود يقينا وبين المعلوم بتاتا .
- (غ) يلزم أن يوضع
- (س) فإذا خضت المعرفة بالموجود ، والجهل بالمعلوم . أفلا يلزم أن نجد حالة متوسطة بين العلم والجهل تختص بما هو متردد بين الوجود والعدم
- (غ) يقينا
- (س) أنقول أن التصور شيء ،
- (غ) بلا شك
- (س) أفنحسبه قوة متميزة عن العلم أم نحسبه العلم نفسه .
- (غ) هو شيء متميز عن العلم
- (س) فنخصص العلم بدائرة نفوذ ، والتصور بدائرة أخرى . بطبيعة ما في كل منهما من قوة
- (غ) تماما
- (س) أفلا يستطبعة العلم المختص بالموجود هي معرفة كيف وجد أولا . والافهنا لك فرق واضح يلزم تحديده
- (غ) وما هو .
- (س) ان القوى . كمجموع قائم بذاته . هي ما نعمل به نحن ، وكل أحد ما يمكن عمله . مثلا : اني أدعو السمع والبصر قوتين . اذا كنت تدرك الفكرة الخاصة التي أروم أن أصورها
- (غ) اني أدركها
- (س) فاسمع ما أراه فيها . لست أرى في القوتش كلا ، ولالونا ، ولا غيرهما من الأعراض التي أراها في مختلف الأشياء . وبها أميز (أي بالأعراض) بين شيء وشيء . أما في القوة فاعتبر وظيفتها ودائرة نفوذها ، وبذلك توصلت الى تسميتها . فادعو القوى التي من نوع واحد وتعمل عملا واحدا ، ولها وظيفة واحدة «قوى واحدة» ولكن القوى التي تختلف دوائر نفوذها وتتفرع وظائفها فادعوها «قوى متنوعة» فاقولك .
- (غ) هكذا بالتمام
- (س) فاخبرني يا صديقي الفاضل . في أية رتبة تضع العلم ، أتحسبه قوة .
- (غ) نعم أدعوه قوة . وهو أعظم القوى كافة
- (س) وهل التصور قوة ، أن ندرجه في سلك آخر .
- (غ) لا آخر . لأن ما به تتصور لا يكون إلا تصورا
- (س) وقد اتفقنا الساعة ان العلم والتصور غيران
- (غ) وهل يجمع العاقل بين الخطأ والصواب .
- (س) أحسنت فنتفق في أن التصور شيء غير العلم
- (غ) غيره
- (س) فلسلكل منهما بطبيعته ميدان نفوذ خاص ، وتأثير خاص



- (غ) الاستنتاج قاطع
- (س) فيمدان نفوذ العلم هو معرفة طبيعة الموجود
- (غ) نعم
- (س) وميدان نفوذ التصور هو «الظن»
- (غ) نعم
- (س) أفيتناول التصور حتماً وفعلاً مادة العلم . وبعبارة أخرى هل مادة التصور هي نفس مادة العلم ، أو ان ذلك محال .
- (غ) انه محال . بناء على ماقررناه . أى انه اذا سلمنا ان للقوى المتنوعة دوائر نفوذ مختلفة . وان العلم والتصور قوتان متميزتان . وقد جزمنا بذلك . فهذه المقدمات تجعل توحيد مادة العلم ومادة التصور محالاً
- (غ) طبيعي
- (س) فاذا كان الموجود مادة العلم فمادة التصور هي حتماً شيء آخر غيره
- (غ) يلزم أن يكون غيره
- (س) فهل يتناول التصور المعلوم ؟ أو أن تصور المعلوم غير ممكن اصالة . افترض من يتصور الا يوجه أفكاره نحو شيء . أفيمكن أن يكون تصور في الاشياء .
- (غ) غير ممكن
- (س) فمن يتصور فقد تصور شيئاً .
- (غ) نعم
- (س) ولكن المعلوم لا يدعى شيئاً . بل هو لا شيء
- (غ) بالتام
- (س) وقد التزمنا أن نخص الجاهل بالمعلوم ، والمعرفة بالموجود
- (غ) وبالصواب فعلنا
- (س) فموضوع التصور ليس الموجود ولا المعلوم
- (غ) لا هذا ولا ذاك
- (غ) فليس التصور معرفة ولا جهلاً
- (س) أفيستقر وراء أحدهما ، فيفوق المعرفة يقينا ، ويفوق الجهل إيمانياً .
- (غ) يظهر أنه ليس كذلك
- (س) فقل . اتخسب التصور أقل وضوحاً من المعرفة . وأقل خفاءً من الجهل ،
- (غ) نعم وهو متميز عن الاثنين كثيراً
- (س) فهو اذا بين هذين الطرفين
- (غ) نعم
- (س) فتخسب التصور اذن شيئاً بين الاثنين
- (غ) بالتام
- (س) أولم نقل الساعة انه اذا بان لنا شيء أنه موجود وغير موجود في وقت واحد ، فيجب وضعه بين الموجود الحقيقي وبين المعلوم المطلق . فلا يكون اذن مادة علم ولا مادة جهل . بل هو مادة قوة ثالثة بين العلم والجهل يجب اكتشافها

(غ) قلنا ذلك

(س) وقد اكتشفنا الآن قوة بين الاثنين . دعوناها تصورا

(غ) واضح انا اكتشفناها

(س) بقى أن نكتشف ما يشترك في الوجود والمعدوم ، وليس هو أحدهما بكيته فإذا ظهرت لنا ماهيته دعوناها بحق « مادة التصور » ناسبين للطرفين ماهولهما . وللاوسط ماهوله ألت مصيبا .

(غ) انك مصيب

(س) فإذا وضعنا هذه الفروض ، فاني أسأل ذلك الرجل المتهتم الذي ينكر وجود شيء كلي ، أو أى صورة من صور الجلال المطلق ، التي تظل الى الأبد كما هي غير قابلة للتغير . مع أنه يعترف بوجود أشياء عديدة جيلة . ذلك الذي يحب المنظورات ، وهو لا يحتمل أن يقال له ان الجلال واحد وأن العدالة واحد وهم بجزء . فأقول له : ياسيدي العزيز . أوجد بين كل الأشياء الجيلة شيء واحد لا يجمع فيه . وبين كل الأشياء الماداة عادل واحد لا ظلم فيه . وبين كل الأشياء الطاهرة طاهر واحد لا دنس فيه .

(غ) كلا بل تظهر كلها بالتحلف ، جيلة وقييعة ، عادلة ومعتدية ، بارة ودنسة باعتبارين

(س) وأيضا . الا يمكن اعتبار المضاعفات الكثيرة انصافا علارة على أنها مضاعفات

(غ) تماما كما أنها أيضا مضاعفات

(س) وجري على الأساوب نفسه هل للأشياء التي ندعوها كبيرة و صغيرة ، وخفيفة . وثقيلة ، حق في أن ندعى كذلك أكثر من اضدادها .

(غ) كلا بل كل منها يمكن أن يدعى بالاسمين على السواء

(س) فنكون أقرب الى الصحة اذا وصفنا كلا من هذه الأشياء بأنه قديكون وقد لا يكون كما وصفنا ؟

(غ) انك تذكرني بأحجية التضاد التي تتلى على موائد الطعام (للتسلية) ولغز (١) الأولاد عن الخصى الذي رمى الخفاش بما رماه به ، هو جاثم على ماهو جاثم عليه . لأن الأشياء المشار اليها فيها الغموض نفسه فلا يمكن الانسان أن يميز هل هي موجودة ، أو غير موجودة معا

(س) أفيمكنك افادتي ماذا تعمل بها ، أو هل عندك رتبة لها أفضل من الرتبة الوسطى . بين الوجود والمعدوم ، لأنها في مذهبي ليست أخفى من المعدوم لتسكون أكثر عدما منه ، ولا أوضح من الوجود فتسكون أثبت منه وجودا

(غ) انك مصيب كل الاصابة

(س) فقد اكتشفنا أن الأفكار الشائعة في الجمهور في العدالة والجمال وأخواتهما هي ناهية بين الوجود

المطلق وبين العدم المطلق

(غ) اكتشفنا

(س) وقد سلمنا سابقا أنه اذا ظهر شيء من ذلك دعى تصورا لا معرفة . وان ما يتراوح بين الأمرين يفهم بقوة متوسطة

(غ) قد سلمنا هذا التسلم

(س) ولذلك حين تقع عين الناس على شتى الأشياء الجيلة ، ولكنهم لا يقدر أن يروا الجلال بالذات ، ولا أن يتبعوا من يقودهم اليه ، وحين يرون أشياء عديدة عادلة ولا يرون العدالة بالذات ، وهكذا في كل مثل ،

(١) تقول الأحمية : قيل ان رجلا وليس برجل ، رمى ومارى ، طائرا وليس طائرا ، جائما وليس جائما ، على غصن وليس بغصن . بحجر وليس بحجر ، وهكذا . وقد فسرت هذه الحكاية نوعا في المتن



فانا نقول ان لهم في كل موضوع تصورا ، لا معرفة حقيقية في الأشياء التي يتصورونها  
(غ) الاستنتاج ضروري

(س) ومن الجهة الأخرى ، ماذا يجب أن نقول في أولئك الذين يفكرون في الأشياء على ما هي في ذاتها ،  
كأنه دون فناء ولا تغير ؟ أفلا نقول انهم عارفون ، وليسوا متصورين .

(غ) وهذا أيضا استنتاج ضروري

(س) أفلا نقول ان هؤلاء يجبرون بمواضيع المعرفة ويحبونها وأولئك يجبرون بمواضيع التصور . لا أنا  
لم ننس أننا قلنا انهم يحبون ويطلبون الأصوات والألوان البديعة ونحوها من الاعراض ، ولكنهم لم يسمعوها  
بوجود الجلال المطلق

(غ) لم ننس

(س) أفنخطئ اذا سميناهم محبي التصور ، بدلا من تسميتهم « فلاسفة » او يستأون كثيرا اذا أسميناهم  
كذلك

(غ) كلا اذا قبالوا رأي . لأنه من الخطأ أن يسوونا الحق

(س) فالذين يحبون الموجود الحقيقي . في كل موضوع لاندعوههم محبي التصور بل فلاسفة

(غ) نعم . من كل بد . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى

### الجوهرة الثانية

في ذكر ما خطر بقلبي وملاءة جمالا وبهجة وسرورا صباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩  
ذلك أني بينما أنا بين اليقظة والنوم صباحا إذ تجلت لي هذه الدنيا بهيئة جميلة ، وازينت بزينة بهجة  
بديعة ، وخيلت لي الأرضون والسموات وما بينهما بهيئة غير ما أراها ببصري ، وهذه حال يحجز قلبي عن  
التعبير عنها ، فما أسرع خاطري للتفكير فيها ، وما أبهج قلبي بمشاهدة مناظرها الخيالية ، فهناك هناك خيل لي  
كأن قائلا يحدث عقلي ويقول : « يا عجبا لهذا الجلال المصون عن الجهال ، ايه أيها الانسان ، ايه يا أهل  
الأرض ، واها لكم ، هذه الشمس ، وهذا القمر ، وهذه النجوم ، وهذه الأنوار مرسلات اليكم وأنتم  
لا تبصرون . لا لا . أتم أرواح من الطراز الضئيل ، يظهر أنكم كنتم في عالم غير هذا ولم تصلحوا لقيادته  
ولا لسيادته ، فأقصيتم عن المكان الرفيع ، وأنزاتكم الى هذا المكان ، أصلكم شريف ، أتم من عالم أعلى ،  
أتم من نور ، أتم من أصل كريم ، أتم نور من الله ، ولكنكم ضعفت عن أن تسيروا على سبيله ، فكانت  
هيئتك كهيئة ما تافونه من مقامات المنازل ، وما تسمدون به الأرض من كل ما لا يصلح لغذاءكم ولا انتفاعكم  
فأنتم تجعلونه سمادا لزروعكم فيكون الحب والخضر والفاكهة . إن السماد من مادة النبات والجاهل يحقره ،  
ولكن العالم الدارس يرى المادة واحدة ، ولكن السماد تنزل مرتبته عن الفاكهة ، فما هي الاشهور معدودة  
فيزول وصفه القديم ويكسب وصفا شريفا يؤهله أن تقبله نفوسكم ، فنفوسكم شريفة من العالم العلوي ، وما  
عجزت عن أن تسير على القانون الإلهي أنزلت الى هذه الأرض (وتشير لتلك قصة آدم) والقانون الإلهي  
يرجع الى أمرين اثنين : وهما حب العلم ، وحب الأمم . الله لا حد لعلمه ، ولا حد لانعامه على المخلوقات ، ولكن  
أرواحكم لم تقو على السير على سبيله فأرسلت الى هذه الأرض . ومن درس هذه النفوس البشرية اعتراه  
الحجب منها . ذلك انه يجد أنها مجبولة على حب ذواتها تريد أن تجعل العالم كله خادما لها . وجميع السحرة  
في هذه الأرض وكل رجال السياسة هم والشعاعون على خد سواء كلهم يريدون أخذ مال الغير بسهولة أي  
يريدون أنفسهم لا غير . فالساحر وقارئ العزيمة ورجل السياسة الذي يحكم الأمم لجرّد شهوات أمته لا لرقى

تلك الأمم . كل هؤلاء قوم شحاذون أو لصوص أو قطاع طرق ، بل كل شيوخ الدين ورجال الصوفية (غير الصادقين) أي الذين يحبون الشهرة لا غير أو جمع المال فهو هؤلاء وهؤلاء كلهم شحاذون وقطاع طرق واهوص وبالجملة كل من لا يريد إلا نفسه فان نفسه لا تزال ضعيفة ، لا فرق في ذلك بين الفرد وبين الأمة وبين السوق والمالوك ، فهوؤلاء جميعا لم يخرجوا عن أنهم في هيئة أطفال ، فشييوخهم وشبانهم وكهولهم كأطفالهم على حد سواء

خلقت هذه الصفة في الانسان في حال صباه ، وألم أن يسعى لرزقه ويكدح ، وفي أثناء ذلك قرأ العلوم وعرف الصناعات ، كل ذلك شهوته الخاصة لأن روحه لم تقدر على أكثر من ذلك ، ولكن بعض هذا الانسان في أثناء بحثه تظهر له أنواع الجلال والعلوم فيتسع نطاق عقله يوما فيوما فيرى شموسا وأقمارا وأراضى ومعارف وأهبا ، ويرى دائرة وجدانه تتسع فيرى زوجة وولدا وعشيرة وقرية وأمة ، فيحس في نفسه بحب واتصال بهؤلاء ، فكما اتسع وجدانه زاد احساسه بهؤلاء ، فلا يزال الانسان في استكمال قواه حتى يصبح فيجد نفسه تحب سعادة جميع نوع الانسان وأن يكونوا أمة واحدة أو ما يشبه ذلك بقدر الامكان هذا من حيث العمل ، أما من حيث العلم فانه يرى هذه العوالم كلها جنته وسعاده ، فيكون منفرما بالعوالم كلها فهمما وبصيرة لا تمتعا زائلا ، هنالك تصل هذه الأرواح الأرضية الى عالم أرقى من هذه الأرض وتقرب من ربها وتكون رياضتها في أرضنا مشابهة بعض المشابهة لما يحصل في القمامات المزروعة في الأرض من انقلابها تقاها وموزا وتمرا

وههنا أخذ يقول وأنا أسمعه : « هذه الأرواح الأرضية يحيط بها الجبال وهي لا تقبله ، شمس وأقمار وأرضون وأنوار تحيط بهم أفلا يعقلون ! ههنا رحمة لاحد لها ، وجبال لانهاية له وعناية تامة تحيط بكم ، والدليل على رحمة الله التي لا حد لها وعلمه وعنايته أن نفوسكم مع قصورها وضعفها واقتصارها على لغة نفسها وما ينفعها في حياتها وتفاضلها عن منفعة الآخرين أحيطت بكل جمال وكمال من أنوار الكواكب والأقمار والشمس والهواء والماء والعلماء والنعم ، ولما كانت لضعفها لا تقوى على النظر الى وجه ربها ، وهو أشدة رحمة لكم ونعمته عليكم يحب انكم ترونه لتبتهجوا به لأنه كريم أراكم صورا جميلة وبث زينة في كل مكان ، وأودع في قلوب الآباء والأمهات رحمة ، وفي قلوب الملوك والحكام غيرة على ممالكهم بالمحافظة عليها ، وفي قلوب المرءين والأساندة والأمهات والمراضع عطفًا وشفقة على من يقومون هم بتربيته أو تغذيته ، وعم الرحمة في كل حيوان كل ذلك إن هو إلا مظاهر لجلاله ورحمته وعنايته وعلمه ، أرسلها لهذه الأرواح من وراء حجاب لما عجزت نفوسكم أن تنظر الى ربها فعلا . ومن الرحمة العظيمة أن الصور الجلية لا تبقى على حال واحدة وهكذا الأمهات والآباء وكل ما تملكون ، فهذه كلها تسلب منكم ولا تبقى ، فانه يقول لكم : « يا أهل الأرض . فهتمم عطف الأمهات وعشق الغادات والتمتع باللذات والمناظر السارات . ها أنا ذا أريتكموه ولكن أسلبه منكم رحمة بكم لتفكروا ، أهذا المنعم به المسلوب منا هو الذي تقر به عيوننا ، أم هناك ما هو دائم ثابت نفرح به بلا انقطاع فبين الاعطاء والمنع يكون التفكير والوصول لكم إلا بهذا . أنا سلطت بكم على بعض وكل بحارب الآخر أفرادا وأهبا . وفي أثناء ذلك تحدث المعرفة فيعرف الغربي الشرقي والعكس . ذلك لأن نفوسكم خادمة ولا وسيلة لانعاشها بحسب ضعفها إلا بأن يقال لها حاربي لتغنى . وههنا هذه الحروب الصليبية جرت منغم العلم والمعرفة وبها عرف الصليبيون علوم المسلمين مع انهم جاءوا لبادتهم . هذه الحرب العظمى وضعت لاشباع الشهوات ولكن أعقبتها منافع عامة ككثرة الكلام في السلام العام وارتقاء فن الطيران . وبعض ما يستعمل للحرب أصبح نعمة في السلم مثل الآلات المهاككات المستخرجات من نفس (الاوزوت) الذي هو أحد عنصرى الهواء فان ألمانيا حولتها بعد الحرب الى سجاد . وللحرب الفضل في انتشار هذا الاختراع . كل هذا ناتج من



قصور هذه الأرواح فانها مجبولة على حسب النفس وتجهل غيرها ولكن هذه الانانية استغفرت وسيلة للنفس  
النامية . هذه أخلاق هذه النفوس . فسياسة الأمم العامة هي بعينها سياسة الله في الأجسام . فالمرء يأكل لذته  
وإزالة جوعه ، ولكن المقصود بقاء حياته . ويقرب الأثى لجرد اللذة ولكن الحكمة العامة تريد الولد  
لدوام نوع الانسان

فنتيجة هذا كله أن النفوس الأرضية لما ضعفت عن اللحاق بالأرواح الإلهية من حيث مفهوم العلم  
ومفهوم الرحمة ومفهوم الجمال ، تجلى الله لها بالجمال في عوالم تناسبها كالأقمار والشموس ، ونسبة جمال هذه  
العوالم الى جمال مبدعها كنسبة ضوء أنوار الشمع والبتول الى ضوء الشمس ، ونسبة هذه العوالم الى كمال  
مبدعها كنسبة الساعة التي نعرف بها الوقت الى الشمس العظيمة التي تدور أرضنا حولها وتنظم الأوقات العامة  
الانسان منمور في الجمال وفي الكمال وفي العلم ، وهو لضعفه قصير النظر والله لعطفه وكرمه يأخذ بيده  
والانسانية كلها سائرة الى هذا الخير في عالمنا وفي عوالم أخرى إلا ما شاء الله . كتب صباح يوم الأحد (٩)  
رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣١ م

### هذا كله سر من أسرار القرآن

مخبوء في حرفين : حاء ، وباء

وما أن كتبت هذا العنوان حتى حضر صديق العالم الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال : ما هذا  
العنوان ؟ أتريد أن تقول أن ما ذكرته أنت وما ذكره الخطيب المصري من أصر النفوس الانسانية وأن  
الحياة التي لها نهاية لا تستحق العناية وهكذا ما ذكر أفلاطون أن كل ما لا بقاء له من الصور والمتاع لا قيمة له  
أقول ان هذا كله في حرفين اثنين في القرآن وهما حاء وباء ، وإني أخاف أن أحدا ممن يسمع هذا أو يقرؤه  
من المسلمين (لا أنا طبعها) يقول إن هذه مجازفة واغراق ، فأى حرفين في القرآن يفيدان هذه المعاني ،  
وأى حاء وباء تريد . ان هذا القول أصره عجب . فقلت : أيها الأخ المفضل ، ماذا جرى ، لعلك اليوم فعلت  
ما يفعله بعض الناس إذ يسمع - لا تقر بوا الصلاة - فيقول الصلاة منهي عنها ، أفلا تصبر حتى أخبرك الخبر  
بعد المبتدأ . فقال : ولكن هذا العنوان نفسه هو الذي حفزني أن أقول هذا القول لأنه عنبران غريب ،  
وأنا مشفق على التفسير أن يطمئن فيه الطاعنون . فقلت : ها أنا ذا أشرح لك أيها الذكي ما تريد ، أتذكر آية  
ابراهيم في الأنعام . قال نعم . قلت ماذا فيها ؟ فقال انه أيقن بالله ، وهذا الايقان بسبب انه ظنّ أولا أن الله  
هو السكوكب ، ثم لما أفل قال أنا لا أحب الآفلين ، ولما رأى أن القمر أبهى من النجم . قال هوربي . ولما  
أفل أظهر الحيرة تعلما لقومه ورجع الى ربه ، ولما رأى الشمس بازغة فعمل كما تقدم ، ولما أفلت وجهه وجهه  
لله ، هذا هو ملخصها . فقلت له : ألم تهثر في أثناء هذه القصة التي ذكرتها على هذا السر . فقال : وأى سر  
أهو الحاء والباء ؟ فقلت إى وربي . فقال : أى حاء وباء ؟ فقلت : أرجع وفكر في الآيات . فقال : لا أرى  
شيئا . فقلت : ألم تعلم انه نفي الألوهية عن السكوكب وعن القمر وعن الشمس لأنها متحركات والاله لا يتصف  
بالحركة لأن ذلك فعل الحادث ، ولأنها غابت بعد الظهور ، والاله لا يغيب بل معنا أينما كنا ، وما يغيب لا يكون  
إلهيا ، فالألوهية يناقضها الحركة ويناقضها غيوبتها . فقال : هذا حسن ولكنه لم يأت بالفائدة المرجوة وهي  
بهيمة عما تريد أن تبرهن عليه ، فأين الحاء والباء ؟ فقلت : أنا أتركها لبحثك أنت لأن العلم اذا جاء عفوا  
لا يفيد ، والرزق كذلك ، بل نفس الآية معناها أن معرفة الله اذا جاءت عفوا لا ثبات لها ، والافلا ماذا نرى  
ابراهيم يفكر في السكوكب فالقمر فالشمس ! أليس هذا معناه البحث ، فأنا أفعل معك ما فعله الله مع ابراهيم  
واذا كان ابراهيم نبيا وعومل هذه المعاملة تعلما لقومه أفلا أعاملك أنا كذلك ؟ فلتبحث أنت عما رمزت لك

به . هنالك أخذ يكرر الآية صراحا ويقول : « الحياء في (حنيفا) ولكن أين الباء ، والحياء في (حاجه) ولكن أين الباء ، والباء في (ابراهيم) ولكن أين الحاء ؟ ثم رجع ثانيا وقال : أهما مجتمعتان أم مفترقتان ؟ فقلت ففكر بعقلك ولا تسألني ، وأضاع زمنا ثم قال : نعم (لا أحب الآفلين) . فقلت نعم . فقال : أنا والله إلى الآن لا أفهم في « لا أحب الآفلين » معاني تتضمن كلام أفلاطون وكلامك ، وكلام الخطيب المصري ، فإذا تفضلت بشرح هذا المقام كنت لك من الشاكرين ، ويشكر لك المسلمون بعدنا أجمعون . فقلت : أيها الصديق : إن إبراهيم لما رأى الكواكب والقمر والشمس كان عند كل واحد منها يقول في نفسه أنه مسخر مقهور لأنه متحررك وهو يغيب ويحضر والاله لا يكون كذلك . قال نعم . قلت : فسكان مقتضى الظاهر أن يقول أنا لا أعبد الآفلين لأن المقام مقام العبادة ، ألا ترى أنه قال « هذا ربي » ولما رأى أنه لا يستحق الربوبية حصل له شك فيه بل أنكار ، فقتضى الظاهر أن يقول مثلا « هذا ليس ربي » لأنه على خلاف صفات الرب وإذا لم يكن ربي فلا أعبد ، فهو قال هذا ربي ، وعند الانكار يقول هو ليس ربي ويلزم من ذلك أنه لا يعبد فهو لم يقل هذا ولا ذلك ، ولكنه عبر ببارة عجيبة وهي أنه نفي الحب عمن لا يتصف بصفات الرب ، وهذا هو السر ، فقوله « أحب » المنفي بلا مشتمل على أربعة حروف الهمز وهي زائدة والياء مضاعفة فرجع الأمر إلى الحياء والباء . فقال : أنا فهمت الآن ولكن لم أصل للمقصود . فقلت : نعم سأوضحه

اعلم أيها النكي أن العابد إما أن تكون عبادته من أجل الرهبة ، وإما أن تكون عبادته من أجل الرغبة ولم يكن عابد في هذه الأرض يعبد الله إلا لأحد أمرين : إما أنه خائف من الله لئلا يدخله جهنم ، وإما أن يعبد الله لأنه طامع في دخول الجنة ، أو لجرّد الحب . فالعبادة إما لخوف وإما لرغبة ، فالعبادة إلا على هذا النمط وخير الجميع أن يعبد حبا له وغراما به وشوقا إليه وعشقا له ، وهذه العبادة هي المبنية على الحب ومستحيل أن يحب الإنسان أحدا إلا بعد معرفة أعماله وصفاته فيعشقه . قال نعم هذا التفسير كله على هذا النمط . فقلت فكل عابد في الأرض لا تكون عبادته إلا من رغبة أو رهبة ، وعبادة العابد الذي أحبّ ربه أحد قسمي الرغبة . فقال نعم . فقلت : إذن المذكور في الآية من أحد شقي بسبب العبادة وهو الحب ، والعبادة فرع الاعتقاد في الربوبية . فقال حسن . فقلت : ههنا وصلنا إلى المقصود . فانظر رعائك الله إلى ما أقول : أليست ترى أن كل ما تقدم من كلامي وكلام أفلاطون وكلام الخطيب المصري راجع إلى أمر واحد وهو أن ما لبقاء له ولا دوام يجب علينا أن نحقره وأن هذه الحياة الدنيا القصيرة ليس من المعقول أن نكون لها قيمة عند العقلاء أصلا إذ لم يكن لها دوام ، وهذا هو قول الخطيب المصري المتقدم ، واستنتج من هذا أن الحياة تدوم والا كان كل هذا عبثا وهوا وجهالة . فقال بلى . فقلت : ألم تر أن كلام أفلاطون يرجع برهانه إلى أن العقول الصغيرة تقف عند ظواهر الجلال والمال والزينة ، وحقر هذا كله وحكم على أكثر عقول الإنسان أنها خاوية جاهلة إذ تظن أن هذه الصور الجميلة والأغاني وكل ما في هذه الأرض من زينة محل للتمتع ومناط السرور والسعادة وهي كلها ذاهبة ، وكيف يفرحون بما لا ثبات له ، ثم أفاد أن ماله ثبات وهو الجلال المطلق الثابت الذي لا تدركه الحواس وإنما يدركه العقل هو الذي إليه تتجه الهمم والعقول . فقال بلى والله . فقلت إذن الحياة التي لا بقاء لها لا يصح أن تحب ولا يهوى عليها ، وكل ما هو جميل أو نافع فهو آفل وذاهب لا ينبغي أن يكون محط الرجال ولا هو مناط الآمال . قال نعم . قلت : أليس هذا كله معناه أن المحبوب الحقيقي هو الذي يبقى . فقال بلى . فقلت إذن ثبت أن العلم والحكمة أثبتا أثباتا حقيقيا لا تشوبه شائبة أن كل هذه الحياة الدنيا وكل صورها لا ينبغي أن تكون مقصودة لذاتها بل مقصودة لغيرها ، وذلك الغير هو الذي يحب وتكون هذه المحبوبات الوقتية مذكرات بالمحبوب الدائم ، وهذا المحبوب الدائم يعبد لحبه هو الجنة أو نار . إذن أصبح هذا النوع الإنساني بعد إبراهيم الفلسفة التي خضعت لها جميع حكماء أوروبا والشرق وهي فلسفة سقراط وأفلاطون وما يوافقها



من كلام غيرهما ، كله إلا قليلا ، وأما في أمر المحبة ، فالمحبة التي على غير هذا الخط محبة جاهلة . فقال نعم .  
 فقلت : إذن قد وصلنا الى المقصود وهو أن التعبير بقوله « لأحب الآفلين » قد حوى تلك المعاني . فإذا  
 كانت حياة الناس على الأرض ليس لها إلا هذه المدة الوجيزة ثم تنفض فهي حياة لا تستحق الاهتمام فلا  
 يصح الخرص عليها لأنها لا تستحق الحب ، وهذا كلام الخطيب المصري ، وإذا كان كل ما في هذه الدنيا من  
 المال والولد والصورة الجيلة ، وما ملكه من عقار ومال ومناجى ، وما نسمع من الأساطين ، وما نستلذ به من أنواع  
 المشغومات والمنفوقات والمموسسات والمسموعات والمنظورات ، جميعه متغيرا لا بقاء له ، وما لا بقاء له لا ينبغي للعاقل  
 أن يحبه بل يحب سببه الدائم الذي يعرف بالعقل لاهو كما يقوله سقراط . أقول : إذا كان كذلك أفليس هذا  
 هو معنى « لأحب الآفلين » أي ان ما يفيض وما لا يبقى لا يصح حبه . فقال : الله أكبر . الله أكبر . جل العالم  
 وجلت الحكمة . وهناك اعترته دهشة وقال والله لم يكن ليخطر لي أن هذه المعاني يحويها القرآن ، وهذه  
 أسرار غريبة ، هذه أوروبا وهذه أصريكا وهذه الأمم حولنا يعظمون سقراط وأفلاطون ويتخذون الجمهورية  
 نبراسا لهم ويقرءون منها أبوابا لتربية الجيوش والأسرات ويقدمونهم ويقولون إن الله لم يخلق مثلها في  
 العالم الانساني . فهذان المتدسان عندهم المظمان هما اللذان أتيا بهذه النظرية أي نظرية الحب وأنه لا ينبغي  
 أن يكون لغير الباقي ، وهذه شملت كل ما جاء في الجمهورية ، وهاتين أولاء وجدناهما في معنى الحب  
 ثم أخذ يقول : فليحضر علماء البلاغة قديما وحديثا وليقولوا ماشاءوا ، فهذه هي البلاغة ، وهذه هي  
 الحكمة ، وهذا هو العلم . الله الله الله . هذه هي المعجزة التي لا نظير لها

أيها المسلمون : انظروا فلسفة أفلاطون وسقراط . وملخص الكتاب الخامس من جمهورية أفلاطون  
 دخلت في القرآن بل في حرفين اثنين

يا اخواني أبناء العرب أبناء مصر وبلاد شمال افريقيا وسوريا والعراق والموصل ونجد واليمن تعالوا انظروا  
 ديننا ، انظروا قد حوى جميع علوم الأمم ، هاتين أولاء نرى حرفين ابتلعا أعظم الفلسفة  
 لتشمروا عن ساعد الجدة ، وتدرسوا علوم المشرقين وعلوم المغربين ، هاها ، هاأناذا عرفت ، عرفت  
 ما يشيع على الألسنة أن القرآن فيه علوم الأولين والآخرين ، فذلك من هذا الوادي يكون ، فإذا سمع  
 المسلم - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - علم أن كل العلوم مطلوبة ، وإذا بحث وفكر في عجائب  
 العلوم استخرج جزئياتها من بعض الكلمات أو الجمل ، اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة . فقلت الحمد لله  
 الذي أقر عينك ، فعرفت اني ما كتبت عنوان المقالة مجازفة أو غلوا أو اغراقا ، فأنا كنت في أول حياتي  
 أشك في كل شيء ، فكيف أكتب مالا أوقن به أو مالمس مبني على برهان

هنالك ذرفت عيناه بدموع الفرح . وقال : أريد أن تفيض بعض القول في عوالم السموات وجبالها  
 فقلت ياسبحان الله ، إن هذا الكتاب أكثره في عالم السموات . فقال ولكن لماذا نسمع الله يقول في آية  
 الكرسي ( بعد ذكر السموات والأرض ) - وهو العلى العظيم - . فقلت : حسن . اعلم أن هذه من الأسرار  
 التي تجلت للخليل عليه السلام وهي تتجلى لبعض النفوس الشريفة الاسلامية ، وذلك أن الانسان اذا فكر  
 في النجوم واستحضرها بخياله ( لاسيما ان كان دارسا لهم الفلك ، وقد درس قبل ذلك العلوم الرياضية التي  
 تعرفه عجائبها ) تحدث في نفسه روعة وعجبا ويحس بحماها ورفعتها وعلوها وعظمتها ، فيقول في نفسه  
 « ان خالقها على عظيم وجليل أيضا » ، فالعلو والعظمة ذكرت في آية الكرسي تذكيرا بما يخطر للمفكرين  
 من العقلاء فضلا عن الأنبياء . فقال : وهذه أيضا من أسرار البلاغة التي لم يعلمها أحد قبل هذا الزمان . ثم  
 قال : ولكن هنا أمر يؤسف له . لماذا لا نرى في النوع الانساني أثرا عظيما لحب الله المذكور في الآية « يحبهم  
 ويحبونه » و « لأحب الآفلين » فان مقتضاه أن الانسان يحب غير الآفل وهو الله ، وهذا الحب قليل

أوضحيل؟ فقلت: أيها الحبيب، أكثر الناس في هذه الأرض يحبون ربهم، وهذا الحب غير واضح لهم وعلى قدر اكتناه العجائب يزداد الحب، إن حب الله مغطى بألف غطاء، فإن الشهوات والآلام والعداوات والأصراض والحسد. كل ذلك قد غطى على هذا الحب، ولو ظهرت هذه العجائب للناس لتقطعت قلوبهم من العشق والحب، كيف لا ونفس الجسم الانساني لا أحد السكالك الذي فيه، وهذه النفس الانسانية العجيبة، هذه التي جعل هذا المنح لها منزرعة تزرع فيه أنواع العالوم والمعارف، وفي كل منطقة من مناطقها يزرع علم مخصوص من رياضيات وطبيعيات وإلهيات، حتى أن العلماء عرفوا تلك المناطق ببعض المعرفة اليوم، وفوق هذا علم النفس الذي جاء بطريق التجربة في عصرنا، وسنرى بعضه في أول سورة الجاثية عند آية - وفي خلقكم - الخ

فهذا العلم أظهر أن في النفس عجائب لا تزال مخبوءة، وتستجب مما ستعثره هناك، فهذه العجائب في نفوسنا، وفي أجسامنا، وفي العوالم حولنا، لو أنها كشفت لنا ولم تغط بالمرض والحسد والعداوات والحروب هلاك الناس من عشق مبدع هذه العوالم، ولما كن هذه الأغشية من النعم العجيبة التي أنعم الله بها على الناس حتى يقدرُوا أن يعيشوا في الأرض وإن كانوا معذبين، خفاة مع هذا العذاب خير من العدم

إن الله مزج الضرر بالنافع رجة بنا ليصرف عقولنا عن هذا السكنا المخبوء في الدنيا وهو الجلال الباهر حتى تسع عقولنا، وإذا ذاك يسلمه لنا في عالم الأرواح، وفي الفاتحة تراه يذكر الرحمة ويتبعها بقوله - مالك يوم الدين -، فهنا شدة ولين كما تراه جهل في النبات قوة امتصاص الكربون من الجو بمساعدة المادة الملونة في الورق مع ضوء الشمس، وهذا الكربون يتحد مع الماء فيكون هناك النشاء والسكر ومادة (السيالوز) التي منها القطن والكتان، وهذه المادة تجعل في الحويصلات التي يتركب منها النبات غطاء يغلف كل خلية من الخلايا التي يتركب منها النبات، فجميع الخلايا مغلقة بهذه المادة كما تقدم مرارا، فهنا في النبات مادة الحياة داخل كل خلية، وكل خلية يحيط بها غلاف يحفظها، فهذا الغلاف فيه معنى الملك والحفظ - مالك يوم الدين - وداخل الحويصلة مادة وهو معنى - الرحمن الرحيم - فهكذا كل العالم فيه ما يسترنا وفيه ما يؤلمنا، فالألم أشبه بغطاء حافظ لما يسترنا، فهذه الشرور مانعات حياتنا من الانحلال، لأننا لو عرفنا جلال هذا الوجود لم نتحمل نفوسنا هذا الجلال، فغشى عليها بالمصائب والبلايا والمرض والموت حتى لا تعرف الحقائق دفعة واحدة بل تتلمسها شيئا فشيئا بالتعلم والدرس والرياضة والعبادة، فالعجائب أشبه بمادة الحياة في حويصلات النبات وخلاياه وحوادث الدهر أشبه بما يغلفها من مادة السيلالوز الحافظة للخلية الواحدة، ومن الخلايا كان كل حيوان وكل نبات، فهذا هو السبب في عدم ظهور حب أكثر النوع الانساني لصانع هذا العالم الحكيم العليم. فقال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الأولى.

كتب يوم الخميس ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية، ٢٩ يناير سنة ١٩٣١ م

### اللطيفة الثانية

في قوله تعالى - وهو الذي ينزل الغيث - الخ

جاء في جريدة الاهرام في يوم ٦ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي:

أشجار يرجع تاريخها الى قبل ١٥ مليون سنة

« اكتشف في غربي كندا بقايا أشجار يظن أنها مما نبت في أمريكا الشمالية قبل خمسة عشر مليون سنة وقد أحدث اكتشافها ضجة في المقامات الجيولوجية لأنه يهت بالنظريات الحالية فيما يتعلق بالآزمنة السابقة



للأزمنة المعروفة في التاريخ . وهي قد اكتشفت في السنة الماضية في بطن الرمال بجهة (فورد كموراى) فأرسلت الى علماء الجيولوجيا الذين في خدمة الحكومة . وهم بعد بحث طويل دقيق يقولون الآن : « إن وجودها يثبت بالنظريات المشار إليها » . ويؤخذ من التقارير الأولى انها نبئت ونمت على ما يظهر في السهول الذي كانت فيه طبقة سطح الأرض في دور التسكرين . ويقول الدكتور (بيلاى) وهو عالم كبير معروف : « إن هذه الأشجار هي من نوع الأشجار التي كانت تنمو في أرض اليابان » وهذا القول يعزز نظرية القائلين ان شمالي أمريكا وآسيا كانا في غابر الأزمنة قارة واحدة ، وسيقدم العلماء بمباحث جديدة في المسكان الذي اكتشفت فيه بقايا تلك الأشجار » انتهت اللطيفة الثانية

### اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللان رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور

اعلم أيديك الله بالعلم أن هذه العوالم كلها آيات الله ، ولكن ليس يدرك ذلك إلا أناس امتازوا بأصبرين : الصبر والشكر ، والصبر أقسام كثيرة ، صبر على البأساء وهو الفقر ، وعلى الضراء وهو المرض ، وعلى البأس وهو الحرب ، وعلى طلب العلم ، وعلى القناعة والاكتفاء باليسير ، وعلى الصدق في القول والعمل والعبادة ، وجميع أنواع الطاعات ، وهذا الصبر يتحد مع الشكر في كثير من مواطنه ، والشكر لا يتم إلا بمعرفة النعم ، ولا تعرف النعم إلا بالدراسة ، وكيف تتم الدراسة إلا بالصبر عليها ، فهنا صبر وهنا شكر اتحادا عملا واختلافا تسمية ، فقل لى رعاك الله ، أيعرف نعمة الرياح المجرىات للسفن والسحاب كل انسان وكل حيوان . كلا . فان كل ذى عينين يدرك الحقائق ، وكيف يدرك الانسان الحقائق إلا بالفهم والعمل ، فهناك مسألة جرى الرياح هل تعرف إلا بالصبر عليها ، ومن ذا يصبر إلا القليل من الناس ! هذا بعض السر في قوله تعالى - لكل صبار شكور -

فانظر رعاك الله الى الهواء الجوى ، ينظر الجاهل الهواء الجوى فيراه يهب تارة ويسكن أخرى فلا يدري من أين جاء ، ولكن اذا درس وصبر على الدرس علم أن أسباب الرياح كلها ترجع الى (سببين اثنين) كما قل تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - ففرّوا الى الله -

خيالى يوم الأحد ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٩ م

كأننى أسمع رب العزة لما خلق الهواء واليابسة والماء يقول : « أيتها اليابسة ، ويا أيها الماء ، اسمعنا ، هاأنا ذا أريد أن أخلق نباتا وحيوانا وانسانا ، وهؤلاء لاهياة لهم إلا بسحب مطرات ، والسحب المطرات لا بد لها من رياح ، والرياح لا تتم إلا بأصبرين : حرارة وبرودة . هذان زوجان جعلتهما سبب الرياح والرياح تحمل السحب وتسير السفن . فقالت اليابسة والماء : نحن لك يارب مطيعون . فقال : أما أنت أيها الماء فعليك أن تكون بطيء الحرارة بطيء البرودة . وأما أنت أيتها اليابسة فعليك أن تكونى سريعة البرودة سريعة الحرارة ، ومتى تم ذلك حصل فى الهواء اختلاف كثير فهبّت الرياح ، وهنالك يدور الهواء عليك كما يدور السحاب وكما تدور السواقي وكما تدور الطواحين ، إن الساقية تدور بحيل صنعها عبادى :

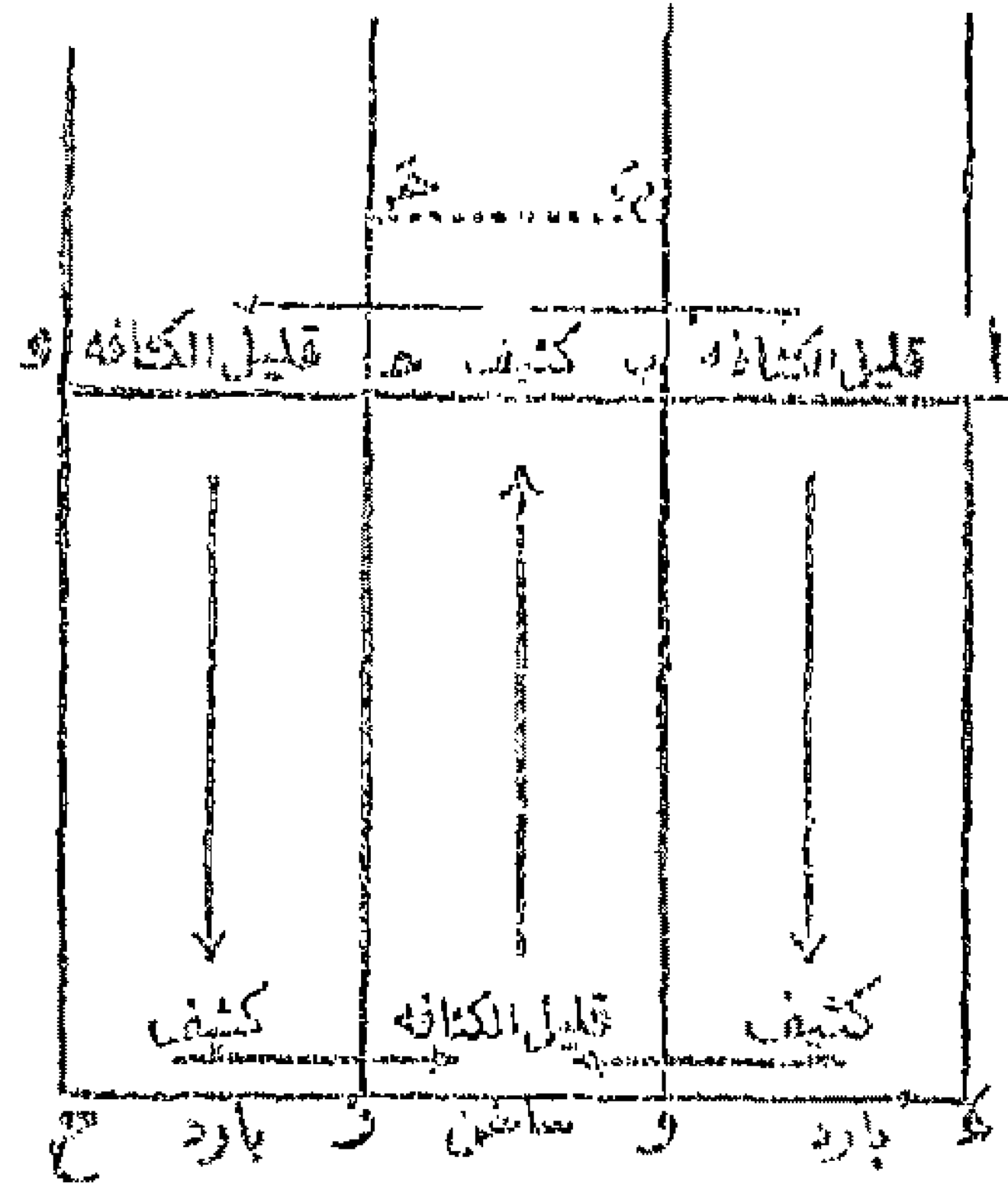
(١) فيدور الثور ، وبدورانه فى مدار الساقية

(٢) يدور (النير) الذى فوق رقبتة

(٣) والنير يحرق الحبل

- (٤) والخبل بجرج خشبة أخرى متصلة بعمود خشبي  
 (٥) والعمود الخشبي يدير آلة خشبية مدوّرة كبيرة لها أضراس أفقية الوضع  
 (٦) وهذه الأضراس تدير آلة مدوّرة أصغر منها رأسية الوضع  
 (٧) وهذه تدير عموداً أفقي الوضع  
 (٨) وهذا العمود يدير دائرة خشبية عليها قواديس رأسية الوضع  
 (٩) وهذه القواديس تملأ ماء عند نزولها وتفرغه عند طلوعها ، وهناك تسقى الزرع  
 هذه حيل العباد في اخراج الماء ، أما حكمتي أنا في الهواء فاني حركته فوق الكرة الأرضية وجعلت ،  
 رياحا بالحرارة والبرودة ، اني لو جعلتك أيها الماء وأيتها اليابسة بطبيعة واحدة في الحرارة والبرودة لم تسكن  
 رياح فلا يكون لي خلق ، لذلك أمرتكما أن تكونا مختلفين حرارة وبرودة ، وباختلافكما كانت هذه النعم  
 وهذه المخاوقات ، إن اختلافكما نعمة ، بل هي أصل النعم في الأرض » وهالك إيضاح هذا المقام بالرسم من  
 كتاب « الجغرافيا الرشيدة » فقد جاء فيه ما يأتي :

### تأثير الحرارة في الضغط الجوي



(شكل ١)

نظرية هبوب الرياح

فتصبح كثيفة ويشتد ضغطها على الأهوية المجاورة لها فوق (اب) و (ج د) لأن هذه الطبقات مازالت قليلة  
 الكثافة ، ويترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية فوقية إلى الجانبين في اتجاه السهمين المرسومين في  
 أعلى الشكل

وفي أثناء ذلك يتخلخل الهواء فوق (وز) وتقل كثافته ، على حين أن الهواء لا يزال على جانبيه في  
 (هـ و) و (زح) كثيفا فيترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية سطحية في اتجاه السهمين في أسفل الشكل  
 وباستمرار هبوب هذين التيارين واستمرار تسخين الهواء فوق منطقة (وز) يستمر طلوع الهواء  
 وهبوب التيارات الفوقية تجاه (اب) و (ج د) ، ويؤول أمر هذا الهواء إلى السقوط في اتجاه السهمين  
 الجانبيين على (هـ و) و (زح) ليسد النقص الحادث من انتقال التيارات السطحية

وهالك توضيحا آخر لهذه المسألة بعينها : كما تراه في شكل (٢) الآتي في الصحيفة التالية ففيه رقعة من  
 سطح الأرض (هـ وزح) مقسمة إلى ثلاث مناطق (هـ و) و (وز) و (زح) والمنطقة (وز) مشغولة  
 باليابس ، والمنطقتان (هـ و) و (زح) مشغولتان بالماء

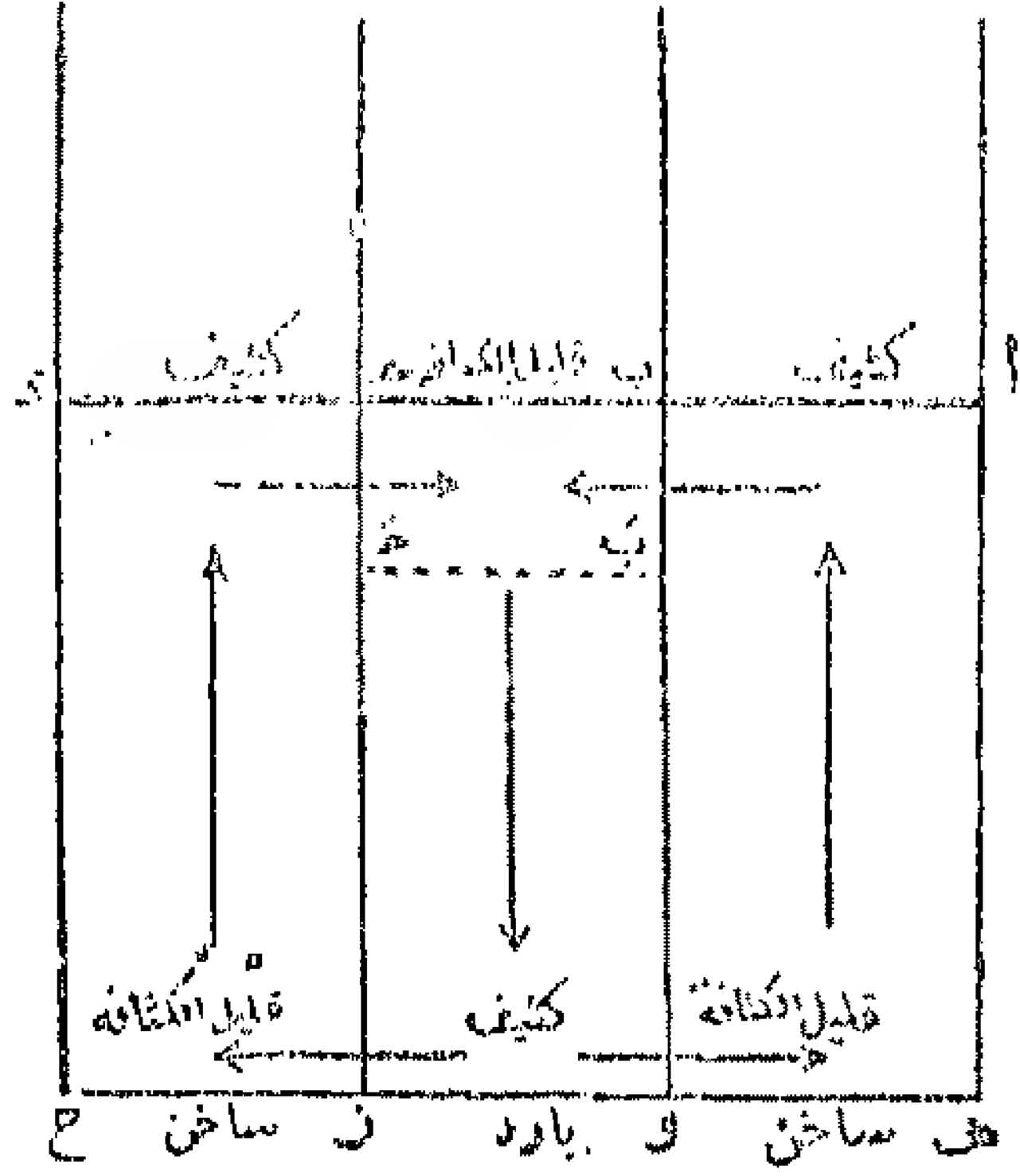
وانظرا لاقبال فصل البرد قد برد اليابس قبل الماء فبرد الهواء فوق (وز) وتقلص وتكاثف وهبط



سطحه من (ب ج) الى (ب ج) على حين أن الهواء لا يزال فوق (هـ و) و (ز ح) عاليا كما كان ، فيرتب على ذلك تياران فوقيان في اتجاه السهمين المرسومين في أعلى الشكل

وفي أثناء ذلك يزداد الضغط عند (وز) ويخف عند كل من (هـ و) و (ز ح) فينشأ عن ذلك تياران سطحيان في اتجاه السهمين المرسومين في أسفل الشكل ( انظر

شكل ٢ )



فيتضح من المثلين السابقين أن التيارات الهوائية السطحية تنقل من الجهات الشديدة البرودة الى جميع الجهات المجاورة ، وهذه التيارات السطحية هي التي تؤثر تأثيرا مباشرا في المناخ وهي التي نخصها بالكلام فيما يلي

وينتج من ذلك نظريا انتقال الرياح من الجهات القطبية الى خط الاستواء ، فيكون اتجاهها من الشمال الى الجنوب في نصف الكرة الشمالي ، ومن الجنوب الى الشمال في نصف الكرة الجنوبي ( شكل ٢ نظرية هبوب الرياح )

### نسيم البحر ونسيم البر

كان الله يقول : « أيتها الأرض . اذا طلعت الشمس عليك فلتسرعى بقبول الحرارة ، وأنت أيها الماء عليك أن تكون بطيء الحرارة ، فاذا فعلتا ذلك فان الهواء الذي يكون فوقك أيتها الأرض يكون أسرع سخونة بمجاورتك ، ومتى أسرع سخنانه خفّ وعلا ، ومتى خفّ وعلا أسرع الهواء الذي فوق الماء جفري فوقك لأن الأثقل يحل محلّ الأخف ، فاذا جاء الليل فلتكوني أيتها الأرض سريعة البرودة ، وانك أنت أيها الماء بطيء البرودة فتكون الحرارة فوقك أكثر منها فوقها واذن يجري الهواء من فوق اليابسة اليك كما كان يجري منك اليها نهارا ، فهذا هو المسمى نسيم البحر ونسيم البر ، فان النسيم يهب من البحر الى البر نهارا ومن البر الى البحر ليلا ، ولذلك يخرج الصيادون في القوارب وقت الفجر مع نسيم البر وفي الضحى يعودون مع نسيم البحر الى الساحل ومعهم السمك ، فهذان النسيان يلطفان مناخ السواحل ، ومثلهما :

### الرياح الموسمية

وكما يخيل لي خطاب الله للبر والبحر يخيل لي خطابه للقارات والمحيطات ، فالقارة بدل البر والمحيط بدل البحر ، والصيف كالنهار والشتاء كالليل ، فثلا تشتد الحرارة على جبال آسيا الوسطى مثل جبال (همالايا) فتقل كثافة الهواء فوقها ، وانك المحيط الهندي لا يكون مثلها ، فتهب الرياح من المحيط المذكور الى آسيا كل ذلك في زمن الصيف ، وهذه تسمى الرياح الموسمية ، وبسببها يكون الري والخصب في سهول الهندستان وهناك يعيش نصف سكان الأرض في الهند والصين واليابان ، وذلك بفضل غزارة الأمطار وتولد الأنهار العظيمة ذات الفيضان السنوي ، وتسكون هناك سهول (غرينية) خصبة تتوافر فيها المواصلات والري وأسباب العيش والرفاهية ، وهكذا يحصل في بلاد الحبشة بالرياح الموسمية أيضا إذ ينشأ بسببها في أول الصيف فيضان النيل وهكذا ساحل (ناتان) في شرقي إفريقيا ، وساحل الولايات المتحدة الجنوبي الشرقي إذ تسقط عليهما أمطار صيفية بمثل هذه الرياح وهكذا الساحل الشرقي لآستراليا ، فاذا جاء الشتاء تنعكس الحال فتبرد هضبات اليابس ويظل البحر دافئا ، فتنشأ رياح تنقل من البر الى البحر وهي جافة لصندورها من الجاف وهو البر فاعجب أيها الذكي لأمرين اثنين : حرارة وبرودة نشأ عنهما سعادة سائر الناس والحيوان على الأرض

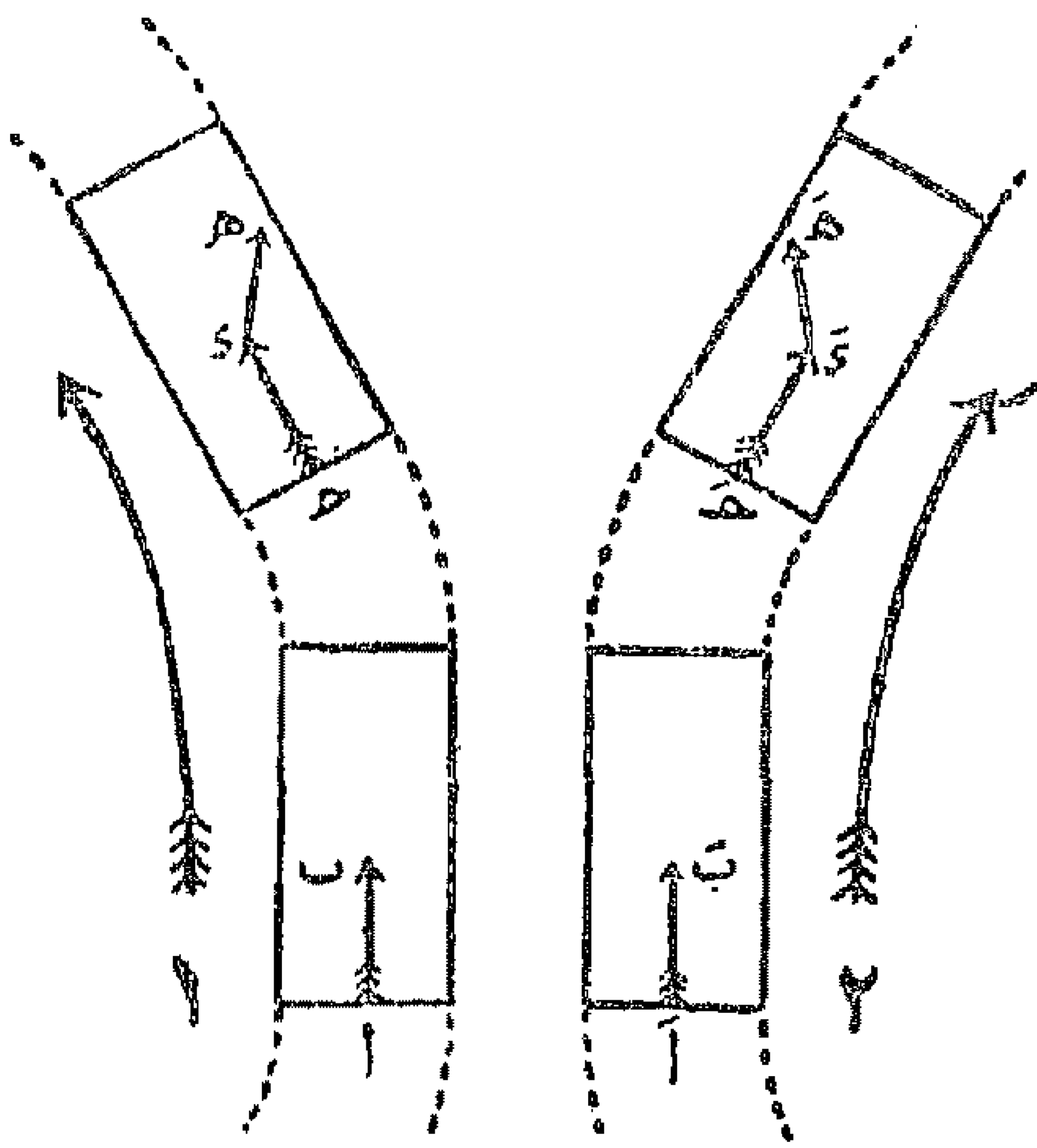
فهذا الهواء فعسل الله به ما فعلناه نحن في النوايع والسواقي وآلاتنا ، ولكن هو أدار الهواء بأمرين اثنين :  
حرارة وبرودة ، وجعل الأرض عدلا ، نسيم من البر إلى البحر وبالعكس ورياح موسمية بحيث يكون مداها  
سنة أشهر ، فهنا ليل ونهار لنسيم البر ونسيم البحر . وههنا صيف وشتاء للرياح الموسمية . وههنا عاشت الأمم  
بهذه الرياح . وهذه الرياح مبنها الحرارة والبرودة

### التيارات البحرية

وقبل الدخول في الكلام على تلك التيارات وخطاب الله عز وجل لها أقدم مقدمة من كتاب الجغرافيا  
الرشيدة يتضح بها المقام وهالك بيانها :

### تأثير دورة الأرض على محورها

تنحرف الرياح في أثناء حركة الأرض على محورها عن اتجاهها الأصلي ، ولتوضيح ذلك نضرب  
المثل الآتي : في شكل (٣)

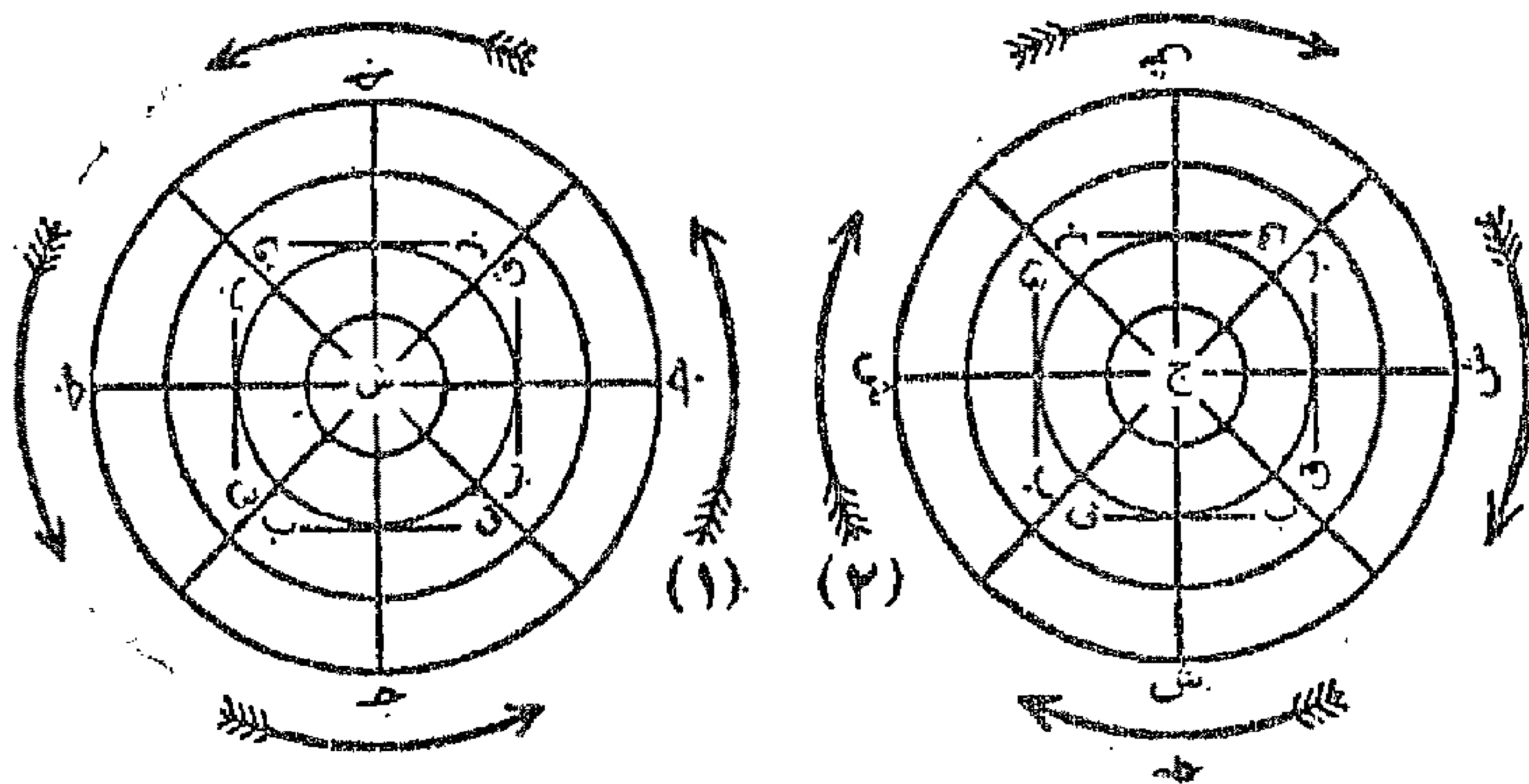


راكب ترام ينظر الى التمثال ت أمام الترام وينتقل متجهها  
نحوه في العربة في الاتجاه اب ثم ينعطف الترام يسارا كما هو  
موضح في القسم الأول من الرسم (١) فاذا كان الراكب  
مقصدا على السير تجاه التمثال فانه ينحرف نحو اليمين ويكون  
جولة سيره في اتجاه السهمين (جد) و (ده) .

وبالعكس من ذلك اذا انعطف الترام يمينا كما هو موضح  
في القسم (٢) من الرسم فان مجموع سيره نحو التمثال يكون  
في اتجاه السهمين (جـ د) و (د هـ)  
ففي كلتا الحالتين يحدث انحراف بعكس انعطاف الترام

(شكل ٣) انعطاف مركبة الترام في طريق منعحن

وكذلك الحال على الأرض : اذ تنحرف الرياح بسبب الدورة اليومية : ففي شكل ٤ شطران : يمثل  
الأول منهما نصف الكرة الشمالي ، ويمثل الثاني النصف الجنوبي .



(شكل ٤ دورة الأرض على محورها)

(١) ففي مركز الدائرة في الشطر الأول القطب الشمالي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه جنوب وبتعيين الشمال  
والجنوب يكون الشرق إلى اليمين والغرب إلى اليسار ، وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم

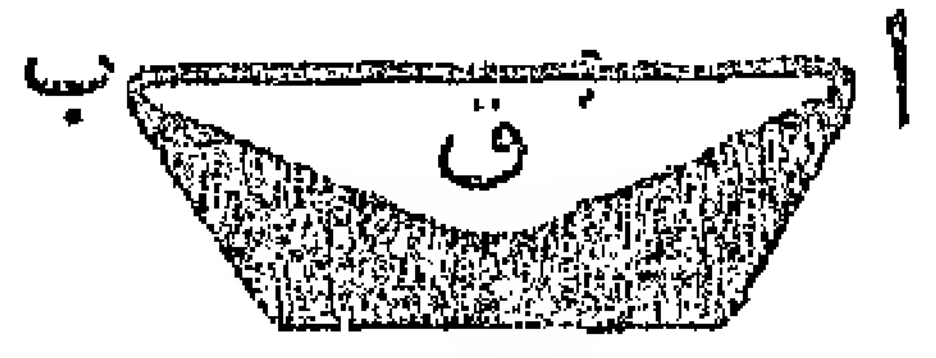
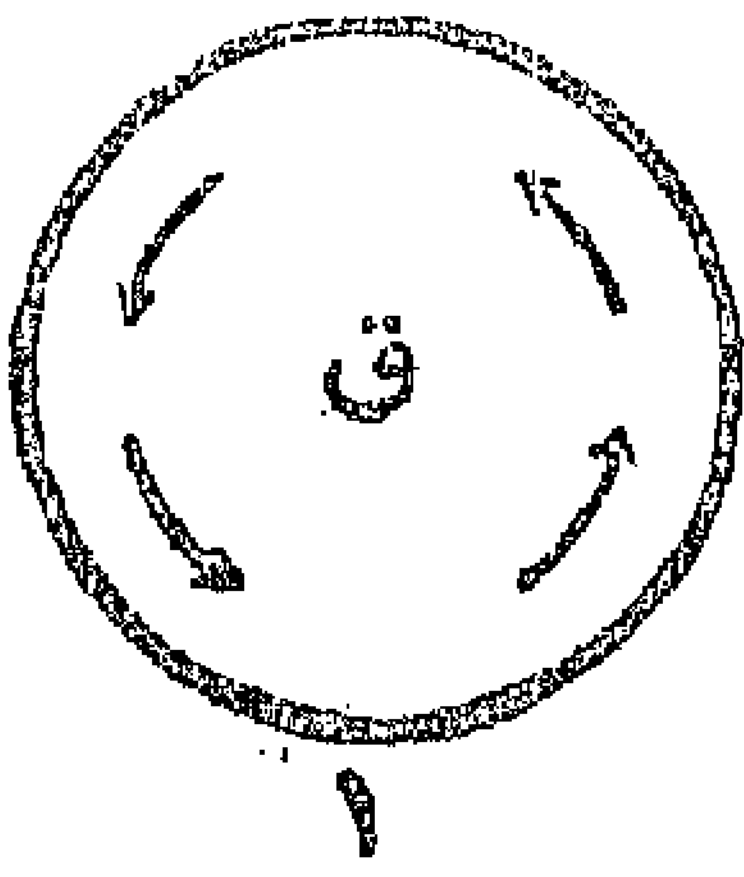


## المحيطة بالدائرة

(٢) وفي مركز الدائرة في الشطر الثاني القطب الجنوبي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه شمال . وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم المحيطة بالدائرة :

فإذا وازنت بين شكل (٣ و ٤) تعرف أن الرياح تنحرف إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي ، وتنحرف إلى اليسار في نصف الكرة الجنوبي : وتسمى هذه القاعدة « قانون فرل » وبمقتضاها تصبح الرياح الشمالية في نصف الكرة الشمالي رياحا شمالية شرقية ، وتصبح الرياح الجنوبية في نصف الكرة الجنوبي جنوبية شرقية

## مناطق الضغط العظيم خلف المدارين



في الشطر الأول من شكل (٥) وعاء فيه ماء ، فإذا دار الماء في الوعاء حول القلب (ق) باستمرار ، لا يلبث أن يهبط سطحه في الوسط ويرتفع عند الحافة ، فيكون سطح الماء كما ترى في الشطر الثاني من الشكل عند (ا ق ب)

(شكل ٥ دوران الماء في الوعاء)

وكذلك حال الهواء على وجه الأرض : إذ تزيحه دورة

الأرض على محورها بعيدا عن القطب ، وتعمل على تكثيفه عند خط الاستواء . ولولا الحرارة عند خط الاستواء لأصبح الهواء عنده كثيفا جدا ، وبالعكس من ذلك مخلخلا عند القطبين بسبب دورة الأرض على محورها لكن هنا عاملان متعاكسان : فالحرارة تعمل على إبعاد منطقة الضغط العظيم عن خط الاستواء ، ودورة الأرض على محورها تعمل على إبعادها عن القطب . ونتيجة منافسة هذين العاملين وجود منطقتي الضغط العظيم حوالي خط عرض ٣٠° شمالا و ٣٠° جنوبا

أما خطا عرض ٦٠° شمالا و ٦٠° جنوبا فيكون الهواء عندهما قليل الكثافة بسبب فصل الدوران في إبعاد الهواء عن القطبين

## الرياح الدورية على وجه الأرض

ينتج مما تقدم ما تراه في (شكل ٦)

فعند خطي العرض ٣٠° شمالا و ٣٠° جنوبا تزيد كثافة الهواء فتهب الرياح منهما إلى خط الاستواء ، وتسمى بالرياح التجارية

وتهب من كل منهما إلى خط عرض ٦٠° الرياح العكسية

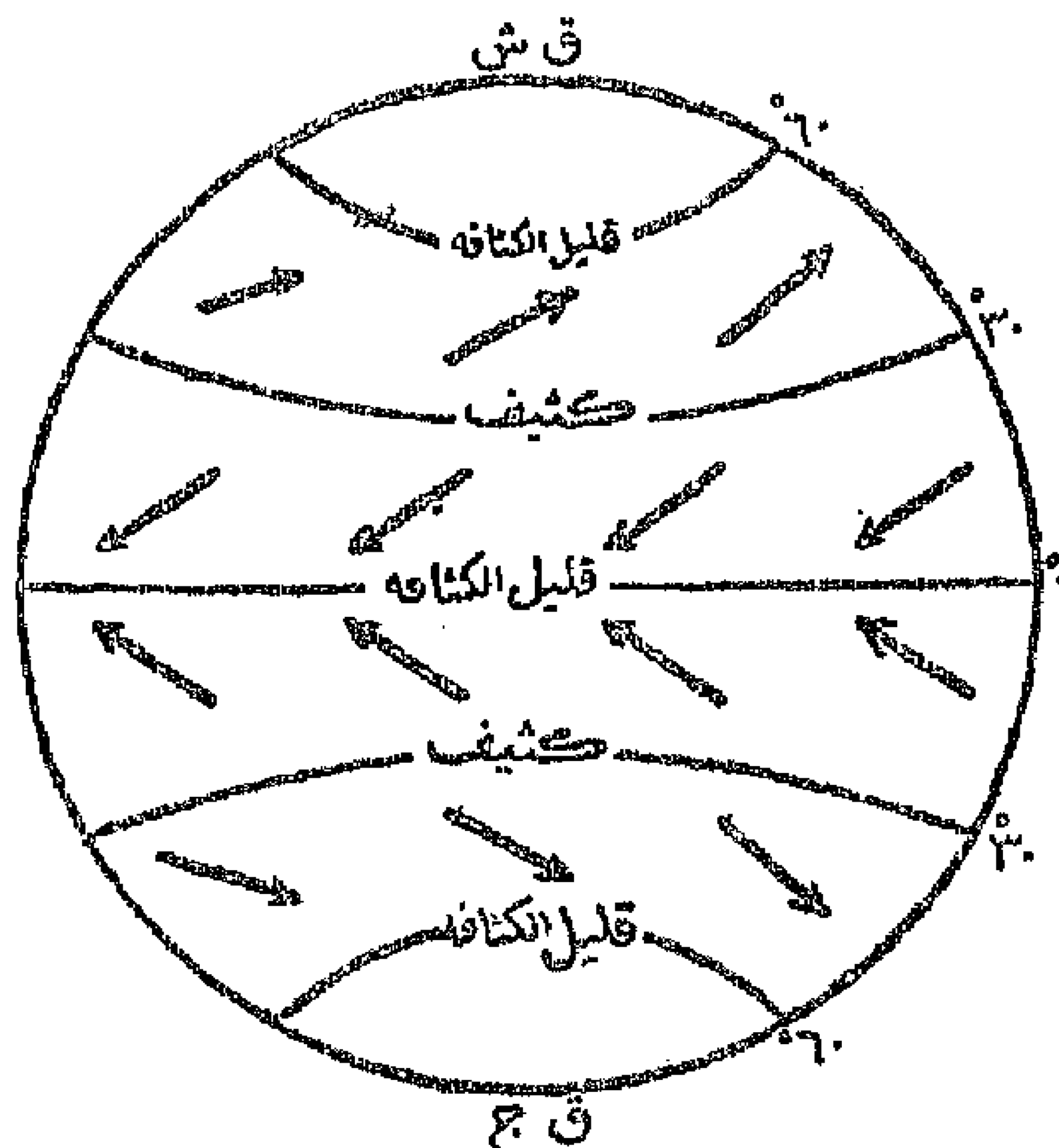
وتنحرف الرياح التجارية نحو الغرب بسبب دورة الأرض على محورها وبذلك يكون انحرافها إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي وإلى

اليسار في النصف الجنوبي

وتنحرف العكسية نحو الشرق أيضا لهذا

السبب

فتهب الرياح التجارية من الشمال الشرق



( شكل ٦ )

الرياح التجارية والرياح العكسية

مناطق هبوبها واتجاهها

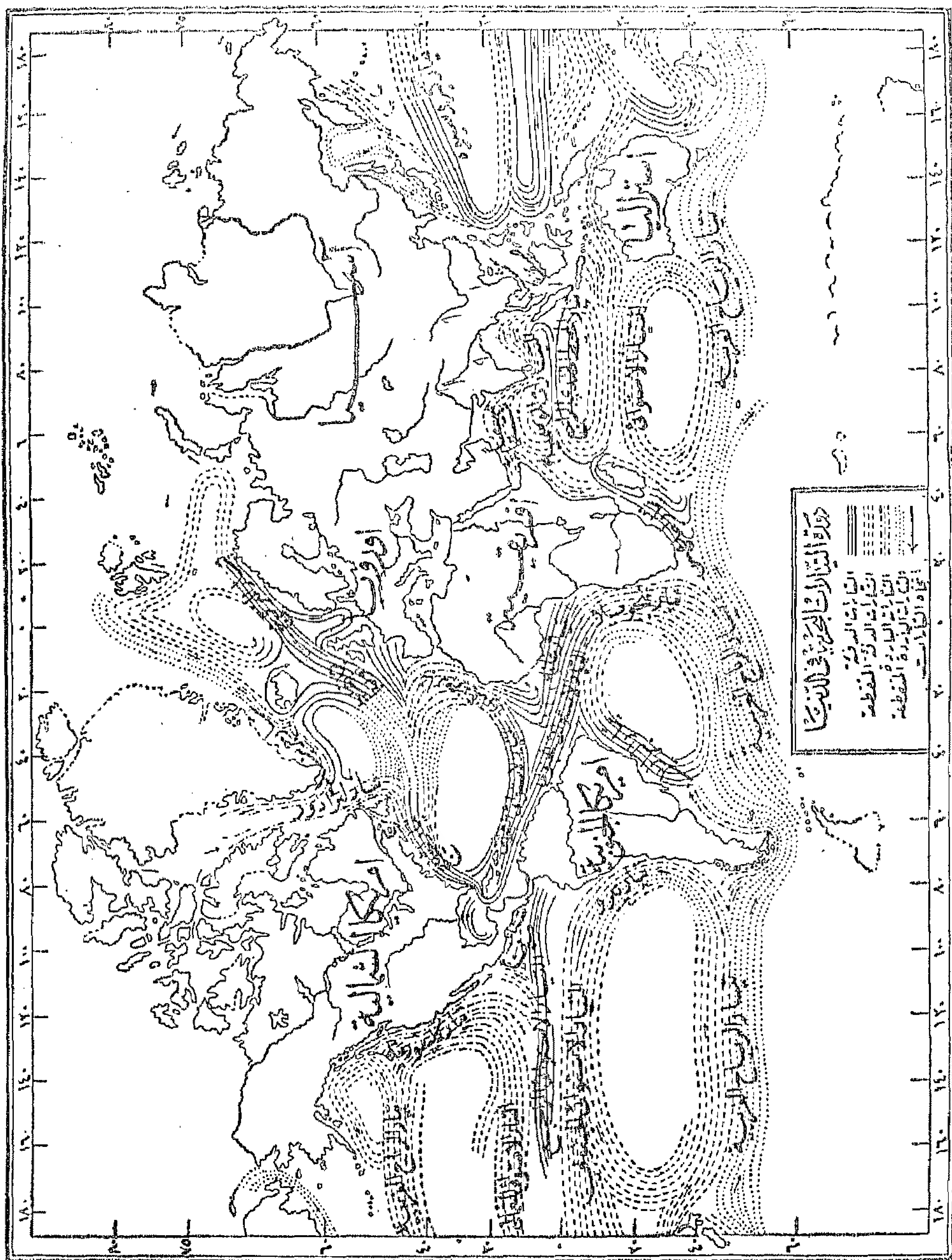
في نصف الكرة الشمالي ، ومن الجنوب الشرقي في النصف الجنوبي ، وتهب الرياح العكسية من الجنوب الغربي في نصف الكرة الشمالي ، ومن الشمال الغربي في النصف الجنوبي . وحول كل من القطبين منطقة ساكنة وعند خط الاستواء منطقة سكون يرتفع عندها الهواء بفعل الحرارة الى الطبقات العليا من الجو ، وعند خط عرض ٣٠ شمالا و ٣٠ جنوبا منطقتان من السكون تسقط عندهما الأهوية من الطبقات العليا انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية الرشيدة

### تلخيص ما تقدم

ههنا أن أذكر ما يجهل لي من خطاب الله عز وجل للماء وكأنه عز وجل يقول : « أيتها المياه ، اسمي ، هاأنذا جعلت الحرارة من الشمس الساقطة على الأرض سببا في إثارة الهواء ، فباختلاف قبول اليابسة والماء لها أدت الرياح فسكانت نسيمات البر وكانت نسيمات البحر ، فإذا كان الليل هبت النسيمات من البر الى البحر لأن جو اليابسة يكون أبرد وجو البحر يكون أقل برودة ، فتجري الرياح من البارد الى الدافئ وهو البر الى الحار المتمدد وهو البحر ، فإذا كان النهار قلبت الوضع وأجريت الرياح من البحر الذي لم تسرع الحرارة فيه الى البر الذي أسرع فيه الحرارة ، فهما متعادلان نسيم من البر الى البحر ونسيم من البحر الى البر ومثله الرياح الموسمية ، ثم اني أدت الكرة الأرضية على محورها من الغرب الى الشرق والمحور متجه من الجنوب الى الشمال ، وبسبب هذا الدوران يفر الهواء من القطبين الى ناحية خط الاستواء لكن خط الاستواء يطرد الهواء بحارته ، فلا يفيض للهواء إلا أن يلتجئ الى نقطة معينة وهي هنا درجة ( ٣٠ ) شمالا ودرجة ثلاثين جنوبا ، وهناك منطقة سكون تتجه منها ريحان : ريح تتجه الى جهة خط الاستواء راجعة وهي المسماة تجارية ، وأخرى تتجه الى ناحية القطبين وتسمى ضدية أو عكسية ، ولابد من انحراف كل من الرياح التجارية والرياح العكسية أو الضدية لأجل تأثير دوران الأرض ( انظر شكل ٧ في صفحة ٦١ ) فههنا يقول الله للرياح التجارية : « أيتها الرياح التجارية الجارية في المحيط الأطلسي عليك أن تحركي تيارين : أحدهما في جنوب خط الاستواء ، وثانيهما في شمال خط الاستواء ، يتجهان معا من سواحل إفريقيا الى سواحل أمريكا ، فأما التيار الاستوائي الجنوبي فعلى بلاد البرازيل أن تصدّه ومتى صدته ينعطف محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية . وأنت أيتها الرياح العكسية أرجعيه ثانيا الى مقره الأول فيرجع الى سواحل إفريقيا ثانيا ، ويتم دورته حول منطقة ساكنة ، وهكذا ليفعل التيار الاستوائي الشمالي ، فليتوجه من سواحل إفريقيا الى خليج المكسيك ، وليسر محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الشمالية ، وأنت أيتها الرياح العكسية وجهيه الى خليج المكسيك ( يسمى تيار الخليج ) وهناك يجب أن يقطع قطعتين فيكون هناك تيار أوروبا الغربية وتيار آخر للتروج ، وهكذا ليكن ذلك في المحيط الهادي ، فلتحرك الرياح التجارية تيارين على جانبي خط الاستواء كهذين ، فأما التيار الاستوائي الذي جهة الجنوب فعليه أن يتوجه من سواحل أمريكا الى سواحل استراليا ، وأنت أيتها الرياح العكسية رديه ثانيا الى أمريكا ، وأما التيار الاستوائي الذي جهة الشمال فعليه أن يتجه من أمريكا أيضا الى ساحل آسيا عند اليابان وهو التيار الاسود ( كوروسيوه ) بالرياح التجارية ، وعليك أيتها الرياح العكسية أن تردّه الى أمريكا ثانيا ، وهكذا لتفعل الرياح التجارية والرياح العكسية حول استراليا في المحيط الهندي ، فلتحركي أيتها الرياح التجارية تيارا واحدا جنوبي خط الاستواء فقط لأن نصف الكرة الشمالي مشغول بقارة آسيا ، وليسر التيار من ساحل استراليا الى سواحل إفريقيا ، وعلى الرياح العكسية أن تردّه الى استراليا ثانيا »

هذا هو الخطاب الإلهي الذي يخيل الى كأنه حقيقة ، وكأن الله عز وجل يقول في منافع هذه التيارات





(شكل ٧)

فيا تيار الخليج ، ويا تيار البرازيل في المحيط الأطلسي ، ويا تيار (كوروسيوه) ، ويا تيار شرق استراليا في المحيط الهادي ، ويا تيار موزمبيق في شرق افريقيا في المحيط الهندي . أنا نقلت بعضا من الجهات الاستوائية الى العروض البعيدة عن خط الاستواء لمقصد سام وحكمة بالغة . وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعبيد ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم في أنفسهم غافلون . أنا نقلتك من الجهات الحارة الى الجهات الباردة لأجل تلطيف كل مناخ تمرين عليه ، أنتى بالتيارين اللذين عند غرب أوروبا وعند الفروج أذبت مياه بحر الشمال مع ان بحر البلطيق الذي يساويه في درجات العرض يكون جامدا خمسة أشهر في السنة . والرياح العكسية لحرارتها أثرت في تيار الخليج فأدفأته فوصل الى سواحل أوروبا دافئا فكان المطر الكثير والدفء العظيم

ثم كأنه عز وجل خاطب البحار القطبية والبحار المدارية قائلاً : « انك أيتها البحار القطبية لم أسلط عليك حراً كثيراً لذلك كان ماؤك محفوظاً فلم يكن منك بخار كثير بل زدتك ومددتك بكثير الثلج فزادك ماء وأما البحار المدارية ان الحرارة ترفع ماؤها الى الجوّ بهيئة بخار . فعليك أيتها البحار الشمالية أن ترسل تيارات مائية الى الأقطار الاستوائية لأني عدل . فاما سمعت هذا الخطاب البحار القطبية الشمالية أرسات من لديها مدداً وهو تيارات بحرية الى خط الاستواء

(١) مثل تيار (إبرادو) الذي يحاذي سواحل (جرينلند) و (إبرادو) و (نيوفنلند) ثم يقابل تيار الخليج وهودافى فيتلاشى فيه

(٢) وتيار شمالي شرق اليابان الذي يحاذي شبه جزيرة (كشتكا) و جزيرة (يسو) ومتى قابل تيار (كوروسيوه) يتلاشى فيه

(٣) وهكذا المحيط المنجمد الجنوبي أرسل تياره حول الدنيا من الغرب الى الشرق دائماً سائراً مع الرياح العكسية الغربية ، ومتى قابل الأطراف الجنوبية لافريقية وأستراليا وأمريكا الجنوبية يتفرّع منه تيارات في المحيط الأطلسي وفي المحيط الهندي وفي المحيط الهادي ، وهذه كلها تقابلها تيارات دافئة لتخفيها وتعددها ، فأنت أيتها التيارات الباردة لك آثار حسنة ، فانك تؤثرين في جهات (جويسو) في اليابان فتكون أبرد من (جوهنشو) وفي مناخ جهات (بيرو) في غرب أمريكا الجنوبية فان حرارتها تكون ألطف مع قربها من خط الاستواء الموجب لشدة الحرارة ، ولقد جعلتك أيتها التيارات الباردة أشبه بالفعلة والصناع إذ ينقلون التراب والحجارة من مكان الى مكان لاصلاح البقاع والبناء ونحو ذلك ، فأنت تحملين الثلج ومعه صخر ، فتى وصلت بثلجك وصخرك الى شواطئ القارّات تكون هناك مساحات واسعة مرتفعة عند سواحل (نيوفونلاند) بالمحيط الأطلسي وعند سواحل الشمالى الشرقى لليابان ، وماهى إلا صخور ذات الثلج الذي كان معها أصبحت هي محال لتربية السمك فيصطاده الناس عند تلك السواحل ، إذن أنت أيها التيارات الباردة تحملين برودة معك لتلطيف الحر وتصنعين صنع البنائين والفعلة ، فانك تبينين أما كن للسمك يصطاده الصيادون

### خطاب الله للناس

وكأنى أسمع خطابه للناس إذ يقول : « يا بني آدم ، أين عقولكم ، وأين أحلامكم ، أليست هذه آياتي ، فمن آياتي الرياح في البحر كالأعلام ، ولواني أسكنت الريح بسبب اتحاد الحرارة على الماء واليابسة لم تكن رياح ولم تكن تيارات ، انظروا يا عبادي ، فمن أين تكون تيارات حارة تنفذ الى غرب أوروبا وعند الفروج فتذيب بحر الشمال لمنفعة عبادي في أرضي ، ومن أين تكون تيارات باردة تذهب الى (بيرو) في غرب أمريكا الجنوبية فتلطّف حرارتها ، سياسة أبدعت ، وحكمة نظمت ، وآيات وعجب ! هذه عجائب صنعى ما خلقتها لكم عبداً . أتم قلدتم الطيور فطرتم في الجوّ بطياراتكم ، وقلدتم الخمل في الحرب . والاسود في الافتراس ، تفرحون وتمرحون وتقولون قد امتطينا الطيارات وقتلنا الأُمم بالقذائف النارية وتظنون انكم بهذا مفلحون كلا . ثم كلا . وعزّتى وجلالى . ان هذه إلا أساليب الشياطين وأخلاق الحيوان والسباع . فاذا لم يفهم أهل الأرض حكمتى فاني سأهلكهم أجمعين أكتعين أبصعين

أيها الجهلاء . أيها الغافلون : ألم يأتكم نبأ تيارات الماء المذكورة . ألم تروها تجري من الجهات الباردة الى الحارة ومن الحارة الى الباردة لاصلاح أحوال عبادي ، فهاهي هذه التيارات القطبية تجري الى جهات الاستواء لتلطّف الحرارة والتيارات الاستوائية تتجه الى الجهات الباردة فتقلل برودتها ، ألم يكن هذا درساً



لكم ، ألم بأن لكم يا أهل الشرق ويا أهل الغرب أن تكون سياستكم كسياستي ، هذه سياستي فن الذي يقلدها ؟ أعوام السملته أم عوام التواب . كلا . بل أنتم المقصودون بتقليدها ، نعم أنتم قلتم في الأمور الشهوية ، فطرتم في الجوع لتغيروا على غيركم ، أولسافروا لأغراضكم الخاصة ، ولكنكم قط لم تدرخوا حكمته ولم تقلدوني في صناعتي ، أنا بالحرارة واختلافها أجريت الرياح وأجريت التيارات شرقا وغربا ، هكذا فلتكن حرارة العلم متأججة في قلوب الناس شرقا وغربا ، ولتكن منها جاذبية في قلوب الأمم كلها في نظام السياسة والاتحاد كما سرت الجاذبية في التيارات وانتظمت بها تيارات تشبه الأقطاع الناقصة التي تسير فيها الكواكب في السماء فأصبحت التيارات البحرية من إفريقيا إلى أمريكا ومن أمريكا إلى استراليا وآسيا وهكذا كلها متجهات إلى تسكون قطع ناقص تشبهها بنظام الكواكب في سيرها لأن كل أم يتبعها ولدها ، وكأنها أشارت أن نظام الانسان في المستقبل سيكون أشبه بنظام هذه التيارات والرياح التي يمد الحار منها البلاد الباردة والبارد منه البلاد الحارة ، ألم بأن لكم أيها الناس أن تجعلوا أئمتكم واحدة فقويها بواصي ضعيفها وتناطفون في الهداية والسياسة بحيث يكون المتوحشون في كنف المتعلمين من جيرانهم ، ليكن مسلحو إفريقيا نورا لمتوحشيتها ، وهكذا ليكن الناس بعضهم لبعض معين ومساعد كما ظهر في التيارات البحرية باردة وحارة ومن عجب أن تكون هذه الآية في سورة الشورى ، فان لم يكن العالم كله أمة واحدة الشورى أفلا يكون المسلمون وحدهم أمة شورية ١ والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ٣ مايو سنة ١٩٣١

### جوهرة في قوله تعالى : ان يشأ يسكن الريح فيظلمن روا كد على ظهره

نظرة راكب السفينة فيما حوله من الماء والأرض

لراكب السفينة نظرات فيما حوله ، فتارة ينظر في الرياح واتجاهها واختلافها وتأنجها كما تقدم هنا ، وتارة أخرى ينظر في جوهر الماء والبحر والبر وصور المخلوقات البرية والبحرية ، فيرى أشكالا وألوانا وعجائب وهذا تقرأه في ﴿سورة الروم﴾ في قوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها . وانهم مفطورون على البحث في الأشكال والأحوال والحكم على هذه المادة بأشكالها وبيان مساحتها ونظمها المختلفات وأن هذه العقول بقوتها العظيمة لم تحتاج في مساحة محيطات الدوائر ، ولا في مساحة الدوائر ، ولا في مساحة سطح الكرة ولا في معرفة حجم الكرة إلا أن تمسح نصف القطر ، دلالة على حكمة مبدعها وقدرته وعلمه ونوره الذي ألقاه على هذه النفس فنفتت إلى سويداء الأجسام فأخترقتها وحكمتها وحكمت عليها بنصف القطر وحده بحيث تربعه تارة وتسكبه أخرى وتضربه في أعداد معلومة محفوظة ، كل ذلك تقرأه في سورة الروم ، ولكن المقام الذي يليق أن يوضح هنا أبهج رونقا وأبهى منظرا وأشرق نورا وأليق بهذا المقام ، لأن ذلك عام في كل ذي شكل في بر أو بحر ، أما ما هنا فانه يختص بالماء والسماء

#### الماء والسماء

إن راكب السفينة يرى بعينه نجوم السماء وأمواج الماء ، فهو بين نجوم وماء ، فلا جرم يحب أن يقرأ عجائبهما ، ولتعلم أن هذه العالوم مبينة بالبراهين معروفة بالقوانين فلا يصدنك عنها قول كثير من المتظاهرين بالعلم انها ظنون أو أوهام . كلا . فلا علم إلا وله براهين أفنعت أهله وكل من دخل معهم اعترف بصدق نظرياتهم فاذا قرأت ماسأفصه عليك فلا يخدعك هه خادع ، ولا يصدنك عنه مارق ، يقول لجهله ولخسده : ماهذه إلا ظنون ، فلتقرأ وتدرس وتعلم أن هذا هو الذي يطلبه الله ودينه ونبيه ﷺ

إن العلماء كما بحثوا الأشكال وعرفوا مساحتها أدركوا أيضا أبعادها ، فعرفوا أبعاد الشمس والقمر والكواكب ووصلوا إلى أن عرفوا أن من أبعاد الكواكب ما وصل إلى مائة مليون سنة بحيث إن نور تلك

الكواكب لم يصل بعد خروجه من كوكبه إلى أرضنا إلا بعد أن قطع في سيره مائة مليون سنة وهذا واضح في غير هذا المكان من التفسير ، وهذه المقادير وإن كانت تقربية قام عليها البرهان أى البرهان الهندسى بحيث يستعملون في ذلك المثلثات التى لها أحوال خاصة ، وعلم الهندسة علم يقينى ، غاية الأمر أن المقادير تزيد وتنقص على حسب آلة الرصد لا غير ، فلا يصدك من ذلك قول القائل : « إن علم الفلك علم يخطئ كثيرا » فان هذا القول صادق في علم أحكام النجوم وهو العلم الذى يخبر بالحوادث المستقبلية ، فهذا العلم يكذبه العقل ويخطئه النقل ، فأما حساب السنين والشهور وأبعاد الكواكب فذلك قامت عليه البراهين ، إذن فلأشعر في الكلام على السماء ثم أتبعه بالكلام على الماء

### الكلام على السماء

إن راكب السفينة بعد أن يدرس الرياح المتقدمة يخطر بباله ما يرى فوقه من النجوم ، وهذه النجوم قد تقدم الكلام عليها في مواطن كثيرة ، ولكن الذى أذكره هنا هو الكلام على مدة دورانها في الفلك كما أذكر في الماء القوانين العامة التى بها غاص فيه أجسام وعام على سطحه أجسام أخرى ، فان ثقل الأجسام وخفتها يؤثران في صعودها على سطح الماء وستوطها في قاع البحار ، كما أن السيارات تختلف مدة دورانها حول الشمس باختلاف أبعادها وأحجامها وقوتها الطاردة والجاذبة ، وسأوضح هذا ليجب الأذكاء من نجوم باهرات سارت بقوانين لا تختلف على مدى الأزمان ، ومن ماء جيسل يستقبل الأجسام في أسفله تارة وفي أعلاه تارة أخرى بقوانين بحيث يخرج المطالع على هذا بعد فهم هذا الموضوع وقد تحلت نفسه بحلية العلم وابتهجت بزينة الجبال وعرفت سرا من نبا قوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين - وأدركت قبسة من نور قوله تعالى - والسماء بفيهاها بأيدى وأنا لموسعون - ومن قوله أيضا - والسماء رفعها ووضع الميزان - ألا تطفؤا في الميزان -

ينظر راكب السفينة في السماء فيجد الكواكب تنقسم قسمين : سيارات وثوابت ، فالثوابت هي كل ما نراه في السماء من الكواكب إلا قليلا والقليل هي السيارات والسيارات تسير حول الشمس ، فمنها :

- (١) عطارد يدور حول الشمس في (٨٨) يوما تقريبا ، ويبعد عن الأرض (٥٧) مليون كيلومترا
- (٢) الزهراء تبعد عن الشمس (١٠٧) مليون كيلومترا ، وأبعادها عن الشمس تقرب من أبعاد الأرض عنها

- (٣) المريخ : السيار الذى يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض وهي معروفة فيما تقدم في أجزاء هذا التفسير والذى يليها هو المريخ ، وبعده المتوسط عن الشمس قدر بعد الأرض عنها مرة ونصف مرة ومقداره (٢٢٥) مليون كيلومترا تقريبا ، والقطر الظاهري من المريخ يساوى (٥٤ ر) من قطر الأرض تقريبا أعنى (٦٨٠٠) كيلومترا ، وحجم المريخ (٠١٤٧) من حجم الأرض ، ودورته السنوية مركبة من (٦٦٩) يوما نجميا للمريخ

- (٤) المشترى هو قدر حجم الأرض (١٣٠٠) مرة وقطره يساوى (١٤٠٠٠٠) كيلومترا فهو قدر خط الاستواء الأرضى (١١) مرة ، وبعده المتوسط عن الشمس يساوى (٧٧٠) كيلومتر وسفته (١٢) سنة من السنين الأرضية

- (٥) زحل : البعد المتوسط لرحل عن الشمس هو قدر بعد الأرض عنها تسع مرات ونصف أعنى (١٤٠٠) كيلومتر تقريبا ويقطع الفلك في (١٠٧٥٩) يوما أعنى (٢٩) سنة ونصف تقريبا ، وحجم زحل قدر حجم الأرض (٧١٨) مرة وقطره الاستوائى هو (٩٢٩٩)



(٦) أورانوس : مدة دورته حول الشمس (٨٤) سنة تقريبا أو (٣٠٦٨٧٧) يوما بالضبط وبعده عن الشمس (٧٠٨) مليون فرسخ ، وحجمه قدر حجم الأرض (٦٩) مرة ، وقطر كرهه (٤٢٥) بأخذ قطر الأرض وحده

(٧) نبتون : بعده المتوسط عن الشمس (١١٠٧٠٠٠) فرسخ وهو أبعد السيارات ويتم دورته في ١٢٥ سنة وقطره (٣٨٠) بالنسبة لقطر الأرض

هذه هي السيارات المعروفة التي عرفها الانسان الآن ، اختلفت أحجامها وأبعادها وأضواؤها ومدد دوراتها ، والمهم في هذا المقام انها مع هذا الاختلاف قد حفظت أبعادها ومدد دوراتها فلم تتغير ، فلا فرق بين أرضنا وبين تلك الكواكب في حفظ مدد دوراتها

اللهم أزل الفسادة عن عقولنا ، هذه المعامات البسيطة التي ذكرتها هنا ليست إلا شيئا يسيرا جدا مما تقدم في مواضع في هذا التفسير ، ذكرتها ليتفكر راكب السفينة في عجائب الكواكب ، تلك الكواكب التي لا تخطئ في سيرها ولا تتعدى مارسم لها من مداراتها تذكرة لقوله تعالى - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فتضاهى سبع سموات في يومين - فهذه سبع سيارات منظمات سواهن الله عز وجل ونظمهن وأحكمهن وقال لهن : « سرن أيتها السيارات في طرقكن ولا تتعدين مارسمته لكن » سارت هذه السيارات وهي طائفة مختارة ولم تخطئ في المسير ولم تنقص في سيرها ولم تزد ثمانية وأمددة وهذا هو السبب في بقاء هذا العالم منظما آمدا وآمادا . إذن فلننظر في

### عالم الماء

هنا نحن أولاء نظرنّا عوالم السماء فرأيناها منظمة سائرة بحكمة وعلم تامين ، فلننظر في عوالم الماء التي تسير السفينة فوقها فهل نجد لها قوانين تشبه تلك القوانين بحيث نفهم به قول الله تعالى - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

هنا نحن أولاء عرفنا من هذا المقام ومن غيره كيف كانت عوالم السماء قد أتت لربها طائعة ، فهل فعلت مثلها عوالم الأرض وأنت طائعة ، نحن لانعرف ذلك إلا بالدراسة فنقول :

إن في علم الطبيعة تعرف الكثافة والوزن النوعي ، يقولون ان كثافة الجسم هي كتلة وحدة حجمه وهذه الجلة في ظاهرها غير مفهومة ولكنها لا بد من ذكرها وفهمها والسير في هذه المباحث حتى نعرف أن عوالم الماء كهوالم السماء لها قوانين وقد أطاعت الله كما أطاعته الكواكب . وكل منهما يحتاج الى دراسة تامة . يقولون ان كتلة السنتيمتر المكعب من الحديد تساوي (٧٨) من الجرامات ، وكتلة السنتيمتر المكعب من الزئبق تساوي (١٣٦) من الجرامات ، وكتلة السنتيمتر المكعب من البلاطين تساوي (٢١٥) من الجرامات ، فكثافة هذه الأجسام هكذا بالترتيب (٧٨) و (١٣٦) و (٢١٥) من الجرامات ومعنى هذا أن الحديد والزئبق والبلاطين اذا أخذنا منها مقادير مساوية لحجم السنتيمتر المكعب من الماء فان أوزانها تزيد عليه بهذه المقادير فيكون الحديد أثقل منه (٧٨) والزئبق أثقل منه (١٣٦) والبلاطين أثقل منه (٢١٥) وهذا هو الوزن النوعي ، لأن الوزن النوعي لجسم هو النسبة بين حجمين متساويين منه ، ومن الماء المقطر وهو في درجة (٤) فوق الصفر من الميزان المئوي (سنتغراد)

وهنا لا بد من ذكر قاعدة (أرشميدس) وهي كل جسم مغمور في سائل يكون مدفوعا من أسفل الى أعلى بقوة تساوي وزن مقدار من السائل حجمه يساوي حجم الجسم (و بعبارة أخرى) « وزن السائل الذي يحل محله الجسم » وينتج من هذه القاعدة ما يأتي :

إذا طفا جسم على سطح سائل كان وزنه مساويا وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه ، ولهذا السبب يطفو الرخام والحديد على سطح الزئبق ، ويمكن أن تطفو الأجسام السكيفة جدا على سطح الماء إذا كانت مشمكة بشكل يمكن معه أن يكون وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه مساويا لوزن الجسم كله ، مثلا الكرة المعدنية الجوفاء التي حجمها (١٠٠) سنتيمترا مكعبا ووزنها (٦٠) جراما لا ينغمس منها في الماء إلا مقدار يحل محل (٦٠) سنتيمترا مكعبا فقط ، وفي هذه الحالة يكون وزن الماء مساويا وزن (٦٠) جراما وهو وزن الكرة المعدنية ، والسفينة التي وزن (٥٠٠٠) طنولاته لا يمكن أن تطفو فوق الماء إلا إذا زاد حجمها على (٥٠٠٠) متر مكعب حتى يحل الجزء المنغمس منها محل هذا القدر من الماء ولذلك تطفو السفن التي من الحديد فوق الماء ، مع ان كثافة هذا المعدن أعظم كثيرا من كثافة الماء

ومن العجيب أن العلماء أوجدوا الوزن النوعي للأجسام بطريقتي الطفو ، فيضعون مثلامن الباط متوازي مستطيل في وعاء فيه ماء فيطفو فوق سطحه ، ويحسبون الجزء الطافي والجزء المنغمس في الماء ويطرحون الطافي من المنغمس ، فالباقي يكون هو الوزن النوعي للباط وهو طبعها أخف من الماء بعكس الحديد والزئبق والبلاطين والذهب فانها أثقل من الماء

أليس هذا عجبا ! أن الماء يصبح حكما في ورقة كثافة الأجسام (وكنها) المنسوجة في أحجامها ، فالكتل المنسوجة في الأحجام التي تعرف بها كثافة الجسم يظهرها الماء ، فان كانت الأجسام أخف من الماء طفت ، أو أثقل انغمست ، وهناك درجات معينة لثقل الأجسام وخفتها قد أظهرها نفس الذي جعله الله ميزانا يوزن به ثقل الأجسام وخفتها

ههنا علمت أيها الذكي لماذا ذكرنا هنا كواكب السماء ومقادير أبعادها وأحجامها وعدد حركاتها فان أجسام المعادن والخشب وغيرها ثقلت وخفت بمقادير معينة عينها الماء وأوضحها أيما إيضاح كما تعينت الأبعاد والأحجام في السيارات ونسبنا أحجامها ونسبها الى حجم الأرض ونسبها ، والنسب الكوكبية في السيارات لا تتغير والنسب الوزنية في الأجسام الأرضية ووزنها النوعي لا يتغير ، وهذا قوله تعالى - قالنا أتينا طائعين - فهذه هي الطاعة ، طاعة الكواكب وطاعة الأجرام الأرضية ، بل الطاعتان ترجعان لأمر واحد هو الجاذبية فالحديد ثقيل وخشب الباط المتقدم خفيف ، ففاصل الحديد في الماء وطفا الخشب على الماء ، ذلك لأن الحديد أكتف من الخشب ، فلذلك انجذب الى الأرض على مقدار كثافته ، فكان أسرع نزولا اليها ، فقلنا هذا ثقيل ، فلكل من الخفيف والثقيل حركات تخصه نسبيها ثقلا وخفة كما اختلفت حركات الكواكب بالنسبة لاختلاف أوصافها وأحوالها وأبعادها ، ولقد بنوا على قاعدة (أرشميدس) تطبيقات أخرى وهالك بيانها :

(١) منها أن انغماس السفن في مياه البحار الملحة أقل من انغماسها في مياه الأنهار العذبة  
(٢) ومنها أن السمك يتمكن من الغوص في الماء إذا ضفط حوصلته وبعده فيه إذا مددها فانسعت ، فبالضفط والتمدد لحوصلة العوم فيه يضم جسمه فيغوص في الماء أو يكبر فيرتفع ، وهذه الحوصلة يراها الانسان وهو بأكل السمك

(٣) ومنها أن السفينة إذا مست قرار البحر أو غاصت في رماله ، فلنجاتها وانقاذها تروى بط في سفينة أخرى عائمة ثقيلة الحمل ، ثم يلقى محمولها فترتفع وترتفع معها السفينة الفائضة الغارقة

(٤) ومنها أن جثث الغرقى تطفو على سطح الماء بعد أيام لأنها تحللت مادتها فتسكونت فيها غارات تصيرها أقل كثافة من الماء فتطفو عليه

\*\*\*

هنالك حضر صاحب العالم الذي اعتاد أن يسألني في مسائل هذا التفسير . فقال : ههنا سمعت كلمات



ربما تكون غامضة على كثير من قراء هذا التفدير ، وأنا رأيت انك تريد أن تجعله سهلا لجميع القراء ، ذكرت السفينة التي وزن ( ٥٠٠٠ ) طونولاته ، وذكرت الجرام ، وذكرت السنتيمتر المكعب ، فكل هذه الفاظ تحتاج الى ايضاح . فقلت : اعلم أن الله عزوجل كما جعل الماء في الأرض حياة لأبجسامنا ونماء لزرعنا وأنعامنا جعله ميزانا لأعمالنا ، والموازين على قسمين : موازين طبيعية ، وموازين صناعية . فالموازين الصناعية هي التي سألتني عنها . فأما الموازين الطبيعية فهي الوزن النوعي ، ومعنى هذا اننا نعرف تراكم المادة في الرصاص أكثر من تراكمها في النحاس ، ونعرف تراكمها في النحاس أكثر منه في الحديد ، وفي الحديد أكثر منه في الخشب بموازنته بالماء ، فالماء هو الذي يحكم بينها ، ولقد وجد العلماء ما يأتي :

الاردواز : وزنه النوعي ٢٧٧ والبلاطين : وزنه النوعي ٢١٠٥ والحديد ٧٨٦ والرصاص ٧٨١ والذهب ١٩٣٣٢ والرخام ٢٨٨ والرصاص ١١٣٧٧ والعاج ١٠٩ والفضة ١٠٥ والفلين ٢٦٠ والفولاذ ٧٩٩ والقصدير ٧٢٩ والسكهرمان ١٠١ واللبخ ٥٨٠ والماس ٣٥٢ والنحاس المطروق ٨٩٩ والنيكل ٨٩٩

هذه أشهر الموازين النوعية ، فإذا أثبت بالعاج وعرفت منه حجما خاصا فانك تجد وزنه يساوي الحجم الذي يساويه من الماء مرة و ٩ من عشرة من ذلك الوزن ، وإذا فعلت مثل ذلك في الذهب رأيت كثرة الذهب أثقل من نظيرتها من الماء أي المساوية لها في الحجم ١٩ مرة ونحو ثلث المرة وهكذا .

فهذا هو الماء الذي جعل معيارا للوزن النوعي لهذه المخلوقات ، الماء معيار للوزن النوعي ، ولماذا كان كذلك ؟ ذلك لسرّ الربوبية ، سرّ خفي ، سرّ مجهول للناس ، الناس يركبون السفن ويهيم تسييرهم قطر الى قطر ، ولا يعرفون منها إلا أنهم بها يصاون لأغراضهم ، وفاتهم أن حياتهم قصيرة ، وأنهم خلقوا في الأرض للدراسة ، وأن هذه العقول لم توضع في أدمغتهم إلا للدراسة ، يركبون السفن ويففلون عن السرّ الذي حفظها ، ويففلون عن قول بحري السفن في البحر . ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور .

إذن الآيات على قسمين : آيات في نفس السفن ، وآيات في هبوب الرياح . أما آيات الرياح فقد تقدمت قبل هذا المقام مستوفاة . أما آيات نفس السفن فهي التي نحن بصدد الكلام عليها

العقول النائمة لاتعقل أن في السفن آيات ، ولكن العقول المفكرة تدرس السفن وتعقل الوزن النوعي لها ، وتدرس قوانين صعودها فوق سطح الماء ، وتعرف أن هذا الماء أمره عظيم . إن أمر الماء وبقائه متناسب الأجزاء محفوظة القوام هو الذي به بقيت السفن وحفظت وجرت ، ولو أن أجزاء الماء اختل نظامها لفرقت السفن ، كما ان الكواكب التي تقدم وصفها لابقاء لها في مداراتها إلا بمسك أمسكها فبقيت في مداراتها ، إذن هنا أمسك أمسك الكواكب في مداراتها ويمسك ذرات الماء فتبقى متلاصقة متماسكة ويمسك ذرات الحديد والنحاس والذهب فتبقى متماسكة ثابتة ، ولولا هذا الممسك لم يستقر قرار لهذه الموجودات .

سبحانك اللهم وبحمدك . أثرت السبل بالعلم ، وحفظت هذه الدنيا . وأنت نظامها . هذا العالم الذي نعيش فيه كله مركب من مادة في غاية الصغر وأجزاؤها الدقيقة وهي الجواهر الفردة بينها مسافات في غاية الصغر ويسمونها المسافات ( الجزيئية ) ولم ير أحد الجواهر الفرد المذكور ولم يقد دليل على وجوده ولكنهم اقتنعوا به في تحليل الطواهر ، ولقد أظهر المنظار المعظم أن آلاف الآلاف من المخلوقات الحية تعيش في قطرة ماء كما ذكرناه كثيرا في هذا التفسير ، وهذا القول يدرس الآن في مدارس الشرق والغرب فلا خلاف فيه ولا منكر له ، وهذه الملايين من الأحياء تنمو وتتكاثر هناك ، ولا يخاف منها مستنقع ، وهي تنغذي بدقائق أصغر منها لا تكاد تدرك لصغرها ، ومع ذلك يعتبر الجواهر الفرد أصغر من هذا كله

إن السلامة الانجائى (وليم تسمن) توصل بطريق الحساب الى ما يأتى : « اذا تصورنا قطرة ماء تمددت حتى بلغ حجمها حجم الأرض ما بلغ حجم الجزىء فيها حجم رملة »  
 فاذا كانت هذه حال المادة من الصغر والكثرة ومساقتها الصغيرة بين تلك المواد الدقيقة فليس يحفظها متلاصقة مجتمعة إلا أمر آخر هو الذى يسمى « قوة التماسك »

يقول علماء الطبيعة : « إن كل جزء من نوع واحد يجذب كل منهما الآخر بقوة تتغير تبعاً للطبيعة مادتهما وتقوى تبعاً لصف المسافة بينهما ، وخاصة التجاذب هذه المسماة « قوة التماسك » واضحة جداً فى الأجسام الصلبة ، وأقل وضوحاً فى السوائل ، ومعدومة فى الغازات . فتقوة التماسك المذكورة هى القوة التى بها حفظت دقائق الماء متلاصقة بحال واحدة ، وكرات الكواكب فى السماء فى مداراتها وهو المعبّر عنه بقوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده -

فهذا عرفنا بعض آيات الله فى السفن الجارية فى البحر كالأعلام ، فهى جرت فى البحر لأن ذرات الماء الدقيقة جداً ذات المسافات الصغيرة بقيت متماسكة بحال واحدة فى جميع الأزمان فعاث الناس آمين ، يسافرون عليها ولا يخافون افتراق هذه الأجزاء فتفرق السفن لأن الله لا يخلف وعده « وعده الله لا يخلف الله وعده » فالله لا يخلف وعده فى حفظ الكواكب فى مداراتها وفى سيرها منظمه ، ولا فى انتظام أجزاء المادة وتلاصقها وبقائها محفوظة كما حفظت الكرات السماوية ، فبقى الناس آمين على انتظام أزماتهم وساعاتهم ، وآمين من الفرق فلا تفرق أجزاء الماء المتصقة ، إذن هنا قوة حافظة لهذه العوالم كلها ، وكذلك الله لا يخلف وعده فى حفظ أجزاء الحديد والنحاس والذهب والفضة والخشب ، فهو يبقها بالقوة التى تمسكها فتبقى بوزنها النوعى ، فيعيش الناس بها بسلام مطمئنين على ذلك الوزن النوعى وهم سالمون آمنون ، كل ذلك سرّ قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - الخ وبهذا تم الكلام على الموازين الطبيعية

أما الموازين الصناعية التى سألتنى عنها ، فاعلم أيديك الله أن الماء كما كان بثباته سبباً لمعرفة الوزن النوعى للأجسام صار أيضاً سبباً لمعرفة الموازين الصناعية التى اصطلح عليها الناس أجيالاً وأجيالاً ، وذلك أن المتر وهو المقياس الفرنسى المشهور ينقسم الى مائة جزء كل جزء منها يسمى سنتيمتراً ، وهذه المائة اذا ربت تصير عشرة آلاف ، واذا كهبت تصير ألف ألف من ضرب مائة فى مائة فى مائة ، فهذا هو المليون

فاذا كان لدينا لبناء طول متر وعرضه متر وعمقه متر وملائه ماء مقطراً درجته أربعة فوق الصفر فان هذا البناء يكون قد حوى ألف ألف سنتيمتر مكعب ، وكل واحد منها طول سنتيمتر وعرضه كذلك وعمقه كذلك ، وكل واحد منها سموه جراماً . إذن هو يحتوى على ألف ألف جرام أو ألف كيلوجرام ، ولا جرم أن هذه تبلغ فوق (٢٢) قنطاراً ، ومعلوم أن الكيلوجرام (٣٢٠) درهماً وبضرب الألف فيها تبلغ (٣٢٠) ألف درهم ، والقنطار (٤٥) كيلوجراماً

إذن القناطير (٢٢) قنطاراً ، ويضاف إليها (١٠) كيلوجرامات ، وهذه أيضاً (٨٠٠) أوقية ، وكل ٢٢ أوقية قنطار فيكون الباقي بعد (٢٢) قنطاراً (٨) أوقات

إذن الطنلانة تبلغ (٢٢) و (١٠) كيلوجرامات أو (٨) أوقات . إذن الماء بثبات دقائقه وتلاصقها حفظ لنا أوزان الأجسام النوعية أى التى نسب ثقل أحجامها الى ثقل حجم الماء المساوى لها فى الحجم بحيث يكون مضاعفاته مرتين أو عشرة أو عشرين أو مائة أو مائة ألفاً أجزاءه كالثالث والرابع كما تقدم . وحفظ لنا موازيننا المعتادة من الجرام ومضاعفاته وما يوزنه من الدراهم والأرطال والقناطير . ذلك كله يدعو اليه فهم قوله تعالى - ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام إن يشأ يسكب الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور -



والقد تبين لك من هذا المقام أن هذه المعاني لا يمكن أن يعقلها إلا من يصبر عليها صبرا مستمرا . والا فكيف يسمى للرجل الشهواني الغرّ الجاهل أن يصبر على ما ذكرناه هنا من عالم الشكواكب المناسب للمقام وعالم الماء وعوالم المعادن ونحوها ، ويستمرّ في بحثها ويصبر على دراستها ، ولا جرم أنه إذا صبر بهذا الصبر أصبح شاكرا لأن الشكر يرجع الى فهم النعمة ، وفهم النعمة لا يعقل إلا بالصبر على دراستها وتعلمها ، وكلما كان الصبر على الدراسة أتمّ كان الشكر أوفر ، ولذلك يقول الله - لكل صابر شكور - وكلاهما صيغة مبالغة ، فمن بالغ في الصبر كان أكثر شكرا وعلى مقدار الصبر ودراسة النعمة يكون شكورها ، وشكرها أن يحسّ الإنسان في نفسه بحب لمسدى النعمة ، وينطق لسانه بالثناء في المدارس والجامع والمواضع ، وتنطلق جوارحه بخدمة الأمم التي يعيش الشاكر فيها ، فهو كما يعيش مسدى هذه النعم ويحبه لا تقاؤه صنعه وابداعه يكون مصدر العلم والخبرات لعباده ، بل يكون خليفته في الأرض ، وذلك بأن يكون مقتديا بالأنبياء سائرا على نهجهم في الإصلاح واسعاد الناس ، وهذا الشكر هو الذي ورد وجوبه في قوله تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - فعلى مقدار العلم يكون هذا الشكر

ولا جرم أننا مأمورون بزيادة الشكر وبازدياد العلم ، وهذا وجوب عينيّ على كل قادر نص عليه علماء الأصول . فقالوا : « شكر المنعم واجب » وقد علمت معناه

أما إسداء النعم للناس بهذه العاوم فهذه فروض كفايات ، والأمم الاسلامية اليوم قصرت في ذلك كل التقصير ، فأمثال هذه الموازين النوعية الطبيعية ، والموازين الاصطلاحية لابد لها من رجال مختصين بها ويكون عددهم على حسب احتياج الأمم الاسلامية ، فلتدرس هذه العاوم جميعها ، وتوزع على جماعات تكفي نظام الأمم الاسلامية وحياتها ، هذا تحقيق المقام والحمد لله رب العالمين ، تمّ هذا الموضوع مساء يوم الأحد ٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ م

## إيضاح بعض أسرار قوله تعالى : ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام

الى قوله : إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور

مع قوله تعالى : فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها الآية

ههنا جعل الله السفن الجاريات من آياته ، وهذه الآيات لا تظهر إلا لمن صبر وشكر ، فأما الصبر فعلى العمل والتنظيم ، وأما الشكر فلا يكون إلا بعد فهم النعم . وكيف تفهم بالا بالدراسة . ومن عجب أن آية سورة فاطر مثل هذه الآية في ترتيب نظامها إذ يقول تعالى - وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله واعلمكم تشكرون - فالابتغاء من الفضل إنما يكون بالعمل ولا عمل إلا بصبر ، فالابتغاء هناك في مقابلة الصبر هنا والشكر مشترك بينهما ، ولقد بينت هناك بعض تعميم السفن من حيث تسهيل النقل مع وصف البحار وأعماقها ، وذلك كله موجب للشكر ، فأنك ترى هناك أن في البحر عجائب مثل الكاشالوت ذوالأنياب المحددة والروكال الذي يبلغ طوله (١٢٠) قدما ، ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قامة مع أن النور لا يبعد أكثر من (٢٠٠) قامة ، فهناك في الظلام حيوانات تعيش بالنور خارجي ، بل أن النور يخرج منها نفسها ، فهوت تحت أمي السمكة ، إذن هناك في (٢٥٥٠) قامة في الظلام أحياء ، ومنها ماله نور فسفوري ، وفي البحر المرجان يبني جزائر كثيرة كما بنت الأرض في اليابسة مباني عالية ، إذن الأرض برا والمرجان بحرا فعلا ما عجز عنه الناس ، فإن المرجان أحدث في البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوة الحصان تجرّ (٣٠٠٠) رطل في البرّ بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية ، وطى السكة الحديدية

(٣٠٠٠٠) رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه ، وفي البحر (٢٠٠٠٠) رطل ، إذن الماء أكسبنا سهرا  
فوق السير الممتد (٧٠) مسرة ، هذه سر آية « وترى الفلك مواخر فيه ولتفتنوا من فضله ولعلكم تشكرون »  
إذن المسلمون عليهم أن تكون لهم يد في البحار عظيمة ، هذا ملخص ما كتبتة هناك  
وأريد هنا مجاء في كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » لمؤلفه الاستاذ محمد جدى بك ناظر مدرسة  
التجارة العليا ، فقد جاء فيه ما يأتى :

## الإنسان ومغالبة البحار والمحيطات

### في موضوع ترقى الملاحة

ملاحة الأنهار . علاقتها بالسكك الحديدية والفنون .  
ملاحة البحار والمحيطات . مراكب التجارة الموانئ  
وأنواعها وأشهر الموانئ التجارية . الموانئ المصرية  
تأثير الفنون الملاحية في تجارة المحيطات . قناة السويس  
قناة بناما

الملاحة غريزية في الإنسان من القدم إذ كان يدفع بنفسه في الأنهار والبحيرات لصيد الأسماك وكان  
ولا يزال يأوى للسكنى على سطح البحيرات في مساكن يقيمها هنالك أمانا من الأخطار التي يمكن أن تسبب به  
من البر فكان دائما في حاجة شديدة الى أى نوع كان من الزوارق  
ولا يخفى ما للأنهار من الأهمية في اجتياز الممالك الغاية أو المستنقعات كذلك لا يخفى أن قواعد المدنية  
الأولى كانت راسخة في وديان الأنهار العظمى وإذن كانت هذه الأنهار سبل التجارة بين أرجاء البلاد مثل  
مدنية المصريين القدماء على تلك السلخنة الأرضية التي يغمرها النيل بخيره ومثلها بابل وآشور في الوديان  
السفلى لدجلة والفرات وما نلاحظ في نظام تجارة مثل الممالك السابقة الذكر أن تقوم المملكة بسد حاجاتها  
بنفسها خصوصا فيما يتعلق بمواد الغذاء الرئيسية التي هي موضوع التجارة الدولية في العالم في الوقت الحاضر  
على منول لم يسبق له مثيل وإذا كانت قد قامت حركة تجارية بين تلك الأمم القديمة بواسطة الطرق البرية فانما  
كان ذلك في أواخر أدوارها من الرقى وكانت قاصرة على المواد الصغيرة الحجم الغالية الثمن من اللذائذ  
لا الضروريات التي لا مندوحة عنها ولم يسمع في عهودها بالتجار في المواد الأولية والصناعية « بكميات طائلة »  
لأن طريق البر كانت تستخدم فيها الناس والسواب للنقل فكانت الأحمال على قدر طاقة هؤلاء فضلا عن  
أن التجارة كانت عرضة في الزمان القديم الى سطو اللصوص وقطاع الطريق اذا انتقلت الى مسافات بعيدة  
برا أو بحرا

ولقد كان التدرج في بعض الممالك من ملاحة الأنهار الى ملاحة البحار طبيعيا وفي أمم أخرى كانت ملاحة  
البحار هي الخطوة الأولى لها كما بين سكان الجزر في المحيط الهادى أو الاسكيمو في القطب فترقى الملاحة  
إذن ليس أصرا قديما لحسب بل هو أمر عام في أنحاء الأرض ولا يقع طبعها في الأصقاع الجافة الخالية من الأنهار  
كما يفهم من حال العرب في بدء مدنياتهم حتى لقد كان يكره سيدنا عمر البحر ويهايه مع أنه كان يرحى فضل  
النقل بالماء إذ أمر بحفر خليج أمير المؤمنين بمصر - ولا في الأصقاع المحوطة بالبحار الخطرة الطالقة الساحة كما  
في الجنوب الغربي من افريقية

وترقى صنع الفلك يمكن تفصيله في التاريخ ابتداء من الخشبة الطافية فالبوص الحزوم مما يتسنى له أن يحمل  
رجلا وحمله ثم السكتل الخشبية المفرغة فالهيكل السبتي المحوط بالجلد فالقارب المصنوع من الأخشاب المسمرة ثم  
الى تهيفته « بالدفة » وهكذا



والبحر هو أشهر ماصع من الفلك قديما في الممالك الخالية من الأشجار في مثل أراضي النيل وبحيرات  
النجم وأول مظهر من القوارب على شكل الاسبات الملقوفة في الجلود كان في نهر الفرات ثم امتد التقليد  
والترقي في ذلك تدريجيا

وفي الأدوار الأولى للرقى التجارى تقتصر المصلحة على استخدام أنهارها الملاحية وتكون هذه في غاية  
الأهمية لأهلها ولسكنهم في أدوارهم الأخيرة يعمدون الى استعمال السكك الحديدية مع الأنهار التي ربما قد يقل  
استعمالها بترقي هذه السكك ولتضرب هذه الأدوار أمثلة

ففي حوض «الأمزون» تجري جميع المواصلات تقريبا بواسطة الأنهار والنهر الرئيسى قابل للملاحة  
بواسطة البواخر الضخمة المحيطية الى مسافة ٢٣٠٠ ميل لغاية بلدة «ايكويروس» ثم ما فوق هذه مسافة  
٥٠٠ ميل قابل للملاحة بواسطة مراكب أقل حجما مما تسحب الواحدة أربع عشرة قدما عم يصادف  
النهر شلالات كثيرة مثل «بنجودى مانريكي» وغيره وهي من خصائص نهيراته أيضا لاسيما في كثير من  
جهااتها العالية وفي أواسطها وأحيانا في أسفلها فتجري الملاحة بواسطة الأنهار في كل جهات البرازيل إلا اذا  
اعترضتها الشلالات فيلجئون الى نقل البضائع برا وليس بالبرازيل سكك حديدية إلا ما ندر منها على الشواطئ  
واقدر شعروا حديثا في مد خط على نهر ماديرا من سان انطون على مقربة من شلالات متوالية (١)

وحوض «الكنغو» من أحسن ما يمثل ارتباط التجارة النهرية بالسكك الحديدية اذا تذكرت تسيرها بسبب  
الشلالات تدخل مراكب المحيط من المصب الى «مانادى» ومن بعدها شلالات هي من خصائص  
جميع الأنهار العظيمة لأفريقية حتى في مجاريها الواطئة وهي التي كانت سببا مهما في تباطؤ كشف أفريقيا  
ورقى تجارتها لأنه يتعذر سلوك الأنهار الى الداخل لذلك توجد سكة حديدية طولها ٢٦٠ ميلا من مانادى الى  
«ليو بولفيل» على بركة «ستانلى» فيتنجبون بواسطتها شلالا عظيما اسمه «يلالا» وبعد ذلك يوجد نحو  
١٠٠٠ ميل من النهر صالحة للملاحة لغاية شلالات «ستانلى» فتوجد سكة حديدية أخرى تبلغ ٣٠٠ ميل  
لتعاشي هذه الشلالات أيضا وهي من «ستانلى فيل» الى «بونديرفيل» ثم يعقب هذه ٣٠٠ ميل من النهر  
قابلة للملاحة وبعدها سكة حديدية ثالثة من «نيانجوى» يصلون بها الى جزء آخر من النهر قابل للملاحة  
في «لوالابا العليا» (٢)

وكذلك هو الحال في «وادي النيل» إذ ترى مثل هذه الخصائص من عدم وصول السكة الحديدية فيه  
الى حد السككال فهي تمتد في حوضه الواطئ من البحر الأبيض المتوسط الى الشلال الأول على مدى ٧٠٠  
ميل تقريبا ثم تقطع لفيق الوادى وتبتدى ثانية من وادى حلفا في حوضه الأعلى الى السودان المصرى  
الانجليزى فيبقى النهر الوصلة بين الشلال ووادى حلفا وهكذا يجب تتبعها لدراسة سيرها مع النهر  
وفي «كلوجيا» بجنوب أمريكا أمثلة كثيرة للسكك الحديدية التي وظيفتها مجرد اتصال بعض المدن  
الشهيرة على الأنهار بالمدين الواقعة خارجة عنها ويحسن لذلك دراسة حوض «المفدلىنا»

وتزداد فوائد الأنهار بشق الترعى والقنوات في أحواضها والقنوات اما أن تشق وتكون حافظة مستوى  
واحد على طول مداها فيتمتع في نظام حفرها مستوى سطح الأرض واما أن يكون من نظامها تغيير ارتفاع  
سطح الماء فتجهز «بالأهوسة» وقد تبنى الأهوسة كذلك على الأنهار نفسها اذا كان تيارها سريعا لا تتيسر  
معه الملاحة أو اذا اعترضته الشلالات في مثل قناة «سوت سان مارى»

وبما أن مجارى الأنهار والترعى تكون عادة متعرجة فقد يصيب جوانبها تلف اذا سارت فيها المراكب  
بسرعة ودفعت بالمياه يمينا وشمالا فضلا عن أن الأهوسة تكون معطلة قليلا لتوالى سير المراكب لما تقتضيه

من الانتظار في رفع الماء وخفضه لذلك ولأسباب أخرى كانت الملاحة بالأنهار والقنوات بطيئة غير مسهنة ولكنها مع ذلك ذات شأن في نقل الأجل الثقال كالقمح وغيره من المواد الضخمة نظرا لخص الحمل على الماء فيكون ذلك أرجح أحيانا من سرعة القطارات الحديدية ولما تجمد «السين» في سنى الحرب دأبوا على قطع الجليد منه ونسفه بالديناميت ليتسنى استخدامه مع أنه في سنى السلم كان ملهى انزلاق ونظام القنوات الملاحية في وسط أوربا وغربها عجيب جدا ومفيد من الوجهة التجارية الفائدة العظمى إذ يشترك جميع الأنهار العظمى بعضها ببعض - الرين والرون والألب والأودر والفيسيتولا والطونه والسين والوار بقنوات في غابة العظمة والمنفعة وبين المانيا وبلجيكا وهولانده وفرنسا قنوات ملاحية من الدرجة الأولى في الحركة التجارية وعليها تمر المحمولات العديدة الضخمة

ولبعض الأنهار والقنوات في شمال أمريكا أهمية عظمى في التجارة فالمسيبي ونهراته عماد حركة تجارية في طول البلاد وعرضها وقناة هادسن وإيرى التى تصل نيويورك بالبحيرات العظمى - والبحيرات العظمى نفسها ، العليا وميشيغان وهورون وإيرى وأنتاريو قطب رضى الحركة التجارية في كندا والولايات المتحدة وعامل من عوامل رقى التجارة الداخلية لتلك الجهة ولقد أقيمت الأهوسة تخاشيا لشلال سوات سان مارى وتسمى «سوه» بين البحيرة العليا وهورون ومن وقت ما أخذت هذه القناة الطبيعية في الحركة التجارية إلى الآن بلغت محمولاتها من البضائع آلاف الآلاف بالنسبة لعهد بدشها ولم يمض عليها إلا نصف قرن كذلك يوجد بين ميشيغان والمسيبي قناة تجارية عظمى وتوجد أخرى بين بحيرة إيرى وأنتاريو تخاشيا لشلال نياغرا ونهر سان لورانس قابل للملاحة من بعد بحيرة أنتاريو إلى المصب هذا . ويوجد في كندا قناة ملاحية أخرى من خليج جورجيا في بحيرة هورون إلى بحيرة أنتاريو وستشقى أخرى بين خليج جورجيا المذكور ونهر أتاتو لتقصير المسافة وعدم ضرورة مرور تجارة هاتين الجهتين في البحيرات كما يتضح من الخريطة هنالك يحمل قح كندا في المراكب التجارية من فورت وإيام و بورت أرثر على البحيرة العليا ويحمل قح الولايات من موانيه ديلوث وشيكاغو إلى بافالو ثم يوزع منها ويحمل الغنل من الحديد من بعض الموانىء على البحيرة العليا وميشيغان إلى جهة بحيرة إيرى ، والحركة التجارية في القمح عظيمة جدا وأكبر محمولات المراكب التجارية لهذه البحيرات تبلغ ١٣٠٠٠ طن أو أكثر - من القمح والحديد وماضهم حجمه ومراكب ظهر الحوت للقمح جولة الواحدة ١٠٠٠٠ طن وأنهار الملاحة العظمى هى التى يتوافر من شروطها أن تصب في المحيطات التجارية العظمى لأن الممالك القابضة على زمام التجارة واقعة على المحيطات الأطلسى خصوصا وله ثلث الحركة الخاصة بأنهار العالم التجارية وللهادى سبعها والهندي ثمنها والباقي للمحيط المنجمد وداخل القارات

### مراكب التجارة

كانت التجارة البحرية تترقى تدريجيا متباطئا فلم تظهر مراكب التجارة في أشكالها وأحجامها الضخمة إلا من عهد ليس بعيد فقد كانت أقصى جولة المراكب الرومانية في البحر الأبيض ٥٠٠ طن أو أكثر من ذلك بقليل وفي عهد الأكتشافات وعبر المحيطات بلغت جولة بعض المراكب المستخدمة ١٠٠٠ طن وعبر كولمب الاطلنطى في مراكب حوتها ٣٣١ طن لاغير ولما اكتشف البخار أحدث تغييرات عظيمة جدا في جولات المراكب فعبث أول مراكب بخارية المحيط الاطلنطى سنة ١٨١٩ ثم اشتهر بعد ذلك صنع المراكب من الحديد وفي سنة ١٨٧٥ صنعت من الصلب وتفوقت هذه الصناعة على الأولى وازداد عدد المراكب البخارية من هذا الحين حتى تساوت في انجلائها جولة السراعية والبخارية بين سنة ١٨٦٥ - ١٨٧٠ وأخذ عدد المراكب



البخارية من ذلك الحين يماز عدد الشراعية ففي خلال سنة ١٨٧٠ - ١٨٧٤ زيد سنويا على الأسطول التجاري الانجليزي ٢٤٠ مركبا شراعية متوسط جولة الواحدة ٦٥٠ طن ولكن في خلال سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٩ لم يزد سنويا عليه إلا ١٥٠ مركبا فقط بينما ازداد عدد المراكب البخارية سنويا من ٥٠٠ - ٦٠٠ مركب ولا يوجد الآن من المراكب الشراعية الا ربع أسطول العالم

والقد أدخل حديثا في المراكب الشراعية الكبرى آلات بخارية بفرض اخراجها من الميناء أو تسيرها في مناطق السكون وزاد عدد المراكب التي من هذا النوع على أنه لا تزال الحاجة الى المراكب الشراعية ماسة في التجارة في بعض النواحي فهي تحمل الآن غلال كليفورينا ونترات أميركا الجنوبية وبتجربها على ساحل الباسيفيك لأن هذا الساحل لا توجد على مقربة منه مناجم فحم يمكن للمراكب البخارية أن ترسو عليها ولا يزال جزء عظيم من التجارة بين مصر وسوريا والأناضول والبلقان تحمله المراكب الشراعية وغير هذه الجهات كثير

وكان للإمبراطورية البريطانية قبل الحرب ١٣ من مراكب العالم البخارية وقسط كبير من هذه النسبة تابع لبريطانيا نفسها لأن بريطانيا جزيرة في الاطلنطي كثيرة الموانئ البحرية وهي في حد ذاتها مملكة شهيرة بالصناعة شهرة فائقة وواقعة بين أسواق أوروبا وأمريكا فهي من كل هذه الوجوه أسعدت جهات العالم بصلاحيته موقعها للتجارة البحرية وبريطانيا وارلندا كانتا تبنيان ثلثي مراكب العالم وكان للولايات المتحدة أكثر من ١/٣ من أسطول العالم التجاري وكان لألمانيا ١/٤ منه وكلتا المملكتين تترقى في الصناعة ترقيا سريرا ويهملها أن تملك أساطيل تجارية جرارة ومن بهدما تأتي الترويج وكان لها تقريبا ١/٣ وهي نسبة عظيمة بمراعاة عدد السكان فهي ليس لها صناعات عظيمة مثل الممالك الأولى وهي جبلية قفرة ليست غنية بالمزارع الكثيرة ولا بالمعادن الوفيرة ولكن لها شاطئ كثير التهرجات تحميه على مداه جزر عدة خالية من الجليد في فصل الشتاء بالرغم من وقوعها على خطوط عرض مرتفعة وهي غنية بالأسماك والنرويجيون مشهورون بالملاحة من بدء تاريخهم يساعدهم على ذلك فيوردانهم والطرق بين الجزر المنشورة على شاطئهم وعندهم كثير من الموانئ الطبيعية وهم دائما على أهبة أن يزجوا بأنفسهم في البحر فلاغربة اذا كانت مرتبتهم الرابعة في ملاحة العالم ويأتي بعد الترويج في حمل تجارة العالم فرنسا وإيطاليا واليابان والأراضي المنخفضة

وفي نحو سنة ١٨٩٠ كانت المراكب التي حولها أكثر من ٨٠٠٠ طن قليلة ولكن سنة ١٩١٠ كان ملاك الشركات المختلفة أكثر من ٨٠ مركبا محمول الواحدة منها أكثر من ١٢٠٠٠ طن والمركب الكبيرة ذات الحمل العظيم من البضائع قد تكلف في الصنع أقل من تكاليف مركبين محمولهما مثلها ولكن يراعى في الأولى من حيث حجوها الضخمة عمق الموانئ المستخدمة واتساع الأهوسة

### خطاب المؤلف ربه شاكراله لهمة

قبيل صلاة الفجر يوم الخميس (١٠) رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية ، ٥ فبراير سنة ١٩٣١ م رباه في العيون جمالك ، وفي القلوب حبك ، وفي السماء عظمتك ، أرىتنا جمالا في النجوم والشموس والأقمار ، وأرىتنا جمالا في الوجوه الحسان في أرضنا ، وظهرت عظمتك في الشمس الكبيرة ، فشمسنا أكبر من أرضنا نحو مليون وثلاث ملايين مرة ، ونجمة من نجوم الجوزاء باغت في العظم مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة ، رباه أنت جميل ، وأنت عظيم ، رباه حونا بين جمالك وعظمتك ، نهياك لعظمتك ، ونحبك لجمالك ، أنت جميل ، وأنت عظيم ، وصفان عجيبان : وصف الجمال ووصف العظمة ، بالجمال أسرت قلوب الحكماء فتاهت في حبك ، وأشرقت نفوسهم اشراقا يفضاهي اشراق الشموس

أرسلت ضوء شمسك على الأرض فأعان النبات في تغذيته ، والحيوان في هدايته لسبيله ، وأرسلت الحرارة من لدنك فأثارت الرياح فجرت السفن

يارب ذاك لأننا مخلوقون من المادة ، والمادة ماهي إلا حركات في الأثير ظهرت لنا بهذه الأشكال فقلنا مادة وماهي إلا كلماتك ، والكلمات غير المتكلم ، وأخلاق المتكلم والمؤانس تظهر في كلامهما ، والعالم كلماتك ، وهو تأليفك وتصنيفك ، ونحن منعنا من النظر لجمال ذاك ، ولكنك لرحمتك لم تمنعنا من مشاهدة تأليفك وتصنيفك وصنعتك ، ومن هذه الصنعة التي فيها كملت أسرار آثار جمالك وبها لك ، أنوار الشمس المشرقات على الأرض ، وقد صممتها الحرارة المنبثقة على الأرض المثيرة للرياح الحاملات للسفن

كلما كان الجمال أدوم كانت نتائجه أغزر وأتم ، وكلما كان أفهم مدى وأسرع زوالا كانت نتائجه أقل عددا ، هذه المشرقات في السماء دام جلالها فكانت نتائجهما هذه المواليد من نبات وحيوان وسفن ماخرات في البحار ، وهذه الأوانس الحسان من نوع الانسان قهر أمد الجمال فيهن إذ يصبحن عجائز اذا بقين في هذه الحياة ، لذلك كانت نتائجهن محدودة ضئيلة بنات وبنون

إن نسبة دوام جمال النجوم والشموس المشرقات الى سرعة انقضاء جمال الغواني الحسان كنسبة ما أنتجت الشمس على الأرض من نبات وحيوان وانسان الى من تلده المرأة من البنات والبنين ، الضوء والحرارة أرسلتهما الشمس الى الأرض و بينهما ارتباط واتصال ، وبالحرارة جرت السفن في البحار ، فسير السفن بعض آثار الشمس العائمة الجمال بالنسبة لجمال الفتيات ، فإذا كانت هذه الحرارة والضوء المنبثقان من ذات الجمال البديع التي استمدت جلالها من جمالك وهي الشمس قد كان من آثارها كل حيوان وكل نبات ، فهكذا نجد من آثار الحرارة الرياح الجارية في المحيطات التي تسهل الحمل بحسب العادة (٧٠) صرة

فهذه نعم دائمة مادام الانسان على وجه الأرض ، انه مادام الانسان في الدنيا اليوم وغدا أمس يرى نهما مترادفة في سير السفن في البحار والأنهار ويكسب راحة فوق ما اعتاده سبعاين ضعفا كما تقدم بهذا يعرف الانسان نعمة ربه وبالتالي يشكره عليها ، وأول الشكر بعد المعرفة هو الحب ، تجري السفن في البحار فتحملنا لطلب المعاش أو العلم أو الحرب ونحن غافلون عن منبع الرحمة والجمال ، نحن في الأرض نجد ونسعى برا وبحرا ، جارين من آسيا الى افريقيا الى أوروبا الى الشرق الى الغرب تحت رعايتك أنت ، نحن في جوف هذه السكرات الهوائية والأرضية والمائية المغموسات في الأثير أشبه بالجنين في بطن أمه ، وأنت تكوينا في أحشاء هذه السكرات والفلك بنا سائرنا بحرا والقطرات جاريات برا والقواصت مخرقات بنا لجحجا والطيارات طائرات بنا في جوف السماء ما يسكنهن إلا لطفك وحنانك ورحمتك ، غرست فينا عقولا وغرائز ، وأطلقتنا في هذه الأرض وأبعثنا لنا ، وقلت لنا : إياكم أن تخرجوا من أقطارها ، إياكم أن ترتفعوا الى كوكب آخر ، السكواكب عليكم محرمة ، أنتم هنا محبوسون كما يحبس الجنين في بطن أمه ، هو حر له أن يروح ويغدو في بطن أمه كما يشاء ، ولكنني حظرت عليه أن يغادره إلا اذا بلغ الكتاب أجله ، فهكذا أنتم من شيب وشبان لا تفارقون هذه الأرض إلا في أجل معلوم ، ثم قلت لنا : « أنا لم أعط لأحد في هذا العالم حرية غيركم ، فلكل حيوان غريزته ، ولكل كوكب مداره ، ولكل نبات نظامه : أما أنتم فاني متمتعكم بنعمة الحرية التي صممت عقولكم ، فها أنتم أولاء بإعبادي :

(١) أولا اتخذتم البوص سفنا

(٢) فالتكتم الخشبية

(٣) فالتكتم المحوط بالجلد



(٤) فالقارب من الخشب

(٥) ثم ألهبتم صنع القطار في البر ، فأتم لكم أعمالكم التي لم تقم بها سفن البحار لاسيما إذا صدها الشلال في وسط الأنهار

وهكذا أخذتم تزيدون سفنكم اتساعا فبعد أن كانت تحمل (٥٠٠) طن في زمن الرومان ازدادت فصارت تحمل (١٥) ألف طن فضوعف المحمول (٣٠) حملة وتزيد ، وذلك بما ألهبتم أن تصنعوا السفن من الحديد والصلب وتقووها بالآلات بخارية ، ومن فضلى عليكم أن سفنكم البخارية على قسمين : قسم منها يجرى في خطوط معلومة يحمل ركابا وبضائع ، وقسم منها جوال في البحار والمحيطات لفوائد غزيرة لا يلتزم خطا خاصا ، وقد أعددت أماكن من شواطئ أنهاركم وبحاركم لتكون « موانئ » ولا تصنع السفن إلا مقتضى هذه الموانئ :

(١) فأمثال موانئ (لندن) و (لنبرول) و (همبرغ) و (أنفرس) و (روتردام) و (فيلا دلفيا) موانئ جاءت عند مصب الأنهار ، فهي بوقوعها على البحر تصدر منها البضاعة إلى الممالك الأجنبية وبوقوعها على النهر تصرف البضائع في الداخل والعكس

(٢) وأمثال موانئ نيويورك وسان فرانسيسكو موانئ طبيعية ، وهكذا موانئ بلاد النرويج ، فهذه كلها اتسع داخلها وضاق مدخلها والموانئ الطبيعية جعلتها لكم نموذجاً لتتخذوا لكم نظيرها بضاعتكم ، فكما أنكم رأيتم خشبا وورقا يعوم فوق الماء فعرفتم بعقولكم أن هذا الماء يحمل السفن فصنعتموها ، هكذا هذه الموانئ الطبيعية التي صنعتها لكم فتحت لكم بابا للموانئ الصناعية فصنعتم بأنفسكم ميناء الاسكندرية وميناء دوفر ، أن الثلج يعوق سفنكم أن تدخل ميناء ريفاعا على البلطيق المسماة (أوست دافنسك) في فصل الشتاء ، وهكذا في الموانئ الواقعة على سان لورانس في كندا (كوبيك دمنتريال) فهاتان تفلقان من نصف ديسمبر إلى إبريل ، فهذه كلها وإن صدكم عنها الثلج شهورا فانها موانئ مشهورة ونظامها كنظام الليل والنهار ، فكما أنكم بالليل نيام وبالنهار تعملون ، هكذا جعلت هذه الموانئ ذات نوبتين : نوبة للسكون ، ونوبة للعمل ، لأفتح لكم باب النظر والفكر ، ولقد ألهبتم أن وصاتكم البحر الأبيض بالأحجار بحفر قناة السويس فزادت حركة التجارة بين الشرق والغرب ، وفتحتكم الطريق البحري الغربي إلى الهند بحفر قناة (بناما) ذات القناطر الست المزدوجة التي تقطعها السفن في نحو عشر ساعات وتمر فيها (٤٠) مركبا في (٢٤) ساعة وبهذه القناة سهلت تجارة بريطانيا وألمانيا وفرنسا الخ مع بعض الولايات المتحدة وكندا ومع المكسيك وجواتيالا وزيلانده وشيلي وبيرو وهكذا ، هذه يا عبادي أعمالي ورحتي لكم الواسعة ، ولكن ليس معنى هذا أن تعيشوا كعيش السمك في البحر ، أو الطير في الهواء ، أو الهوام في التراب ، أو الأنعام فوق الأرض ، هذه كلها لاجرية عندها كركيتكم بدليل انها لزمت الخطط التي رسمتها أنا لها ، أما أنتم فاني منحتكم الحرية وجعلت الأرض والأنهار والبحار مدارسكم فتعيشون إلى أمد ثم تموتون ، وقد ظهرت حرّيتكم في أعمالكم البرية والبحرية المذكورة وبهرت ، فكما ظهرت آثار حرّيتكم في الأعمال الحيوية في الحياة الدنيا فلتظهر وتبهر فيما هو أبعد مدى وأشرف منزلة من شرف نفوسكم واسعادها وترقيتها ، اني خلقت في أرضكم فلاسفة وأوحيت إلى أنبياء وقلت لهما : أفهموا عبادي أن ما يفنى لا قيمة له ( كما تقدم في مقال سقراط قريبا في آية - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان - الخ ) لا يفرّركم ما تصنعون وما تملكون ، ألم تقرأوا الآية التي بعد هذه الآية وهي - فما أوتيتهم من شيء فتنازع الحياة الدنيا وزينتها - ، فهذه السفن الجاريات والمصانع والمناجر والممالك لا بقاء لها ، كلها زينة لكم وجمال ولكنها فانية كما يفنى جمال فتيانكم وفتيانكم ، إذن فليكن حرصكم على الجمال الدائم ، والجمال الدائم ملازم للحياة الدائمة التي منها استمدت الشمس طول

بقائها وأضاءت أرضكم بأنوارها ، إن جمال الانسان وكل ما أوتى من زينة الحياة الدنيا لا قيمة له بالنسبة لجمال الشمس والأقمار والكواكب ذوات الزينة الدائمة نوعاً ما ، وهذه المشرقات لا نسبة بينها وبين جمال المقدس وهو جمالي ، هذه البحار ، وهذه السفن ، وهذه الممالك ، وهذه الأرضون ، وهذه الشمس المشرقات كلها آثار من رحمتي المصنوعة بعلمي وحبي وقدرتي وجمالي ، كل ما هو جميل فهو من آثار جمالي ، سيزول العالم وتروني ، وهناك تنسون هذا الجمال بما يسبي عقولكم ، فاستمعوا لذلك المقام »

إن الجمال ( ثلاثة أقسام ) قسم أدنى وهو زينة الأرض من جمال الفتيان والفتيات وكل نبات وحيوان ومعدن ، وقسم أوسط وهو جمال النجوم والشموس ، وجمال أعلى وهو جمال ذاتي ، والأول جمال ناري حاد سريع الزوال ، والثاني جمال نوري بطيء الزوال ، والثالث جمال روحي إلهي لا يعتريه الزوال ، ويتبعه العشق فهو ناري ونوري وروحي إلهي ، فالأول ما يخص بالوجود الجيلة وزينة الأرض ، والثاني ما يتعلق بجمال العوالم العلوية وتبعه الفلسفة ، والثالث ما يتعلق بجمال مبدع الكائنات ، والأدنى الخاص بالجمال الناري صاحبه بعد الموت في جهنم مؤقتاً أو مؤبداً ، والأوسط في الجنة والأعلى يرى ربه

هذا ما خطر لي في معنى آية - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام - مع الآية بعدها - وما أوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها - . كتب صباح يوم السبت ٧ فبراير سنة ١٩٣١

### اللطيفة الرابعة

### مباهج العلم ومناهج الحكمة

في ملخص سورة الشورى

اللهم انك أريتنا العجب في مباهج آياتك المصنوعة ، كما أريتنا مناهج الحكمة في آياتك المقروءة ، هما تويمان . ورضيما لبان ، وفرسا رهان لا يفرقان بدأت سورة الشورى بآتيك

(١) أوحيت قرآنا عربيا ، وأنت عزيز حكيم .

(٢) وأنت مالك السموات والأرض . وأنت على عظيم . فأنت عظيم بما خلقت . على بما أنعمت . وغالب وحكيم فيما أنزلت . وهذه العوالم خاضعات لك مدبرات بهوالمك الروحية العالية وهم الملائكة الأعلى بأمرك وأنت خلقت هذه العوالم على صراط مستقيم . ونظام محكم بتدبيرك كما قلت في آخر السورة - صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض - كما جاء في أول السورة . هذا مافي أول السورة ومافي آخرها فرجع الهمز الى المصدر

(٣) وشرحت في وسط السورة نتائج السموات ونتائج الأرض

(٤) فأبنت لنا أنك لم تبسط لنا الرزق بسطا تاما لحكمة بالغة . ذلك أنك حكمت أن تكون حياتنا كلها مبنية على العمل والحركة المباركة كما ترى الشمس والقمر وجميع النرات متحركات . فلو أن حركاتنا سكنت وأعمالنا وقفت بما تبسط لنا من الرزق لسكان الوبال والخيال . فلذلك جعلت الغيث بعد القنوط . واليسر بعد العسر . والرفعة بعد الخفض كل ذلك تدريب وتعليم وتربية بالحكمة والعزة والعلو والعظمة المذكورات في أول السورة

(٥) وذكرنا لنا ما لدينا من الحيوان الذي بثته في الأرض . وما حبوتنا من الثرية ذكرانا وإناثا . ومن البحار والرياح . والسفن التجارية في البحار العظيمة

هذا مجمل ما جاء في عالم الخلق في هذه السورة . أما مجمل ما جاء فيها من آيات الوحي فذلك أنك :



(١) أنزلت قرآنًا عربيًا

(٢) وأول من يتعلمه وينذر به أهل مكة ومن حولها

(٣) وهذا الدين ليس بدعًا بل هو كالأديان السابقة . فما نزل دين إلا للاجتماع ، أما الافتراق فإنه آت من الأهواء والأغراض والشهوات وحب التملك والاستعباد والترف

(٤) وهو ﷺ مأمور أن يدعو إلى هذا الدين . ويستقيم كما أمر . وأن يعدل بين الناس : والعدل على مقدار ما يظهر له من الحجج والبيانات في القضايا . فعليه أن يحكم بالظواهر . والله يتولى السرائر

(٥) ان الله أنزل الكتاب المقروء لنعمل به . ونحكم بأحكامه . ونصب ميزانًا في العوالم العلوية والسفلية . وذلك الميزان توزن به هذه العوالم كلها في الدنيا والآخرة ، وبه توزن أيضًا أعمال العباد . فإلم تقم الحجج الظاهرة والبيانات أمام القضاء فهناك يكون فصل القضاء فيه يوم القيامة وذلك قوله تعالى - الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب -

(٦) والله كما اتصف بصفة العدل اتصف بصفة اللطف . فليس لطفه بمطمع الظالم في الخروج عن العدل فيجعل كالمصالح - بل الظالمون مشفقون مما كسبوا - والآخرون في روضات الجنات . فاللطف اذن لا ينافي العدل هذه خلاصة ما جاء في هذه السورة من آيات السموات والأرض وما بينهما وآيات الوحي . فلا جعل الكلام في بسط هذا المقام على قسمين ( القسم الأول ) في نظام السموات وضوء الشمس وآثاره في النبات والإنسان . واتصال عوالم السموات بهذا الإنسان . بحيث تدرك أيها الذكي أن هذه العوالم كلها كأنها حيوان واحد أو نبات واحد كما تقدم مفصلاً في مواضع من هذا التفسير ( القسم الثاني ) في هذا القرآن المنزل بالحكمة . ولماذا أمر ﷺ أن ينذر أم القرى ومن حولها ولماذا ذكرت أم القرى في هذا المقام . مع أن أهل مكة كانوا أشد الناس انسكاراً للوحي وللقرآن . وأما الحكمة التي تظهر في هذا الزمان وهناك نذكر تعداد المسلمين الذين حول أم القرى من الأمم والأجناس ثم نبين الأجر الذي حصر النبي ﷺ سؤاله فيه . وأى أجره . وأى أجر للصالحين بعده أهو أجر يجز لهم مغنماً دنيوياً أم أصراً أدبياً دائماً تقر به نفوسهم ويفرحون به عند ربهم في دنياهم وآخرتهم وبيان قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين - وقوله أيضاً - قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً - وموازنة هذه المعاني بقوله تعالى - إلا المودة في القربى - في هذه السورة فلا تبدأ بالقسم الأول وشرحه فأقول

### الكلام على السموات وعجائبها

اللهم إنا نحمدك جداً جزيلاً . ونشكرك شكراً كثيراً . على نعمة العلم وبهجة الحكمة . أرى قنا ياربنا جبالاً تراه عيوننا . وحكمة تبصرها نفوسنا في سمواتك . وذلك كله علاقة بأجسامنا وعقولنا وزنت حركات الأفلاك . وأنعمت ببيانه في هذا التفسير في مواضع كثيرة ، لك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة ، أرسلت الأضواء لأرضنا بالحكمة وقدرتها بالميزان . فها هوذا عطارديدور حول الشمس في ٨٨ يوماً إلا قليلاً والزهراء تدور في ٢٢٥ يوماً إلا قليلاً . والارض في ٣٠٦٥ يوماً ٢٥٦ من الألف من اليوم . والمريخ في ٦٨٧ يوماً إلا قليلاً . والمشتري في ٤٣٣٢ يوماً ونصف يوم تقريباً . وزحل في ١٠٧٥٩ يوماً وخمس يوم تقريباً . وأورانوس في ٣٠٦٨٧ يوماً إلا قليلاً . ونبتون في ٦٠١٢٧ يوماً إلا قليلاً

هذه هي السيارات المعروفة بأبعادها ومنها أرضنا . أنت يا الله نظمتمتها وفصلت حركاتها . وجعلت بين الأرض والقمر والشمس علاقات أخرى غير الحركات المذكورة وتلك هي حوادث المد والجزر . فإن البحر يرتفع وينخفض كل يوم مرتين بل كل ١٢ ساعة عن تسوية متوسطة فحينما يرتفع البحر يزحف على الشواطئ ويدفع

بالثاني مياه الأنهر فترتفع حينئذ في مجاريها وهذا هو المد . ومدة الارتفاع ست ساعات ومتى أخذ البحر نهايته العظمى من الارتفاع يستمر سبع أو ثمان دقائق ثم يتبدى في الانخفاض زاحفا عن الشواطئ التي كان ملامها شيئا فشيئا وهذا هو الجذر . وبعد الجذر يحصل مد جديد وهكذا

والمسافة بين المدين <sup>د</sup> ٢٥ و <sup>س</sup> ١٣ ومدة المد تزيد عن مدة الجذر لأن البحر يستعمل زمنا في الصعود أكثر

من النزول والفرق ليس واحدا بالنسبة لجميع المين فقدره في هافرو بولوني <sup>د</sup> ٢٨ و <sup>س</sup> ٢ وفي مينة برست <sup>د</sup> ١٧ فقط تغير أوقات المد والجذر التأخير اليومي لحادثة المد والجذر هو ٥ دقيقة وهذا المقدار هو مقدار تأخير مرور القمر بمستوى الزوال كل يوم وحيث أن تأخير ٥ دقيقة كل يوم يحدث تأخيرا قدره ٢ ساعة بعد ٢٩ يوما وثلاث أعين بعد شهر قري فيجب حينئذ أن تنقلب أوقات المد والجذر كل نصف شهر قري من صباح الى مساء وبالعكس . بعد شهر قري كامل يعود المد والجذر الى الأوقات الأولى بعينها وحينئذ فهناك ارتباط بين الأوقات التي يحصل فيها المد والجذر وبين أوقات مرور القمر بمستوى الزوال

تفسير الارتفاع كلما كان ارتفاع المياه في المد كبيرا كان انخفاضها كثيرا في الجذر التالي له وبأخذ المتوسط بين جذر ومد متتاليين يتحصل على نتيجة ثابتة تقريبا ولهذا التسوية تناسب الارتفاعات في عمليات الميزانيات ويسمى مدا كيان متوسط متين أحدهما يلي جذرا والآخر يسبقه والمد الكلي في الوقت الواحد متغير على حسب المين بسبب اختلاف شكل الشواطئ وفي المينة الواحدة يتغير على حسب أوجه أشكال القمر وعلى حسب أبعاد الأرض عن القمر والشمس وعلى حسب ميل هذين الكوكبين ففي وقت الاجتماع والاستقبال يصل المد نهايته العظمى والجذر نهايته الصغرى وأما في وقت التريهين فيأخذ المد نهايته الصغرى وليعلم أن أعظم مد لا يحصل في نفس لحظة الاجتماع أو الاستقبال بل بعدها بقدر ٣٦ ساعة فالد الثالث الذي يلي الاجتماع والاستقبال هو الذي يكون أكبر مد وكذلك المد الثالث الذي يلي التريه الأول والأخير يكون هو أصغر مد وهذا التأخير ينسب لاحتكاك العناصر السائلة بعضها على بعض وعلى قاع البحر وينشأ عن هذا الاحتكاك بطء في حركتها وفي (برست) يصل المد الكلي للاجتماع والاستقبال في المتوسط ارتفاعا قدره ٢٥ و ٦ مترا والمد الكلي للتريهين فيها هو ١٠ و ٣ مترا فقط

وبعد الأرض عن القمر يحدث تأثيرا على مقدار المد الكلي الذي يزداد باقتراب القمر من الأرض ويتناقض بتباعده عنها وفي مينة (برست) تغير البعد المذكور يحدث تغيرا مقداره ١٧٧ في ارتفاع المد الكلي وكذلك تغير بعد الشمس عن الأرض يؤثر على مقدار المد الكلي غير أن ذلك التأثير قليل بالنسبة لتأثير القمر

وكذا ارتفاع المد والجذر يتغير على حسب ميل الشمس والقمر فحينما يكون القمر قريبا من دائرة المعدل في وقت الاعتدالين يكون المد المقابل للاجتماع والاستقبال هو أكبر مد ، وينتج من جميع ما تقدم أن هناك ارتباطا أصليا بين حادثة المد والجذر وحركات القمر والشمس وسنبين أن المد والجذر هما نتيجة تأثير جاذبية القمر والشمس على الأرض أعني نتيجة من قاعدة الجذب العام اه

فهذا اجبال الكلام على علاقة الأرض بالشمس من حيث حركاتها حولها مع السيارات الأخرى ومعها ومع القمر باعتبار المد والجذر . وهذا معناه أن هذا العالم كله أشبه بالجسم الواحد (انظر المجموعة الشمسية مرسومة في سورة الأنعام وفي سورة سبأ وآثار الأضواء في الأرض)

ان الأضواء تصل الى الأرض منتظمة فسكان الصيف والخريف والشتاء والربيع فاذا رأينا رأينا النباتات



موزعات على أيام السنة (و بعبارة أخرى) ان هذه النباتات قد تبعت في زرعها وترتيب أوقاته نظام حركات الأرض حول الشمس سبحانه الله وبحكمك أنت الحكيم . أنت الملى . أنت العظيم . أنت العزيز . فبالهزة قهرت الأرض فدارت . وبالحكمة قدرت حركاتها . وأنت لا تلبس المادة التي غرقنا فيها بل نحن فيها محبوسون . ياربنا . وأنت منزّه عنها . فأنت على . وأنت عظيم . فلك العلوم على هذا النظام ولك العظمة اللهم إنا رضينا أن نكون مغمورين في هذه المادة تحت عظمتك وعالك والأرض تجري بنا حول الشمس بنظام محدود وأوقات لا تتغير ولا تقبل . وانما رضينا بهذا لأننا نعلم رحمتك الواسعة التي غمرتنا بها ، فنحن لما شاهدناها رضينا بكل ما تحسبكم به فينا في هذه الدنيا وفي الآخرة . فاذن نتوكل عليك . وايس يصح التوكل ولا يتم الا بأن نسبر على نهجك ونكون صالحين مصلحين لعبادك جارين على صراطك الذي نصبته في سمواتك وفي أرضك

ومن هذا الصراط وهذا الميزان أوقات الزراعة . فلكل فصل من فصول السنة بل لكل شهر شمسي أنواع من الزرع تنبت فيه (اقرأ هذا المقام مفصلاً في أول سورة الزمر) وهاك بعضه هنا وبقيته هناك (شهر هاتور) فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج (١) والنشور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقى من الباذنجان وما يجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يبتدىء حصاد الأرز . وفي خامسه أول تشرين الثاني من شهور السريان . وفيه يبتدىء برد المياه . وفي سادسه أول المطر الوسمي ، وفي سابعه يبتدىء أهل الشام الزرع . وفي ثامنه يبتدىء هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعه يبتدىء زرع الخشخاش (٢) وفي حادى عشره يبتدىء اختفاء الهوام . وفي ثالث عشره يبتدىء غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمى الحيات . وفي سادس عشره يجمع الزعفران ، وفي ثامن عشره تسكث الوحوش . وفي الثانى والعشرين منه يفلق البحر الملح وتمتنع السفن من السفر فيه لشدة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدىء سخونة بطن الأرض : وفي الرابع والعشرين منه أول اسفيدار ماه من شهور الفرس

(شهر كيهك) فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك النرجس والبنفسج . وتلاحق الحمضات . وفي أوله ابتداء أر بعينيات مصر . وفي ثالثه يبتدىء موت الذباب . وفي خامسه أول كانون الأول من شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالى البلق وأول الليالى السود . وفي حادى عشره يبتدىء الشجر فى رعى أوراقه . وفي ثانى عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أر بعينيات الشام . وفي ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثرت الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول صردوماه O من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفي السادس والعشرين منه تلقح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثرت شرب الماء فى الليل . وفى الثلاثين منه يبتدىء تقليم الكروم

يا سبحانه الله . هذا هو ميزانك الذي شاهدناه فى هذه الدنيا وهذا هو صراطك المستقيم . رأينا فى الحياة قبل أن نموت . فأنت لم تدر حركة ولا ذرة إلا وزنتها . فأما الحركة ففى علم الفلك . وأما الذرة ففى علم الكيمياء

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف

(٢) بفتح أوله

(٣) سيأتى قريباً أن يبرز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مروج الذهب

وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية

لك الحمد اللهم على فهمة العلم . علمتنا يارب أنك ذو نظام جميل ففهمناه . وعلمنا أنك لم تقف في الوزن عند العوالم العظيمة كالأكواكب السيارة . كلا . بل نراك راغبت هذا الميزان في خلق النبات . وأرى يتناجذوره مفصلات تفصيلا بديعا بحيث كانت ملائمة كل الملائمة لما خلقت له بحيث تجتنب الجذور من الأرض بأنابيبها الشعرية ما يوتى الثمرات التي خلق ذلك النبات لها والحبوب والخضر وهكذا . فنراك كما قدرت حركات السيارات ولم يكن فيها خطأ هكذا قدرت ووزنت تلك الأنابيب الشعرية والفتحات التي تعبر مشاهداتها فكانت مناسبات لنتائج النبات من حب وفاكهة وزيت ونشاء وهكذا . وهذه الفتحات لا تجتنب من الأرض إلا الملائم لها . ولو أن نباتا اتسعت فتحاته أضافت عما يلائم ما يجتنبه لم يخرج لنا تمر ولا بر ولا خروع بل هناك يختلط الحابل بالنابل ويموت الانسان والحيوان

اللهم أنت اللطيف بنا - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز - فأى لطف أعجب من هذا ؟ عجب يارب دقة الحركات في الشمس ، ودقة فتحات الجذور أسرار عجيبة . هذه أعظم رحمة لك . ولما كنا لا نلفظ لها ولا نفكر فيها . ذلك لأن شهواتنا الصغيرة حبست عقولنا فلم تنبهنا إلى النظر في دقة هذا الصنع لأن شهواتنا استحوذت على عقولنا فغفلنا من التغافل في هذا الجمال

هذا ولم يقف الأمر عند دقة الحركات ونظام أوقات الزرع على مقتضاها ولا عند نظام الفتحات بل الأمر فوق ذلك . لقد رأيناك أبدعت في خلق الورقات بأن جعلت لكل ورقة حجرا داخلها فيها ولكل حجرة سقف وحيطان . ووضعت في كل حجرة سائلا وهذا السائل فيه مادة ذات لون . وهذه المادة باتحادها مع ضوء الشمس (الواصل من بعد عظيم يبلغ بسرعة القطار ٣٥ سنة . وبسرعة قلة المدفع ١٢ سنة . وبسرعة الضوء ٨ دقائق و ١٨ ثانية) تكون سببا في أن النبات يتغذى من الهواء بمادة الكربون (الفحم) وهذه المادة الكربونية تدخل النبات فتكون منه أنواع الخشب والتبن ونحوهما أليس من العجب أننا نراك تحسب حركات الأرض التي لواختلت لاختل نظام زرعنا

يارب ما أجهلنا أهل الأرض ما أضاعف عقولنا يارباه . أنت ربيتنا بانتظام حركات أرضنا وانتظام الزرع على مقتضى تلك الحركات وبالفتحات الموافقات في الجذور والحجرات المقدرات في الأوراق . تلك الحجرات التي قد تبلغ في البوصة المربعة ١٢ حجرة و ٢٤ وفوق ذلك إلى آلاف وآلاف . هذا في البوصة فما بالنا بالورقة الواحدة . وما بالنا بالورق . وما بالنا بالشجرة كلها . وما بالنا بالحقل كله

بهذه يارب بنا عشنا في الدنيا . هذه هي الحياة المنظمة ونحن جميعا في الأرض عالمنا وجاهلنا لانفكر فيها . وهذه الأوراق مغذيات للنبات (انظر هذا المقام في سورة يس وانظر شرحه وصور الورق المذكور) إذن لو أن هذه الورقات لم تكن فيها الفتحات المنظمة لم يكن نبات ثم لم يكن حيوان ولا انسان لأن هذه الفتحات التي تعد بالآلاف المؤلفة عليها قوام حياة النبات وحياة الانسان . أليس هذا هو قوله تعالى في سورة أخرى (يدبر الأمر يفصل الآيات لعالمكم بقاء ربكم توقنون) أليس هذا الذي تذكره في هذا التفسير هو من التفصيل الذي وعد الله به . وإذا فصلت الآيات في نفس الخلق ولما لم تفصل في عقولنا فمن أين يأتي اليقين لنا ؟ هذا هو اليقين . وهذه هي السعادة ، أي السعادة التي أحس أنا بها الآن ويحس بها جميع المغمومين بهذا التفسير وما فيه من عجائب الصنع المفصلات المورثات اليقين

ثم اننا لم نجد الأمر وقف عند هذا الحد فان بين كل ورقة وأخرى حسابا هندسيا ونظاما متقنا . نرى الأشجار والأوراق عليها متقابلات مثني وثلاث ورباع وخماس وهكذا . وهذه الورقات قد رسمت شكلا هندسيا من حيث وضعها (انظر هذه الأشكال في سورة الحجر) ، وتجب مما تقرأه هناك من ورقتين على الغصن بينهما ١٨٠ درجة من الدائرة على الغصن وثلاث ورقات وخمس ورقات قد رسمت شكلا هندسيا وحسابيا وهذان



الشكلان يتمان دائرة منتظمة بديهة تجيبية وتكون السوائر الثامنة متتابعة والأوراق الخمس منتظمة قد اقسام تلك الدائرة اقساماً صادقا بحيث ترى بين كل ورقة وأختها  $72^\circ$  درجة من الدائرة البالغة  $360^\circ$  درجة من ضرب  $5$  في  $72$  وتجعل كل ورقة من الخمس في دائرة موازية لتظيرتها في الدائرة الأخرى . جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن السوائر المنتظمة في نبات بينهما وبين السوائر الأخرى في نبات آخر مناسبات عجيبات حتى أننا بالبحث نجد أن جميع أوراق النبات بينها علاقات حسابية وهندسية كالعلاقات الحسابية والهندسية في نظام النجوم الثوابت والسيارات والأرض

وهذا النظام كله نتأجه هو ما يأكله الحيوان والإنسان مما ذكرناه قريبا في السورة السابقة . فانك تجد هناك الجدول المبين لأنواع النشاء والمادة الاذوتية والمادة الدهنية ، وهذه الأنواع الثلاثة لم تتم إلا بنظام الأوراق والجذور والأضواء والأيام والتابات حركات الأرض حول الشمس ، ويتهى الأمر بالجهاز الهضمي الذي شاهدته صورته في سورة فاطر وفي سورة فصلت قبل هذه السورة فهناك تجد الحساب مفصلا والنظام متصلا ، وأن القوى والسمات المختلفة الموضوعات في جهازنا الهضمي موزعات على تلك الأنواع الثلاثة الناجات من نظام النبات المنتظم الأوراق . الجارى على سنن الأضواء في وصولها الى الأرض أليس هذا معناه أن هذه العوالم كلها أشبه بجسم واحد ؟ وبعبارة أخرى ؟ أليس معنى هذا أننا على هذه الأرض مازومون أن ندرس الكواكب والأرضين والأضواء وحسابها والنبات وحسابه وشرح أجسامنا وتشريحها ثم نفوسنا

### خطابي للمسلمين

يا معشر المسلمين : الحق أحق أن يتبع . نحن نهيش في الأرض عالة على الأمم في هذه القرون المتأخرة يا معشر المسلمين أكتب كتابي هذا . وقريبا أفارق هذه الأرض . وأصعد الى الله وأبرأ من السكتان ، وأقول يارب قد اجتهدت أن أبلغ المسلمين ما عرفت من صنعك وما فهمته من كتابك وما على إلا أن أيقن . وفوق ذلك أقول : انكم ستبلغون شأوا عظيما في سعادة الحياة وسعادة الممات ، انكم ستدرسون كل ما ترونه في السموات والأرض . وهناك تفهمون لماذا يكرر ذكر العوالم العلوية والسفلية في كثير من آي القرآن وبهذا تم الكلام على القسم الأول في نظام السموات والأرض

### القسم الثاني

في هذا القرآن المنزل ، ولماذا أصح صلى الله عليه وسلم أن يندأ أم القرى ومن حولها ، ولماذا ذكرت أم القرى في هذا المقام الخ

لنجعل هذا القسم في ﴿ فصلين : الفصل الأول ﴾ في أن القرآن عربي ﴿ الفصل الثاني ﴾ في ذكر أم القرى ومن حولها

### الفصل الأول

في أن القرآن عربي

فأقول : قد تقدم الكلام عليه في ﴿ سورة فصات ﴾ وهي السورة السابقة ، رسياني للكلام بقية في ﴿ سورة الزخرف ﴾

## الفصل الثاني

في تبيان تخصيص أم القرى ومن حولها

اعلم أيها الذكي أن الله عز وجل قبيل نزول القرآن قد كان نظام أمتين وهما فارس والروم ، وهاتان الدولتان قد اقتصمتا الأقطار المحيطة بجزيرة العرب قبيل النبوة ، فسكان للروم البلاد الجنوبية ، وقد ملكوها نحو ( ٦٠٠ سنة ) وللفرس البلاد الشمالية ، كان لهم عليها بعض السطان نجونيف وثلاثمائة سنة . ولم يبق إلا مكة والبلاد المجاورة لها بنجورة من نفوذ هاتين الأمتين

وأنت عليم أيها الذكي بما كان لهذه الأمة العربية بسبب القرآن من السطوة والنفوذ ، وكيف أزال ملك هاتين الدولتين ، ثم كيف بقيت قرونا ، ثم كيف تولاهما الثور والضمف حتى أصبحت أم أوروبا على أبواب مكة ، والمسلمون في مكة وسور مكة الآن بعد ٩٥٣ سنة قد بلغ تعدادهم ما بينته في كتابي المسمى « القرآن والعلوم العصرية » وقيل أن ذكر ما كتبت في ذلك الكتاب وما خاطبت المسلمين به أذكرك أيها الذكي بما تقدم في أول سورة ( الفسكوت ) من الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى ملوك وأمرأء العرب والحجم ، وبعد أن تقرأ ذلك أكمل القول بحادثتين تاريخيتين لم يذكرها هناك ( الحادثة الأولى ) هي التي وردت في ( آية ) أيام النبوة ( الحادثة الثانية ) هي التي جاء ذكرها في قبائل البجعة الذين كانوا يسكنون مصر ، وإنما نذكر هاتين الحادثتين هنا لأننا في مقام إنداز أم القرى ومن حولها بالقرآن العربي ، وهذا الإنذار تبعه رقي أم القرى وما حولها حتى تعدى العرب حدود آسيا وأفريقيا واحتلوا ربع أوروبا ، ولما بلغوا العلم لتلك الأمم ورفهوا شأن الإنسانية رجعوا ثانيا إلى ما يشبه حالهم الأولى ، فإذا ذكرنا الحادثتين فأنما نريد بهما كيف كانوا يعاهدون الأمم ، وكيف يحافظون على النفوس والأرواح ، وهم إنما خلقوا في جزيرة قاحلة لا علم فيها ولا حضارة ولا مدنية وأن هذه السيرة سترجع لهذه الأمم كما ابتدأت

### الحادثة الأولى هي حادثة العقبة

إن الإنسان يصعد إليها بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى يصل إلى قمتها ، فإذا أردت أن تنزل إلى الجهة الشرقية صرت نازلا صاعدا وصاعدا نازلا في أرض صخرية تارة ، وأخرى رملية ناعمة ، وأخرى خشنة أزلطية إلى أن تمر في مضيق لا يسع إلا جلا جلا ، ويسمى قطع لاذ ، وطريق هذا القطع حلزوني تقريبا أصلحه ابن طولون ، ثم محمد بن قلاوون ، ثم عباس باشا الأول ، ومع ذلك فإن المسافر فيه لا بد أن ينزل عن دابته ويسير على قدمه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولا وضعفها صعودا ، ومن دون هذه العقبة قرية العقبة ويسمونها ( آيلة ) وهي بلدة قديمة جدا ، وكانت عاصمة من زمن مديد ، وكانت في مدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ميناء كبيرة للراكب التي كانت تفد إلى الشام من اليمن والهند وفارس ، وانقطع بها طريق البر من اليمن إلى بطنه ، ولما مات سليمان رجعت الطريق الأولى إلى ما كانت عليه في نقل التجارة برا ، وكان فيها أسواق كبيرة ، بل كانت تمكرا للتجارة بين مصر وبلاد العرب وفارس والعراق ، ولما أتى النبي ﷺ إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة أتاه ابن رؤبة صاحبها وصاحبه وأعطاه الجزية فكتب له عليه الصلاة والسلام عهدا هذه صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسوله لتحية ابن رؤبة وأهل آيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن



أخذه من الناس وأنه لا يخل أن ينهوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر » هذا كتاب جهنم بن الصلت  
وشرحبيل بن حسنة بأذن رسول الله ﷺ

وفي سنة ٥٦٦ هـ كان الأفرنج قد استولوا عليها في الحروب الصليبية ، فصار اليها من مصر صلاح الدين  
الأيوبي ، وأخذ معه مراكب مفضلة على الجبال ، حتى إذا وافي مياهها أصلاح مراكبه وأنزلها في البحر ،  
وحاصر المدينة برا وبحرا ، حتى أخذها عنوة وطرد الأفرنج منها ، وهي الآن قرية صغيرة في أيدي عرب  
الحويطات ، وفيها قلعة بناها السلطان مراد الرابع فيها بعض الجنود لحراستها ، وعدد سكانها لا يزيد عن مائة  
نفس ، وفي هذه القرية نخيل وأشجار ، وماؤها حلو ، ويزرع في أوصها الخضراوات ، وبين العقبة ومعان نحو  
مائتي كيلو مترا شرقا ، والطريق فيها صعبة ، وتخترق جبال السمراة التي يكسوها الجليد طول الشتاء ، وبينها  
وبين بيت المقدس شمالا بنحو ( ٣٠٠ ) كيلو مترا في صحراء قليلة المياه طريقها وعرة ، وبينها وبين  
السويس نحو ( ٣٠٠ ) كيلو مترا . وبهذا تم الكلام على الحادثة الأولى

### الحادثة الثانية في قبائل البجة

جاء في كتاب « الرحلة الحجازية » مؤلفه الاستاذ محمد بك لبيب البتوني تحت العنوان التالي مانصه :

### الطريق القديم والحديث

من مصر إلى الحرمين

كانت مصر ولا تزال طريق المسلمين إلى حج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام ، في نصف  
الكرة الأرضية الغربية باعتبار أن مكة المكرمة هي قلب العالم أو النقطة المركزية التي تنبعث منها أنصاف أقطار  
إلى محيط جميع دائرة الأقطار ، فالأندلس الذي كان يسكن في غرب أوروبا ، والمغرب الذي في غرب إفريقيا  
ومادونه من مسلمي البربر فالسنغال وبلاد السنغال والسودان الغربي والشرقي كانوا إذا قصدوا الحج إلى بيت  
الله الحرام سافروا من بلادهم إلى مصر بحرا أو برا ، وكذلك كان يقصدها كثير من أهالي الشام والترك  
والقوقاز وجزائر البحر الأبيض المتوسط ويجمع السكك بالقاهرة قبل شهر رمضان ، ثم يسبرون منها إلى قوص  
برا أو النيل ( ٦٤٠ كيلو مترا ) في نحو عشرين يوما ، ثم تسافر قوافلهم منها في صحراء عذاب مدة ١٥ يوما  
يقطعون فيها نحو ١٢٠ كيلو مترا إلى القصير على البحر الأحمر ، وكانت من قديم ميناء مصر الشرقية أي  
إنها كانت من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن ، وكانت هذه القرية في أيدي عرب البجاء الذين  
كانوا يتولون نقل الحجاج على إبلهم في صحراء عذاب

وقبائل البجاء أو البجة يقال إنهم من البربر وكانوا يسكنون في صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى  
قرية يقال لها الحزيرة في صحراء قوص ، وهذه الصحراء حاضرة بمعادن الزمرد والذهب والفضة والحديد  
وفيها مغائر وآبار قديمة لاستخراجها ، وهي طبعها من عهد قدماء المصريين ، وبعضها من عمل المغفور له محمد  
على باشا إلى مصر ، وكانت العرب تستخرج منها المعادن ، وخصوصا التبر في القرن الأول والثاني للهجرة ،  
بذلك باتفاق مع ملك البجة الذي كان مقره أسوان ، وكان ينال المسلمين منه ومن قومه أذى كبير ، فأرسل  
المؤمنون إليه عبد الله بن الجهم فسكانت له معهم وقائع ، ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم كتابا  
تذكر الله طرفا منه لتعرف مقدار التسامح الإسلامي مع أهل الفممة ، وكيف أنه كان لا يفرق بينهم وبين المسلمين  
في المعاملة . « هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير  
أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله ، في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين اسكنون بن

عبد العزيز عظيم البعجة بأسوان : أنك سألتني وطلبت إلى أن أوصلك وأهل بلدك من البعجة وأتقده لك ولهم  
أمانا على وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك إلى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقامت واستقاموا على  
ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا ، وذلك أن يكون سبيل بلدك وجيرانها من منتهى حد أسوان من  
أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمؤمن عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزّه الله تعالى ،  
وأنت وجميع أهل بلدك صبيد لأمير المؤمنين إلا أنك تسكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البعجة وعلى  
أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البعجة ، وذلك مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار وازنه  
داخلة في بيت المال ، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولاته ، وليس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج ،  
وعلى أن كل أحد منكم أن ذكر محمد رسول الله ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به ،  
أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة أمير المؤمنين  
أعزّه الله وحلّ دمه كما يحل دم أهل الحرب وذرايرهم ، وعلى أن أحدا منكم أن أعان المخاريق على أهل  
الاسلام بمال أو دلّ على عورة من عورات المسلمين أو أثارتهم فقد نقض ذمة عهده وسبّ دمه ، وعلى أن  
أحدا منكم أن قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا أو عبدا أو أحدا من أهل ذمة المسلمين أو  
أصاب لأحد من المسلمين ، أو أهل ذمتهم ببلد البعجة أو ببلاد الاسلام ، أو بلاد النوبة أو في شيء من البلدان  
برا أو بحرا ، فعليه في قتل المسلم عشر ديات ، وفي قتل العبد المسلم عشريقم ، وفي قتل النسي عشر ديات من  
دياتهم ، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه ، وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البعجة  
تاجرا أو مقما أو مجتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم - نى يخرج من بلادكم ، ولا تؤوا أحدا من آبقى المسلمين  
فإن أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين ، وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بالامونة  
تأزمهم في ذلك ، وعلى أنكم أن تزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ، ولا تدخلون  
المدائن والقرى بحال ، ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ، ولا تخيفوا  
السبيل ، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ، ولا أهل الذمة ، ولا تهرقوا المسلم ولا ذمى مالا ، وعلى  
أن لا تهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا ، فإن فعلتم ذلك  
فلا عهد لكم ولا ذمة الخ » وبقى الكتاب لا يخرج عن هذا المعنى . وبهذا تم الكلام على الحادثة الثانية

### تعداد المسلمين في بلاد الاسلام

أذكر في هذا المقام ما جاء في كتابي « القرآن والعالم العصرية » من تعداد المسلمين في بلاد الاسلام  
والخطاب الذي وجهته لهم ، فقد جاء فيه في صحيفة ١٥ وما بعدها تحت العنوان التالي مانصه :

### المسلمون كثير عددهم

أيها المسلمون : ما أكثر عددكم على وجه الأرض

مليوناً

٧٠

إن منكم في بلاد الهند الصينية والصين

٧٥

وفي الهند وما جاورها

٥٠

وفي ماليزيا والاقيانوسية

١١

وفي ولاية الحجاز والعين بأقسامها المستقلة وغير المستقلة وعسير

وعدن والنواحي التسع وعمان ومسقط والبحرين وحضرة وت ونجد والكويت والربع الخالي



	وهذه رشم الخ
٦٥٥	وفي سوريا وفلسطين والعراق العربي والعراق العجمي
١٨	وفي مصر والسودان المصري
١٨	وفي طرابلس وتونس والجزائر وساكش
٢٠	وفي الصحراء الكبرى والسودان الفرنسي
٥	وفي السنغال وما يتصل به والسودان الأوسط وواداي
	وبا كوي وما حولها
٥٥٥	وفي جمهورية ليبيريا

### الجميع ٢٧٤

٨	وفي السودان الإنجليزي والنيجهر وما حولهما
	وفي مستعمرات الكهرون الألمانية والكولفو والكاب وموزمبيق ومدغشقر وشرق إفريقيا
١٠٥٥	الألماني وزنجبار وشرق إفريقيا الإنجليزية وأوغندا والحبشة وأرتريا وما يتصل بها
١٥	والأتراك في رومانيا وجهات الأناضول والبلقان والولايات
	الهمانية التي معظمها من غير المسلمين
٣٥	وفي ولاية روسيا الأوروبية ومنها التتار الذين هم أهم قسم من
	الأتراك ، وفي قفقاسية وآسيا الوسطى وفرغانة وسيبيريا وخنيزو وبخاري
٢٥	والترك في الشمال والشمال الغربي من بلاد الصين
١٠	وفي بلاد أفغانستان وفي بلاد إيران والحجم
	فيكون جميع المسلمين في أقطار الأرض ٣٧٧٥ مليوناً والمتأمل في هذا يجد عشرين مليوناً مكررة
	واذن نقول إن المسلمين ٥٥ مليوناً تقريباً فسألتكم بالله أيها المسلمون كيف يظلم هذا العدد الكبير والجم
	الفقر وكيف يصادرون في حريتهم ويذلون في عقودهم ويسامون سوء العذاب ، كل ذلك من الجهل والتفرق
	وعدم الاتحاد ، وقد آن أوان أن أشرح طرق الاتحاد عسى أن يكون فيه ذكرى لأخواني المسلمين

### طرق الاتحاد

#### ﴿ كيف يتحد المسلمون ﴾

أيها المسلمون هذا المجموع الكبير العظيم الممتد من بكين في الصين إلى رأس الرجا الصالح ، ومن طنجة إلى المحيط الهندي . هذا المجموع جسم له رأس وأعضاء ، وقد ذكرنا الحديث الشريف اذ جعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والجلي وهذا بهينه ما يحصل الآن في أطراف المعمورة فان السلم الافريقي يتألم لما يصيب أخاه الصيني ويمرر ما يمرر قال تعالى - انما المؤمنون إخوة - ولا جرم أن الأخ الأرشد واجب عليه وقاية الأصغر ، والمحافظة عليه وتربيته وترقيته . فعلى العقلاء والعلماء والأغنياء من العرب والفرس والترك والهنود والصينيين أن يكونوا جماعة تتخذ لها مركزاً خاصاً (ولعلمها الآن موجودة)

وإذا كان رسول الله ﷺ شبه الأمة كلها بالجسم ، فلننهج منهجه عليه الصلاة والسلام ، ولنسج على منواله مبنيين بالمقل صحة ماتوا خينا والطريق التي ارتضينا ، فنقول :

ان في الجسم رأساً ، هو مركز الحواس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس ومنه تصدر جميع

الأعصاب الحساسة واليه ترد بما نقلت من أخبار السمع والبصر الخ ، فالرأس هو القائم بأعمال الجسم النظم لحركاته فلو تخلى الرأس عن الجسم لأصبح جثة هامدة لا تفنى ولا تسمن . فكذا العلماء في هذه الأمة والأغنياء والأسراء والعقلاء المفكرون المستبصرون ، هم المسؤولون في الدنيا والآخرة ، وهم وحدهم الذين يقفون بين يدي الله تعالى يسألهم عز وجل عن أعمالهم أسى هذه الأمة ويسأل الله عز وجل المفكر والعالم والأمير والفني ويقول لهم أنتم رأس هذه الأمة وقوتها فإذا فعلتم ؟ تركتم هذا المجموع يئن تحت نير العبودية والذلّة وهذه الطوائف الإسلامية من أقصى الأرض إلى أقصاها جعلتها أمانة عندكم فكيف تشاغلتم عنها حتى أصبحوا أذلاء وأتم شاركتهموهم في ذلهم وقاسمتهم ضعفهم وانكسارهم . ألم أنزل عليكم في كتابي - لا يكاف الله نفسا الاوسعها - فهاأنذا لا أكاف الزارع المسكين ولا الجمل ولا البغال هذا الأمر ، أولئك عمالكم وأخوتكم الصغار وانما أكاف أرباب العقول وربان الحكمة وأهل المال أولئك هم المسؤولون - وقفروهم انهم مسؤولون - ألم أنزل في كتابي على نبيكم - لولا ينهائهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكاهم السمحت لبئس ما كانوا يصنعون - ومعنى هذا أن الله يوجب علماء أهل الكتاب من الأحبار والرهبان على عدم نهيبهم الأمة عن قولها الكذب الذي يأثم به الانسان وعن أكالها السمحت أي الحرام ، ثم بالغ في ذمهم فقال - لبئس ما كانوا يصنعون - مبتدئا بالام القسم ، وهذا مبالغة في التوبيخ أفلا تعلمون أني قصصت عليكم ذلك لتعتبروا ولتذكروا أيها المسلمون ألم يقل لكم نبي محمد ﷺ « لا تزول قدما ابن آدم من عند ربه يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن شبابه فيم أفناه وعن عمره فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم ؟ » ألم يكن في هذا الحديث دلالة على أن العالم والفني شريكان في المسؤولية كلاهما مسئول . العالم مسئول ، والفني مسئول وفي حديث البخاري أن النبي ﷺ قال « لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الخير ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس »

والمراد بالحسد الغبطة وهي تمنى مثل ما عند الغير ، فالى الأغنياء والى العلماء والمستبصرين من الأمة أوجه قولي فلقد انضح أنهم هم المسؤولون يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فأقول :  
لتكن منكم جماعة خاصة تكون بمنزلة الرأس ، ولتتخذ لها مكانا ، وليكن لها فروع تمتد إلى أقاصي المعمورة ، أشبه بالأعصاب في الجسم ولتكن أعمال تلك الجمعية مقسمة الى قسمين القسم الأول يأمر بنشر الأخلاق والعبادات والعلوم والصناعات في سائر أقطار الاسلام وينشر الكتب والرسائل ويعلم في الجرائد ويوعز الى أهل البلاد بالدعاة ذلك كله مع المحافظة التامة على العوائد الإسلامية وليحجبوا الى الناس أن يعرفوا ما ذرأ الله في الأرض وما أبدع في السماء وما أفاد من صناعة وما بث من حكمة حتى يضارعوا أوروبا ويتفوقوها اقتصاديا وماديا

والقسم الثاني يكون قصارى أمره ومنتهى رأيه أن يدرس أعمال أوروبا مع الأمم الإسلامية في أقطار العالم وينشر ذلك في جميع الأقطار الإسلامية ليعرفوا إخوانهم النابهين من الترك والفرس والعرب والصين والهند تلك الأمم القديمة الشرف العظيمة القدر ، ومتى انتشر ذلك في الأقطار الإسلامية عرف المسلمون إذ ذاك للجهل جهله وللفاضل فضله وإذ ذاك يقرءون - وجزاء سيئة سيئة مثلها - فيقاطعون الدولة المسيئة في التجارة سواء أكانوا في الصين أم في أفريقية أم في تركيا . ذلك شأن هذه الطائفة ، ولعلكم تقولون من أين عرفت ان هذه الجمعية بها يتحدد المسلمون وهل هذا دواء شاف ؟

أقول : عرفت من نفس القرآن ، فانظروا الآية المتقدمة ، الحاجة على الاجتماع ، وهي :  
- واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون - هذه



الآية أمرت المسلمين بالاجتماع وعدم التفرق ، ولكنها لم تبين كيف السبيل إلى ذلك ، ولذلك أردفها بآية أخرى لبيان ذلك فقال : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف . وهذا هو الفريق الأول الذي بنشر العلوم والمعارف والصناعات ويحض على العبادات الدينية ثم قال : وينهون عن المنكر . وهذا هو القسم الثاني فالتبني عن المنكر هذا يشمل التنزيه الخاصة بين المسلمين والكفر والمعاصي والمظالم الواقعة عليهم في مشارق الأرض ومغاربها فأولئك هم الذين يجمعون تلك المظالم ويوصلونها إلى الجمعية الكبرى ، وهي بسبب هذا القسم وبعمله تنشر أخبار تلك المنكرات في أقطار الأرض حتى يفر المسلمون من هذه المظالم ويقاطعوا تجارة الأمة الظالمة واذن يحق لهم وعد الله إذ قال : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . هذه الآية ذكرنا هامة أخرى في الكتاب وأعدناها هنا بعد أن بينا طريق الاتحاد بين المسلمين تلك الطريق التي هدانا الله لاستخراجها من الكتاب العزيز لاسبيل إلى إسعاد المسلمين بغيرها ولا سبيل لاراحتهم وتمكينهم في الأرض واستخلافهم فيها وتبديل خوفهم أمنا إلا بهذه السبيل وحدها فليفسكر المسلمون ماشاءوا فهم والله لا ينجون من شر الفرنجة إلا بهذه السبيل وحدها ، ولنقرأ الآية على وجهها فنقول : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . فانظروا يا معشر المسلمين كيف قال : ولتكن فاللام الأمر للوجوب فالمسلمون في اتحاد المعمورة أي الأغنياء والعلماء منهم آثمون مذنبون إن لم يقوموا بهذا الأمر ، و بعد أن بين القسمين وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال : وأولئك هم المفلحون إشارة إلى ما ينالون في الدنيا من الطمأنينة والسعادة والثناء الحسن عليهم من الأمة الإسلامية وفي الآخرة من علو السرجات ومنتهى السعادات والقصور والحدود والولدان فهذا قوله : وأولئك هم المفلحون . ولما كانت الآية مبينة كيف يكون اتحاد المسلمين وسهلت الطريق وأبانت حقيقتها الناصحة أردفها بالإنذار فقال : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . وهذا الإنذار من الله للمسلمين إذا أغفلوا أمر هذه الجمعية المركزية ذات الفروع إذ قال احذروا أن تكونوا متفرقين كالأمم السابقة التي بينت لها السبيل ومهدت لها الطرق فتفرقوا طرائق وكل حزب بما لديهم فرحون لأنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم الآيات البينات الواضحات

ولقد أبنت لكم يا معشر المسلمين كيف تكونون متعدين وعلمتكم طرق الاتحاد وعدم التفرق فإذا خالفتم وغفلتم بعد هذا البيان كنتم كأولئك الذين عرفوا الطرق فتركوها فتفرقوا فكان لهم من ذلك عذاب عظيم في الدنيا بالذلة وفي الآخرة بجهنم أما من ساروا على طريق الاتحاد فأولئك هم الفائزون

﴿ فصل في أن الكعبة المشرفة أيام الحج دار ندوة ﴾

وعلى هاتين الطائفتين المصالحتين في الاسلام المرسلتين من الجمعية الكبرى التي أشار الله لها في كتابه العزيز أن يجتمعوا كل سنة عند البيت الحرام بمكة شرفها الله فإن الحج أكبر نصيب في هداية المسلمين النازحين إليه من أطراف البلاد ، ولقد علم الله قبل أن يخلق الاسلام والمسلمين حاجتهم إلى بيت يحجونه ويكون مثابة لهم أي مرجعها وأمنا فقال : وأجعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى - وقال : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شيء عليم - فانظروا وتعجبوا كيف ختم الآية بقوله : ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض - وقد زاد على ذلك فقال : - وأن الله بكل شيء عليم -

فتأملوا كيف جعل أن عامنا بأن الكعبة قيام للناس يورثنا علم أنه يعلم مافي السموات ومافي الأرض بل يعلم

كل شيء ذلك لأن الأمر اتضح في هذه الأيام أن المسلمين ينتهون سياسياً برجوعهم إلى هذا المكان وجعل  
دار ندوة كل عام يتشاورون فيه ويتباحثون وهم في مأمن في ذلك الوادي السحيق فضلاً عن قسوة الحج ،  
إن ذلك أمر لم يكن في علم أحد من الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومن ذا الذي يعلم الغيب إذ ذاك فيقول إن الكعبة ستكون مرجعاً للمسلمين يعرف بعضهم بعضاً ويتفقون  
في الأمور السياسية العامة ويتعارفون ويتحدون ويكون من وراء ذلك مؤددهم وعزهم ومجدهم وسخروهم  
من تحت نير ذل اليهودية ، لا جرم أن الذي نعرف ذلك هو الله الذي فرض الحج ورسم البيت وعرف مستقبل  
المسلمين وما يقول اليه أمرهم فهو يعلم مافي السموات ومافي الأرض الخ إلا أن لكل شيء سبباً فلا يكون  
الحطب بلا زرع ولا الثمر بلا شجر ولا النيل بلا مطر ولا الري بدون سقي ، هكذا لن يكون اتحاد المسلمين ،  
إلا بالطرق التي رسمناها والبيئات التي أوجدناها ، والله هو الولي الحميد وبهذا تم الكلام على القسمين :  
قسم السموات والأرض . وقسم انزال القرآن باللغة العربية وانذار أم القرى ومن حولها . وأختم هذا  
المقال بخطاب أوجهه لجميع المسلمين فأقول :

أيها المسلمون : قد شرحت لكم نظام العوالم إجمالاً ، ولا جرم أن أولها عالم المجرة الذي يدور مرة واحدة  
في ( ٣٠٠ ) مليون سنة ، وهناك دوران الكواكب السيارة في أوقاتها المعينة والأرض ثم النبات وأوراقه  
وثمراته واتصال هذا كله بأجسامنا ثم نفوسنا ، ثم بعد ذلك شرحت اتصال الأمم الإسلامية على الأرض في  
مكة وما حولها ، وهذه أمة العرب جميعها الاسلام ، وجميعها اللغة العربية ، وجميعها تقارب الأوطان ، فهي  
إذا لم تبادر بالاجتماع والاتحاد فهي لا محالة معاقبة على تفريطها ، وبينها وبين الفرس والترك علاقات الدين  
والجوار ، فليكن اتحاد بين هذه الأمم وعلاقات متينة وهكذا سيكون ، إذن فليعلمم التعاليم الآن في بلاد العرب  
وبلاد الاسلام ، ثم لتدرس العوالم كلها ، وتدرس الكرة الأرضية من حيث الجغرافية ، وليدرس التاريخ  
دراسة تامة ، وليخصص لكل علم طائفة ، ولتقرروا علوم كل الأمم ، ثم ليكن منكم حكماء وعلماء بكل علم  
وبكل فرع ، هناك هناك أيها المسلمون تكونون شهداء على الناس كما أن الرسول شهيد عليكم ، هناك فقط  
تتقوون مركزكم في الأرض ، هناك أنتم تعلمون أهم الشرق وأهم الغرب كيف يكون السلام وكيف تكون  
السعادة المستقبلية ، ولأختم هذا المقال بإيضاح أبحر المصلحين وأجره ﷺ فوق ما تقدم في التفسير اللفظي ،  
فأقول مستعينا بالله :

لا خلاصاً في هذه الأرض ، عارفاً بصانع العالم ، دارساً لنظام هذه الدنيا ، إلا وله قلب متقد حرارة وصدقاً  
واخلاصاً وبهجة ونورا وحباً لرقى هذه الانسانية المسكينة المضطربة المعذبة .

هذه حال الدارسين العارفين في جميع أمم الأرض ، فإذا كانت هذه حال الدارسين المفكرين فكيف  
تكون حال الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، إن للأنبياء سعادة في نفوسهم يحسون بها ، ولقد  
ضرب لنا الله مثلهم المحسوس بالأم ترضع ولدها والأب الشفيق ، فالأب والأم يريان ولدهما لا ينفقان جزاء  
ولا شكورا ، بل هما يجعلان حياتهما وقفاً على تمية هذا الطفل . فإذا كانت هذه حال العامة في الأمم بالنسبة  
لأنبيائهم فكيف بالأنبياء بالنسبة لأمتهم . إن للأنبياء حبا عالياً لربهم . وهذا الحب يقودهم إلى كل قول  
وفعل جليل ، وصدورهم منشرحة لما يصنعون . ثم إن الصالحين من أمتهم يقول الله لهم - إن الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً - فهذا الود الذي يلقي في قلوب الناس لهم ود الله ولهم نتيجة صريحة  
على الأعمال الصالحة ، إن الأجر لا يسأله إلا الرجل المتكاف ، أما الأنبياء فليسوا متكافين - قل ما أسألكم  
عليه من أجر وما أنا من المتكافين - إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين -

الذي لا تكاف عنده يكون عمله قريباً من السليقة ، فنفوس العمل محبوب ومن نتائج المودة ، الأنبياء



لا يسألون أجرا على التبليغ والله برأى رسوله من ذلك ، وغاية ما يحبه الأنبياء ويكرمون به أن يكون أتباعهم مقرّبين إلى ربهم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الذي يسرّهم هو ارتقاء أممهم في الإصلاح والتقوى ، فلو كان هناك أجر لم يزد على ذلك ، ومعلوم أن هذا ليس أجرا وإنما هو نجاح رسالتهم وتتمام أمرهم ورضيتهم في استعاد الناس وهذا قوله تعالى : - قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا - ، إذن قرّة عينه ﷺ أن يرى أتباعه يتقرّبون إلى الله تعالى ويطلبون الزاقي لديه بالإيمان والطاعة ، فصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود فعله وهو ليس بأجر وإنما هو حب للاستعداد العام للناس ، وهذا المعنى هو الذي جاء في الآية في هذه السورة على قول من أقوال العلماء غير المشهور - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - أي إلا أن تودوا الله ورسوله في التقرب له تعالى بالطاعات والأعمال الصالحات ، وهذا المعنى لا ينافي المعنى المشهور ، ان المعنى المشهور داخل في هذا بطريق التبع لأن المودة للأشراف مقرّبة لله بجميع الأعمال الصالحات ، وهذا المعنى العام هو الذي يطابق آية الفرقان المتقدمة - إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا -

### تحقيق لمقام الود

وتبيان عام لمودة الأنبياء والمصلحين

اعلم أنه لا سعادة في دنيا ولا في أخرى أجمل من سعادة الحب والود ، إن الله هو الغفور الودود ، فإذا وجدنا بعض الكتاب في عصرنا في صحيفة « الضياء » يوم ١٩ يناير سنة ١٩٣١ م يصف الحب الخاص والود المحدود بأوصاف منطبعة على ما نشاهده في أحوال الناس من التضحية والايثار والفرح بكل ما يتهج به المحبوب فما بالك بالحب العام الذي يسع العالم كلها ، فانظركيف ضرب مثلا :

- (١) لسعادة الحب بما يبدو من محبوبه وقد شبه ذلك بانعكاس نور الشمس عن القمر
- (٢) وبالكاتب الفكاهي الذي يتلمس سعادته من السامعين لكتابته
- (٣) وبالمرء يجد لحديثه سامعا جديدا
- (٤) وبالرجل يجد امرأته تحبه
- (٥) وبالرجل أتى بالمشمش لأطفاله الفقراء فسعادته بفرحهم
- (٦) والعاشق مع من عشق في الفقر وقداً كل المحبوب العنب والمحبة فرح به ، وهالك نص المقال المذكور

### خواطر في الحياة

انحصار المرء في ذاته وتقييد شعوره وفكره بنفسه من دواعي الألم والشقاء وأما سعادته وغبطته فهي في الخروج بمعونة الخيال عن دائرة نفسه وحدودها ، والسعادة وان كان ينبوعها كائنا في نفوسنا الا أننا لا نتعرفها ولا نتذوقها الا اذا انعكست علينا من شيء خارج عن أنفسنا كنور الشمس المنعكس عن صفحة القمر ، وهذا العنصر الأجنبي الذي يمزج بالسعادة يكسبها في شعورنا حلوة وغرابة مثلها تفعل عناصر القمر بنور الشمس انظر الى الكاتب الفكاهي مؤلف الكوميديا ، انه مجهز ملاحه وطرائفه في الخلوة فهل يتذوق خلوتها إذ ذاك ؟ كلا ، انما يتذوق لذاتها ، ويحظى ثمراتها من بريق السرور في أعين الجاهل المشاهدة تمثيلها ، ومن هتاف الطرب في أصواتهم المتصاعدة ، ألا ترى الى الحديث المألوف من طول الاعادة كيف يخلع ملالته ويكتسي رونقا ورواء اذا صادف سامعا جديدا ؟ وأنت قد تكون مثيرا من المحامد والمناقب حامل الجسم من الخاسن والمزايول لكنك لا تشهر بهذه تمام الشعور ولا تغتبط بها حق الغتباط ولا ترقص طربا لها وجذلا حتى ترى لألاءها منعكسا عليك من وجه غادة ألوف . وتبصر جاهلا يتألق في أحاطها الضاحكة . ففي هذا الظرف ولا في غيره تحس السعادة

حقاً وتعرف حلاوة مذاقها ، والرجل الفقير يعود الى داره بقرطاس الشمس أو البرقال ، فإذا دخل على أولاده فأيقظهم فاستروا جالسين على فرشهم الرثة المهلهلة وتناولوا منه الفاكهة يلثمونها النهاما والعصير يتحلب من أفواههم المنهومة الظمئة ، والفرح يتوقد في عيونهم المحرومة المتشوقة ، عاد لشدة الفرح والجدل كأنه قد ملك حداق يافا وبساتين دمشق ووجهه ، فهل يجدن مثل هذه اللذة في أكلة برتقالة ؟ وأنت اذا كنت مع حبيبة لك في قنار وفياف وقد آذاك السغب والصدى ثم رزقت عنقودا من العنب فأى الخلطين أحب إليك أن تقسمه على السواء بينكما أو تؤثرها به (الاعنبة واحدة تعافى بها نار ظمئك) وتظل ترنو اليها وهي تلتقط حبة حبة كما تفعل العصفورة بالقرطم ، وفي هذا المنظر الجليل والمشهد البديع ما يشبهك ويرويك ويلاً بطنك ويكظ أضلاعك وأى طعام (عمرك الله) أشبع من الجلال وأروى ، وأى شراب أمتع من الحب وأشهى ؟ والحق انه لا سعادة في الدنيا الا ما كان من اجها الحب ، وما الحب الا استكشافنا أنفسنا في خلواتنا وأصفيائنا . وسرورنا بهذا الاستكشاف ، والانسان منفردا عن الجماعة لا يستطيع أن يدرك السعادة كالذى يعيش بعينها عن المرأة لا يستطيع أن يعرف صورة وجهه قيمة المرء ما يحسنه وآثاره عنوان ما يكمن فيه من الفضل ، وهى السراج الذى به نستطيع أن نسرغور شخصية ونقيس أعماقها وابعادها ولا جدال في أن كل امرئ يخرج الى الدنيا منطويا على قدر مقاوم من القوة أو الكفاية لا يزال متناسبا مع مقدار نتاجه . وكذلك نرى أن كل كلمة أو فعلة تصدر عن امرئ تكون مطبوعة بطابع شخصيته بل تكون حلقة في سلسلة حياته ، ولقد كذب من حسب الانسان متناقضا متباينا انما هو متجانس متناسق متشابه الاقوال متماثل الافعال . وما صدق من قال عن رجال الأدب انهم عقلاء أذكىاء على الورق . أما في ميدان الحياة فمق أغبياء « يغرقون في شبر من الماء » هذا كذب وبهتان . ولا يعقل أن ترى الرجل الواحد فيلسوفا على مكتبه وحمارا في الشارع . ولا أن يكون فردا بعينه أعرج في الطرقات ثم أبرع رقاص في الحفلات الساهرة . أجل انه على قدر قوة المرء وبحسب حذقه ومهارته في استخدام هذه القوة تكون قيمة عمله . كما أنه على قدر قوة الدفع يكون مرمى قذيفة المدفع وعلى قدر قوة الباس وامتداد الأنفاس تكون سرعة العداء والمشاء واذا رأيت شعرا خاليا من حسن النسق والانسجام فاعلم ان ذلك لاختلال النسق وقلة الانسجام في روح الشاعر . وكذلك اذا عثرت على الكلمة أو الفعلة لرجل مادلتك عليه وسماقتك اليه كما يرجع بك شعاع الشمس الى الشمس . معظم الناس لاشخصية لهم . أولئك لا وزن لهم ولا قيمة . وأهميتهم في كثرة عددهم . ومن أجلهم يشتغل العدادون وكتاب الاحصاء . ومنهم تتألف الجماعات والجاهير والأغليات الساحقات . وهم الذين يجمعون الأموال ويؤدون العادى المعروف من أعمال هذه الدنيا ولن تكون لهم قيمة الانحسار اشرف القادة الزعماء فهم كالبحينة يشكها الصانع الخاذق كما يشاء ، ويشيد بهم البناء كما يشيد باللبنيات ، وهم في الجلة يكونون الرأي العالم وان كنا نعرف أن الرأي العام في كل عصر وجيل انما هو زبدة أفكار ستة أو سبعة من الرجال يتوسدون صفائح قبورهم في طمأنينة وسلام ، والجاهير تحتفظ بأفكار أولئك الموتى كما تحتفظ هواة الجو بحرارة الشمس ونورها بعد الغروب ،

ولامشاحة في أن الشخصية البارزة أو التفرد أو قوة الخلق أو الرجولة الشاذة المتينة أو ما شئت أن تسمى تلك الميزة التي اصطالحنا على تلقيها (العبقرية) هى أفضل هبات الطبيعة للانسان وأجل آلتها وليس مقدم الرجل القوى الى هذه الدنيا الاحسن البشارة بسعادة المستقبل ، فهو نبوءة خير ، وبشرى فلاح مثله في ذلك كل ربح تهب الآن ههنا ولكن الموجه التي هى من فعلها وأثر هبوبها لن تلبث بعد ركودها أن تفيض وتطغى على الساحل القصى الواقع على مسافة ألف ميل ،

ان الرجل الشاذ ليسد نعمة عظيمة في مثل دنيانا هذه السخيفة السمججة الاعتيادية ، وكفى أرباب الشذوذ



والانحراف وأهل المجون والهزل وذوى الملاذعة والتهتك نفارا انهم يذهبون من وسوسة الحياة الاجتماعية وينفون من سقامها وملها بتنويرهم من تماثل هيئتها وصورتها وتكبيرهم من استواء أديمها الجامد الميت وجدير بالإنسان أن يصبح معروفًا بين الملأ بشيء خلاف اسمه ولقبه ،

وهذه الثمرة الشخصية والطابع الذاتي أو (الماركة) الذاتية تكون في عالم التأليف جليلة القيمة ، من حيث ان عظمة المؤلف لا تتوقف على ما يشترك فيه غيره بل على ما ينفرد فيه بنفسه ويستأثر به وحده ، والرجل العظيم هو المبتكر الذي يصنع الشيء لأول مرة ، لقد كان استكشاف القارة الأمريكية من أصحاب المشاق ، فلما استكشفت أصبحت الرحلة اليها من أسهل الأمور ، وتلك الميزة الخاصة المنفردة التي تمتاز بها القطعة الفنية من شعر أو نثر أو نقش أو غناء هي الأساس الذي يقوم فوقه الحكم النهائي عليها وتسجل كلمة التاريخ وعلى أية حال فالعمل الفني المشتمل على هذه الميزة الخاصة الفردية يكون حائزا لعناصر الخلود ،

أنظر الى الطبيعة تنبعث الحياة من جميع انحاءها وأرجائها ، وتحيش الحياة في جميع جزئياتها وذراتها وكأنها باورة صافية شفافة تتجلى من ورائها الروح الأبدية السرمدية في مليون شكل وهيئة ويابوح من دونها السر المقدس الالهي ، الظاهر الخفي ، في آلاف الآلاف من الصبغ والألوان ، والنغم والألحان ، والصور والأشباح والأجراس والنبرات ، والروائح والنفحات ، . وكل شيء في الطبيعة تنبعث منه الحياة وتتفجر حتى الصخر الأصم ان هو في كنهه وحقيقته الاحياء تجسمت وروح تجسدت . كتلة من الروح السكلى وثوب تنسجها الحضرة القدسية الالهية ، . في تلك اللحظة انعدمت المادة في نظري وتلاشت . والواقع انه لامادة في الكون للعين الشاعرية الملائكية ، النافذة الثاقبة الجليلة .

وكما أن الريح الجوّالة على البحر تستل من كل موجة جزأخفيا فتحمل منه الى أهل الساحل روح المحيط الأثيرية فكذلك النسيم انططار على العشب والكلأ ، والشجر والنجم والذويع ، والنهر والجداول والغدير يسرق من الزمان ، صيفا كان أم خريفا ، جزئياته وذراته إذ يستلب من الافنان والاغصان ومن الورق والاكام والأزهار ، ومن سائر النبات والاعراس ، ذرات ضوء الشمس فيحملها اليها ويمزجها مع الانفاس بنفوسنا ، وكذلك يروح تيار الهواء بعد انغماسه في كؤوس النوار والازهار تحت موسيقى النحل والاطيار : تدب فيه الروح وتحيش الحياة ، فاهو بالجماد ، ولكنه كأن حي يتنم بذكر الله ويسبح بحمد المانع الوهاب

في هذا الوادي المقدس أمام ذلك المشهد الرائع ، بين أكناف الطبيعة البديعة وقفت احتسى كأس الخلود وقد تفتح صدري وانفسح جنائي لأبعد أغوار الخريف واسحق أعماقه ، حتى وسع قلبي ما امتد أمامي من ذاك المنظر الفتان الى الأفق المديد القصى . الى أدنى حشرة في الثرى . الى اسمي طائر في الجو

وكذلك بهرني مشهد الطبيعة الرائع . وسحرتني وملاك على مشاعري فاندفعت على ضفاف النهر تجذبني وشائج الاغصان ولقاقت الأفنان وتحدونى أعجيبات الألحان . على عذبات الايك والبان ، وذوات الاطواق على منابر الأوراق ، وأحس حميا الحياة تندفق من ضياء الشمس ومن نسيمات الشمال في كياني ووجداني وكان العشب والكلأ المنبسط أمامي بالنهاية . والذويع الباسق المنتشر القوى ومطارب البلابل والقمارى . كأن هذه كلها تنصب في روحي ، وتمتزج بأجزاء نفسي . وتلك الأزهار التي تلقت لثام الصباح على الآلاف المؤلفة من وجناتها ، رأيتني اشاطرها حياتها وسرورها وفرحها

وأبصرت الجبال ينبثق من كل ورقة وزهرة والحسن ينسكب من كل موجة وقطرة وعجائب صنع الله تتجلى في كل هبأة وذرة . ووجه الأرض صحيفة كتبت عليها سورة الجلال ، ولوحة نقشتها بها صورة الفتنة والجمال

ولتعلم « علمت الخير » أن الساعات التي تظل فيها الروح مستغرقة في الجمال لى وحدها الساعات التي

نعميشها والجديرة ان تحسب من العمر ، وكل برهنة تقضيها بين الجليل والجليل والرائع والبديع انما هي فرصة تختلس من الدهر ، وغنيمة تنتهب من مخالب الزمن . هذه الساعات التي تستغرق الروح وتغممها جمالا هي الخليفة حقا بأن يقال انها لم تذهب ضياعا ولم تطح جبارا ، هذه هي الحياة المحضة الصريحة وكل ما عداها خدع واضاليل ، وأكاذيب وأباطيل

بين أرجاء هذا المشهد الرائع الذي كله روح تجيش وحياة تتفزز محال ان يذكر الانسان الموت وتمر بباله فسكرة الفناء ، وكيف يتأتى له الجمع بين الضدين والنقيضين ، صورة الحياة في أكل معانيها وأنصع عجاليها وصورة الموت . لقد جعلت أقول لنفسى وأنا أنظر الى الطبيعة كأنها عروس قد تبرجت لزفاف وتزينت ، وأرنبو الى الوادى العشيب يهتز نغمة وريا

ورياض من مخايل الأرض فيها \* خيلاء الفتاة فى الأبراد

لقد جعلت أقول فى نفسى وأنا أتأمل ذلك المنظر الحى المتالى الخفاق ، ولكأن الموت لم يهتد قط الى هذه البقعة البهجة ولم يدس السبيل اليها . وأكبر ظنى أن عالمنا الأرضى قد كان هكذا قبل هبوط آدم وحواء على أديمه النقى بذنو بهما وخطاياهما وذريتهما الباغية الطاغية المجرمة الاثيمة بشرونها وآفاتهما ومصائبها ونكباتها وحاشيتها وبطانتها من الأبالسة والشياطين على رأسهم ابليس ، وزبائنهم من العلل والأمراض والابوثة على رأسها الجلال الأكبر عزرائيل .

أجل لقد كانت هذه البقعة البديعة قبل ظهور الأمم صنوف الحيوان أعنى الانسان . وتالله ان الناظر الى هذا الوادى الأنيق لا يكاد يتصور أن رسول المنية قد جاس قط خلاله ، وخاض ظلاله ، ولأن الأرض الطويلة العريضة تحتوى قبرا واحدا أو تنطوى على رمة ، ولأن الكون بأسره قد تصعدت قط فيه زفرة أو تحيرت عبرة ، أو علمت أنه اودوت رنة أو قام فيه حداد . ولبس سواد ، أو شقت جيوب وابراد .

الحب وحده هو الذى يشفى غلة النفس الصادية ويشبع نهمة الروح الجائعة . الحب وحده هو الدواء وهو السعادة وهو البغية والغاية والمراد ، وليس فى سواه من ملذات الحياة ما يسد مسده أو يقوم مقامه . وماذا ترى فى مسرات العيش يغنى غناه ؟

اللهو ؟ اللهو لا يشبع روح ذى الروح السامية ولا يطرب نفس ذى النفس الشريفة العفة العالية ولا ترضيه اذهان ذوى الازهان الثاقبة النيرة . اذن فاذا يقوم مقام الحب ! السواصر والحفلات والأندية . هذا كتاب سرعان ما نقرؤه ونحفظه حتى نمله وتسأمه . العلم أو الفن . هذا أو ذاك لا يمكنه أن يملأ من عواطفنا الاجزاء معيننا .

القراءة أو الثقافة ؟ هذه لا ترد لطفة ولا تبرد غليلا . ولكن هنالك شيئا واحدا هو الكفيل أن يخلع على الحياة ذلك النور الذى لم يشاهد قط فى أرض ولا سماء ولم يرقط فوق بر ولا بحر وذلك هو الحب الحب أبعد غاية من أن يقاس وأعماق من أن يسبر وأكثر من أن يحصى ويحصى . وأعماق الحب وأشده مانعاضى عن معائب المحبوب ومعايره مهما عظمت

والصداقة قد تحتاج الى أن تدعم على أساس من الاحترام المتبادل . ولكن الحب لا يحتاج الى أى أساس أوسد أو دعامة . الحب يكتفى بنفسه وحدها ويعيش على نفسه دون سواها

وشراة الحب قدح من نغرة أولسة أو همسة . اما الاحترام فليس فى طاقته أن يوجد الحب كما أن قلة الاحترام لا تستطيع أن تمحو الحب ، ولا جرم ان العاشق ليظل وهذه الملايين التى تملأ الأرض أموات فى عينه ولم يبق حيا على ظهر الأرض الا عينان مشرقتان تنظران فى روحه وتحرقانها فتتركها رمادا . اتفهم ما أقول ؟ . كلا ؟ . اذن أنت لاتفهم الحب أتقول الاحترام أساس للحب ؟ .



تزعّم أيها القارئ أنك لن تحب المرأة الا اذا كان لها من الصفات ما يستدعى احترامك ؟ . كأن الحب قرش في جيبك لن تخرجه الا لمن أعجبك من الشحاذين وراقك طباعه ؟ ان كان هذا رأيك فانت أجهل الناس بالحب وأولى لك ان فتج موضوعه أن تسكت أو تنسحب

والواقع ان العاشق لا يحيا إلا بروح معشوقته . ولا يجد في العالم الاشخصية واحدة ، هي وحدها المحبوبة وهي الجيلة وهي الضرورية وهي البغية والفرض والأمنية . شخصية واحدة من بين الملايين التي تملأ الدنيا وهذه الشخصية مهما هفت واخطأت ومهما جنت وأجمرت ومهما أسفت وسفالت ، ومهما لقيت من تحقير الناس وأصغارهم وسخرتهم وازدراءهم لتبقى في عين عاشقها كما هي لا يؤثر فيها ذلك شهرة ولا ينقصها مثقال ذرة . هذا لا يستطيع أن يغير الحب ، بل كلما زيد الأذى على تلك الشخصية وضوعف البلاء تبين لهاشقتها أنها أحوج ما تكون الى الحب ، ومن ثم ما نراه كثيرا من العشاق من مكافأة خيانة حبايبهم بالأمانة وغدرهم بالوفاء . ما أعجب الحب وما أعجب حاله ان ترى مليون وجه . ونسمع مليون صوت ونلقى مليون أنثى حاليات الثغور بالآلىء والعيون بالاللاء ، ولكنهن لا يمسسن أرواحنا ، ولا يحركن شعورنا ، ثم نصادف من بينهن واحدة فاذا هي تحمل لنا الحياة أو الممات في يدها ، وتلعب بهما كما يلعب الطفل بلعبه . يا للعجب ، بماذا تمتاز هذه الواحدة عن تلك الملايين ؟ بلا شيء ؟ وما هي أفضل ولا أجل ولا أنبل ولا أكمل ممن شاهدنا قبلها . ومع ذلك تجدنا نرى الدنيا من غيرها صحراء مجذبة انتهى . وفي هذا المقال الجليل بعض المعاني السقيمة الساقطة

ها أنا ذا أيها النكي كتبت المقالة جميعها وفيها وصف الحب ، وهذا الحب هو الحب الأدنى الذي لا يعرف الشبان إلا إياه وقيمه ضئيلة ، ولقد ذكرت في هذا التفسير كثيرا أن الحب ثلاثة أقسام : أدنى ، وأوسط ، وأعلى ، فاذكر هنا هو الأدنى لأنه معروف ، والأوسط عشق العلوم ، والأعلى حب الله تعالى وعشقه وهذا لا يتصوره كثير من الناس ، وقليل جدا من النوع الانساني من يفهم حب الله تعالى الذي يشير له أكثر القرآن ، وترى الحمد في الفاتحة يشير له إذ الحمد والمدح لا يكونان إلا بعد نعمة عرفها الخامد ، وهذه المعرفة أولا تحدث في قلب الخامد حبا للنعم فينطلق لسانه بالثناء وأعماله للخدمة ، والخدمة هنا بالجوارح للأهم الأرضية الذين هم تحت رعاية المحبوب الممدوح ، ولا جرم أن الله عز وجل منبع كل جمال وعلم ورحمة وشجاعة ، فحضر الكاتب الحب في المرأة راجع الى الطبقة المعروفة والحكماء يرتقون طبقات ويفرحون فرحا لاحد له بمحبوبهم ، ويذكرونهم بذلك المحبوب كل شمس وقر ونجم ونهر وبحر وشجر وحجر وحبيب متبسم ، وتصبح حياة هذه الطائفة سعادة دائمة ولا يحسن بسعادتهم أحد إلا هم أنفسهم ولا قدرة لهم على التعبير عنها

هذا هو الود الذي ورد به القرآن انه للصالحين ، فهو لاء هذه حالهم ، وهذا هو نموذج الود المذكور في قوله تعالى في آيتنا هنا . قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . أى اذا كان لى أجر فهل هو إلا أن تودوا الله ورسوله بالتقرب بالطاعات

فهذا هو التفسير الذي تؤيده آية الفرقان كما تقدم ، هذا هو الذي جاش بخاطري ووافق تفسير بعض علماء الاسلام ، وفسر بمنطوق آية الفرقان ، وذلك ليلة الخميس ثالث يوم من رمضان الأخر سنة ١٣٤٩ هـ بعد نصف الليل

يامعاشر المسامين : كفى غفلة وجهلا ، لم ينزل هذا الدين إلا لانهاش الأمم وإيقاظها واحداث حركة فسكرية جدية ، أما اذا ظن المترفون المنعمون وهم على فرشهم أن الأنبياء يبتغون من النبوة أن يقال في أبنائهم ما قاله النصارى في المسيح ، فيقول الباطنية في كرام آل البيت انهم آلهة ( كما تقدم في سورة الكهف عند آية . وما كنت متخذ المضلين عضدا . وعند آية ابراهيم في آخر سورة ابراهيم وهكذا ) فذلك جهالة تؤدى الى بطلالة . اكرام آل البيت مطلوب مرغوب ، ولكن مما لا سبيل الى قبوله أن يتخذ ذلك ذريعة الى أن

تنشط أمور المسلمين بمن لا وسيلة عنده إلا القسب . كلا . ثم كلا . ديننا يراعى الكفاية للأعمال ، إن نبينا ﷺ خانم الأنبياء فلا يوسد عملا إلا إلى أهله

أيها المسلمون : أيها الأذكىاء . لاسعادة إلا بالحب ، والحب الدائم حب الحى الذى لا يموت ، وهذا دونه خبط القناد لأكثر نوع الانسان ، ولن يصل إليه إلا الأقلون . انتهى ليلة الخميس الموافق ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية

## جمال الحكمة والبهجة

في هذا المقال

يا الله أنت أرىتنا جمال وضعك ، وحسن صنعك ، وأنستنا بنور وجهك ، وأشرقت علينا بهجات نورك وأنوار شمسك وأقمارك ، رأينا ياربنا علاقات تامة بين أرضك وشمسك ، مدا وجزرا ، وكذلك مع قرك ، ورأينا الحركات منتظمة ، ورأينا أجسامنا وتربيتنا منوطين بالحرارة والضوء الساريين في النبات الموصل لنا الصحة والقوة من عالمك الأعلى ، وهانحن أولاء رأينا علاقتنا بالأمم حولنا كعلاقتنا بالشمس والقمر وكل معدن ونبات وحيوان

نظام خلق الانسان

هانحن أولاء ياربنا فهمنا وضعك ، وشرح صدورنا فعملك ، وقد بهرنا ما رأينا في خلق أجسامنا ، ياربنا هانحن أولاء نرى أجسامنا مصنوعة بشكل يخالف كل حيوان في بر أو بحر أو هواء ، إن هذا الجسم كتاب مفتوح هورق منشور ، هو حكمة ، هو علم ، هو رمز ، ومتى ملكنا هذا الرمز عشنا في الأرض سعادة ، رباه رأيناك جعلت الحيوانات مقسمة أقساما ، فمنها الفقرية ، ومنها الحلقية ، ومنها المفصليّة ، ومنها الرخوة ، ومنها النباتية (١) إن الحيوانات النباتية هي التي نراها تعيش في البحار كأنها نبات ، إذن فيها حياة كحياتنا ولكنها لم تعط قوة كمقوتنا وعقولا كمقولنا (انظر صورتها في آخر سورة الحج ، فبعضها ذات خمسة أشعة منتظمة جميلة ، وهي عند آية الباب)

(٢) والحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف الذي فيه اللؤلؤ ، وأم الخلول (وقد شرح بعضها في سورة صريم في أولها شرحا وافيا فانظره) فهذه مع ما قبلها لما قابلنا صنعك فيها بصنعك في أجسامنا دهشنا أشد الدهش من اتقان واحكام فينا وارتقاء صرتفع عن تلك المخاوقات اللاصقات بالأرض المحبوسات في البحار ، ولم تعط يدين بهما تصنع ما تشاء كما نصنع نحن من جيل الأعمال

(٣) ولم تكن الحيوانات المفصليّة (مثل العنكبوت والعقرب والسرطان ، ونحوهم أربعة وأربعين رجلا ، وذوات مائة الأرجل ، وأمها ذوات ألف رجل المتقدم ذكرها في سورة النور) بمتمتعات بقوة الانسان وعقله ويديه القويتين المفصليتين تفصيلا بديها تصنع أعمالا لا قبل للعنكبوت بها ولا السرطان ، فأولهما أعطي حرفة النسيج وهو يعيش في البر ، والثاني يعيش في البحر مقيدا بقيود خاصة ، فأنى له بقوة الانسان

(٤) وهل الحيوانات الحلقية (ومنها دود السباح ، ودود العلق ، وحيوان البلهارسيا ، والانكلستوما ، والدود السكوى) إلا عاجزات عجز ما قبلها من المفصليّة ، فكل منها لاصقات بالأرض ، لا حول ولا قوة لها إلا غرائزها تعيش ثم تنفى من الوجود

(٥) وليست جميع الحيوانات الفقرية (التي شاركت الانسان في فقراته ولها هياكل عظمية وبعضها له دم أحمر كدمه) إلا أقل من الانسان تفصيلا في أشكالها ، ونظاما في أفعالها



وهل السمك في البحار قامت شوكاته التي يهوم بها مقام يدي الانسان في شيء اللهم إلا انها تعينه على السباحة وان شارك السمك الانسان في الفقرات والهيكلة العظمى ، وهل السلاحف بدركاتها والورل والشعابين بسمومها بجانب الانسان إلا عواطل من القوى الشريفة والأعمال المنيفة ، ولعمرك ما يغني جناح (الدجاج والطاووس) والحجل والبط وأبي قردان والنهامة والبلبل والبيغاء والنسر والحداة والعقاب) فتبلا ولا قطميرا ، وهل لذلك الجناح إلا انه يحمل الطير في جو السماء ، وهل للجناح إلا عمل واحد هو حمل الطائر ليصل الى أعماله ، وفرق عظيم بين الأجنحة وأيدي الانسان القائمة بأعمال غير محصورات ، وما القيظس العائش في البحار الذي يستخرج منه الانسان الزيت ، ولا الدافين الذي ينفع الانسان بحفظه من الفرق ولا الكشلو الذي يستخرج منه الناس العنبر السجاني ، ولا الحيوانات المجترية (المشروحة في سورة النحل بصور بعضها) ولا ذوات الظلف الواحد (كالفرس) ، ولا ذوات الأرجل المشقوقة مثل الخنزير وجاموس البحر ، ولا ذوات الخرطوم كالفيل ، ولا الحيوانات الشديدة آكلة الحشرات مثل القنفذ والفارغيطي . ولا الحيوانات آكلات اللحوم كالأسود والنمور . ولا القردة) لها مالا للانسان من قوة اليدين والعقل العظيم

يارب بناه نحن أولاء نظرنا فوجدنا اليدين اللتين وهبتهما لنا أعطتنا ما لم يعطه الأسد في عرينه ولا القيظس في مائه . ولا النسر في جوه . ولا الفيل بقوته . ولا الفرس بسرعه

نظرنا هذه المخلوقات فألفيناها مقيدات مقدمات لما غرست فيها من الغريزة . وأحطنا بالطبيعة . كاهن مقيدات ناقصات . فهن أقل من هذا الانسان قوة معنوية وقوة مادية

رباه : نحن بنظرنا في هذا الوجود ألفيناك وضعتنا في مركز هام عجيب . فان نظرنا للشموس والأقمار وعالم النبات والحيوان والبحار والهواء . وجدناها كلها كأنها جسم واحد ونحن في داخله ولنا به اتصال عجيب بل يكاد كل جسم من أجسامنا يكون أشبه بهضو في الجسم العام في السموات والأرض . وان نظرنا الى ما فيه الحياة مثلنا من كل حيوان . وجدناك قيدين جيهما . فقيدت ذا الظلف . وذا الجناح . وصاحب نصف الجناح وقيدت الزاحف والماشي . وكل ما في هواء . وأعلى الأرض . أوفى لجج البحار . فكلهن مقيدات . ولم يفك من العقال إلا هذا الانسان ، فان أيدينا وعقولنا تفعل ما لا يقدر عليه الجناح . ولا يسموله الخرطوم في الفيل ولا القوة الأسدية . والافتراس النمري

إذن أنت يا الله فضلتنا بعقل وبيدين فضلا عن سواهما . إذن أنت ياربنا جعلت أجسامنا مفصلات تفصيلا كأنها كتاب نقرؤه . وهذا الكتاب مفصل أبدع تفصيل . إذن يارب أنت أنعمت علينا بما وهبتنا من الحرية العقلية ، وباليدين اللتين بهما تقدر على الاختراع والاحكام والتدبير وإدارة كل عمل في أرضنا من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وإبداع واختراع . كل ذلك ابتكرته عقولنا وصنعتة أيدينا . إذن هذا الكتاب الذي قرأناه في أنفسنا وتفصيلها وفي الحيوانات حولنا وفي العوالم العلوية والسفلية يوجب علينا أن نكون خلفاء لك في أرضك . وان تحقق هذه الخلافة إلا بالعلم والعمل . وأنا الآن يارب أكتب هذا القول للمسلمين تلك الأمة التي برزت في الوجود منذ ( ١٣ ) قرنا وغيرت معالم الكرة الأرضية . وبسببها ظهرت أمم وأمم في الشرق والغرب . فأنا أكتب هذا لهم وللأمم . وأسألك يارب يرحيم أن يقوم فيهم مجددون يقومون للنوع الانساني بما قام به أسلافهم كل بحسب زمانه . وأخطبهم قائلا :

« أيتها الأمم الاسلامية . ويا أيتها الأمم العربية : طال نومكم . ألم تسمعوا قول ربكم - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - . فأين خير يتكم الآن . أستم لما نتم عن وظيفتكم تولى بعضها غيركم من الأمم . أنتم خلفاء الله بنص الآية وبما يفهم من تفصيل الجسم الانساني . أتريدون أن تكونوا في الأمم أشبه بالعناكب والذباب وهم يكونون أشبه بالانسان . أتريدون أن تتجاهلوا ما لكم

من العقول والأيدى فيجعل بعضنا نفسه كذى الجناح أذى الحافر (حاشا لله أن يكون ذلك) وهل يرضى أبناء العرب الذين هم أصل هذه الأمم الإسلامية أن يكونوا في مؤخر الأمم ويتزلوا عن مجدهم الرفيع وشرفهم الكبير. ويذروا عقولهم بلا تفكير وأيديهم بلا عمل . ويجهلوا ما عرفت الأمم حولهم من العلوم والصناعات . لا لا . يا أمة الاسلام ها أنا ذا وصلت لكم القول ليعلم المفكرون منكم قوله تعالى - وكذلك أوحينا إليك قرآننا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها - والله كما فصل القرآن فصل آيات هذا الوجود . ومن هذا التفصيل تفصيل جسم الانسان . فهو مفصل تفصيلا عجيبا . فها هو ذا القرآن وها هو ذا جسم الانسان يقضيان بحرمان الجاهلين الكاسلين الذين يذرون مواهب العقول وابتداع الأيدى عجائب الصناعات وابتكارها غرائب المنافع في الدنيا والدين . كتب في ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٢ يناير سنة ١٩٣١

### نظرتي أمس (٣ رمضان أيضا) في بلدة البركة

امرأة تطحن على رحاها

يا سبحان الله : مررت على هذه البلدة كهاتى لأنها في طريقى الى منزرتنا بتلك الجهة قرب القاهرة فمأريت المرأة تدير رحاها تطحن بها برا تصنعه لأهل منزلها (وقد كان هذا الموضوع أى موضوع السموات والأرض وانتظام هذا المجموع واتصاله بجسم الانسان وأهم الأرض مرتسما في ذهنى محضرا في عقلى لأقدر على التماس منه) حتى كانت هذه الرحى اتماما للموضوع وشرحا وتطبيقا على ذلك كله

الله أكبر : دارت الأرض حول نفسها فكان الليل والنهار . الأرض دائرة في يد ما نعتها مجذوبة حول الشمس فكانت لها تتأرجح لا عدد لها ولا حصر . وبدوراتها كان الصيف والشتاء والخريف والربيع وهناك ملاحصره من المخاوقات . فهى رضى كبيرة . إن رضى المرأة التى رأيتها أمس مدورة والأرض كرة . إن رضى المرأة دائرة بيد المرأة والأرض دائرة بيد الصانع الحكيم . ولكن فرق ما بين الدورتين . فدورة الأولى لغذاء بيت واحد . ودورة الثانية لغذاء أم وأم

ايه أيها المسلمون . كلما كانت الأم في صناعاتها أقرب الى صنع ربها كانت أسعد بالا وأنعم حالا وكلما ابتعدت عن صنعه كانت أقل وأذل . أفلاترون الآلات الطاحنة ذوات العجلات المنتظمات الدائرات دوران هذه الرضى عملتها أيدى أناس مثلكم فقامت مقام آلاف رضى كرى المرأة التى رأيتها في بلدة البركة أفلاترون الآلات الخابزات والخابزات والجاريات فى البر والبحر فقد عملتها أيدى كأيديكم بارشاد عقول كعقولكم فأغنت أمما وأمما

كلما كانت صناعات الأم أقرب الى البساطة كانت الأم أقرب الى التفرق فيكون الانحلال ثم الفناء . وكانت بالنسبة للأم ذات الصناعات العظيمة أشبه بالحيوانات الرخوة بالنسبة للانسان . وكلما كانت صناعاتها أقرب الى صنع الصانع الحكيم مبدع الكون كانت أقرب الى الاجتماع والاتحاد والكمال فى الانسانية . والانسان اليوم سائر الى هذه الحال شاء اجهال من المسلمين أم أبوا . وسيكون هذا النوع الانسانى أشبه بأمة واحدة تعمل لغاية واحدة ومنفعة للجميع وتكون سعادة الانسانية بتلك الأيدى والعقول فوق ما هو عليه الآن آلاف آلاف مرة ، وتكون نسبة سعادتهم اليوم الى سعادتهم فى المستقبل كنسبة الحيوانات المفصلية والحلقية كالعلق والعقرب الى نوع الانسان ، أو كنسبة هذه الرضى التى تديرها المرأة التى شاهدتها فى بلدة البركة وغديرها الى آلة بخارية عظيمة تطحن لآلاف من الأسرات فى القرى والأمصار . هذا وانى أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والعرفان والحكمة والتبيان . كتب يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ والى هنا تم الكلام على اللطيفة الرابعة والحمد لله رب العالمين



## اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء انه على حكيم -

حضر أخى العالم الذى اعتاد مناقشتى فى هذا التفسير . فقال : لقد جاء ذكر الشيخ الدباغ ذلك الأسمى فى آية - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - الخ ولكن للقول هناك بقية . ولقد أذكرنى بها هذه الآية لأن البشر ليس لهم أن يكلمهم الله إلا بالوحى أو من وراء حجاب أو ارسال رسول الخ . فباليت شهرى أمثال هذا الأسمى من هؤلاء حتى يأتى لنا بالعلوم عجيبة بعضها نقله وبعضها لا ندركه . فقلت : أيها الأخ . الشيخ الدباغ وأمثال الشيخ الدباغ لا تأخذ العلم عنهم وإنما هؤلاء مذكرون لنا بالوحى . فإذا سمعنا من هؤلاء حكما لم ندركها نحن وبحسنا فوجدناها موافقة للوحى المنزل على نبينا ﷺ قبلناه وان رأينا ما يخالفه نبذناه . فلنا عقول ولنا دين . ولكن ليس معنى ذلك أننا نترك هذه الإنبايع النابعة من فيض الله كما لاندع الإنبايع الظاهرة من الأرض بلا غمجل منا . إن المسلم فى مستقبل الزمان غير المسلم الماضى فى القرون المتأخرة . انه انسان غير جامد . انسان فيه حقيقة الانسانية . لا يدع نعمة تصل اليه ولا حكمة يسمعها إلا يبحث فيها . فإذا كان الماء النابع من العيون لا ينبغي للمسلم ترك الاستفادة منه . هكذا لا يليق به أن يذر حكما تصدر على انسان انسان بدون أن ينقدها ويفكر فيها . بل فوق ذلك يعلم أن الله هو نفسه الذى ساقها اليه اختبارا له لينظر أيشكر بقبولها ويبحثها والاستفادة منها أم يكفر بتركها واحتقارها فيقول لا أنا لم أقرأ نص هذا القول فى الدين . بل أقول فوق ذلك كل قول يسمعه المسلم من أى عالم فى أقطار الأرض فى جميع العلوم الرياضية والطبيعية والسياسية والتاريخية إنما هو نعمة من الله ساقها اليه فنبتذها إنما هو نبتذ لانعمة المرسلة من الله اليه . وعليه أقول : ان المسلمين بعد انتشار هذا التفسير (وقد انتشر فعلا) سيكونون نورا لا يذرون قوة فى الأرض وما عليها . ولا حكمة صادرة من رجل فتح عليه وهو لم يتعلم كالشيخ الدباغ . ولا علما جده فيه عالم صينى أو يابانى أو ألمانى أو فرنسى الخ . بهقله ونصبه وآلاته الرصدية أو الكيماوية أو غيرها إلا سارعوا اليها ودرسوها ومحسوها . وادطفوا ما هو نافع . وتركوا ما هو ضار

هذا هو الحق الذى لا محيص عنه . أليس هذا هو قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -

فآية عامة وتخصيصها لا معنى له . والأرض أرض الله والناس عباد . وإذا انتفعنا بماء الأرض الذى هو من صنع الله وفيضه فان الانتفاع بما تنتجه العقول أولى لأن العقول أفضل من المواد والماء مادة والعلم ينتج من العقول . إذن ترك ذلك كله أو بعضه جهالة وقلة دين وعقل

لك الحمد اللهم على نعمك ، ولك الشكر ، ولك الفضل العظيم علينا وعلى الناس أجمعين ، أنت الذى خلقت الانسان وجهلت جسمه فى هذه الأرض محوطا بالخير والشر وحجبته عن المعارف والعلوم بما سلطت عليه من شهوة وغضب ، فأخذت الأمم بموج بعضها فى بعض ، وبلغن بعضهم بعضا ، فجعلتهم مسددين فى صورة منعمين ، وجهلاء فى صورة علماء ، وأريتهم بصيصا من العلم ، وبصيصا من الجمال ، وهيات أرواحهم لقبوله بدرجات مختلفات بحيث لا يتفق اثنان من الناس فى درجة واحدة ، فهم فى معارفهم مختلفون اختلافهم فى ألوانهم ولغاتهم ، واختلافهم فى خطوط أيديهم التى ظهر سرها فيما تقدم فى السورة السابقة ، واختلاف استعدادهم الفطرى

(١) فهنا نحن أولاء نحمد القرآن نزل على رسول الله ﷺ ولقد فهمه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون

فتشروهم في السكرة الأرضية ، وكان لهم فيه فهم غير ما نفهم ، وآراء غير ما نعرف ، والدليل على ذلك نتائج أعمالهم في الأمم التي حكموها والممالك التي أحكموها والمظالم التي منعوها وأنواع العدل التي سلموها والمبرات التي أظهروها والسعادات التي نشروها

(٢) ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وبغوا في الأرض الفساد وقطعوا الأرحام حتى علمهم قول الله - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - فلذلك استرد الله منهم ممالكهم وأورثها قوما آخرين قررونا وقررونا وهم يتدلون في حضيض الجهالة والمذلة ، وكلما نبغ نابغ ذممه وحقوقه ، وكلما ظهر عالم ازدرؤه ، واكتفوا من العلم بقشوره ، ومن القرآن بلفظه ، ومن العبادة بظاهرها ، ومن الدين باسمه ، واستحلوا الجمل واستعذبوه ، واستبشروا العلم وبنبوه ، لذلك حرقوا كتب الامام الفزاري في بعض بلاد الغرب في القرن الخامس ، وذموا ابن رشد وكفروه أيام دولة الموحدين ، فلم تقم في أمم العرب خصوصا وأم الاسلام عموما للعلم قائمة بعد ذلك كما ذكرته سابقا في هذا التفسير في مواضع كثيرة وأوضحته أيما إيضاح

ولما تم ذلك قبض الله للخلف قوما آخرين ليسوا علماء كالذين نهضهم ، بل خلقهم على شاكاة تلك الأمم لم يتعلموا علما ولم يحفظوا ديننا ولم يقرءوا القرآن وأنطقهم بعالم فوق طاقة نوع الانسان ، وانما فعل ذلك رحمة بهم ، ذلك لأن رحمة الله عامة ، فاننا نراه لم يذر حشرة ولا طيرا ولا حيوانا ذرريا لا تراه الميئون إلا أحاطه بالنعم وملاؤه بالحكم ، وأنت أيها الذكي تعرف ذلك من العجائب المتقدمة في هذا التفسير ، فان العلوم التي ملأ الله بها أرضنا والمسلمون كانوا محرومين منها وقد كتبت ثمراتها في هذا التفسير ، تملأ القلب روعة وحبا لله تعالى وإيقانا بأنه لم يذر ذرة إلا ملأها بالحكم ولا حيوانا دقيقا أو عظيما إلا أحاطه برحمته فهو كذلك سبحانه أحاط آباءنا الذين جهلوا القرآن وكرهوا العلوم برحمته ولم يذرهم يتخبطون في دياجير الظلام بلا مرشدين بل بث فيما بينهم هؤلاء الأقوام وهم أرباب القلوب والصالحون ، وكانوا كلما أوغلوا في الجهل زادهم الله من هذه الطائفة ، ومن هؤلاء من ذكرته سابقا في هذا التفسير وهو الشيخ الدباغ الذي ظهر في بلاد مصر اكش منذ نحو قرنين اثنين ، فانه كان في القرن الثاني عشر الهجري ، فهل لك أيها الذكي أن أحدثك عما جرى بيني وبين بعض علماء مصر اكش في عصرنا الحاضر في أمم هذا الشيخ ، وذلك ان هذا التفسير أثناء طبعه أخذ أفاضل العلماء في مدينة فاس وغيرها يقرءونه لتلاميذهم ، فأنا حدث الله عز وجل وزدت إيقانا بما سيكون لهذه الأمة من السعادة والفضل العظيم

والحديث الذي جرى بيني وبين هذا العالم الفاضل هو ما يأتي . قال : « انما اطلعنا على تفسير الجواهر انشرفت صدورنا وازدادت مسرتنا ووالله لقد سرت روح هذا التفسير أثناء طبعه في البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأصبح العلماء والطلاب والعامة الذين يتعلمون منهم يفكرون في منافع أرضهم ومعادن جبالهم ومصادر أنهارهم ومواردها ، وفي الصناعات والعلوم على اختلاف درجاتها ، وقد انفتحت بصائرهم وانشرفت صدورهم بسبب ما يلقيه العلماء من الحكمة التي أودعها الله في هذه الدنيا ، فأصبحوا يرون حكم الله في الحجر والشجر والنهر والبحر والجبل مع أن تفسير القرآن كان العلماء يحرمونه قديما على التلاميذ باعتبار انه فوق طاقة المخلوقات ، وهذا القول سمعته من كثير من علماء تلك البلاد »

ثم قال : والله لقد أحضرت وأجهدت وشرحت المصدر ، وهذا موافق لأقوال أكابر علماء الاسلام الذين لا يقولون في أقوال أهل الكشف إلا على ما وافق الدين وأنت صرحت بذلك ، إذن هذا يشجعني أن أسأل في بعض كلام الشيخ الدباغ ومما تصوده حتى نستفيد منه . فقلت : سل ما بدالك . فقال إن الشيخ عبدالعزيز الدباغ ذلك الرجل الأمل قد أتى في تفسير الحروف التي في أول السور بامور عجيبة جدا تفوق طاقة الانسان



ولما اطلعنا على تفسير الجواهر وجدنا بصيصاً من نور كلامه فيه وبقية مهتاه فوق متناول العقول في زماننا ، فأريد منك إيضاح هذا المقام حتى أبته بين اخواني العلماء اذا رجعنا الى تلك الأقطار . فقلت : اذا تفضلت بإيضاح السؤال فاني أرجو من الله أن أوفق للإجابة . فقال : انه يقول في معنى (ص) انها تشير الى الفراغ الذي يتأون على ما تقتضيه أفعال كل ذات من النوات ، فتراه على كافر عذاباً وعلى مؤمن الى جنبه رحمة من الرحمت وعلى كافر آخر واقف الى جنب هذا المؤمن عذاباً ولكن لا من جنس العذاب الذي للكافر الأول بل من جنس آخر ، وعلى مؤمن آخر واقف الى جنب هذا المؤمن رحمة ولكن لا من جنس الرحمة التي للمؤمن الأول بل من جنس آخر اقتضته أفعاله وهكذا حتى تأتي على جميع من في المحشر ولا تجد فيه حيزاً يشبه حيزاً أبداً مع انه فراغ واحد في رأى العين وعلى ما تقتضيه طبيعة الدنيا ، والمفتوح عليه يرى هذا عياناً ، فيرى زيدا في فراغه على ما كتب له ، ويرى عمراً في فراغه على ما كتب له ، وكأنهم الآن واقفون فيه بين يدي الله عز وجل ، فلهذا قلنا : لو علم الناس ما أريد بص وما أشير اليه به ما اجتراً واحداً على مخالفة أمر الله عز وجل ، فانه لو فتح للناس على مكاتبتهم في ذلك الفراغ لاغتبط المطيع ولما لم المخالف أسمى ، ولا يخفى أنه يكون في ذلك الفراغ الكفار والمؤمنون والأنبياء والملائكة والجن والشياطين ، وقد أشار الى الكفار في سورة بقره بطوائف منهم ، والى الأنبياء بذكر طوائف منهم ، والى المؤمنين بذكرهم خلال ذكر الأنبياء ، والى الملائكة بذكر الملائكة الأعلی آخر السورة ، والى الجن والشياطين بالإشارة اليهم في آخر السورة وذكر أحوالهم في الدنيا وان لم تكن لهم في المحشر لأنها هي السبب في اختلاف أحوالهم في ذلك الفراغ الذي يحشرون فيه وبقيت أسراراً آخر تتعلق بما في السورة لا يحل إفشاؤها والله تعالى أعلم .

ثم أخذ بعد ذلك يتكلم على معنى « كهيعص » وغيرها فلا أطيل به ، ثم قال : « وقد رأيت نفس هذا الشيخ لما سأله الشيخ أحمد بن المبارك في سبب كون تكبير العيد سبعا في الركعة الأولى وستا في الثانية أجابه مسرعاً قائلاً : « إن التكبيرة الأولى يشاهد فيها العبد المكبر ولا سيما سيد الوجود ﷺ المكونات التي في الأوض الأولى والتي في السماء الأولى ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الثانية يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الثانية والتي في السماء الثانية ، ويشاهد المكون سبجانه وتعالى لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الثالثة والتي في السماء الثالثة ويشاهد المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الرابعة والتي في السماء الرابعة ويشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الخامسة والتي في السماء الخامسة ويشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة السادسة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض السادسة والتي في السماء السادسة ويشاهد فيها المكون سبجانه لأنها أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبيرة السابعة والتي في السماء السابعة ويشاهد فيها المكون سبجانه وتعالى لأنها أفعاله تبارك وتعالى »

هذا في الركعة الأولى ، وأما الركعة الثانية فان التكبيرة الأولى منها يشاهد فيها ما خلق في اليوم الأول وهو يوم الأحد ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الثانية يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثاني وهو يوم الاثنين ويشاهد المكون سبجانه ، والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء ويشاهد المكون سبجانه ، والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الخامس وهو يوم الخميس ويشاهد المكون سبجانه وتعالى ، والتكبيرة السادسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويشاهد المكون سبجانه وتعالى . فقلت : وهذه المخلوقات في هذه الأيام الستة هي التي في السموات السبع وفي الأرضين

السبع . فقال رضى الله عنه يشاهد عند رؤيته الى الأيام أصول المخاوف التى كانت فى بدء الخلق ، وأما عند نظره الى السموات والأرضين فيشاهد المخاوف الموجودات على ظهرهما . فقلت : فتكبير العيد سبعا وستا شرع فى حق كل مكاف وأين كل مكاف من هذه المشاهدة ؟ فقال رضى الله عنه من فتح الله عليه فلا كلام فيه ومن لم يفتح عليه فينبغى له أن يستعمل هذه المشاهدة ويستحضرها ولو على سبيل الاجال والله تعالى جواد كريم ، فان استحضر العبد ما ذكرت فى هذا العيد وفى العيد الذى بعده وهكذا وفرح بربه ودام على ذلك فان الله تعالى لا يخيبه ولا يخرج روحه من جسده حتى يريه تعالى هذه المشاهدات تفصيلا لأن الله على كل شئ قدير ، والبعد والانقطاع إنما حصل من ناحية العبد لامن ناحية الرب سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »

ثم لما أجابه عن ذلك سأله عن سر التكبير ثلاثا اثرا خمس عشرة فریضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع . فقال : التكبير الأولى يستحضر فيها ويشاهد تصوير الذات نطفة ثم علقه ثم مضغة ، والتكبير الثانية يستحضر فيها ويشاهد تمام التصوير وكاله وحسن خلقه ونفخ الروح فيه وصيرورته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، والتكبير الثالثة يستحضر فيها ويشاهد فساد الصورة ورجوعها ترابا حين تكون فى القبر ، فان هذه الامور الثلاثة من عجائب قدرته تبارك وتعالى ، ومن غرائب ما أبدعه فى مصنوعاته سبحانه وتعالى لا إله الا هو ، وهذا التكبير لا يختص عند الصوفية بما ذكره الفقهاء بل يستعملونه دبر كل صلاة ولكن قبل السلام منها . قال رضى الله عنه : والمفتوح عليه يشاهد هذه الأحوال عيانا ويراها جهارا ، فيشاهد من باهر قدرته تعالى ما لا يکیف ، وكم من عجائب لله تعالى فى مخاوفاته ، فاذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر اليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ومحو ما نزل به ما لا يکیف ، فغير المفتوح عليه يدفعه بالرؤية والعيان (كذا) . قال رضى الله عنه : وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا الى دليل ، من تلك العجائب ما اذا شاهد العبد علم بوحدانية الله تعالى من غير دليل وتكفيه مشاهدة ذلك الأمر ، ومنها ما اذا شاهد العبد علم بوجود الجنة ، ولا يحتاج الى اقامة الدليل على وجودها ، ومنها ما اذا شاهد العبد علم بوجود جهنم ولا يحتاج الى دليل ، الى غير ذلك من عجائب مخلوقات الله تعالى والله أعلم . انتهى من كتاب الابرار

هذا هو الذى أسألك عنه . ثم قال : ولست أقول انك تجيئني من ذلك المقام الواسع فانه فوق طاقة أهل الأرض ولكني أسألك لتجيئني بما يفتح الله به عليك أنت مما يناسب زماننا الذى خلقنا نحن فيه . فقلت اعلم أيها الأخ الفاضل ان الله عز وجل خلق أرباب القلوب وجعل بعضهم كالشيخ السابغ من الطبقة التى لم تتعلم ، والسبب فى ذلك رحمة بالعباد ، فان المسلمين لما كرهوا العلوم وحرموها وطردها أهل العلم فذهبوا الى أوروبلوهوس سبحانه وعد ووعد حق إذ قال - ورحمتي وسعت كل شئ - فلم يشأ أن يذره بل اعلم لأن الانسان هو الحيوان الناطق . فقال لهم : « يا عبادي أنتم كرهتم المفكرين والعقلاء الذين يجتهدون بمقولههم ، فأنا أرسلت لكم من ينطقون بالعلم بلا كلفة ولا كنى عدل ولم أخلقكم فى الأرض ليكون علمكم بلامشقة ، إن العلم الذى يعطى للانسان بلامشقة لافضل فيه له ، وكل ما كسبه الانسان بنصبه وتعبه كان كلاله ، وكل ما أعطى له بلامشقة ولا نصب كان أشبه بالمال الذى يرثه الولد عن أبيه ، فهو لا يعرف له قيمة ولا وزنا

فهؤلاء السالحون بهم الله فيهم ، فمنهم الصادقون وهم قليل جدا وأكثرهم يعيشون ممتعين بالراحة على نفقة هؤلاء الجهلاء ، وقد جعلوا الدين شبكة يصادون بها حطام الدنيا ، وهم هم الذين يساعدون الفرنجة فى إذلال الشعوب ومثلهم بعض أمراء الاسلام ، فههنا ثلاث طوائف : بعض رجال العلم والتصوف وبعض الأمراء والمستعمرون ، فهؤلاء هم الذين يحبون أن يبق المسلمون فى الذل والجهل ليعيشوا معا على حسابهم



ومن كذب أيديهم ، وهذه الطوائف الثلاث كالمنكبت تصطاد الذباب بالشبكات ، فالذباب هم جهال المسلمين والمنكبت العائد هم المستعمرون وبعض أمراء الاسلام وأكثر رجال التصوف وأهل العلم الذين يعملون لارضاء المستعمرين

فاذا خلق الله أمثال الشيخ عبد العزيز الدباغ وأنطقه بالحكمة التي فوق متناول عقول أهل الأرض فذلك حكم :

﴿ أولاً ﴾ ان هذا الشيخ لم يقرأ مثلهم ، وليس فيلسوفا ولا حكيماً حتى يكفروه ، فهذا به يأتسون وهذه رحمة بهم

﴿ ثانياً ﴾ هو ينطق بالعلوم المدهشة التي يقف أكبر حكماء أممها حائراً لعلوها ، وهذا يجعل أولئك الجهلاء مصدقين بالدين الاسلامي فيكون أرباب القلوب إذ ذاك أشبه بأوتاد وجبال ، فكما أن الأوتاد تحفظ الخيام من أن تزعزعها الرياح ، والجبال تحفظ الأرض من أن تميد ، هكذا أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص ومن على شاكتهم بثهم الله في الأرض كما بث الجبال الرواسي فثبتوا قلوب آبائنا علماء وجهلاء وثبتت العقائد وآمن الناس واستماتوا في الدين استماتة حفظته من الضياع حتى سلوه اليما

ولادين في الأرض يبقى بلا دعاء ، وهذه النصرانية لولا جمعيات المبشرين (الذين يملكون من المال مئات الملايين ويجهونه من سائر الأقطار ، وبهم زلزلوا عقائد بعض المسلمين) لم يبق لها وجود ، والدين الاسلامي لاجمعيات له والله يريد بقاءه كما وعد ، خلق هؤلاء الذين هم أرباب القلوب فنطقوا بالحكمة التي تجرى على ألسنتهم كما ينطق المؤمنون (بالفتح) تنوعاً مغناطيسياً ، وهؤلاء وهؤلاء يشاهدون عوالم لم نشاهدها نحن في أجسامنا هذه ، غاية الأمر أن أرباب القلوب من المسلمين وصلوا لذلك بأنوار بصائرهم والمؤمنون (بالفتح) وصلوا لذلك بطرق صناعية ، والأولون أرقى منهم ، والعوالم كلها في يد الله وهو الذي فعل ذلك رحمة بآبائنا فحفظ هذا الدين ثم وصل اليما فنظرنا فيه وفرحنا بنعمة الله

## حكم أرباب القلوب

( كالشيخ عبد العزيز الدباغ ) وتفسير الجواهر

كلاهما من مصداق قوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء

حجاب - الخ وقوله أيضاً في السورة السابقة - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم

حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد -

فقال الاستاذ : إن في الأمر لغموضاً ، فأرجو إيضاحه حتى أفهمه ، فقلت له : ماذا قال الشيخ عبد العزيز الدباغ ، ألم يقل ان كون تكبير الركعة الأولى في العيد سبها وفي الثانية ستا يرجع الى مشاهدة عجائب السموات السبع والأرضين السبع في كل تكبيرة سماء وأرض من تلك الأرضين والسموات . قال بلى . قلت : ألم يرجع هو رحمه الله تكبيرات الركعة الثانية الست الى مشاهدة المخلوقات التي خلقت فوق الأرض في كل يوم عالم من العوالم كالذي تقدم في علم طبقات الأرض إجمالاً موضحاً بالصور الفوتوغرافية في السورة السابقة . قال بلى والله . قلت رجع كلامه في تكبير الركعتين الى عجائب السموات والأرضين في الركعة الأولى والى ما كان عليهما في مبدأ الخلق في الثانية ، ولما كانت الأمم تعرف السبع والست ، وأن الأولى سموات وأرضون ، والثانية أيام ، أنزل هو التكبيرات على ذلك بإلهام من الله تعالى

ومعلوم أن عوالم الأثير الذي لا وزن له قد قرر علماء عصرنا انه عالم أثقل من الذهب والحديد بما لا حد

له كما تقدم في أول ﴿سورة الصافات﴾ وإن لم يأت مادة ، وإذا كان الذهب أثقل من مقدار حجمه من الماء نحو ١٩ مرة فإن المليم الواحد من هذا الجو أنقل من ألف طن كما تقدم في أول ﴿سورة الصافات﴾ نقلا ماديا ، فقرأه هناك مفصلا ، فالسموات السبع والأرضون السبع اقتصر عليها لأن الناس لم يسمعوها إلا بها ولكن في زماننا ظهر أن المجرة فيها عشرة آلاف مليون أرض ، وكل في الكون من ملايين المجرات ، إذن هذا ماهو إلا قول على مقدار ما يفهم السامعون

ثم قلت : انظر زادك الله علما ، وشرح صدورنا وصدور العلماء في الاسلام لا نقاذ هذه الأمة المسكينة من الجهالة ، أفلاست تراه لما سئل في التكبير ثلاثا أثر خمس عشرة فريضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع ، قسم أطوار خلق الانسان الى ثلاثة أقسام : فجعل أطوار النطفة والعلق والمضغة قسما ، ثم تمام التصوير والحسن والجمال والكمال وانتشار الروح فيه وحياته قسما ، وهلاكه وفساد صورته ورجوعه ترابا قسما . وجعل كل قسم لتكبير من التكبيرات الثلاث . قال بلى . قلت : ثم انه لما أتم ذلك أتى بالمقصود الحقيقي ، وأبان أن ذلك ليس هو كل شيء ، وإنما هو ضرب أمثال . فقال : « إن المفتوح عليه يشاهد من باهر قدرته تعالى مالا يكيف ، وكل من عجائب الله تعالى في مخلوقاته ، فإذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر اليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ومحور ما نزل به مالا يكيف »

ثم قل : « وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا الى دليل من تلك العجائب الخ »

أفلا تعجب معي من هذا المقال ؟ أليس هذا هو عين ما قلته في هذا التفسير مرارا : « إن العبادات يقصد بها فتح باب العلوم »

ومن أعجب العجب أن يقول في التكبير « إنه يقصد به التفكير في السموات والأرض وما خلق عليها » وهذا هو تفسير قول المصلي « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد الخ » وعين إذ كرهه في ركوعه وسجوده إذ يذكّر السمع والبصر الخ إذن هذا سرّ أظهره الله في أيامنا هذه ، بل ألا تعجب من أنك أنت سألت هذا السؤال أيها الدكي ؟ فقال وكيف ذلك ؟ فقلت : إن هذا المقال كله تفسير لآية - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فأما الآفاق فهو ما ذكره الشيخ الدباغ من السموات والأرض في تكبيرات العيد ، وأما الأنفس فهو ما ذكره الله في تكبيرات أيام التشريق في (١٥) فريضة . إذن هذا كله تفسير لآية - سنريهم آياتنا - الخ في السورة السابقة

وإنما أبرزه الله على السنة هؤلاء الذين يخلقون في زمن اضمحلال العلم وشيوع الجهل ليكون ذخيرة للمسلمين يقرءونه وهم محجوبون فيؤمنون كما تقدم ، ولكنهم لطردهم العلماء وفرحهم بالجهل يعكف الصالحون منهم على العبادة ويذرون عقولهم تتخبط في ديجور الظلام

إذا ما لم تكن ابل فعزى \* كأن قرون جلتها العصي

ويكتفون بأنوار الإصلاح مع حرمانهم من أنوار العلوم . وغاية الأمر أن أناسا منهم يفتح عليهم هؤلاء قليل نفهم للأمة ونحن جئنا في الأرض ليكون بيننا رابطة ودية ، ولن تتم تلك الرابطة بيننا إلا بأن نعرف العلوم التي بثها الله في أرضنا بعقولنا ، وهذا هو مقصود القرآن ، أما الفتوح فأمر آخر يختص بالإنسان نفسه والسعادة الحقيقية في اسعاد الأمة ولاسعاده لها إلا بتعميم التعليم ، وإن يكون ذلك إلا بالعقل والفهم والجري على سنة الله في أرضنا ، إذن أرباب القلوب :

(١) نفهوا القدماء بالايمن بسبب مشاهدتهم ، ولكن هؤلاء الأتباع لاعلم عندهم وعقولهم تقف عند حد خاص لأنهم يرون جميع علماء الاسلام جهلاء ، فالفقه والاصول ونحوها كلها لا فائدة منها



وهكذا التفسير إذ تفسير هذه النافذة فوق طاقة المفسرين

(٢) ونفسوا الذين في زماننا وهم قراء أمثال هذا التفسير ، ذلك ان قراءه في أقطار الاسلام سيكونون جميعا على مشرب واحد لأنهم يحبون معرفة العوالم العالوية والسفلية ، ويرون حكم الله في كل ماجل ودق ، ويفرحون فرحا لا حد له ، ويرقون رقيا لا أعرف أنا منتهاه الآن ، فيكون الشافعي والحنفي والحنبلي والزيدي والمالكي والجعفري وكل شيعي على سنن واحد في حب ربهم وحب الأمة الاسلامية وحب العلوم ، ويرون هذا الخلاف البسيط في عدد الركعات أو التكبيرات أو نحو ذلك أمرا سهلا عابثا ويتسجل في لهم الجبال في كل هذه الدنيا ، ويزدرون تلك العداوات في القرون المتأخرة الناشئة من الجهل بنظام الله تعالى في العوالم كلها ، فهؤلاء سيذيعون ما في هذا التفسير من العلوم بين أمة الاسلام قاطبة . وهناك يقابلهم طوائف من العباد والناسك وتلاميذ صفار مشايخ الطرق ، فيقولون لهم إن هذه العلوم التي في هذا التفسير ماهي إلا بدعة ولم ترد عن المتقدمين فيقولون لهم : رأيتم ان أعظم أمرا أمثال الشيخ الدباج والشيخ الخواص فإذا تصنعون ؟ فهناك يخضعون ويكون ما تقدم من كلام الشيخ الدباج حجة عليهم ، ومتى سمعوه يقررون بأنهم جهلاء وانهم يجب عليهم أن يتعلموا ، وغاية الأمر أن الأغبياء منهم يقولون هذا أمر لا يصح إلا بالفتح ، فيرد عليهم بما تقدم في سورة الحج بما نقلته أنا في هذا التفسير عنه نفسه وهو أن الفتح ليس مقصودا بل الحجاب لأكثر الناس خير منه . فقال الاستاذ : حقيقة أنا قرأت هذا في تلك السورة منقولا عنه »

فقلت : إذن ملخص كلام الشيخ الدباج تفسير هذه الآية وهو مقدمة يجعلها الله مخزونة في الكتب حتى ظهر تفسير الجواهر وأمثاله في زماننا فوافق شرحه طبقته . ذلك ليأنس بهذا الكتاب جميع أفراد الأمة وأكثرتهم أتباع مشايخ الصوفية . وهؤلاء متى عرفوا أن ذلك أهم مقصود الصوفية فرحوا به وأحبوه وتعلموا العلوم بعقولهم . واذن لا يكون هناك تعطيل لعقول المسلمين كما كان في القرون المتأخرة . إذن لم يبق إلا أن أذكر معنى (ص) في كلام الشيخ الدباج

ثم ان ما قاله في معنى (ص) وغيرها فسكاه على هذا النمط . فهو للأمة الاسلامية الجاهلة في القرون المتأخرة إيمان وثبات عقيدة وللأمة الاسلامية المستقبلية المستنيرة بصائر ونور إذ يعرفون أن كلامهم هو إجمال لعلوم الأنفس والآفاق . وأمثال هذا التفسير تفصيل يدركه العقل . وترى الأمة الاسلامية المستقبلية والحاضرة التي قرأت هذا الكتاب وهو « تفسير الجواهر » أن هذا ليس بدعا بل أرباب القلوب قد ألمعوا إلى ما فيه وأتوا برمز وإشارات . فهم في المسامين أشبه بحروف أول السور في القرآن . فكما أن حروف أول السور مفاتيح لعلوم تلك السور . وقد فتح الله في هذا التفسير في معاني هذه الحروف بما أراد على مقدار طاقة المؤان وطاقة الأمة الاسلامية . هكذا جاء أولئك الصالحون وكأثرهم رموز وكلامهم رموز قد حفظها المسلمون ولم يدركوا مقصودهم . فجاء أهل عصرنا وقرعوا أمثال « كتاب الجواهر » فأدركوا التفصيل وهذا معناه أن تتصل الأمة سلفها وخلفها . فالسلف الأول وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم بالشريعة والعلوم الاسلامية وخلفهم الجهلاء في القرون المتأخرة بالرموز والإشارات وكلام أرباب القلوب والمسلمون بعدنا بالعلم والحكمة وظهورهم في الأمم المستقبلية وسمادتهم أولا واسعادهم لأهل الأرض ثانيا . وكل ذلك مع حبهم لربهم وخدمتهم للإنسانية العاقبة

ولاجرم أن المعاني التي ذكرها الشيخ الدباج في معنى (ص) لم تخرج عن آيات الله في الأنفس . وإذا رأينا في التكبير وراء الصلوات أيام التشريق الثلاثة من أول ظهور يوم النحر يرجعها هوالى أحوال الأنفس

من حيث حياتها الجسمية في الرحم وفي الدنيا وفي حال الموت وجعلها من العجائب والغرائب . فهذه هودا في معنى (ص) يقول : « انها تشير الى الخلاه الخ »

ومعنى هذا اننا نحن في الأرض اليوم متفقون بحسب الظاهر في الحيوانية والناطقة ، واننا نأكل ونشرب ونلبس ، والحقيقة اننا الآن أشبهه بقوم في أحلام ، فاذا رأيت جماعة في مجلس وهم يتحدثون فظاهرهم واحد ، ولكن الحقيقة أن أحدهم بين جنبه نار ، والآخري بين جنبه نار أخرى ، وثالث في قلبه مسرة ، ورابع في قلبه مسرة أخرى وهكذا ، فهم إذن أشبه بالنائمين ، فهذا يحلم حلمها مفزعا والآخري بجانبه يرى انه لابس تاج ملك ، أو ان عروسا تزف اليه ، فاذا تشابه النائمان أجساما واختلفا نفوسا من حيث المسرة والمساءة ، فهكذا هؤلاء الجالسون المتشابهون في مجلس واحد أكثرهم في نصب وتعبد وشقاء في الحياة الدنيا والآخرة ، ولاشقاء هناك إلا من الشقاء هنا ، لأن من يملك قنطارا من الذهب في غايه الحزن لأنه لا يملك قنطارين ، وهذا ظاهر واضح ، إذن هذه الحياة أشبه بنار جهنم ولكن الناس لا يعلمون أنهم في تلك النار الجهنمية ، فهي وان لم تكن نارا ظاهرة فهي عذاب شديد ونحن لا نحس به ولا نظن انه عذاب

هذا معنى كلامه ، ومثل ما قلنا في الشقاوة نقول في السعادة ، فالسعيد أقوام تخلت نفوسهم عن الطمع والحسد والغفل ، وهؤلاء يعيشون بيننا ولكن الناس حولهم لا يعرفون سعادتهم وصفاءهم وهم بين ظهرانينا إذن هذه الأنفس فيها عذابها الآن ونعيمها الآن ، وينبوع العذاب والنعيم هذه الأنفس الانسانية في الأرض والله هو المتجلى على الجميع ، وكأن الناس اليوم واقفون أمام ربهم والله سبحانه يهذب ويرحم كل نفس بما أودعه فيها ، والوقوف يوم القيامة تابع للوقوف في الدنيا

هذا معنى كلامه وقد جعل جميع ما في السورة راجعا الى هذا الأصل كما تقدم ، فهذه المعاني التي يقوها الشيخ الدباغ راجعة كما قلت لك الآن الى عجائب الأنفس كما ان عجائب قلب الانسان في أطواره راجعة الى عجائب جسم الانسان

إذن معنى (ص) الذي ذكره مؤيد لما ذكرناه من أن هؤلاء القوم وان كانت علومهم ليست من المستوى الذي نسير عليه في أمثال هذا التفسير بل ترجع الى مقام آخر فلها ترجع الى عجائب الأنفس والآفاق واذن سؤالك أبها الذكي جئت فيه ما يتناول الآفاق في السموات والأرض وما يتناول الأجسام الانسانية وعجائب النفوس الانسانية .

وبهذا ظهر أن الأمة الاسلامية متحدة المشارب سائرة على نمط واحد أولها وآخرها . فقال : ماشاء الله كان ، لقد شرحت صدرى وأبنت الحقيقة وتجلت ، فله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة . ولكن عندي سؤال واحد ، فهل لك أن تأذن لي به ؟ فقلت سل ما بدا لك . فقال : لقد سمعت في أثناء الاجابة على ما سألتك عنه تقول : « إن هؤلاء الصالحين وأرباب القلوب مخلوقون في أيام اضمحلال العلم وشيوع الجهل » فكيف يكون ذلك ؟ فقلت إن الله عز وجل قال - والله أنبتكم من الأرض نباتا - ولا جرم أن الانسان نبات مقلوب ، فأرأسه في الهواء والنبات رأسه في الطين ويداه ورجلاه كفروع الشجرة وأغصانها وصدره وظهره كجذع الشجرة ولذلك يسمونه في علم التشريح الجذع . قال نعم فهمت ، هذا واضح . فقلت إن النبات على قسمين : نبات يخرج بلا زرع زارع ولا حرث حارث كما نرى في الغابات والأودية والبرك والمستنقعات والأنهار وفوق الجبال ، ولقد صرّ عليك في هذا التفسير أنواع المرجان التي تظهر بهيئة نبات وان كانت حيوانات كثيرة اجتمعت بصورة نبات ، وبالجملة هذه الأرض ينبت فيها نبات نافع بلا زرع له وتخرج منه ثمار بهجة بهية نافعة ، فاذا سكن تلك الأرض الانسان فانه يزيل تلك الغابات ويبيد الحشائش ويقتلعها فينتفع بالخشب والأعشاب ، ثم يستعمل الأرض لما يزرعه هو على حسب حاجته فلا يخضع للطبيعة بل شرفه



هو أن يخضعها هو بعقله الذي هو أشرف من الطبيعة

هذا هو المثل الذي أردت ضربه ، فلننظر إلى المسلمين فانهم لما تركوا عقولهم ومواهبهم كانت نفوسهم أشبه بالأرض التي ظهرت فيها أنواع الطعالب والحشائش والشوك والحسك والأشجار المثمرة وغير المثمرة . فأما الطعالب والشوك والحسك فهم أولئك الدجالون من الشيوخ الذين يجتمع الناس حولهم وهم لا علم عندهم ولا دين ، وما أكثرهم في بلاد الاسلام ، وعلامتهم انهم يأخذون المال إما من الحكومات الأجنبية المستعمرة ، وإما من أهل البلاد ثمنا لولايتهم وصالحهم

وأما الأشجار المثمرة ونحوها فنظيرها في المسلمين أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص وهؤلاء قليل . فإذا ما ازدهرت البلاد الاسلامية بالعلم وعمرت العقول بالحكمة وترعرعت العلوم وارتقت ، فهناك تقل هذه الطوائف إذ لا حاجة اليها كما يقل الحسك والشوك والأعشاب الضارة بالزراعة والبركة والمستنقعات الضارات بنوع الانسان إذا انتظمت البلاد وعم الأمن وحفظت الأنهار والقنوات ، هنالك يحلّ زرع الزارعين من الناس محل مزارع الطبيعة ، ونرى النخل والزيتون والمان والصب والقمح بدل الشوك والحسك والحشائش الضارة . هذا هو المثل الذي ضربه الله في أرضه هؤلاء الصالحين بقسميهم ، فانه إذا ارتقى التعليم في بلاد الاسلام يقلّ هذا الفريق صادقهم وكاذبهم . فقال : لقد سمّ ما أردت أن أعرفه وانشرح صدري . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الجمعة ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م

### جمال العلم وبهجة الحكمة

ههنا قال صديقي : هل تأذن لي أن أسأل سؤالين يلبدني وللمسلمين الاجابة عليهما ، فهذا المقام وإن طال فإن القول فيه جميل والحكمة بهجة والسعادة ترفرف بأجنحتها على هذه الأمة الاسلامية باظهار هذه الحكم التي كانت خافية على العقول ولم تكن إلا رموزا ، والدين يسر والقرآن شفاء ، والله يقول - ثم إن علينا بيانه - ويقول - ويرىكم آياته - ويقول - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وإذا كان تبين أن القرآن حق لا يكون إلا باليقين . فاذن أنا أطلب منك الاجابة على السؤالين الآتيين فما طلبت إلا اليقين الذي وعد الله أن يفشره في المسلمين ، وقد صدق الله وعده في زماننا وجاء اليقين لاسيما في هذا التفسير ، فلمعنى بعد هذا البيان أحظى بأن تأذن لي بإيراد هذين السؤالين . فقلت حسبا وكرامة . فقال :

(١) أولا إن ما أوردتموه في تفسير كلام الشيخ الدباغ من حيث ان العجائب الكونية وأنواع الجمال تعرف الناس أن هناك جنة وأن هناك نارا يحتاج الى إيضاح أوفى وعلم أوسع ، فلقد ذكرتم أمثال الفباب والقاذورات وأمثال الصقور والرمم وأمثال البهائم والمزارع من حيث اختلاف الأغذية باختلاف المغذيات . وفي المقام طول . والاستنتاج يهوزه العقول الممتازة . فنحن في حاجة الى برهان يسهل على كل قراء هذا التفسير

(٢) ثانيا إن الكلام في العفونات والرطوبات وما يقابلها من الشهوات يعوزها زيادة إيضاح وبيان أتم من حيث الحكمة بحيث يكون بانضمامه الى ما تقدم كافيا وافيا لاشباع هذه النفوس المشرّبة للحكمة في بلاد الاسلام

فقلت نعم أبين هنا عجبا آخر وهو اختلاف النبات ورقا وزهرا وعرا . إن في اختلاف النبات ثمارا وروائح وطعوما وجمالا وصغرا وكبرا لعبرا تفتح لنا باب المعقولات على مصراعيه . ألم تر أن معلوماتنا وعقولنا وعواطفنا تنربى في معاهد ومدارس مخلوقات في داخل أجسامنا . وتلك المدارس والمعاهد الداخليات في

نفوسنا تشبه من وجه المصانع والمعامل التي وزعت على قناتنا الهضمية واختلقت باختلاف مناطقها . ففي الفم ترى ستة أنهر جهات هضم المراد اللشوية ، وهناك ترى غدة البنكرياس وغدة الصفراء وعصارات المعدة والأعضاء وحركات القبض والبسط لأعضاء الهضم ، فهذه في هضم الأغذية المادية التي يتعاطاها الإنسان التي يمكنك أيها الدكي الرجوع إلى دراستها ككرة أخرى في ﴿ سورة قاطر ﴾ عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً - الخ وترى أشكالها مرسومة تسرّ قلبك بالتعقل وروحك بالفهم وجليستك بالأنس . فهذه هي التي شبهنا بها المدارس والمعاهد الموزّعات في مناطق عقولنا المرسومات في مخنا فهذه إذا وردت لها علوم إما بواسطة الخواص كالبصر والشم والذوق ، وإما بواسطة كلام يحمل في الهواء داخل في الصماخ دال على نفس تلك المعاني المنقولة بتلك الخواص مباشرة ، فإن تلك المعاهد التي شبهناها بمناطق القناة الهضمية تتلقاها ، وكل معهد من معاهد المخ يعمل في تلك المعاني عمله ، فعمل يجمع تلك المعلومات جميعاً كأنه مخزن الرسوم وهو الحس المشترك ، وعمل لتحليل والتركيب كالمعامل الكيميائية في المدارس وهي القوة الخيلة ، وعمل لإصدار الأحكام وهي القوة المفكرة ، وعمل جعل مجرد الحفظ ، وهناك آخر جعل للتذكير وهي « الذاكرة » . وهناك معهد جعل لإبراز آثارها كمن في تلك المعاهد كلها بهيئة ظاهرة غير خافية ، فهو يصور ما تحويه تلك المعاهد كلها ويظهر للعالم الخارجي بحيث يستبين للناس أن وراء هذا المعهد معاهد جمعت صوراً لكل ما هو ظاهر للناس في أقطار الأرض ، وهذا المعهد الأخير هو اللسان ، فهو يعبر عن تلك القوى كلها ويبرزها بهيئة حروف ، فهو يعبر عن كل مافي خزانة الخيال والحس المشترك والقوة المفكرة إلى آخره ، فهذه هي المعاهد أو المعامل التي في نفوسنا الموزّعات على مناطق أدمغتنا المطابقات للعلوم الخارجية المشابهة كل المشابهة لمعامل المناطق الهضمية المشروحة سابقاً

إذا صحّ هذا فنقول : إذن هنا تربية للمعلومات في نفوسنا تربية حقيقية كما رينا الغذاء في القناة الهضمية فترجت ثمرة الغذاء بعد الهضم على مقتضى القناة الهضمية من ضعف وقوة واجادة وإهمال ، وأى فرق بين نقيجة الغذاء من حيث الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والجمال والقبح ، والذكاء والبلاهة ، التي ترتبت جميعها على هيئة الغذاء الذي ريناه وهذبناه بالآلات في معاملنا الموزّعات على مناطق قناتنا الهضمية وبين علومنا ومعارف التي رينناها في مناطق مخنا وترعرعت وشبت وبلغت أشدها وصارت فتية قوية ، كل ذلك بمالنا من معاهد قائمة في مناطق أدمغتنا ، فمنها معهد لجمعها ، ومعهد لتحليلها وتركيبها ، ومعهد لإصطفاء ما هو أجل ، ومعهد هو خزانة لما ينبغي بقاءه ، ومعهد هو دار لتكري ما نحن في حاجة إليه ، ومعهد لنشر ما في الخارج ، إن في الدماغ أماكن لعلوم اللغات ومناطق للعلوم الرياضية وأخرى للطبيعية وهكذا ، ولو أن منطقة من هذه أصابها العطب ، وحلّ بها الوصب ، وتزلت بها السكوارث ، وانتابتها الخطوب ، لنعطلت تلك المنافع المترتبة عليها ورسب في الامتحان تلاميذ معاهدها ، فلان ترى ذلك الإنسان يحسن أن يعدّ الآحاد فضلاً عن العشرات ، فضلاً عن الطرح والنسبة والضرب إذا اضمحلت مناطق علوم الرياضة من الدماغ كما تسكون الأمة الأمية لا علم لها بالحساب إذا لم يكن فيها علماء به ، وعلى هذا ففقس ، فالنتيجة أن المعارف تربي في نفوسنا تربية منتظمة ونتاجها تسكون على مقتضى مناطق تربتنا لها في عقولنا كما كانت نتائج الأغذية تابعة لمناطق القناة الهضمية سواء بسواء

هذا ولا جرم أن هذا عين ما يكون في النبات ، فزهرة وورقه وأثماره تابعة لتلك المعامل السكامة في باطنه ، فالنبات معامل في داخله تربي فيها جراثيم الأزهار والأنوار والأوراق والثمار وتسكون الثمار والنباتات تابعة لمزاج ذلك النبات في الداخل ، فيكون حلوا ومررا وعفصا وحريفاً ومسهلاً وقابضاً وغذاً ومنعشاً وردياً وحسناً وذو رائحة جميلة ورائحة غير جميلة وسامواً وشافياً ومسكناً ومختلراً وهكذا من الصفات والأحوال



المختلفات ، إذن عندنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ من المناطق ﴿ النوع الأول ﴾ القناة الهضمية في كل حيوان ﴿ النوع الثاني ﴾ المناطق التي في النبات ، ولا جرم أن هذين النوعين من واد واحد ، لأن النبات والحيوان في هذا المعنى متشابهان ، لأن في كل منهما مناطق هضم واختلافت ظواهرها واتحدت وجهتها ﴿ النوع الثالث ﴾ مناطق الفهم في السمغ اللاتي فيها تربي العاوم ، وهذه تتخذ وحذا القسمين الأولين في أن النتائج لا تصدو المقدمات . وههنا آن أن نظهر نتيجة هذا كله فنقول :

المعارف والآراء والعواطف التي رزقها الانسان في هذه الحياة تكون نتائجها تباينات لما أدته مصانع عقله ومعامل ذهنه كما تعمل قنانه الهضمية وكما يكون ثمر النبات . أليس هذا هو البرهان اليقيني على الجنة والنار ؟ وماهي الجنة ، وماهي النار ؟ ألم نقدم أنهما يرجعان لسكل محبوب ولسكل مكروه مهما كانت هيئته ، ألم تر أن ثمرات النبات تختلف سموما وأغذية . قال صاحب بلي ، وحلاوة وحوضة ، قال بلي وربى . قلت : وأحدهما محبوب والثاني مكروه . قال بلي . قلت فأحدهما يمثل الجنة وثانيهما يمثل النار . ومعنى هذا أن جهاد النبات في معاملة الداخلية أنتج ماهو محبوب لنا وماهو مكروه على حسب المصانع التي تربت فيها الثمرات هكذا جهاد الانسان في معاملة الداخلية أنتج ماهو محبوب له ومكروه على حسب تلك المصانع ، ان خيرا خيرا وان شرا فشر ، واذا كانت علومنا ومعارفنا ماهي إلا نتائج معاملتنا الداخلية مادمننا في هذا الجسم ، واذا نبذناه وألقيناه شاهدنا النتائج عاقلة بأرواحنا ظاهرة في نفوسنا ، نراها رأي العين ، فهذا نظير ما اذا درسنا القمح وذريته وغربله فألقيناه حبا لاتين معه ولاطين ، ويكون الحب نتيجة لذلك الزرع شرفا ووضعة ، كما ان عواطفنا وعلومنا نتائج مصانفنا شرفا ووضعة وصحة ومرضا

واذا كان لسكل نبات ثمرات لها مصالح تتبعها ، فمن الجهل والغبارة أن نقول ان هذا الانسان وعقله وعواطفه التي رباها في نفسه لا نتيجة لها ، أليس من الغفلة أن نعرف أن الانسان والحيوان والنبات كلها أجسام نامية ، ثم اننا نعلم علم اليقين أن لثمرات النبات نتائج تختلف باختلاف مزاجه ونسكركذلك في نوع آخر من أنواع الناميات وهو الانسان ، واذا كان حب النبات يبقى متميزا بعد تمام تربيته وهلاك زرعه ، فكيف لا يبقى نظيره في الانسان بعد فناء جسمه ، فاذا رأينا حبا اختلف غذاء ودواء وسما بعد تحليل مائتي فيه وهلاكه هكذا نحكم بأن هناك علوما ومعارف وعواطف وأخلاقيات تبقى بعد فناء الجسم وتفرق عناصره وتبدده في العراء

أفلا يكفيك هذا أيها الذكي في شرح ما قاله الشيخ الدباغ بقدر الامكان ، في أن الجباب في هذه الدنيا تمررنا الجنة والنار ؟ فقال والله لا أقدر أن أقول كفتي في هذا حسب ، ولست أقول انها كفتي وحدها في قوله تعالى . ثم إن علينا بيانه . وفي قوله . سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . ولولم يكن بيان سوى ما قلتموه الآن لكفى ، ولقد تجلت لنفسى الآن معان في هذا المقام ، ذلك ان هذا الذي ذكرتموه هو عينه تفسير الآية . اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكلها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . فهذه الآية أثناء شرحك المسهب الجزل كانت ترد على خاطري وأراه شرحا لها ، فقلت : هذا إلهام ألقاه الله على قلبك وأنا أقرك عليه لأن ذكر خروج الثمرات من الأكل ما بعد ذكر علم الساعة أشبه بذكر الدليل بعد المدلول أو الحجة بعد الدعوى . فقال : إذن أرجو الاجابة على السؤال الثاني . فقلت : اعلم أن الحكمة عاقمة في المقام المتقدم والذي سنذكره ، فكما أن نتائج الزروع وحبوها مختلفات اختلاف أصولها بحيث لا يستوى الشجر المر مذاقته والشجر الحلو طعم ثمرته كالحنظل والنخل ، ولم نر من العقلاء من نفر من هذا النظام ، بل جميع نوع الانسان مقرر بفضل معارفه بكماله فرح بهيجته ، لا فرق بين جاهلهم وعالمهم ، وناقصهم وخاملهم ، فكل هؤلاء وهؤلاء يرون أن نتائج الزروع والأشجار كمال من حيث المتناقضات ، ففيها المغذى والمسهل والمختار

والمنش والسم المهلك الخ

فاذا صحّ ذلك فيما نراه ، فهكذا يسوغ فيما لانراه من نتائج العقول الانسانية ، فاذا تجرّدت أرواحنا وآنست نفوسا اختلفت أوصافها اختلاف ثمر الزرع ، فكان منها من هو أحقّ بأن يكون مع الملائ الأعلى وممن هو أحرى بأن يكون مع الشياطين في جهنم تبعا لخواص نفوسهم وأمزجة عواطفهم ، فانها تأنس بذلك الاختلاف ولا تفرق بينه وبين اختلاف الخنظل والتمر من حيث انه نظام حسن

أقول : فاذا صحّ هذا في نتائج الزروع والعقول به مطمئنة في ثمرات النبات في الدنيا وفي ثمرات النفوس في الآخرة ، هكذا فلنقل في شهوات النفوس وأخلاقها الغضبية ، إن هذه القوى السكامة في نفوسنا اللاصقة بها المهيمنة للأعمال الحيوانية والبهيمية والسببية اذا تجرّدت الروح من الجسم بعد الموت وجب هناك أن لا تكون معطلة ، واذا كنا نشاهد العفونات والجراثيم التي تجلجل وجه بعض الأرض ، وكذلك الرمم الملقاة فيها لم تعطّل بل كان لها من المخلوقات الحية مقام بأكلها فتفدى بها رجة :

(١) بالأحياء من الحيوانات لتلا يهلكها الهواء الفاسد

(٢) ورجة بالحشرات لأنها تتفدى به

(٣) واطهارا للحكمة القائلة : « انه لا معطل في الوجود »

فهذه العفونات وهذه الرمم بعد أن كانت مصدر الوباء أو معطلة لافائدة منها أصبحت رجة للحشرات التي تأكلها ، فهكذا نحكم على خصال الشر الشهوية الباقية في نفوس الناس بعد الموت ومثلها خصال الشر الغضبية كالبغي والسرقعة ونحوهما ، فهذه تعيش بها تلك النفوس التي أشربت حبها ، فهي على وزان نظائرها من قاذورات الأرض تعيش بها أرواح ألفتها بعد الموت كما عاشت بنظائرها في الأرض أشباح لازمتها فيحصل هنا

(١) انه لا معطل في الوجود

(٢) وأن الشر يشتق منه الخير

وما الخير هنا إلا بقاء تلك النفوس بسبب بقاء تلك الشهوات ممثلة في أفكارها ، ولو أزيلت تلك الأفكار الناقصة من تلك الأرواح لم يكن وجود ، ولا وجود لروح إلا بما يقوتها من الآراء والعواطف كما لا تعيش الأجسام إلا بما يقوتها من أغذيتها ، وهذه ليس لديها من الآراء الشريفة ما به تعيش ، وليس لديها إلا تلك الآراء الرديئة التي اعتادتها في الحياة الدنيا ، فهذه الآراء تعيش تلك النفوس ولا مقرّ لها إلا في جهنم ، فهم معذبون بتلك الحال ، فهنا رجة عامّة « رجي وسعت كل شيء » وههنا أيضا عذاب ، فالعذاب هنا رافقه الحكمة والرجة ، خيانتها في نفسها رجة

(١) بدليل أننا اذا قلنا لتلك النفوس في جهنم أرضين بالموت فانها تقول لا

(٢) وهي حكمة لأنها أنتجت من شرور النفوس حياة لها كما يعيش السود في القاذورات والفيران في المراحض

(٣) وذلك من عجائب النظام المفيد أنه لا معطل في الوجود

فكما أن الله لم يعطل القاذورات في الأرض ولا الرمم بل اشتقّ من شرّها خيرا ، هكذا لم يعطل الشهوات المخرّسات في النفوس بل جعلها غذاء لها بعد الموت لأنها لا تعيش بغيرها كما لا يعيش الذباب بغير القاذورات هذه هي الحكمة البديعة ، والآية الطريفة ، والحكمة العالية ، اللهم إنا نحمدك جدا جزيلا ، ونشكرك كثيرا ، لقد أريقنا ونحن في هذه الدنيا محبوسون ممنوعون من الاطلاع على الحقائق أن في مزارعنا وحيواننا من العلم ما به نعرف أن هناك نارا وأن هناك جنة ، وأن تلك النيران وتلك الجنان لوازم لما زاوته تلك الأرواح في هذه الحياة من الأعمال مع حكم أخرى شرحناها ، وعجائب كبرى بيناها ، فالحمد لك في



الأولى والآخرة ، ولك الشكر والفضل العظيم . كتب بعد صلاة يوم الجمعة ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م والى هنا تم الكلام على اللطيفة الخامسة من اللطائف العامة والحمد لله رب العالمين

### فذلك في قوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم

#### آثار القرآن لاسيا سورة الشورى في أمم الأرض

أولا انظر أيها الدكي ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند الكلام على قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - لتري النظام العام في العلوم الواجبة على أمة الاسلام ، وفي ﴿سورة النساء﴾ عند آية - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل - فهذه الآية ونحوها من آيات الشهادة - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم - الخ وهكذا فيها ذكر الخلافة الاسلامية والعدل ، وكيف كان قائما ، وكيف عدل قوم وظلم آخرون ، وهكذا في ﴿سورة المائدة﴾ ذكر العلوم الواجبة أيضا ، وفي ﴿سورة التوبة﴾ بيان أن قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل - الخ كان إيقاظا للمسلمين أن يكونوا سببا في اظهار أحكام الاسلام للأمم ليقوم العدل في بلادهم ، وهناك ترى شهادة سيدة أوربية أسلمت تقول : « ان فولتير وروسو اللذين كانا سبب الثورة الفرنسية لم يتعلما ما كتباه إلا من آراء ابن رشد وعلماء الاسلام » وهناك تقرأ مظالم رجال الدين المسيحي في أوروبا واضحة مهينة للشعوب ، وفي ﴿سورة النحل﴾ تقرأ نظام السولة في آية - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - وفي ﴿سورة الاسراء﴾ تقرأ في أوائلها كيف حاد بعض ملوك السولة الاسلامية في الأندلس ونحوها عن جادة الصراط السوي فذلوا ، وفي ﴿سورة الكهف﴾ تقرأ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - كيف ظهرت في الاسلام طوائف حرمت انتشار التعليم ، وكيف ظهر قرم من الفرس آلمهم ظهور مجد العرب بالاسلام ، فسكادوا للمسلمين كيذا عظما ، وكيف حرّم حسن بن الصباح على أتباعه حرية الفكر والتعليم ، وكيف كان كثير من رجال الصوفية يفعلون فعل ابن الصباح ، وأوروبا اليوم تنهج مع المسلمين هذا المنهج بعينه ، وتقرأ في ﴿سورة النمل﴾ بمناسبة آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ مع آية - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموها - فذلك عن ظلم الأمم المتأخرة الاسلامية ، وكيف كان ذلك سببا لهلاكهم ، وتقرأ في ﴿سورة القصص﴾ عند آية - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض - كيف هلك الظالمون ونصر الضعفاء ، وفي ﴿سورة سبأ﴾ عند آية المحاورة بين الضعفاء والذين استكبروا قصة (محمد بن تومرت المهدى) وكيف أقام ملكا ولكن لم يدم أكثر من مائة سنة ، وبيان منافع الذين ادّعوا المهدوية وضررهم ، وهناك تبيان القول الفصل في هذا المقام واظهار الحقائق لأمم الاسلام بعدنا حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أسلافهم ، وهكذا في ﴿سورة المؤمن﴾ نماذج علمية وعملية تتخلل السورة ، وقبلها في ﴿سورة الزمر﴾ عند آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ نماذج التربية التي أثبتتها الاستاذ ( كانت ) الألماني في كتابه ، وبيان أن الأمراء والملوك وحدهم لا يرقون الشعوب ، بل يجب على المفكرين أن يجتدوا في ذلك كما حصل في ألمانيا

فاذا اطلمت على ذلك أو أكثر ، فانظر الآن في أمم الأرض نظارة إجمالية فانك لا تجد الشورى ظهرت في أمم الأرض إلا بعد ظهور الاسلام ، فانظر أولا في أمم الأمم الانجليزية ، فهؤلاء كانوا أول من فكر في التخلص من ظلم ملوكهم ، وتبعهم فرنسا ثم بقية الأمم ، وامتدت الحركة إلى أهل آسيا وأمريكا ، وزلزلت الأرض زلزالها ، ومادت عروش ، وهلك جيوش ، وقامت جمهوريات ، وجاءت الحرب العظمى من سنة ١٩١٤

الى سنة ١٩١٨ م وظهر هذا التفسير ليو قظ الله المسلمين من سباتهم به وبأعماله  
فانظر ماذا جرى أولا في انكلترا تلك الأمة التي لم تكن في أول أعصرها إلا أقواما من الجنس (الساكني)  
من سكان مقاطعة (برطنيه) شمالي غربي فرنسا ، جاءوا الى الجزيرة المواجهة لهم وسموها (بريطانيا) باسم  
بلادهم الأصلية ، ومنها انتقلوا الى (ايرلنده) وبقى هؤلاء القوم أصحاب الشأن في تلك البلاد الى أن دخلوا  
في (الإمبراطورية الرومانية) بعد حروب طويلة بها خضعوا خضوعا تاما حتى اضممحت الدولة الرومانية  
وتركت البلاد لأهلها ، هنالك أغارت عليهم قبائل الانجليز والسكسون والجات ، وهم كانوا في شمالي ألمانيا ،  
وكان ذلك في أثناء القرنين الخامس والسادس المسيحي أي قبيل ظهور الدين الاسلامي بقليل ، فتغلب الفاتحون  
على أهل البلاد وسموها (أنجلند) أي أرض الانجليز ، فصارت هنالك ممالك متنافرة

وفي سنة ١٠٦٦ م أغار على بلادهم (دوق نورمندي) وهزمهم في موقعة هاستنجس ، وتوج ملكا  
على انكلترا ، وهنالك امتزج النورمنديون بالسكان الأصليين فكان هذا الشعب الانجليزي الحديث الذي  
يعتبر من ابتداء الفتح (النورمندي) وظهر إذ ذاك الملوك انجلترا شأن في فرنسا بطريق المصاهرة ، ثم كانت  
حرب المائة سنة التي تمت سنة ١٤٥٣ وبه خرجت انكلترا من فرنسا ، وفي مدة النورمنديين المذكورين  
ظهر الدستور الانجليزي الذي سقنا الكلام هنا لأجله ، ولم يكن ذلك إلا آثار الاسلام كما تقدم ، ووليم الفاتح المتقدم  
ذكره وان دخل البلاد فاتحا قد خضع من شوكرته بعض قوانين للنظام الاقطاعي الذي كان عاما في أوروبا  
إذ ذاك ، ولما حكم (هنري الثاني) في القرن الثالث عشر المسيحي نشأ النظام المعروف بنظام المحلفين وهو أشبه  
بمبدأ لرق الشورى في البلاد ، ولما تولى جون ابنه قاوم الأشراف ورجال الكنيسة الملك المذكور وحرار به  
فاحترم حقوقهم ، وهكذا أخذ البرلمان يقوى ويشدد وقتا بعد وقت ، وأخذ يراقب المالية ويحاسب الملوك .  
وفي عهد أسرة (انكستر) زاد نفوذ البرلمان الى أن ضعف الملك وقامت حرب سميت (حرب الوردنين)  
(١٤٥٥ - ١٤٨٥) إشارة الى الوردة الحمراء التي كانت شارة بيت لانكستر ، والوردة البيضاء التي كانت  
شارة بيت (يورك) فمات أكثر الأشراف وانتصرت أسرة لانكستر ، وتوج هنري تيودور (دوق تشمند)  
ملكاً على انجلترا باسم (هنري السابع) وبقيت هذه الأسرة من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٦٠٣ وفي أثناء  
هذه المدة ظهرت حركة إحياء العلوم وذلك في زمن (هنري الثامن) في القرن السادس عشر الذي أخذ يقطع  
العلائق الدينية مع رومه ، وفي هذا القرن ظهر الإصلاح الديني ، هناك أخذ (الدوق سمرست) الذي لقب  
نفسه (حامي المملكة) إذ كان رئيسا لمجلس الوصاية على (ادورد السادس) يهضم التماثيل والصور من  
الكنائس ، وألقى الصلاة اللاتينية ، وأخذوا يصاون بالانجليزية ، وصودرت الأديرة وأملاكها ، وكل ذلك اتباع  
لمذهب (لوثر) وهو المذهب البروتستنتي ، ذلك المذهب الاصلاحى الذي امتد الى أوروبا من آثار دين الاسلام  
كما تقدم

وارتقى البرلمان والشورى في أيام اليبابات ، تلك الملكة التي كسر جيش الأسبان وقهرهم ، وفي  
أيامها أيضا ظهر (شكسبير وبنسون) و (فرنسيس بيكون)

وقامت بعدها أسرة (اسقيورت) ومنها شارل الأول سنة ١٦٢٥ الى سنة ١٦٤٩ وثار البرلمان عليه  
ففرّ منهم الى الشمال ، وأخذ يحاربهم بجنود وهم قابله بالمثل ، ثم أخضعوه وحبسوه ، واتهم البرلمان الملك  
بالخيانة وحاكمه ، وأعدموه سنة ١٦٤٩ ، وكان المطاع في البرلمان أقوى رجل فيهم وهو (أولفر كرمول)  
وأصبحت انكلترا جمهورية ، وهذه هي الحادثة الأولى في العالم الجديد التي بها عرف الناس أن الملوك لاحق  
لهم في اضطهاد الشعوب ، وأن الشورى هي الحق والعدل ، وهذا صدى صوت هذا الدين الحنيف « وأمرهم  
شورى بينهم »



اللهم انك أنت تخفض وترفع ، أنت رفعت الحرب الأولين بالشورى ، ولما قصروا فيها بهتها الى أوروبا فانهت الحال بقتل (شارل الأول) ملكهم أى ملك الانجليز . كل ذلك سرّ ﴿سورة الشورى﴾ و بقيت البسائد جمهورية من سنة ١٦٤٩ الى سنة ١٦٦٠ ثم عينوا شارل الثانى سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٨٥ فرجعت ماوية ولكنهم قيدوها الى الآن وجيمس الثانى من سنة ١٦٨٥ الى سنة ١٦٨٨ ولكن البرلمان كان يكره هذا الملك فعزله وولى (ماريه) وزوجها (وليم) وفرّ جيمس الى فرنسا وههنا لم يسفك دم وساد البرلمان فى انكلترا الى الآن ، وبعد ذلك أصدر البرلمان ﴿قانون الحقوق﴾ وهذا القانون بنيت عليه الحرية الانجليزية وذلك سنة ١٦٨٩ وأعلنوا فيه أن حق الملك فى العرش مستمد من ارادة الشعب الممثل فى البرلمان ، وأن البرلمان له حق نقل التاج حسب المصلحة ، وبهذا قضوا قضاء مبرما على فكرة «الحق المقدس للملك» وبهذا منع الملك من التدخل فى السلطة القضائية ، ومن جمع الجيوش وقت السلم ، ومن جمع الضرائب بدون إذن البرلمان ، هذا كله سرّ هذه السورة ﴿الشورى﴾

### فرنسا بعد انكلترا

قلنا إن سبب الثورة الفرنسية إنما هو ما كتبه فلتير وروسو ، وقلنا ان هذا كما قلنا فى سورة التوبة إنما كان بسبب ما قرءوه فى كتب المسلمين لاسيما كتب ابن رشد . وأنضج الفكرة عند الفرنسيين ما سبقهم به الانجليز من قتل ملكهم (شارل الأول) وطرد ملك آخر وهو جيمس . كل ذلك على صراى ومسمع من فرنسا جارتهم ، فكانت الثورة الفرنسية أشد وأكبر ، فهى على قاعدة ان كل مجتمع سياسى له حق الدفاع عن نفسه ، فهو يقاوم كل مجتمع يريد به بسوء . وهذا الحق إنما يستمد من نفسه لا من حاكمه «وأمرهم شورى بينهم»

ولقد بدأت حركة الدين فالسياسة فى الشعب الفرنسى فى النهضة الأوروبية الحديثة التى بها نالوا الحرية الدينية وتبعها الحرية السياسية . وأشهر الكتاب (فلتير) المتقدم ذكره و (روسو) . أما فلتير فكان من سنة ١٦٩٤ الى سنة ١٧٧٨ فتحكم بأساوية العجيب بنظام عصره السياسى والدينى مناديا بآبادة القديم الذى لا يصلح ، وحارب الكنيسة وامتياز الأشراف وسوء تصرف المارك وفساد القوانين الجنائية ، فجاء (جان جاك روسو) من سنة ١٧١٢ الى سنة ١٧٧٨ وهو متشبع بروح فلتير ، فألف لهم كتاب ﴿العقد الاجتماعى﴾ الذى أبان فيه طريق الانتخاب وأن تليق الأمة عنها رجالا منها يتولون شؤونها ، وهذا معناه «وأمرهم شورى بينهم» . وأساس نظريته أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية ، وأن الحكومة منه تستمد قوتها وسلطانها والتشريع يجب أن يكون بيد الشعب ، وآراء (روسو) صارت كأنها انجيل وكتاب مقدس يسير على مقتضاه زعماء الثورة الفرنسية . وهكذا كتب (روسو) فى التربية والموسيقى . وهو يميل للرجوع للحال الطبيعية وجاء بعده الفيلسوف (مونتسكيو) فكتب موضحا الدستور الانجليزى ومزاياه ففتح أذهان الشعب الفرنسى وعرف مزايا الحرية التى يتمتع بها الانجليز . ثم فصل السلطات الثلاث بعضها من بعض وهى التشريعية والتنفيذية والقضائية . فالأولى بيد البرلمان . والثانية بيد الوزراء . والثالثة بيد القضاة . وهؤلاء مستقلون عن السلطتين السابقتين . فعرفوا بذلك فساد حكومتهم إذ كانت هذه السلطات الثلاث فى يد فرد واحد وهو الملك . وظهرت حركة اصلاح أخرى فى الاقتصاد . فقام أمثال (كسناى) و (ترجوت) وأمثالهما ينفذون طريقة توزيع الضرائب فى فرنسا وارهاق الشعب بها فكسدت التجارة وبارت الصناعة ومات بروح الاختراع ووقعت المجاعات المحلية . وقد كانت فرنسا ثلاث طبقات : الأشراف . رجال الدين . والشعب . وكانت

الحكومة تخص الطبقتين الأوليين بامتيازات لا نصيب للشعب فيها . فسكانوا ينفونهم من ضريبة الخراج ومن المكس ، وكان كل شريف من الأشراف له حق أخذ جزء من محصول الفلاح والزمام بطحن غلاته في طاحونه وعصر نبيذه في معصرته بأجر عظيم ، وله حق الصيد في حقول الفلاحين ، وإن لحق الضرر بزراعة ، ووظائف الحكومة خاصة بالأشراف فهم السفراء والقواد والضباط في الجيش ، والكنيسة خمس أرض الدولة ولا تدفع عنها ضرائب ، ويجمعون الأعشار من الشعب ، وأكثر ما يجمعونه يدخل جيوب الأساقفة ورؤساء الأديرة . أما الشعب وهو الطبقة الثالثة فكان (٢٥) مليوناً ، والطبقتان الممتازتان كانتا (١٧٥) ألفاً إن الملك يتصرف كما يشاء ويهوى لا قيد له فيحبس من يشاء ويطلق سراح من يشاء ويقتل ويهمل ويمنع ، وكان معه برلمان صوري

ولقد كانت فرنسا عند موت لويس الخامس عشر في سنة ١٧٧٤ على شفا جرف هار من الإفلاس بسبب ما خسرت من المال والمستعمرات في الحروب التي أدخلهم فيها لويس المذكور ، فلما تقلد الحكم لويس السادس عشر أراد تخليص فرنسا من الضيق المالي ولكن حاشيته لم تساعد على ذلك مخالفين رأي العالم الاقتصادي (ترجوت) الذي أشار بتقليل تلك الحاشية الملكية التي تأخذ كثيراً من مال الدولة . ولما نشر (نكار) العالم الاقتصادي الذي حل محل (ترجوت) تقريراً عن حال المالية المرتبكة بسبب القروض التي اقترضتها الحكومة لمساعدة الولايات المتحدة لتتخلص من حكم إنكيترا ، وبسبب ما يصرفه الملك على نفسه وعلى حاشيته عزل الملك (نكار) وولى (كالون) مكانه فقال للملك : يجب أن يرغب الأشراف ورجال الدين على دفع الضرائب وأن تلغى الجمارك الداخلية ، فلم يقبل ذلك منه رجال الدولة ، فزله الملك وتولى هو تقرير الضرائب بنفسه ، فلم يوافق البرلمان على تلك الضرائب ، وأكرهوا الملك على عقد الجمعية العمومية سنة ١٧٨٩ فرفض النواب من الطبقتين الممتازتين أن يجتمعوا معهم ، وقد كان لكل طبقة (٢٠٠) نائب فصاروا جميعاً (٦٠٠) نائب وأربعمئة من الأشراف ، ورجال الدين هم الذين استكبروا أن يجتمعوا مع هؤلاء العامة ، اللهم إلا بعض أفراد تسللوا وإذا حضروا مع نواب الشعب في مكان آخر غير قاعة الاجتماع وهو ملعب (التنس) وهناك أعلنوا أنهم هم (الجمعية الوطنية)

ولما اجتمع جميع النواب لسماع خطبة العرش ، وانصرف بعض الأشراف ورجال الدين شدد أمين الملك في طلب انصراف نواب الشعب فقال له (ميرابو) وهو أقوى النواب : نحن هنا بأمر الأمة ، وإن نفارق مكاننا إلا بأطراف الأستة . وهناك أمر الملك أن تكون الجمعية الوطنية مشكلة من الجميع بحيث يجتمعون معاً ، ويسكن العامة أوجسوا شراً من الملك ، باشاعات تخيلوها ، فانقضوا على (حسن الباستيل) وهدموا وأطلقوا المسجونين فيه ، وكان ذلك في (١٤) يولييه ، وقد أصبح ذلك عيداً تاريخياً ، وهذا اليوم هو أحسن أعياد فرنسا . وازداد الجوع في فرنسا فدخل الشعب لاسيما النساء في شهر أكتوبر على قصر (فرساي) يطلبون الخبز من الملك ، ولولا الحرس لدخلوا على الملك والمملكة . فانتقل الملك إلى باريس وهكذا الجمعية الوطنية أيضاً . وأصلحت الجمعية الوطنية القوانين . ونظمت كل شيء . وأزالت كل ظلم . ولكن العامة بعد ذلك تطرفوا وتغالوا وفقدوا رشدهم . فهرب الملك . فكشفوا أمره عند بلدة (فارن) في يولييه سنة ١٧٩١ فقاده العامة إلى باريس ووافق على النظام الجديد الذي أسسته الجمعية الوطنية وأعلنت انحلالها . ولكن في أثناء ذلك هاجم الأشراف خارج فرنسا واتفقوا مع النمسا وبروسيا على محاربة الثورة الفرنسية وإرجاع حقوق الملك إليه . ودعا الأمبراطور (ليوبولد الثاني) وهو أخو الملكة ملوك أوروبا لاجتاد هذه الثورة . وهذا الأمبراطور وملك بروسيا أصدرامشوراً للملك فواء « انهما مستهذان أن يكسرا ثورة فرنسا مع من ينضم إليهما »



وقهرت الأمة الملك على أن يعلن استعبد على فرنسا ولكن بيروش فرنسا تقهرت أمام المغيرين فانهموا الملك بالخيانة ، وكلما قربت بروسيا من فرنسا ازداد غضب الفرنسيين على الملك ، هنالك أعلن القائد البروسي « ان كل من مسر شجرة من رأس الملك يقتل » فزاد ظنهم السوء به ، فهاجموا عليه ، فهرب الى الجبهة الوطنية سنة ١٧٩٢ واسترس قلوبهم ولكن الملك أمرهم أن يسلموا ، وهنالك كثرت المذابح ، ذلك أنهم قد انهموا كثيرا بالخيانة كما اتهموا الملك وقتلوا نحو (١٥٠٠) نفس ، وفي هذه الفترة أصليحوا الجيش فقاوم البروسيين وأعلنوا الجمهورية في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وألقوا الملكية ، وأخطر العامة المؤتمر أن يحاكم الملك بتهمة الخيانة فحاكموه وأثبتوها وحكموا عليه بالقتل ، ونفذ الحكم في (٢١) يناير سنة ١٧٩٣ م وهذه الجمهورية لم تطل إذ تولى العرش نابليون سنة ١٨٠٤ وجعل نفسه إمبراطورا

### خطاب المؤلف لله عز وجل

اللهم إنك أنت الحكيم العليم العدل ، آتينا عدالك ونظامك في نجومك وشمسك وقمارك ، نظام بدیع ، لا يخس شهيرة ، حركات منتظمات ، ومعجائب واختات ، اتحدت أضواء الشمس السبعة وهي الأجر والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي والبرتقالي والذيلي ، اتحدت نكبات اللون الأبيض ، وبأشادها سعادنا في الحياة ، وشاهدنا سبلنا ، وتغذى نباتنا بمواد السكر بون انطائر في الهواء ( انظره مشروحا في سورة يس ) وهذه الألوان هي التي ظهرت بها أفانين الألوان في الأزهار والأشجار وبدائع الجبال في عوالمنا الأرضية ، انتظمت النجوم في سيرها واتحدت في أمها لاختل في حسابها ، فإذا كان ؟ ظهرت بها سمادتنا على الأرض ، أما في البر فعلوم ، فأما في البحر فان ربان السفينة العنانية ان يفتأ ليلا ونهارا وهو فوق متن الماء ، ينظر السكواكب السيارة ويحسب حسابا دقيقا موقدا لا يعرفه سواه ، وأوانه تواني حطاة فضل انطريق ولم يعرف أين هو ، فوق سطح البحر نجوم منتظمة وأحوال كاملة ، هنالك سمائك ، وأنت على صراط مستقيم ، لقد خلقتنا في وسط هذا النظام الجميل العجيب : وأعطينا عقولا وقلوبنا « وأمرهم شورى بينهم » فيارب هاهوذا نوع الانسان آخذ في التقليد لنظامك ، نظامك العجيب البديع ، نظامك الذي لا خلل فيه ، هذه هي النجوم رأيناها في أماكنها دائرات منتظمات ، لا تصادم لا تهاافت لا خلل

أما نظام أمننا وجاعاتنا فهو جاهل غير مبني على التجارب المتعاقبة لأننا لا غريزة لنا نذمها كغريزة النمل وغريزة النمل وغريزة الأرضة ، غرائز صافيات ككلمات بها عاشت تلك الجمهوريات بفاية النظام . أما جاعاتنا وجهورياتنا فانك جعلتها مبنية على تجاربنا نحن ، فهاهوذا القرآن يأمرنا بالشورى فقام بها أسلافنا ثم تركها آبائنا وأجدادنا فتولاهم قوم آخرون وكان رائدهم التجارب ، انك أردت بذلك أن تكون سمادتنا ورقينا مبنيين على جدتنا واجتهادنا ، وأنت تعين المجتهدين في أي أمر كان ديني أو دنيوي ، وهاهي ذه فرنسا وانسكانرا لهما مجالس شورية (البرلمانات) وهكذا أمريكا وبقية أوروبا ، وقد لحق بهؤلاء أهل الصين والفرس والترك

اللهم إن عبادك لا يزالون ضعافا فان فرنسا التي أعلنت الحرية في بلادها وهدمت حصن الباستيل وقتلت لويس السادس عشر وانسكانرا التي قتلت (شارل الأول) لأجل ظلمها ما عسا معا قدا تقضا على بلاد الاسلام ونرى فرنسا تريد تغيير دين البربر في صراكش وتذل المسلمين في شمال إفريقيا ، وانسكانرا تهب بحقوقي ، صر وبعض بلاد العرب

اللهم إن الانسان ظالم كفار ، قتل الانسان ما أكفره ، إنه كان ظلوما جهولا ، إن الأمم حلت محل ملوكها المقتولين في ظاههم ، فهم يفعلون مع الأمم في الظلم ما فعله ملوكهم ، وقد جهلوا أن هذه الأمم

المظالمة مستعمل منهم لظلمهم ما فعلوه هم مع ملوكهم عاجلاً أو آجلاً  
 اللهم انك أت حكيم ، ان النوع الانساني قد جبل على أنه لا يعرف قيمة شيء إلا اذا تعب في تحصيله  
 فهذه الأمم الشرقية سلطت أنت عليها دول الغرب لاذلالها ليكون ذلك باعثاً لهم أن يتخلصوا بقوتهم هم  
 ويخرجوا من قبضة الظالمين كما تخلصت تلك الأمم من ظلم ملوكهم الذين جعل الله ظلمهم وسيلة لجهاد شعوبهم  
 وارتقامها ونيل حريتها

### خطاب المؤلف لأُم الاسلام وأُصرائهم

يا أُم الاسلام : اسمعوا . ها هوذا كتاب الله ينادى بالشورى . وها هم أسلافكم كانوا قسوة الأمم .  
 وها هوذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « من رأى منكم في أعوجاجا فليقومنى » وها هو أحد  
 آبائكم يقول له : « والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بحد سيوفنا »

فهل فعلت انكثرتا وفرنسامع (شارل الأول) ومع (لويس السادس عشر) غير ذلك . عمر بن  
 الخطاب الذى كان يلبس ثوبا مرقعا بضع عشرة رقعة بعضها من ليف . عمر بن الخطاب الذى منع ابنته من  
 أن تضحك ازارها بالروائح المطرية من بيت المال . هذا هو الذى فهم الدين وعرفه . وفهم معنى الشورى  
 فدانت له المشارق والمغارب هو والخلفاء الراشدون . وأتم يا أصدقائى قراء هذا التفسير لاتوانوا فى إرشاد  
 هذه الأمة ، فوالله انى لأعتقد فى نفسى بأن أى خاطري يخطرلى فلا أكتبه للمسلمين يجرّ على جسمى وعلى  
 عقلى أذى كبيراً فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر

إياكم أن تتوانوا فى بث فكرة الإصلاح العام الذى فى هذا التفسير وفى غيره الذى يكون على شاكلة .  
 على كل منكم أن يكون أمة بنفسه لا يتسكى على غيره ، إن المصلى منا يقول فى افتتاح الصلاة « وأما أول  
 المسلمين » . فلتسكن أول مسلمى قريتك فى أمثال هذا الإصلاح وإعلانه ، أو مصلحتى أمنك . إن الإنسانية  
 آخذة فى الارتقاء والاتحاد على منوال ما فعله الله فى السموات والأرض ، وذلك لا يتم إلا بالجهاد ، وليس الجهاد خالفاً  
 بقتل الأعداء ، بل محاربة العدو جهاد أصغر ، أما الجهاد الأكبر فهو ما ترونه فى أمثال هذا التفسير فان نشر  
 هذه الآراء يصالح جميع مرافق الحياة ومنها نظام الجيوش الذى لا يتم إلا بإصلاح جميع أحوال المملكة ، وأن  
 مداد العلماء أفضل من دم الشهداء ، والعلم أعظم النعم فى الاسلام ، ليأخذ المسلمون عموماً وأبناء العرب  
 خصوصاً مكانتهم العلمية ، وليقودوا هذه الأمم المتخبطة الآن فى ديجور الحياة ، ولتكون وجهة المسلمين  
 اليوم أنهم يكونون أقوى من جميع الأمم ، ليقودوهم الى معنى قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها »  
 وذلك بالسلام العام ، وهل يتم السلام إلا اذا ساويت الأمم فى جميع أعمالها

وأنتم يا أُصراء الاسلام اسمعوا منى نصيحة أنا ملزم أن أعلنها : « من كان من بيت الملك منكم فليفكر  
 فى أمبراطور اليابان جدّ الأمبراطور الحالى ، ذلك الذى لما عرف أن أوروبا تحاول إذلال مملكته تنزل عن  
 تلك العظمة التى جعلته هو وأباه لا يرى الشعب لأنهم فوق الناس ، بل هم من نسل الآلهة (فى خرافاتهم)  
 فسار فى الطرق وقال للناس : « ها أناذا الأمبراطور ، أنا مثلكم وأعلن التعليم العام » فعلم الشعب وارتقت  
 بلاده ، وهو وأبنائه لا يزالون ملوكاً بعظمتهم وملكتهم ، والشعب هو الذى يتولى إدارة الشؤون ، ولهم كما لملك  
 الانجليز حقوق لا تضرب الشعب والشعب راض بهذه الحقوق »

هذا هو ما أوصيكم به ، إن جهل الشعوب كان غير ضار بالملوك قديماً ، أما الآن فان الأمم بالمرصاد فهى  
 لاتذرة أمة ضعيفة إلا استعبدتها . وهذا هو العدل الإلهى فاذا كان قوم يعطون نعم الله التى خلقها لعباده .  
 وهناك قوم يقدرّون على استخراجها . فمن عدل الله فى نظامه أن يرسل الآخرين ليسيطروا على هؤلاء الجهال



الذين لم يستخرجوا نعمه لمنفعة عباده بصناعة أو زراعة أو تجارة . هذا قولي وأستغفر الله لي ولكم . كتب قبل فجر وفي صبحى يوم الاثنين ٢١ فبراير سنة ١٩٣١

### موازنة بين سيرة عمر وجمهورية سقراط

وتطبيق نظام الأمم العربية والتركية والفرنجية عليها

أيها المسلمون : قد ظهر الحق وانطلق عمود الصباح . أيها المسلمون : بهذا يفهم النوع الانساني معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »

أيها المسلمون : عمر وأمثال عمر هم الذين فهموا معنى قوله تعالى « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ومعنى « الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم . عمر رضى الله عنه رحيم بالعبد والحر والدمى والمسلم . قرأت في بعض كتب الزيدية المطبوعة حديثا عن آل البيت عليهم السلام رأى رجلا وامرأة في السبي منكسى الرأس ذليلين ، فسأل عنهما ، فقيل اننا بعنا ابنيهما لأجل طعام السبي ، فأمر برده اليهما

قد تقدم في « سورة النحل » عند آية « إن الله يأمر بالعدل والاحسان الخ » آراء (سقراط) في الحكومة ، وانه رتبها خمسة أقسام ، وأن كل نام فانه يذبل ، ونظام الحكومات والأفراد كنظام كل ماله حياة فهو شاب فكهل فشيخ فهرم وهكذا

وها أنا ذا أوضحه هنا بعض الايضاح ، وأعجب والله كل العجب من سياسة عمر رضى الله عنه ومن فراسته الحكومة خمسة أقسام : اروستقراطية ، وديموقراطية ، واليفاركية ، وديموقراطية ، واستبدادية . ومعلوم أن الأمة كالفرد ثلاث طبقات : طبقة الفلاسفة وأولى العلم ، وطبقة الجند ، وطبقة بقية الشعب . وهو يقول : « إن هؤلاء الحكماء هم الذين يحكمون القسمين الآخرين كما ان قوة العقل في الانسان تحكم قوة الغضب المقابلة للجند في الأمة وتحكم قوة الشهوة المقابلة لبقية الرعية . ثم إن كل قسم من الثلاثة في الأمة وفي الفرد يجب أن يقوم بعمله ، فالجند تطيع الحكم ، والعامة يطيعون القسمين كما تطيع قوة الغضب عقولنا والشهوة تطيع العقل وقوة الغضب ، ولا معنى للعدل إلا هذا . فهذا معنى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل . فإذا تولى حكم الأمة الحكماء فهذا معنى (اروستقراطية) وإذا مضى الجيل الأول فترت همة الجيل الثانى عن الفلسفة والعلم واكتفوا بقوة الجند وحكموا الأمة بمجرد القوة التى لانصحبها الحكمة المستمدة من الله تعالى ، فهناك تسمى الحكومة (ديموقراطية) والثانية أقل من الأولى درجة ، ولكن اذا تمادى الجند فى الحكم رأوا أنفسهم هم والأمراء الذين لا علم عندهم ولا حكمة مغرمين بالمال إذ يقتسمون مال الطائفة الثالثة ، وهنالك يتنزل الأبناء عن منزلة آبائهم ، وتكون الحكومة إذ ذاك (اليفاركية) وهى حكومة الثروة ، فالحكمة فى الأولى تنزلت الى حاسة فى الثانية ، وهذه تنزلت الى مطامع الشهوة وجع المال ، وهنالك تزيد غلات فريق الحكم ويصبح الناس طبقتين اثنتين لا غير : أغنياء يملكون أكثر مافى الدولة وهم قليل جدا وفقراء وهو جميع الشعب فلانما من قيام الشعب على طبقة الحكم واذلالهم والاستحواذ على أموال الدولة وهذه تسمى (ديموقراطية) وهى دولة النهك والخلاعة وعدم الحياء والصيانة فيصبح الأمر فى يد العامة والجهلاء ولا يحترم الابن أبويه ولا المحكوم الحاكم وهكذا ، ونظير هذا فى الفرد الواحد النهك والخلاعة وعدم الحياء والمجاهرة بكل موبقة وعدم الاكتراث بالعار والشنار . والأمة اذا وصلت لهذه الدرجة فلا بد من ظهور واحد فيها يستبد بها وبذلها ويقهرها وهذه هى الحكومة الخامسة وهى الاستبدادية ، وخير هذه الخمس أولها وشرها آخرها ، والثلاثة التى بينهما مرتبات تربويا تنازليا

ههنا فلننظر . أليس ماقاله أفلاطون فى الجمهورية (التي ألفها الله على قلبه وعلى قلب سقراط أستاذة قبل

فلهور النبوة المحمدية بمدة تزيد على تسعة قرون) أصبح نموذجاً لنا نفهم به قيمة الحكومات ونبحث فيها بجد

سبحانك اللهم وبحمدك ، علمت قللة علومنا ، وعلمت انقطاع سند العلم بيننا ، فأطاعتنا على آراء سقراط ففهمنا انها أشبه بمقدمة لهذا الدين الحنيف

أقول هذا وأنا موقن به ، ان عقلاء أمم الأرض وحكامهم في عصرنا وبعده كلهم يقتدون سقراط وأفلاطون من حيث التفكير ، ومتى عرفوا أن هناك تلاؤماً وتوافقاً بين المدنية التي اختطها عمر رضى الله عنه وبين مرسومه هذا الفيلسوف أيقنوا بمعنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس »

إن الذي يأمر جنده أن لا يأخذوا أرضاً ليزرعوها من فلاحى الأمة التي دخلوها ويقول أتم أيها الجند عليكم حفظ البلاد ولستم أرزاقكم على بيت المال وكفاكم ماتأخذون منه ، ويقول : أتم اذا ملكتم الأرض تنازعتم وفشتم وتذلون عباد الله وبزول ملككم ، وما خالف بعض رجاله هذه الأوامر بهصر أرسله عمرو ابن العاص الى عمر فهابه هيبة شديدة كما تقدم ، ولما أظهر التوبة عفا عنه

أقول : إن الذي يفعل هذا في ذلك الزمان الذي كان الفرس والروم قد انتهوا في الحكم الى الدرجة الخامسة وهي الاستبدادية وهي أدنى السجلات ، ثم نراه يحكم الناس بالطريقة التي مدحها (سقراط) في الجمهورية وهي ان الجند لا يجرز لهم أن يكون لهم ملك ائلا يميلوا الى جمع المال وكفاهم رزقهم الذي يفرض لهم من الخراج الذي تدفعه الرعية

أقول : إن الذي يفعل هذا كله وهو لم يقرأ تلك الجمهورية ولا غيرها بل هو في أمة كلهم أميون وليس عنده من العلم إلا أعماله صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي جاء فيه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وجاء فيه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - الخ أقول : أمثال هذا إنما جعله الله نموذجاً لأمم الأرض قاطبة في الشرق والغرب ، والانسانية العامة لا بد يوماً ما صائرة اليه ، إن الله عز وجل أبهى جمهورية أفلاطون في الأمم وهي مترجمة لجميع اللغات وفيها هذه المراتب ولم يظهر لأعلى يد أفلاطون ، ولا على يد أستاذه سقراط ، ولا على يد دولة اليونان ولا الرومان حكومة تكون مثلاً أعلى للأمم الأرض وانما ظهرت في (٣٠) سنة وهي مدة الخلافة وبقيت في التواريخ ، وهذا مصداق حديث « الخلافة بعدى ثلاثون » واذن نفهم معنى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فهذه هي الرحمة العامة ، أليس من العجب أن الأمم الاسلامية بعد عصر الخلافة امتزجوا ما اعتري الزرع وكل حي من أنه آيل للتفرق والانحلال ، ألم تحصل هذه المراتب الخمسة التي رتبها (سقراط) في الحكومات وقال انها أمور طبيعية لا يمكن اجتنابها ولا نلافها ، ورأينا أبناء العظماء بعد تلك الخلافة وبعد الصحابة (الذين كانوا مجتهدين) قد نزلوا الى الحكومة (التيموكراسية) ونرى ذلك في أوائل حكم بنى أمية وبنى العباس وهي حكومة الجند لاحكومة العلماء الذين يسبغون بالحق التام . ألم نر أن بعض أواخر دولة بنى أمية قد تنزلوا عن أخلاق آبائهم الى درجة (الاوليغاركية) كما تنزل ملوك بنى العباس بعد المأمون والمعتصم ونحوهما الى تلك الدرجة وعكفوا على المغاني والشرب واللذات ، هكذا نرى الفرس الذين استهان بهم بنو العباس لكسر شوكة العرب قد تغافلوا في الدولة الاسلامية ، وأخذ الملوك يرجع الفقري ، وأذلوا الرعية كما أذلوا الملوك وهكذا الأتراك ، أليس ذلك قريباً من المرتبة الرابعة وهي (الديموقراطية) وهي التي يشور فيها المحكومون على الحاكمين ولا يبق للحكومة هيبة ، ثم ظهر في الأمة مستبدون من القواد فحكموا الأمة بيد من حديد ، ويمثل الديموقراطية أيضاً (قيام طائفة الانكشارية) في الترك على ملوك بنى عثمان ، وكما سمل الجند أعين الخلفاء العباسيين كما فعل أمثالهم من الانكشارية مع ملوك بنى عثمان ولتجرب مما تقدم قبل هذا من أمر ملوك فرنسا أيام



لرئيس السادس عشر ومن قبل لويس ، وكيف رأيت فيما تقدم هنا أن الأشراف ورجال الدين ما كانوا يدفعون الضرائب ، وكانت الرعيصة أذلة للطائفتين ، أليست هذه هي الحكومة الثالثة وهي (الاوليفاركية) وهي حكومة الثروة وجمع المال ، وهي أدنى من الحكومة الارستقراطية ومن الحكومة التيموكراسيه أي حكومة الفلاسفة وحكومة الجنود ، وانظر كيف اضطربت الأمة كلها على بكرة أبيها وقامت فتنات (١٥٠٠) من محبي الملك وقتلوه على مرأى ومسمع من أوروبا كلها والملوك كلهم بالمرصاد ، وقد اتحد الروس وأهل بروسيا على قتال فرنسا ، أليست هذه هي الحكومة السيموقراطية التي هي أسفل وأدنى منزلة من الثلاثة قبلها وهي الحكومة التي تكون بيد الأمة كلها ، ثم انظر بعد ذلك ، أليست ترى أن نابليون ذلك الضابط الصغير لما ضرب الثاويرين بالمدايح خضعت الأمة إذ أمسكها بيد من حديد ، أليست هذه هي الطبقة الخامسة وهي أدنى الحكومة باعتبار عمومها لأنها هي حكومة المستقبل وان كان نابليون له من ايا لطفت الاستبداد اللهم اني أحمدك وأشكرك على نعمة العلم ونعمة الحكمة ، اللهم إن العلم الذي لا تطبق عليه أحوال الأمم لا يفيد الفائدة التامة المرجوة

اللهم إنني أحمدك إذ كشفت لي حقيقة أمننا الاسلامية ، وعرفتني طرق اصلاحها . وكيف غشت الجهالة على أقوام وأقوام من أسلافنا ، فابتدعوا أحاديث ، واختلقوا لها أسانيد ، وجعلوا حكم الأمم منشؤه الأنساب في حد ذاتها . كلا والله . كذب والله

اللهم انك شرحت صدرى للعلم وأنا أكتبه لأمتنا الاسلامية ، فأنا أحمدك حمدا كثيرا وأشكرك ، أحمدك أن وفقتني ، وجعلت لي أصدقاء في جميع أقطار الاسلام ، وهم هم الذين سيبطلون الباطل ويحققون الحق ، أنت يارب أردت ذلك ، هم سيشرحون هذه المسائل العلمية ويبينونها للناس ، هم الذين سيدرسون علوم الأمم وعلوم الاسلام وعلوم النبوة (انني نحن معاصر المساهين أكثر الأمم جهلا بحقائقها) وذلك بما انتشر بيننا من الدعايات لأهل الأنساب بحيث يرث الابن أباه في حكم الأمة وان كان جاهلا غيبيا ، عاكفا على الخمر والمغاني فيهلك وتهلك أمته معا ، لاسما في زماننا

هنا وقد يتخذ أمثال هذا الأمير الدول الأوروبية وسيلة لاستعباد الأمم الاسلامية ويدلون بها باسمه ، وليعلم الملوك والأمراء الاسلاميون أني لست أقول أعطوا الملك لغير أنبائكم فان ذلك ليس في الامكان ولكني أقول : « يجب أن يتعلم الشعب كله لأن الملك وحده لا يقوم مقام الأمة ، وإذا كان ولي العهد صالحا للملك فهو أحق من غيره ، ولكن لست على يقين من أن الأعقاب يكونون على منوال الآباء بدليل ما تقدم من حوادث التاريخ ومن نفس طبيعة النوع الانساني »

فليتنظر عاصم الاسلام الذين يقرءون هذا التفسير وملوك وأمراء الاسلام ، فإذا أنسوا من بيت الامارة والملك علما وكلا وسياسة وحكمة فهم أولى بالحكم ، ولكن لما كان عالمنا الذي نعيش فيه يسير على طريقة تنازلية بحيث يكون كل جيل أضف مما قبله وهكذا وجب (لأجل الاحتراس) أن يعمل الأمر بيد مجلس الأمة ، وهؤلاء الملوك ينفذون ما يقرره المجلس والملك من ايا خاصة تقرّر بينهم وبينه ، فهناك يحصل الغرض المطلوب ، فالأمة كلها تبتد في التحصيل وتحسّ بالتبعية الملقاة على عاتقها ويخفف الحمل عن الملك وأعوانه ، ويبقى الأمير أو الملك موضع الاعزاز والاعظام والاجلال ، وذلك كما في بلاد اليابان وبلاد الانجليز ، حتى اذا كان أحد الأبناء منحرفا عن الجادة فان الأمة والوزراء هم المسؤولون وكفى

وقد ذكرت هذا من قبل وأكرره في كل مناسبة . هذه طريقة سهلة . فإذا لم توفق أمة من أمم الاسلام الى ذلك فلتجعل الامارة بالانتخاب والشورى كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وكما تفعل الولايات المتحدة ، ومتى انتظمت امارات الاسلام وجب على الأمراء أن يجتمعوا وينتخبوا واحدا منهم يكون خليفة

للمسلمين كآبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويكون انتعاذه لمدة معينة نحو خمس سنين ، وذلك خيفة أن تتغير أطواره فتحصل الفتنة . هذا ما فتحت الله به في معنى « وأمرهم شورى بينهم »

أما أن نسمع أن أم الإسلام تتخذ رجلاً لأجل نسبه وتقول انه (إله) أو الإله محل فيه ويجعل له أعواناً يشيدون باسمه ، أو تتخذ آخر لأجل صلاحه وقد اجتمع حوله تلاميذه فجاءوه فوق جميع الأولياء والصالحين وذكروا له كرامات ، ثم يحكم الناس بهذه الرسالة فيقولون هو المهدي (اقرأ ما في أول سورة الحج من الكلام على المهدي) أو نحو ذلك فهذه أشبه بأفواج في بحر السياسة تموج فيه ثم تضمحل عند الشاطئ اقرأ ذلك في أخبار المهدي محمد بن تومرت في سورة سبأ وفي سورة الكهف عند آية « وما كنت متخذ المضلين عضداً » . اللهم إني كتبت ما فتحت به على اليوم ولك الحمد على نعمة العلم

إن الرجال الذين اشتهروا بالصلاح وهم حريصون على المال لهم منافع ومضار ، وضرتهم أكثر من نفعهم ، أما الذين وصفناهم وقرّرناهم فهم الذين يجب أن يتولوا الملك لأن نفعهم أكثر من ضررهم

\*\*\*

ولأختم هذا المقام بحديث داريني وبين أحد مشايخ الطرق بمصر ، ذلك اني كنت أسكن بجهة طولون عند قلعة السكيش ، وكان بيتي بالقرب من شيخ طريقة معظم في بلاد الصعيد ، وهذا الشيخ له صريدون وأكثرهم من البرابرة ، وكان اذا نزل الصعيد وعلم صريدوه قابله ... خيال احتراماً له واتخذوا يوم حلوله عيداً لهم ، وهناك يكسو الرجل زوجته وأبنائه وبناته ، ويكون الفرع والهناء بمقدم الشيخ ، والبلاد التي يعظمه أهلها تقل فيها السرقات ، وقد شرح ذلك شرحاً بيّناً فقال : أنا اذا قدمت القرية يحضر زيد فيقول لي يا أستاذي أنا أخطأت لا تغضب عليّ فيقول له من كان معك ؟ فيقص القصص انه هو وفلان وفلان وفلان سرقوا بقرة أو نقبوا حائطاً أو قتلوا رجلاً ، فهناك يقطب الشيخ وجهه وقد حفظ أسماء الشركاء ، فتي حضر أحدهم يأمر الشيخ بهدم دخوله عليه ، فهناك يزيد الاعتقاد في الشيخ

فهذه هي منافع هؤلاء الشيوخ ، فأما مضارهم فان هذا النفع لا قيمة له لأنه لم يكن من نفس الفرد بل انه خائف من الشيخ ، والشيخ لا ينال هذا إلا بجهل أتباعه ، وأمة هذا شأنها تكون عالة على المجتمع الانساني ، وبعض هؤلاء الشيوخ يمثلون عجل السامري ، وهذا العجل يجب أن يحرق ويذرى في الهواء كما فعل موسى فان التنوى المبنية على الرعب من نفس الشيخ تقوى لا بقاء لها وهذا هو الانتكاس وضباع الأمم بل لابد من الارشاد والتعليم

وهذه المسألة الجزئية تفسر لنا الطريق التي سنها حسن بن الصباح في قلعة الموت (هي مذكورة في سورة الكهف) فلا يظهر لأتباعه وقد حرم عليهم دراسة العلوم وحكامهم بمثل هذه الطريقة ثم انقضت تلك الدولة ، فهما كانت نية القائم بالأمس من الإصلاح فهي مخالفة لدين الاسلام وضارة بالأمم وفساد للمجموع

\*\*\*

وهاك حديثاً آخر حدثه لي هذا الشيخ وأنا معه في منزله وأتباعه يذكرون الله والمنشد يغني . قال : إن أحد أتباعي بالصعيد (وكان أعمى) أخذ يجتهد في العبادة والذكر على حسب طريقتي ، فأخذ الناس يذكرون له كرامات وسمع هو بذلك فصار يتظاهر بما يدل على ذلك حتى أشاعوا أنه ارتقى فوق مرتبتي أنا ، وأنه نال فوق مانتي . فلما نزلت ببلدتهم وكان الجمع محتشداً وهو بينهم وقفوا جميعاً أما هو فإنه بقي جالساً يحقق قولهم وأنه أعلى من شيخه في الولاية ، فسأمت عليهم جميعاً ، ولما لم يقم لم أسلم عليه مع انه لو كان غيره من الناس لضربوه وأهانوه ، ولكنهم احتراموه لأنه أصبح أعلى في مقام الولاية مني ، فأوعزت سرا إلى أحد أتباعي أن يسرق حذاءه . فلما أخذنا نتقل من ذلك المكان وقام معي هذا الجمع المحتشد لم يجد حذاءه .



وظهر للناس انه لا علم له بمن سرق نعله . إذن هوليس بولي فتركوه فشى حافيا . ثم أتى ليذكر مع الذاكرين فأخرجه أتباعي بأمرى ، فشكاهم الى ، فقلت له : إن الولاية لي أنا فكيف تتكبر على بها ، وأخذ يوبخه على فعلته ، ثم عفا عنه ، فرجع فردا من الأفراد والملايكة المعتادين

وانما ذكرت هذا لأنه «يهود في أكثر ديار الاسلام والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس

٢٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية و ١٢ يناير سنة ١٩٣١ م

### بيان العدل الهام في السموات والأرض

وأن الشورى مفتاح العدل ، وأن العدل والجمال يرجعان لأمر واحد ، فيكون جمالا في المحسوسات أو موسيقى ، وغريزة في الحيوان ، وعدلا عند الانسان ، ثم ذكر أنباء الشورى في زمن النبوة والخلافة وبقاء الملك ، ثم بيان تركها وذهاب الملك ، وتبيان أن المسامين بسبب ما ذاقوا من حلاوة الشورى في زمان أبي بكر وعمر قتلوا عثمان غيلة لما ظنوا انه يفضل بنى أمية ولم يلم بهم من الظلم عشر معشار ما ألم بالانجليز حين قتلوا (شارل الأول) في القرن السابع عشر ، ولا ما ألم بالفرنسيين إذ قتلوا (لويس السادس عشر) في القرن الثامن عشر ، ولا بالألمان إذ ثاروا على أمراءهم في القرن التاسع عشر

بعد ما كتبت ما تقدم من أمر الشورى في بلاد فرنسا وانكارتا (تطبيقا على آية - وأمرهم شورى بينهم -) وبيان أن هذه الثورة السياسية في الأقطار الأوروبية لم تكن لديهم إلا من آثار النهضة الاسلامية الأولى ، جاشت النفس بخواطر في أمر الشورى في مدة الخلافة الاسلامية وهي (٣٠ سنة) وكيف كانت إذ ذاك ، وأن النبي ﷺ هو الذي بين الشريعة للناس ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج لولا فعله ﷺ وفعل أصحابه ما عرفنا شيئا منها ، فآية الشورى آية مجملة والاجال لا يفنى عن التفصيل والله يقول « وأنزّلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ونحن اذا اكتفينا في تفسير هذه الآية بما تقدم نكون قد خالفنا منهج الحق ، وهذا الكتاب اليوم بين يدي المسامين ، فحق على أن أذكر جملة صالحة توضح أمر الشورى في عصر النبوة وفي عصر الخلافة حتى يعرف الناس السبب في هذا الملك العظيم الذي امتد شرقا وغربا ولما إذا أزال الله ذلك الملك ومنزق أبناء الذين قاموا بهذا الأمر تدريجا بعد العصور الأولى ، وأقدم قبل ذلك مقدمة في النظام العام في السموات والأرض . فأقول :

اعلم أن العدل والجمال يرجعان معا الى النظام العام ، فكل ما كان منظما فهو مرغوب فيه محبوب ، وما فقد النظام فهو منفور منه ، إن النظام حليف الدوام ، والاختلال يقبمه التفرق والانحلال ، إن من اطلع على هذا التفسير أو أكثره فانه يوقن أن نظام الكواكب والشموس والأقمار نظام تام عجيب لا خلل فيه فكانت نتائجه لا حصر لها ، إن التناسب وحسن النظام اذا فارق الأجسام الحيوانية والنباتية لم تسكن لها حياة ، واذا لم يكن تناسب بين الخدين والعينين والمنخرين والفم في الوجه فقد الجمال ، فالجمال يتبع التناسب والقبح يلزم عدم التناسب ، هكذا كل عضو من أعضاء الانسان والحيوان ، وكل غصن أو ورقة من نبات لها نسب خاصة ، وبغير تلك النسب لا تكون حياة للنبات ولا للحيوان

تقدم في هذا التفسير في غير ما موضح أن شهر الانسان مقياس لأعضائه ، فهو ثمانية أشبار بشبره وربعها من الركبتين الى القدمين ، وربعها من الركبتين الى الحقوين ، وربعها من حقويه الى رأس فؤاده ، وربعها من رأس فؤاده الى مفرق رأسه ، واذا مدي يديه يمتد ويسرة كان امتدادهما (٨) أشبار أيضا ، واذا مدي يديه

الى فوق رأسه فانه يجد أن المسافة من السمرة الى أطراف أصابعه (٥) أشبار كالمسافة التي بين السمرة والقدمين ، أنا لا أطيل في هذا لأنه تقدم ولكنه تذكر بحجمال الوضع في العالم المشاهد والكمال فيه ، وهذا في المشاهد المحسوس بحاسة البصر ، ومثله المحسوس بحاسة السمع كما تقدم كثيرا في غير ما موضح فان الموسيقى القديمة المبنية على نسب (الجم والمثنى والمثلث والذير) والموسيقى الحديثة المبنية على قاعدة المتواليات الهندسية (١٦ - ٣٢ - ٦٤) وهكذا لم تخرج عما تحبه النفوس من النظام والجمال

الله أكبر . اللهم انك أنت الجليل الحكيم العليم . أنت الذي أحكمت ملكك . ونظمت خلقك . عجبنا يارب من ابداعك . أنت واحد ونظامك واحد ، ولكن اختلافت مظاهره . أنت سريع الحساب فان كان ذلك الحساب في المشاهدات بحاسة البصر كبهجة الأشجار وجمال الأزهار والزرع وجمال الوجوه سميناه جمالا (وان هو لا تناسب بين الألوان والأغصان والأوراق والأعضاء بحساب لا خطأ فيه البنية كحساب سير الكواكب ، انظر بعضه في سورة النحل عند آية « وأنبتنا فيها من كل شئ موزون » فهناك تعرف أيها الذكي لم فرح الناس بالأشجار وعدوها جميلة ، وهناك تشاهد رسم الأوراق والهندسة في السواثر التي تسكونت على الأغصان وأكثر أهل العلم عنها غافلون) وان كان في السموعات سميناه موسيقى واستلذت النفس به وان كان ذلك الاتقان في جماعة الحيوان كما تقدم في جمهورية النحل وجمهورية النمل وجمهورية الأرضة (المذكورات المهورات في سورة النحل والنمل وسبأ) سميناه غريزة . وان كان ذلك الاتقان في سياسة الانسان العامة وحفظ الجماعة سميناه عدلا

عجبا ياربنا ! أينما قلبنا الطرف وأدركنا وجوهنا يمينا ويسارا وفوق وتحت لا نجد إلا نظاما واحدا ، وهذا النظام له مظاهر مختلفات ، فهو جمال ونغمات وغريزة وعدل ، وأقرب المخاوفات اليها هذه الحيوانات التي نظمت ممالكها نظاما أدهشنا ، عجز الانسان والله عجزا ظاهرا أن يجاري النمل في جمهوريته ، أو يساوي النحل في مملكته ، أو يجاري الأرضة العمياء التي تحكم مئات الألوف من تلك الحشرات التي هي عمياء مثلها فهذه يارباه حكومات منظمات على منوال ما نظمت أنت من جمال وجوهنا وبدائع أشجارنا وأزهارها والأثمار نعم الانسان لم يقدر أن يجاري هذه الحشرات ولا غيرها ، فان عدل يوما ظم سنين ، وان علم شيئا جهل أشياء ، أنت أعطيت الحرية ، ووهبت معها عقلا ، وقلت له : دونك التجربة ، ولم تدره ونفسه ، بل أرسلت له أنبياء فعلموه ، وخلقت قوما حكما ففهموه ، ومع ذلك لا تزال الشقوة تحيط به ، والذل يغشاه ، وآخر من أرسلته من الأنبياء نبينا ﷺ وجاء في وحيك « وأمرهم شورى بينهم » . فهانحن أولاء نبهت في سيرته ﷺ وسيرة الخلفاء الخاصة بالشورى فوجد انه روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ودعا عبدالله بن أبي بن سؤل ولم يدعه من قبل ، فاستشاره فقال عبس الله ابن أبي ابن سؤل : « كثر الأنصار يارسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط إلا أصاب منا ولادخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف وأنت فينا ؟ فدعهم يارسول الله فان أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين » وكان ﷺ أميل الى هذا الرأي . وقال بعض أصحابه « أخرج بنا الى هذه الاكباب لئلا يروا اننا جبننا عنهم وضعفنا وخفناهم » . فقال رسول الله ﷺ « إني قد رأيت في منامي بقرا فأولتها خيرا ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولتها هزيمة ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم » فقال رجال فاتهم بدمر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : « أخرج بنا الى أعدائنا » وبالفوا حتى دخل فلبس لامته . فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم . وقالوا : اصنع يارسول الله ما رأيت . فقال : لا ينبغي لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل اه



(اقرأ بقية الكلام على هذا المقام في ﴿سورة آل عمران﴾ في المجلد الثاني من هذا التفسير) . إذن هاجن أولاء رأياء ﷺ كان يعيل إلى أن يبقى في المدينة لأنها تأويل السرح الحصينة التي رآها في المنام . ولكن لما أشاروا عليه لبس لأمته ولم يرجع عما أشاروا به وإن كانوا هم ندموا على سبالتهم في طلب الخروج للقاء . وهكذا نجد عمر رضى الله عنه وهو من خلفائه يجتهد في السدل والعفة . ولا يبرم أصرا إلا بمشورة أصحابه حتى ما يختص بأمر نفسه . أو ما يقوم بأمر مهابه

﴿أولاً﴾ - ذلك أنه جمع الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال انى كنت أصرا تاجرا وقد شفتموني بأمركم هذا فإذا ترون أنه يحلّ لى من هذا المال فأكثر القوم وعلى رضى الله عنه ساكت : فقال يا على : ما تقول قال ما يصالحك ويصالح عيالک بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره : فقال القول ما قال على بن أبى طالب

وأخرجنا عن أسلم قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما يحل لك من هذا المال : فقال ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف وحلة للشتاء وحلة للصيف وراحلة عمر للحج والعمره ودابة لحوائجه وجهاده وروى الطبرى ان هذا العطاء الذى رضى به عمر لنفسه وفرضه له المسلمون لم يكفه واشتدت به الحاجة فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وتشاوروا في زيادة يزيدونها لهم في رزقه من بيت المال فهابوا مقابله بذلك فأتوا ببنته حفصة وأصروها أن تخبره بالخبر وترى رأيه فيه ولا تذكر له أسماءهم فلما أخبرته بذلك عرفت الغضب في وجهه وقال لها : من هؤلاء قالت لاسبيل إلى عامهم حتى أعلم رأيك فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم أنت بينى وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما أقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من اللبس (وكانت زوجته) قالت ثوبين مشقين كان يلبسهما اللوفد ويخطب فيهما للجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع : قالت خبزنا خبز شحير فصعبنا عليها وهى حارة أسفل عكة (١) فجعلناها هشة (٢) دسمة فأكل منها وتطعم استطابة لها : قال فأى مبسط كان يمسطه عندك كان أوطأ (٣) قالت كساء لنا ثخين كنا نربعه في الصيف فنجدله نحدثنا فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدنرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم عني أن رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية وانى قدر فوالله لأضعق الفضول مواضعها ولا تبلغ بالترجية (٤) وانما مثلى ومثلى صاحبى كمثل ثلاثة سلكوا طريقا ففضى الأول وقد تزود زادا فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى برادهما لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما

هكذا كان شأن عمر رضى الله عنه في العفة والقناعة والرضى بالكفاف مما يسد الجوع ويستبرى ، وروى في المناقب من الحسن قال خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه أزار فيه اثنتا عشرة رقعة ، وفي المناقب أيضا عن أبى عثمان النهدي قال رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه أزار فيه اثنتا عشرة رقعة أحدها من بادم (جلد) أحر : وفيها عن قتادة أن عمر بن الخطاب أبطأ على الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر اليهم في احتباسه وقال : انما حبسنى غسل ثوبى هذا ولم يكن لى ثوب غيره

وفىها عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب لعمر يا أمير المؤمنين لو ابست ثوبا هو ألين من ثوبك هذا وأكث طعاما هو ألين وأطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكث من الخير . فقال انى سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من العيش : فزال يذكرها حتى أبكاها

(١) قرية السمن الصغيرة (٢) طرية (٣) ألين (٤) قال في القاموس تبلغ بكذا اكتفى به والترجية والرجاء بمعنى واحد وهو ضد اليأس

﴿ثانيا﴾ - جاء في كنز العمال عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب قال في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: رأيتكم لو ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين فسكتوا فقال ذلك مرتين أو ثلاثا . فقال بشير ابن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدس (وهو السهم المموج قبل أن يرأس ويحصل) فقال عمر: أنتم اذن أنتم اذن (استحسنوا لقولهم) . وفي المناقب عن عبد الجبار بن عبد الواحد التنوخي قال: قال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر أنشدكم الله لا يعلم رجل مني عيبا إلا عابه فقال رجل نعم يا أمير المؤمنين تدبيل بين البردين وتجمع بين الأدمين ولا يسع ذاك الناس قال فما أداك بين بردين ولا جمع بين أدمين حتى لقي الله . وقوله يدبيل بين بردين أي يلبس قميصا ويخلعه ويلبس غيره . وذكر بعض المؤرخين أنه خطب يوما فقال: أيها الناس من رأى منكم في أعوجاجا فليقومه ، فقام رجل فقال: والله لو وجدنا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا . فقال عمر: الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم أعوجاج عمر بسيفه

﴿ثالثا﴾ - قال الأحنف بن قيس: كنت مع عمر بن الخطاب فلقية رجل فقال يا أمير المؤمنين انطلق مني فاعدني على فلان فإنه قد ظلمني فرفع عمر الدرة فخفق بهارأسه . فقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه اعدني اعدني . قال فانصرف الرجل وهو يتذمر قال «أي عمر» على الرجل «أي رده علي» فألقى إليه الخفقة . وقال امتثل «أي اقنع بمثل الضربة» فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك: قال ليس هكذا أما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك: قال أدعها لله قال «أي الأحنف» فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين وجلس فقال «يخطب نفسه» يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعتك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم جلك على رقاب الناس بخامك رجل يستعديك فضر بته ماتقول لربك غدا إذا أتيت . قال فجعل يهاتب نفسه في ذلك معاذة حتى ظننا أنه خبر أهل الأرض

﴿رابعا﴾ - من انصافه للرعية ما روى أنه أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم . قال عدت معاذا . قال سأقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بانه عليه فقدم ، فقال عمر أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأكرمين ثم قال للمصري ضع على صاعه عمرو: قال يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو: مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا: قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني (يعني) المصري

﴿خامسا﴾ - ومن معاملته لأهل الذمة وشفقته عليهم ما جاء في نفس هذا الكتاب وهذا نصه: «ومن جيل سياسته اهتمامه بأهل الذمة الذين دخلوا في عهد المسلمين وساطنتهم من الشعوب غير المسلمين ووصاياه للعمال بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وأذاهم وبلغ اهتمامهم بهم أن كان إذا غابت عنه أخبارهم أو بلغه أقل شيء عنهم يستدعي ذوى أمانة من المسلمين الذين أقاموا في بلادهم ويسألهم عن أحوالهم ويستقصي سيرة العمال منهم ومن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أمير البصرة أن يبحث له جماعة من ذوى الرأي والبصيرة فأرسل إليه وفدا فيهم الأحنف بن قيس فسألهم عن أهل الذمة وهل يشكون ظلمها أوحيفا فأجابوه بالسلب ولم يطمئن لقولهم حتى استوثق من الأحنف وكان يثق بهدقه ثم صرفهم

ومن أجل ما يؤثر عنه من الرفق بأهل الذمة ما جاء في كنز العمال أن عمر مرة بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد فقال: ما أنصفناك كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه



﴿سادس﴾ - ومن حسن سياسته تقدمه الى قواده بأن لا يمسكوا الجند في الفزو أكثر من أربعة أشهر وسببه أنه كان يطوف ليلة بالمدينة على عاتقه فسمع امرأة من وراء بابها تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه \* وأرتقى أن لا خليل لأعنبه

فلولا حذر الله لأشئ \* مثله \* لخرج من هذا السرير جوائبه

فكتب عمر الى عماله أن لا يغيب أحد بالفزو : ونعم الرأي

ومن سياسته توقيفه الحدود عند الضرورة الداعية لذلك فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سريه أحدا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حية الشيطان ان يلحق بالكفار

ومن سياسته أنه كان يحبس عن العمل كثيرا من كبار الصحابة منهم من كان لا يستعمله خوفا على دينه من أن يدنس بالولاية فقد أخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله قال : قال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب مالك لا تستعملني : قال اكروه أن تدنس دينك

ومنهم من لا يستعمله خشية أن يحمله على رقاب الناس أو خشية أن تحدثه نفسه بالأماره اذا بعد عن مراقبته وهؤلاء هم بنو هاشم لما كان يتفرسه فيهم من التطلمع الى الامارة ففي صروج الذهب للسعودي عن عبد الله بن عباس أن عمر أرسل اليه فقال يا ابن عباس : ان عامل حص هلاك وكان من أهل الخير وأهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك فأرأيت في العمل قال لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك . قال وما تريد الى ذلك . قال أريده فان كان شيء أخافه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريئا من مثله علمت اني لست من أهلها فقبلت عملا هلاك فاني قلما رأيت أو ظننت شيئا إلا عابته . فقال يا ابن عباس اني خشيت أن يأتي على الذي هو آت وأنت في عمالك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم . اني رأيت رسول الله ﷺ يستعمل الناس وترككم : قال (اي ابن عباس) والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك : قال (أي عمر) والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك فأرأيتك قال : (أي ابن عباس) أراني لأعمل لك : قال ولم : قال ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك قال : فأشر على . قال اني أرى أن تستعمل صحبيحا منك صحبيحا لك

﴿سابع﴾ - جاء في كنز العمال عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان اذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس إن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة . ثم يشيعهم فاذا أراد أن يرجع قال اني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعشارهم ولا على أبشارهم (١) ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولا كنني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيهم وتحكموا بينهم بالعدل فان أشكل عليكم شيء فارفعوه الي . ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها (٢) فتقتنوها ولا تعتلوا عليها فتجمرموها : جودوا القرآن . (وفي رواية) وأقلوا من الرواية

وكان اذا بلغه عن أحد من عماله أمر يخل بالمروءة عزله في الحال ففي المناقب لأبي الفرج بن الجوزي عن ابن سعد قال : كان عمر بن الخطاب يستعمل النعمان ابن فضالة على ميسان وكان يقول الشعر فقال ألا هل أتى الحسناء ان حليلها \* بميسان يسقى في زجاج وحنتم

في أبيات يقول في ختامها

(١) كناية عن أجسامهم وأموالهم (٢) قال في القاموس جره تجميرا جمعه والقوم على الأرض تجمعوا الى أن قال والجيش حبسهم في أرض العدو وأهله هو المراد

لعسل أمير المؤمنين يسوع به تنادى بالجوسق المتهمين  
فلما بلغ عمر قوله قال . نعم والله انه ليسونى من اقبه فليخبره انى قد عزله . فقدم عليه رجل من قومه  
فاخبره بعزله فقدم على عمر فقال والله ما أحب شيئا مما قلت ولكن كنت امرا شاعرا وجدت فضلا من قول  
فقلت فيه الشعر فقال عمر والله لا تعمل الى شى عمل ما بقيت . وفي رواية عن عثمان الخزامى عن ابيه قال لما بلغ  
عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب الى النعمان بن نضلة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) حم تنزيل الكتاب من  
الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير . اما بعد فقد  
بلغنى قولك

لعسل أمير المؤمنين يسوع به تنادى بالجوسق المتهمين

وايم الله انه ليسونى وعزله  
ومن عجيب سياسته مع العمال انه كان يحصى أموالهم قبل العمل وما زاد بعده يصادرهم على كله أو بعضه  
ومن هذا ما رواه الطبرى أن عمر استعمل عتبة بن أبى سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال فقال له ما هذا يا عتبة  
قال مال خرجت به معى وتجرت فيه . قال ومالك تخرج المال معك فى هذا الوجه فصيره فى بيت المال  
وروى أن خالدا لما أدرب هو وعياض الى بلاد الروم انتجعه من العراق رجال منهم الاشعث بن قيس  
فوصله بعشرة آلاف درهم فبلغ ذلك عمر فكتب الى أبى عبيدة أن يحصى مال خالد ويصادره على النصف  
فدعاه وتلا عليه أمر أمير المؤمنين وصادره على نصف ماله حتى الخفين أخذ منهما واحدا وترك له الآخر  
( ثامنا ) — شاطر عمر سعد بن أبى وقاص على ماله وشاطر أبهريرة ولما أبى أن يشاطره ضربه وصادره  
غيرهم أيضا ورد أموالهم لبيت المال

( تاسعا ) — واخرج عن حبيب بن أبى وائل قال . قال عمر بن الخطاب لو استقبلت من أمرى ما استدبرت  
لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين

( عاشرا ) — ومن أخباره فى التأديب التى تدل على عظيم رحمة وحنانه وشدة عقوبته لغلظ القلوب  
ما جاء فى كنز العمال عن أبى عثمان النهدي قال : استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بنى أسد على عمل فجاء يأخذ  
عهده فأنى عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدي . أتقبل هذا يا أمير المؤمنين والله ما قبلت ولدا قط . قال عمر  
فأنت والله بالناس أقل رجة هات عهدنا لا تعمل لى عملا أبدا

( حادى عشر ) — تظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى أنه ضربه وتعدي عليه فقال . اللهم انى لأحل  
لهم اعشارهم ولا أبشارهم ( أموالهم وأجسامهم ) كل من ظامه أميره فلا أمير عليه دونى ثم اقادته منه ( أى  
أخذله القود )

وقال المغيرة بن شعبه وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه أن يخدع وعقل يمنعه أن ينخدع  
فى كنز العمال عن طاوس أن عمر قال أرأيتم ان استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أقضيت  
ما على ؟ قالوا نعم . قال لاحتى أنظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا

وفيه عن عمر قال . الرعية مؤدية الى الامام ما أدى الامام الى الله فاذا رفع الامام رفقوا ( أخرجه بن سعد )  
( ثانى عشر ) — ( حكاية عمر مع جبلة بن الأيهم ملك غسان ) فانه لما أسلم ووفد على عمر بن الخطاب  
بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب وبينما هو يطوف يوما وطى على إزاره أعرابى من بنى فزارة فضربه على  
وجهه فشكاه الاعرابى الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له اما أن ترضيه واما أن يضربك كما ضربته  
فكبر ذلك على جبلة وقال : ألا تفرقون بين الملك والسوقة . قال لا قد جمع بينهما كما لا سلام ، فاستعمله الى الغد  
ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا ولحق بالامبراطور هرقل بالقسطنطينية فأرسل عمر من يسترضيه فأبى الرجوع



(ثالث عشر) - ما ذكره الطبري في تاريخه عند الخبر عن إرسال الجيوش الى نهاوند في أخبار سنة (٢١) قال ونزل بسعد (أي ابن أبي وقاص) أقواما وألوا عليه فيما بين ترسل القوم واجتماعهم الى نهاوند ولم يشغلهم مادهم المسلمون من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدي في نفر فقال عمران الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر وقد استعدت لكم من استعداد وأيم الله لا يمنني ذلك من النظر فيما لديكم وان نزلوا (يعني الفرس) بكم فبعث عمر محمد بن مسامة والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع وكان محمد بن مسامة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكي زمان عمر (١) فقدم محمد على سعد ليطوف به على أهل الكوفة والبعوث تضرب على أهل الامصار الى نهاوند فطوف به على مساجد أهل الكوفة لا يتعرض للمسئلة عنه في السر وليست المسئلة في السر من شأنهم اذ ذلك . وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد الا قالوا لانعلم الاخيرا ولا نشتهي به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه . إلا من مالا الجراح بن سنان وأصحابه فانهم كانوا يسكتون ولا يقولون سوءا الى أن قال الطبري وخرج محمد به (أي بسعد) وبهم الى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فسأله عمر عن أوجه الشكوى فأناكرها ولم يسألهم إثباتها فردهم عمر وخشى اذا أتى سعدا على الكوفة أن يكون بينهم وبينه أمر فعزله احتياطا وسأله من خليفتك على الكوفة فقال له عبد الله بن عبد الله ابن عتبان فأقره

ومنه تعلم كيف كان رضى الله عنه مراقبا لعماله كثير التحقيق عن أخبارهم لا يتعجل في أمرهم اذا جاءته شكاية على أحدهم بل ينثبت الخبر بنفسه ويحققه بمواجهته فان ثبت عليه شيء مما يدعيه الشاكي عزله (رابع عشر) - كان رضى الله عنه لا يحب أن يفرق عماله في المعاملة بين الحر والعبد ولا بين القوي والضعيف أخرج بن جرير الطبري عن الأسود بن يزيد قال كان الوفد اذا قدموا على عمر رضى الله عنه سأله عن أميرهم فيقولون خيرا فيقول هل يعود صرضاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه بالضعيف وهل يجلس على بابيه فان قالوا لا عزله

(خامس عشر) - لما وفد عليه الأحنف بن قيس وسأله عن حال الذمة في ولاية البصرة وصرفه كتب معه كتابا الى عتبة بن غزوان أمير البصرة يوصيه فيه بأهل الذمة هذه صورته (عن تاريخ الطبري) اعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بني فأنكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم اليكم فيما أخذناكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصرا

وبلغه مرة أن حرقوا عادله على الأهواز نزل جبل الأهواز والناس يختلفون اليه والجبل كثود يشق على من راحه فكتب اليه ماصورته نقلا عن تاريخ الطبري في حوادث سنة (١٧)

(أما بعد) بلغني أنك نزلت منزلا كثودا لا تؤتي فيه الاعلى مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد وقيم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصفالك الدنيا ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكسر دنياك وتذهب آخرتك (سادس عشر) - وأخرج عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس اني والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم (وفي رواية ويقضوا بينكم بالحق ويحكموا بينكم بالعدل) فن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه (٢) فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه . قال إي والذي نفس عمر بيده اذن لأقصنه منه وكيف لأقصنه

(١) وظيفة محمد بن مسامة هذه تشبه وظيفة المفتشين لهذا العهد

(٢) يعني يمكن خصمه من الاقتصاص منه أو يقتص له منه

منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه . ألا لاتضربوا السامين فتذلوهم ولا تجمروهم فتقتلهم ولا تلهوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الفياض فتضيعوهم

وعن أبي راحة قال كتب عمر بن الخطاب الى العمال . اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريتهم كعبيدهم وبعيدهم كقريتهم إياكم والرشا والحكم بالهوى وان تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار

وروى الطبري أن عمر كان يقول في عماله . اللهم اني لم أبعثهم ليضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني . ومع كل هذا التشديد على العمال فانه رضى الله عنه كان دائماً قلقاً على الرعية خائفاً من أن يجار عليهم بأمر لا يصلح خبره لهذا عزم قبيل قتله أن يسافر ويطوف على العمال جميعهم ليبعث عن أمور الرعية ويقضى حاجاتهم . فقد أخرج الطبري عن الحسن قال . قال عمر بن الخطاب لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولا فاني أعلم ان الناس حوائج تقطع دوني أماعمالهم فلا يرفعونها اليّ وأماهم فلا يصلون اليّ فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الحول نعم الحول

(سابع عشر) - كان من عماله سلمان الفارسي وكان عامله على المدائن وكان على جانب من الزهد والتقوى والصلاح عظيم فكان يلبس الصوف ويركب الحمار يبرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله أذكرك الله (١) عندهمك اذا هممت وعندك لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت . فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا الخفون وأرى هذه الأساودة (جمع سواد وهو المال الكثير) حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا دواة وركوة ومطهرة

وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجاني فعذل على ذلك وقيل له انك بالشام وأمير المؤمنين وحولنا الأعداء فغير من زيك واصلاح من شارتك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله ﷺ

وكان عامله على حصص سعيد بن عاصم بن حذيم فشكاه أهل حصص اليه وسألوه عزله . فقال عمر اللهم لا تقل فراستي فيهم . ماذا تشكون منه . قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحداً بليل وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا . فقال عمر عليّ به فلما جع بينه وبينهم فقال ماتنقمون منه . قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار فقال ماتنقول ياسعيد . فقال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فاعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبر خبري ثم أتوضأ وأخرج اليهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره أن أذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا له يوم في الشهر لا يخرج إلينا . قال نعم ليس لي خادم فاعسل ثوبي ثم أجففه فأمسى . فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيكم يا أهل حصص فاستوصوا بواليكم خيرا . ثم ان عمر بعث اليه بألف دينار وقال استعن بها . فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الي من يأيننا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الي من يثق به وقال انطلق بهذه الي فلان وبهذه الي يقيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى يبق منها شيء يسير فدفعه الي امرأته وقال أنفق هذه ثم عاد الي خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ماتكونين اليه . انتهى من كتاب أشهر مشاهير الاسلام



هانحن أولاء الله شامدا جيل صنعك وبديع اتقانك في عوالمك المشاهدة والمسموعة والتي أوحيت بها للحيوان وما علمت به الانسان. وهانحن أولاء نقرأ آثار سورة الشورى في آخر الأديان المنزلات الى الأرض. كل جبال في كوكب أوزهر أو وجوه حسان في نوع الانسان. وكل نظام في جماعة الحيوان أو عدل على يد نبي أو خليفة أو صالح داخل تحت آية « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض »

أما صراطك الذي في السموات والأرض فهذا التفسير قد ألمّ بصور كثيرة منه . وأما الصراط المستقيم الذي يدعو اليه رسولك ، فبعضه ما جاء في هيئة الشورى المتقدمة أيام النبوة والخلافة اللهم إن هذه الأعمال الشريفة ، والمعاني المنيفة ، لم يبق عند كثير من أمم الاسلام إلا أخبارها ، اللهم إني بينت باعانتك وأنت الحكيم العليم ، فاشرح صدور المسلمين لدرس تلك الأعمال الشريفة ليرجعوا بمجدهم ويقوموا بنظام أمهم ويساعدوا الأم على النظام العام

هاهم أولاء المسلمون بعد ( ٣٠ سنة ) وهي التي كانت فيها الخلافة أخذوا يرجعون القهقري تدريجاً كما د عثمان رضى الله عنه يقتل حتى قرعت القارعة واشتد الخضم والنزاع على الخلافة ، نعم كان ذلك باجتهاد من أصحاب نبيك ﷺ فأما بعد ذلك فان الأمرك له راجع لذلك وحده ، وأخذ بنو أمية وبنو العباس يتنافسون على الخلافة ، وأدخل الآخرون الفرس معهم لاذلال العرب فذهبت ريحهم على عمر الأيام ، ولا زالت الأمة تتقهقر بالتدريج حتى يومنا هذا

لا ملاذ ولا ملجأ للمسلمين إلا أن يرجعوا النفس النبوة ونفس الخلافة فيدرسوها درساً تاماً مفصلاً . هانحن أولاء لم نجد في أممنا الاسلامية حولنا ولا في أمم أوروبا حكومات تشا كل حكومات الخلفاء الراشدين تبين من كلام عمر مع ابن عباس أنه يضمن بالمسلمين أن يكونوا تحت إمرة من يتولى الخلافة بحق النسب خيفة أن تترك الشورى ويحلّ النسب محلها وذلك الذي خاف منه عمر رضى الله عنه قد حصل عند الأمويين وعند العباسيين ، فالنسب صار أصلاً للخلافة ، وعمر يقول : كلا . إنما يكون بالشورى ، شاطر عمر بعض العمال في أموالهم وكره من آخر كما تقدم ما أعطى من المال للناس ودم ذلك سواء أكان من ماله هو أم من مال الأمة ، وعدّه على الأول اسرافاً وعلى الثاني خيانة ، فهذه تار يخ ملوك الاسلام قديماً وحديثاً انهم جميعاً إلا قليلاً منهم مسرفون في مال الأمة اسرافاً فاحشاً ، وكان الشعراء لا يهيشون إلا من عطاء الأمراء والملوك وكل هذا مال الأمة ولا تكبر عليهم ولا رقيب

قتل المسلمون عثمان رضى الله عنه بما ظنوا من ميله لقومه بنى أمية ، وبما اتهم به مروان بن الحكم من تزوير كتاب فيه اراقة دم لمسلم ، وهذه لا تبلغ معشار عشر ما ابتليت به أمم الفرنسيين والانجليز والألمان فقصوا ماؤكهم ، فلقم عاهت كيف ظلم الانجليز ملوكهم ظالماً فاحشاً ، وكيف ظلم رجال الكنيسة والأشراف الأمة الفرنسية ، فكان لا يدفع الضرائب إلا الطبقة الثالثة وهي أيضاً لاحق لها في أن تمنع الطائفتين الغالبتين عن افساد الزرع بصيد الأشراف فيه كما تقدم

أيها المسلمون : هاهذا كتاب الله ، وهاهى ذه سنة رسوله والخلفاء من بعده ، فوالله لا حجة لكم بعد هذا ، قامت حجة الله على أمراء المسلمين وعلى العلماء وعلى العامة ، أما العلماء فببشر الفكرة بحيث تصبح كالعقيدة الجهرية في الاسلام ، فوالله إن خطاب المسلم لربه في الصلاة إذ يقول « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » يتضمن ما تقدم عن الخلفاء ، إذن هذا الصراط وهو العدل والشورى هو صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض المذكورين في أول هذه السورة « حم عسق » الى قوله « له مافى السموات ومافى الأرض الخ » . عدل الخلفاء الراشدون لاشراق نور النبوة عليهم ، ولما كن ذلك النور

أخذ اشراقه يتفاضل على من بعدهم ، وخير العلماء الاسلام وماوك الاسلام أن يدرسوا مع السيرة النبوية والخلافة نظام العالم أيضا ( كالأدي نشرناه في هذا التفسير ، فذلك مفتاح لمعرفة نور النبوة في مستقبل الزمان ) وأما الماوك فعليهم الاجتهاد في اتباع سيرة الخلفاء ، وأما العامة فعليهم الانقياد للوالي النافع ونبت الظالم ، وذلك لا يكون إلا بتعميم التعليم ، وأنتم يا أمم الأرض المحيطين بالاسلام ، هاهوذا نظام السموات والأرض الذي أبدعه الله وهو الذي ألهم الحشرات ( وكل حيوان يعيش بهيئة جمهورية ) كيف تنظم الجماعات وتعطي كل ذي حق حقه ، فأنتم محاسبون جميعا على ماترون من هذا النظام ، أنتم جميعا بعد الموت سترون النقص في نفوسكم وهذا النقص نفسه عذاب لكم ولا بد لكم من قطع عقبات في عوالم أخرى حتى تصلوا الى تمام النظام ، وذلك بأمرين : علم تام بهذه الكائنات ، وإخلاص تام للجماعات بحيث تصبح نفس الانسان في المساعدة لأخواتها بعد التروى والتفكر أشبه بمطبعت عليه النحل في جماعتها والنمل في قريتها وهناك يكون الوصول الى الله والنظر الى وجهه الكريم وتكون السعادة التامة ، أما قبل ذلك فلا ، هذا ما عني لي اليوم كسبته في تاريخه والحمد لله رب العالمين . الأرباء ١١ فبراير سنة ١٩٣١ م — ٢٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ

### عدل عمرو وانصافه

جاء في « كنز العمال » في كتاب « أشهر مشاهير الاسلام » مانصه :  
كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة . فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا ، فجعل زيد بن ثابت فأتياه ، فقال عمر : أتيئك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم ، فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال ههنا يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : هذا أول جور جرت في حكمك ، ولكن أجلس مع خصمي ، فجلس بين يديه ، فادعى أبي وأنكر عمر ، فقال زيد لأبي : أعف لأمر المؤمنين من العيين وما كنت لأسألهما لأحد غيره ، خلف عمر ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء ، وفيه عن عبد الله بن حكيم . قال قال عمر بن الخطاب : « انه لا حلم أحب الى الله تعالى من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله تعالى من جهل امام وخزقه » اهـ

### جمال الحكمة والعلم

في آية « وأمرهم شورى بينهم » وآية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » اللهم إني أنت الحكيم العليم ، أنت الرب الشهيد ، يا الله ما أجل صنعك في السموات والأرض ، وما أبدع نظامك في العقول الانسانية ، حارت الأمم الاسلامية ياربنا في دين الاسلام ، هذا الدين الذي أنزلته منذ ( ١٣ ) قرنا ونصفا ، المساهون يرون في هذه السورة أنك تحب اليهم الشورى ، ثم هم يجدون الأمم الاسلامية أكثر حكوماتها جاهلة غافلة ، فيقرءون سيرة عمر فيعلمون الى أي حد وصل العمل بهذا الدين أيام سنى الخلافة فيفكرون في السير على منواله ، ويرون في هذه السورة « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » ويرون المفسرين مختلفين في تفسيرها كما قدمناه ، ويجدون آية أخرى تؤيد أن القربى هي التقرب لله كما قدمناه إذ يقول : « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا » والقرآن يفسر بعضه بعضا ، ولكنهم يجدون تفسير الجمهور وهو أن المراد بالقربى قرابة النبي ﷺ وهو المشهور بين الناس ، ثم يرون لآل البيت مقابر جمعت محل الاعظام والاجلال ، وأخذ الناس يقدمون لها في بعض أقطار الاسلام النذور ، يريدون بذلك قضاء الحوائج ، وفوق ذلك يرون كثيرا من العلماء في الاسلام يقرءون ذلك ، فهم في شدة الخيرة من ذلك ! فهذه الخيرة أقتضت مضاجعهم ، وفرقت وحدتهم ، ولكن رحمتك التي



وسمعت كل شيء تداركت الأمة بمثل ما جاء هنا في محاوره ابن عباس مع عمر في سبب عدم اسناد العمل الى آل البيت ، وقول الثاني للأول كما تقدم : « انى خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في عمالك فتقول هلمّ اليّ ولاهلم اليكم دون غيركم ، انى رأيت رسول الله ﷺ استعمل الناس وترككم » ثم أشار عمر الى أن سبب ذلك خشية أن يبايع الناس آل البيت بمنزلتهم فيقع العقاب ، ولا بد من عتاب . ثم قال : فقد قرهت لك فما رأيك ؟ الى آخر ما تقدم

اللهم انك أنت الحكم العدل . وأنت الرسيم . ظهر السر الذي كان مخبوا . ظهر في ثنانيا السكتب المتروكة . أنت أصرت بالشورى ولكن الناس يتأثرون بقوة البيوتات والمجد والشرف ولا يراعون العلم والقوة . وكثيرا ما ولوا طفلا صغيرا منزلة والده الرادل الى ربه . فاذا صح أن رسول الله ﷺ ترك ولاية بعض بني هاشم خيفة أن يبايعوا الناس بمنزلتهم . واذا صح أن عمر فعل ذلك أيضا وقد ظهر صدق فراسته إذ تقلد ابن عباس ولاية اهل البيت رضي الله عنه وأخذ ما في بيت المال لنفسه فأخزن أمير المؤمنين عليا بذلك فضلا عما يلقاه من معاداة معاوية بالشام . أقول : اذا صح هذا فقد ظهر الحلق واستبان السبيل

اللهم لاحجة للمسلمين في مخالفة الحقائق « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فهنا أصران : أولا الامارة لا يجوز أن تكون إلا بالكفاءة . وهذه يعرفها أهل الحل والعقد . والمبرة بالأغلبية ( ثانيا ) اكرام آل البيت رضي الله عنهم ، إن هذا الاكرام لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ، ولكن هذا الاكرام ليس معناه ( أولا ) أن نولي أحدهم ولاية وفي الأمة من هو أجدر منه ونضيق المسلمين ونطمع فيهم الكفار بهذا السبب واهمري لأن تحفظ بلاد الاسلام من عدوان الأعداء . وآل البيت محترمون فيها خير من أن يأخذها العدو فيم النال آل البيت وغيرهم ( ثانيا ) أن ننسب لهم النذور فنقول : « ان شفي مريضى أوجاء غائبى فاني أضع في صندوق السيدة زينب رضي الله عنها أوفى صندوق سيدنا الحسين رضي الله عنه كذا كذا من النقود » فان هذا من أوضاع الجاهلين من أئم الاسلام

اللهم ان قرأ هذا التفسير المفرمين به لا يعوزهم ايضاح هذا المقام ، ولكن سأقل لهم ما جاء من أقوال الشيخ الدباغ لأنه من كبار الأولياء والصالحين وبقوله يحتججون على كل من ادعى الولاية من المسلمين ، أولئك الذين يقولون : « إن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر » فهذه خديعة كاذبة خاطئة ، فانظر ما قاله وهذا نصه قال ابن المبارك : « وسألته رضي الله عنه ؟ لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد اذا جهد في يمينه يقول : وحق سيدي فلان كسيدي عبد القادر الجيلاني أوسيدي يعزى أوسيدي أبي العباس السبتي وغيرهم نفعا الله بهم ، واذا أراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه في يمينه يقول : احلف لي بسيدي فلان ، واذا أصابه ضرر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتسكفون الناس صرح باسم سيدي فلان وهم في ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل ، واذا قيل لهم توساوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا ، فما السبب في ذلك ؟ فقال رضي الله عنه : أهل الديوان من أولياء الله فعلموا ذلك عمدا لقوة الظلام في النوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة ، وأولياء الله تعالى يحبون الذين يتكبرون سيدهم رعايتهم سبحانه أن تكون ذاته ظاهرة لأنه تعالى يحب من دعاه اذا انقطع اليه باطنا وقت الدعاء . واجابته تكون بأحد أمرين : إما أن يعطيه ماسأل ، وإما أن يبين له سرّ القدر في المنع اذا منعه وهذا لا يكون إلا للأولياء ، ولا يكون للبعداء المحجوبين ، فلو توجهت الذات الظاهرية اليه تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يعطها على سرّ القدر في المنع لربما وقع لها وسواس في وجود الحلق سبحانه فتقع فيما هو أدمى وأمر من عدم قضاء حاجتها ، فكان من المصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين لأنه اذا وقع لهم وسواس في كونهم أولياء فان ذلك لا يضرهم .

قال رضى الله عنه : وما يهلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظالم في ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا وينهب بها الى ضريح ولحق من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق و يطلب منه متاع الله في سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ للولى فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون ، وسببه أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم ووجوده العظيم إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه ، لكن لما كان الحامل عليها والداعي الى اخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحفظه خص بها موضعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما . قال رضى الله عنه : وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب تاسمان الى الساقية الحمراء فإذا هو من الننانير ثمانون ديناراً ومن النغم ثلثمائة وستون شاة ، ومن البقر اثنان وسبعون ثورا ، أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين وما أخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم . قال رضى الله عنه : وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها وهي منعصرة في ثلثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل . فقلت : وهل حضركم الآن منها شيء ؟ فقال رضى الله عنه اكتب : ﴿ الأول ﴾ الهدية للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل ﴿ الثانى ﴾ التوسل الى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة ، فيقول الزائر : « قدمت لك رجاء الله ياسيدى فلان إلا ما قضيت لى حاجتى » وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية ، فانه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس ﴿ الثالث ﴾ زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض كعبد صلوات وحب قضاؤها عليه فترك قضاءها الذى هو حق الله وفيه نور الله وسرّه تعالى الذى يرجه به وذهب الى زيارة صالح ، ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام ﴿ الرابع ﴾ الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما فيقول فى نفسه : « لا أعصى هذا الظالم لأنى ان عصيته قتلى أو منع رزقى » أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه ولو تحقق بوجوده لحقى تعالى منه وتصرفه فيه وفى ذلك الظالم اعلم أنه هو الفاعل وحده ، لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره فى فعل من الأفعال ، وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى ، وبقدر ما يقوى هذا النظر فى العبد يقوى قربه من ربه تعالى ، وبقدر ما يقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه ﴿ الخامس ﴾ الطمع فى الظالم فيتقرب اليه لينال منه رزقا ، ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرزاق لم يصدر منه ذلك ﴿ السادس ﴾ النصرة للكافرين فيلهمهم مصالحهم فى دنياهم بأن يرى لهم طريقا ونحوه فانه من أسباب الانقطاع عن الله عز وجل . قلت : وما رأينا من نصيح ظالما إلا وكانت عاقبة أمره خسرا ، ونذكر ههنا قصة سفيان الثوري رضى الله عنه مع الذى أراد أن يوقف حرسيا للصلاة . فقال له سفيان : لا توقظه دعه هذه الساعة نستريح منه ومن شره فيها ﴿ السابع ﴾ عدم النصيحة للمسلمين ، فيرى ما يضرهم ولا يضرهم بالتعزز منه ، ويرى ما ينفعهم ولا يضرهم بالتأهب له ﴿ الثامن ﴾ استحلاء التعب والمشقة فى طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سببا من أسباب الانقطاع ﴿ التاسع ﴾ طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحق ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الخائفة فقد طلبها بمعاص هي أخس منها أى من الدنيا ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليتب الى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أعز منها ﴿ العاشر ﴾ أن تكون أعمال العبد وطاعاته بقصد أن يرجه الله بها وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحفظه لا بقصد وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر الناس إلا من رجى الله عز وجل جعلنا الله منهم بمنه وفضله . قال رضى الله عنه : ولولم يخلق الله الجنة ولا ناراً لتبين من



يعبد من لا يعبد ولا كانت عبادة الذي يعبد خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المعرفة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، والسكن الناس لما سمعوا بذكر الجنة والنار تفرقت أغراضهم فمضوا عن السبيل ﴿الحاشي عشر﴾ المعاصي في حرمان الله تعالى كالمساجد ونحوها فإن العبد لو تحقق بإضافة البيت الى ربه وقال في قلبه « هذا بيت الله » لم تفسد منه فيها معصية ﴿الثاني عشر﴾ اللواط وستأتي مفسدته وأنه لا يزيد عليها ﴿الثالث عشر﴾ ضرب الرجل امرأته من غير ذنب فلذلك الضرب سبب في الانقطاع لما لها عليه من الحقوق ﴿الرابع عشر﴾ المنة على العيال والأهل بالنفقة فيقول : « أنفقت عليكم كذا وكذا » بقصد المنة ﴿الخامس عشر﴾ الحسد . وسيأتي ان شاء الله تعالى ما فيه من المفسد وأن غالب المعاصي منه ﴿السادس عشر﴾ الاقدام على المعصية مع معرفتها ، وسيأتي ان شاء الله بيان ذلك عند الكلام على أشد الناس عذابا يوم القيامة ﴿السابع عشر﴾ جمع الدنيا من الحرام . قالت : ولا يتكرر مع الوجه التاسع كما لا يخفى ﴿الثامن عشر﴾ عقوق الوالدين : فسمعه رضى الله عنه يحكى عن شيخه سيدى عمر بن محمد الهوارى ، وذكر أنه كان جالسا معه عند السدرة المحررة التى هى خارج روضة سيدى على بن حوزهم فجاءه ولده يودعه وأراد الذهاب الى الحج فأبى عليه أبوه سيدى عمر . قال : وكان حقا لأبيه ، فذهب وأبوه غير راض عنه . فقال لى سيدى عمر : نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور : أحدها أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه كما يبغض المؤمن جهنم . ثانيا أنها اذا جلس في موضع من المواضع وجعل يتسكك مع الحاضرين في شيء من الأشياء صرف الله قلوبهم عن الاستماع لكلامه ، وينزع الله تعالى البركة والنور من كلامه ويصير ممقوتا بينهم . ثالثها ان أولياء الله تعالى من أهل الديوان والتصرف لا ينظرون اليه نظر رجة ولا يرقون له أبدا . رابعها أن نور إيمانه لا يزال ينقص شيئا فشيئا ، فن أراد الله به الشقاوة والعياذ بالله لم يزل كذلك الى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالسكينة فيموت كافرا ، نسأل الله السلامة ، ومن لم يرد به ذلك مات ناقص الإيمان أعاذنا الله من ذلك . قال : ونتيجة رضاهم أربعة أمور هى أضداد هذه الامور : تحبه الدنيا كما يحب المؤمن الجنة ، ويحلو كلامه بين الناس ، ويمكن عليه أولياء الله تعالى ، ولا يزال إيمانه يزيد شيئا شيئا والله الموفق فانظريا أخى هذه المفسدات الأربع التى فى عقوق الوالدين ، والمحاسن الأربع التى فى بر الوالدين ﴿التاسع عشر﴾ مخالطة المحجوبين كذوى الرياسات فان فى ذات العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبه من ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها ويخاف عليه من الانقطاع أصلا ، وانسداد الثقب بمخالطة أرباب الرياسات ، فانهم برياستهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فتكون تحت أسرهم وفي حكم قبضتهم ، فلا يزال ينفى اليهم بقلبه وقالبه ، ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع الحق سبحانه فى فكره ولا فى خاطره ، فلا يزال كذلك مسترسلا فى أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقب أصلا والعياذ بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياسات . نسأل الله السلامة ﴿العشرون﴾ التفريق بين الخلفاء الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ رضى الله عنهم أجمعين

هذا ما قاله الشيخ السباع رحمه الله تعالى ، ومن عجب ماذا ذكره الشيخ الشعرانى فى كتابه المسمى « درر الفواص فى هذا الموضوع » فقد سأل شيخه الشيخ الخواص . فقال مانصه :

وسأله رضى الله عنه : هل أقرأ أو أصوم أو أجعل ثواب ذلك لأدم عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك وصلة بينى وبينه فى المعرفة فى الآخرة لسبب أعلمته به ؟ فقال : لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبي أو غيره . فقلت له : كيف ؟ فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب فى الدعوى الى الله لا الى نفسه فاذا وقع الإيمان الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب الى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الافاضة على العبد من جانب

التشريع والاتباع كما في حال المناجاة في السجود سواء ، فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى فانه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الحديث ، وانظر يا أخي الى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لمحمد ﷺ « واذا سالت عبادي عنى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » فأعلمنا تعالى بأنه أقرب اليانا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله الله تعالى واسطة لنا في كل خير مع انه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد أن يصريح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله وبقوله « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » ومع ذلك قال له « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يذهبهم فانهم ظالمون » فأخرجه عن حال الخلق ونفاه عنهم وأثبتته معه في البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له في كاله أو ربته ﷺ فافهم والله أعلم . انتهى كلامه

### درّة يديّة

حضر صاحبني الذي اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير . فقال : هل تسمح لي أن أقدّم هذه المقالات . فقلت حبا وكرامة . فقال : أين الثريا وأين الثرى ؟ ذكرت سيرة عمر رضي الله عنه المناسبة آية الشورى وأتبتها بأقوال الشيخ السباغ ، فأين المناسبة بينهما ؟ فقلت يصاحح الأمر سهل ، إن في السورة آيتين وهما آية الشورى وآية المودة في القربى وبينهما صلة ما . ألا ترى أن المسلمين أبوا أن يسيروا بالشورى بعد معنى الخلافة وهي ( ٣ ) سنة كما تقدم ، ولقد ظنّ الناس أن الانسحاب العظيم أو الملك كاف ، وهذا في الحقيقة انحراف عن الجادة في الخلافة ، فأية المودة في القربى باعتبار التفسير المشهور جعلت سببا في ابطال الشورى في زمان ما من أزمان التاريخ الاسلامي ، ولقد تغالى الناس في التسدي والتنزل والتفاضى عن الحقائق الاسلامية حتى نذروا النذور لمن مات من الأولياء شرفاء أو غير شرفاء ، فلذلك ذكرنا أقوال الشيخ السباغ ليظهر للمسلمين الحقائق التي يقول بها علماء الاسلام وظهرت على لسان صالح من صلحاء الاسلام ولوانهم أدركوا الحقائق لرجعوا الى ربهم في صفات الامور وكبرياتها والله يقضى بالحق ، إن الذي أضلّ كثيرا من المسلمين هو الجهل الفاضح ، ولعلك تذكر ما قدمته من حديث عمر مع ابن عباس . فقال : أذكره ولكن أريد ما هو أوضح . فقلت اسمع ماجاء في كتاب « أشهر مشاهير الاسلام » وهذا نصه : « ومن عجيب فراسته التي كان كأنه ينظر منها بعين الغيب ما ذكره ابن عبد ربه في العقد . قال : قال أبو بكر بن أبي شيبة ، كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب ، وكان يقدمه على الأكار من أصحاب محمد ﷺ ولم يستعمله قط ، فقال له يوما كدت أستعملك ولكن أخشى أن تستحلّ النىء على التأويل ، فلما صار الأمر الى طي استعمله على البصرة فاستحلّ النىء على تأويل قول الله تعالى « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى » واستعمله من قرابته من رسول الله ﷺ كما تفرّس فيه ذلك عمر من قبل . هكذا كان مبلغ فراسة عمر رضي الله عنه خصوصا في بني هاشم وقد كان يتفرّس فيهم القيام يوما لطلب الخلافة واثارة غبار الفتن والاستحواذ على ذلك المنصب الذي كانوا يرون أنفسهم أحقّ الناس به على خلاف ما كان يراه جلة المهاجرين الذين يعلمون أن رسول الله ﷺ منعهم من أن يعملوا له عملا كي لا يحدثوا أنفسهم بشيء من الامارة لأنها غير النبوة ، ومن ذلك ما ذكره في العقد أن العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ طلب منه ولاية فقال له : « يا عم نفس تحيها خير من ولاية لا تحيها »

وكان عمر لتفرّسه فيهم التطاع الى الامارة لا يستعمل أحدا منهم كما لم يستعملهم رسول الله ﷺ ويحاهر



بقائه هذا فيهم ، وقد جاهر به لعبد الله بن عباس سرارا ، ومنه ما تقدم ذكره في باب سياسته إذ قال له : « يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي عليّ الذي هوأت وأنت في حالك فتقول هلمّ إلينا ولاهلمّ إليكم دون غيركم » ونقد تحققت فراسته في بني هاشم بعد إذ قضا عسورا طويلا في مكافحة الملوكة ومناسبة الخلفاء على الخلافة وأسسوا عدة دول أضخمها العباسية في بغداد والفاطمية في إفريقيا وأهرقوا سيولا من دماء أشياعهم وأشياع غيرهم في سبيل نيل هذه البغية ، وتأتى عن هذه المزاجية من التشويش في أمور الدول الإسلامية والاضطراب في المسلمين ما الله به عليم ، على أنهم لو انعطوا بعمل رسول الله ﷺ إذ صرف أسلافهم عن الإمارة وصرفها عنهم لما أقدموا على شيء من ذلك بل استكانوا إذا استمرّ في نفوسهم شيء من التطلع إلى الخلافة سلكوا إليها سبيلا غير ذلك السبيل وجعلوا الأمة بأجمعها طامحة الأنظار إليهم ساعية بنفسها لاسناد منصب الخلافة لأهل الجدارة منهم وحسبهم موعظة وذكرى أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على صلاحه وتقواه وسابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ وشهرته بالعدل والورع والزهد (ومن كمل بعده) لم يوفق إلى جمع كلمة الأمة على الرضا بخلافته لا لقصور فيه معاذ الله وإنما هو لما وقر في نفوس الأمة يومئذ من أن أملاء مبين بسبب قرابتهم من رسول الله ﷺ لا ينفكون عن الادلال على الناس وحب الاستعلاء على الكفاية والناس يومئذ في إبان نشأة الإسلام وعز الحرية وحفاية المساواة والاخاء التي حشرهم إليها الإسلام بقوله تعالى « إنا المؤمنون إخوة » وبقول النبي ﷺ « لأفضل لدي عليّ تحمي إلا بالتقوى » فبتوهم أن يساهم بنو هاشم شيئا من هذه النعمة بالاستعلاء عليهم ، كانوا غير مباليين لاستخلاف أحد منهم ، يدل ذلك على صدق هذا القول ما ذكره في العقد عن عبد الله بن عباس . قال : « ما شئت عمر بن الخطاب يوما فقال لي : يا ابن عباس ما يمنع قومك منكم وأنتم أهل البيت خاصة ؟ قلت لا أدري . قال لكنني أدري أنكم فضلتموهم بالنبوّة . فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوّة لم يقولوا لنا شيئا وان أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخطأ إلا مجتمعة لكم وان نزلت عليّ رغم أنف قريش (ريد الخلافة) » انتهى ما أردته من كتاب « أشهر مشاهير الإسلام » والحمد لله رب العالمين

فقال صاحبي : لقد وضع المقام وضوحا تاما فالحمد لله ، فإذا تقول في الأمم الإسلامية الحاضرة ؟ هل ظهرت في بعضها بوادر الشورى . فقلت : إن هذا هو الزمان الذي سيظهر فيه نور النبوّة وتظهر سيرة النبي ﷺ وسيرة عمر وغيرهما ، وهناك تبدل الأرض غير الأرض ، والمساؤون مقبلون على هذه الحال طوعا أو كرها ، والذي منهم من ذلك هو الجهل ، أما اليوم فإن الله قد أذن بانتشار العلم في الإسلام ، وستكون الحكومات كلها شورية ، فهل لك أن تسمع ماجاء في جريدة الاهرام يوم الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### الحياة النيابية في أفغانستان

جلالة الملك نادرشاه يمنح البلاد مجلسا نيابيا

حفلة الافتتاح وخطاب العرش

نشرنا في الاهرام الغراء منذ أسبوع كلمة عن جلالة الملك نادرشاه ملك أفغانستان الحالي بمناسبة تنويجه واليوم جامنا البريد الأفغانى طامحا بوصف حفلة افتتاح المجلس النيابي الجديد الذي أنعم به جلالة الملك نادرشاه على بلاده التي تعشق الحرية وتتفانى في النود عن حياضها من قديم الزمان رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في تلك البلاد

وقد ألقى جلالاته خطابا ضافيا بحث فيه عن حالة المسلمين وقارن بين تاريخهم الماضي وتاريخهم الحاضر

بشيء من الاجاز وخروج من بحثه بنتيجة هامة على منيح بلاده الحياة النيابية الصحيحة لتتمكن في صراحة وإيمان من إدارة شؤونها بنفسها . وقد قامت الأمة الافغانية المجيدة على بكرة أبيها تهلل وتكبر لهذا الحادث السعيد . واننا لا نرى مندوحة من أن ننشر للقراء الكرام وصف حفلة الافتتاح كما شرحتة الجرائد الافغانية وترجمة خطاب العرش الكريم . قالت جريدة « اصلاح » التي تصدر في كابل « كان يوم ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ يوما مشهودا في كابل تطاولت اليه أعناق الافغانيين وتطلعت اليه أبصار الشاهدين منهم والفائزين لانه فاتحة عهد جديد وغرة عصر سعيد وهل هناك أعظم من نعمتي الحرية والشورى المليية بخدير بهذا اليوم أن يحتفل به الافغانيون احتفالا جديرا بهم وهم الأبطال الأماجد

ففي هذا اليوم تمت رفعة قصر جهل ستون (الاربعين عمودا) بجموع وكلاء الأمة وعظمائها والكثيرين من العلماء والموظفين العسكريين منهم والمسيكين وذلك لمشاهدة الاستقبال بافتتاح المجلس النيابي الافغاني الذي يبدأ أكبر حادثة تاريخية في افغانستان في العصر الحاضر لأن افغانستان التي نشأت من القديم على حب الحرية كانت محرومة من نعمة الشورى بطريقة رسمية تخضع لها الحكومة المركزية وتكون رهن اشارتها ، وقديما كان القول الفصل فيها هو للحاكم الأعلى لارقيب عليه ولا حسيب ، وكثيرا ما نتج عن ذلك مضار لا تحصى وأخطار كبدت الأمة ضحايا كثيرة وخسائر جسيمة وفي الوقت نفسه يجبر بالحكام العظم خصوصاً في بلد كافغانستان أن يعول على عضد شبه ورضاء بدلا من أن يستقل برأيه الشفيعي ويتبع هواه ويستخر من مواطنيه ولو تصفحنا تاريخ افغانستان لوحدنا أن الحكام الذين ساروا وفق رغبة الأمة كانوا في مركز أعظم ضمانا وأكبر حرية وأكبر كرامة وأبعد نفوذا وبالعكس فإن الذين فسقوا عن أمر الأمة واستهانوا بكرامتها طردوا ولم يجدوا لهم عونا ولا نصيرا

وها هو جلالة الملك نادر شاه الذي نفخ في بلاده تلك الروح العالية التي نشلتها من السكينة التي كادت تؤدي بها الى الاطالة وتحمل في سبيل ذلك كل ما يتحمله المحضون مستهينين في ذلك بما وهب الله من قوة الذهن وسعة العقل وحسن البصيرة يفتتح عهده السعيد باعطاء البلاد حريتها التامة وحقوقها السكاملة فأنشأ المجلس النيابي (لويه جرکه) رغبة في جمع كلمة الأمة وتوحيد الوجهة الوطنية توحيدا صادقا لخدمة الصالح العام كما يتضح من خطاب العرش وهذا ترجمته :

أعزائي المحترمين : أجد الله الذي أتاح لنا هذا الاجتماع الأخوي بعد أن قاسينا ما قاسينا في سبيل تبديد تلك الشدائد والمخاوف التي كانت تحيط بنا وبالبلاد من كل جانب فاجتماعكم أيها النواب في هذا المجلس المقدس وأتم على أتم ما تكونون اتحادا وإخوة اسلامية عملا بقول الله تعالى : «أما المؤمنون إخوة» انما هو المقصد شريف وهو ترقية افغانستان والعمل على اسعادها ورفاهيتها وتقوية أركانها وفقا للأمر الإلهي القائل «وشاورهم في الأمر» «وأمرهم شورى بينهم» لهذا اجتمعتم في مكان واحد وفقا لرغبانا الصادقة . وفي أشكر الله تعالى على ذلك شكرا عظيما وأحييكم من صميم قلبي وأتمنى أن تكونوا أتم وكافة أفراد الأمة بخير وعافية ، وبعد فانكم تعلمون أن النجاح والسعادة في الحياة هما في الاتفاق كما أن الخراب والعبودية في النفاق . وقد شاهدنا ذلك بعيوننا في مدة لا تتجاوز السنة فتأكدنا أن النفاق عذاب إلهي كما أن الاتفاق رحمة سماوية وتفصيل هاتين الحقيقتين واضح في التاريخ في كل زمان ومكان ، وأثرهما يعرفه كل انسان

وانكم تفهمون لماذا وكيف انتشر الاسلام وعم الآفاق ونشر ألوية الامن والسعادة البشرية والترقيات العصرية خفاقة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم ؟ لم يكن ذلك بقوة السيف وحده وانما بالاصول الصحيحة والقواعد السليمة التي جذبت الجماعات المختلفة والأقوام المتباينة الى حظيرة الدين الخفيف الذي انتشر بقوة البرق الخاطف أينما حل وسار . ومن أكبر دواعي نجاحه انعدام



الفوارق الجنسية والاجتماعية بينهم ، فالمسلمون اخوة مهما اختلفت لغتهم وتعددت أجناسهم وتباينت أوضاعهم فلا فضل لأحد على الآخر الا بالتقوى فهل تراهم تمسكوا بأهداب المساواة وحافظوا على الشورى في أمورهم وأعمالهم ، ان رقي المسلمين في الماضي لم يكن له من سبب الا بحفاظتهم على هذه الصفات السكرية والازايا الجيدة فلما انحرفوا عنها وهي في الحقيقة أساس الرقي والتقدم سقطوا الى الخضم ، فقد عرفت الدول المتمدنة بعد طول التجارب ان الأصول الاسلامية كالحرية والمساواة والشورى أفضل الأصول وأرقاها ولذا اتخذتها أساسا لحكوماتها بعد أن أراقت في سبيلها السماء الغزيرة ولم يكن قبل الاسلام حرية بمعنى الكلمة حتى يمكن أن يشير اليها ومن أحسن أنراخ المساواة في الاسلام مسألة ترتيب الصفوف في الصلاة فالخادم يقف بجانب الملك في حضرة الاله يؤدي الفرض بلا كلفة ولا حرج ، ونفس صلاة الجماعة أعظم مثل في المساواة الاسلامية . ولكن لسوء الحظ فان الحكومات الاسلامية مالت الى الاستبداد وعكفت على الافساد والتفرقة فتأخرت وانحطت حتى أصبح يضرب بها المثل في الذلة والمسكنة

فما سبب هذا التدهور وذلك الترقى ؟ ياترى الدنيا عالم أسباب : فاذا كانت الأسس التي تبنى عليها الأعمال والاصلاحات مبنية على التجارب الضعيفة والقواعد الثابتة وكانت النتيجة في أى زمان ومكان لاشك مفيدة منتجة

واذا كانت الأسس غير صالحة والتجارب غير ناضجة جاءت العاقبة وبالابلاصاء ، وهذا هو القانون الاساسى الذى لا يتبدل ولا يتحول الى قيام الساعة « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ففي الزمن الأول كان المسلمون أهل استقامة وعلم بالسياسة وحزم وشجاعة عملا بقانونهم الالهى القويم فوصلوا بذلك الى ماوصلوا اليه من الرفاهية والسؤدد . فلما ابتليت الأمة الاسلامية بالملوك الانانيين والعلماء المفسدين وساءت سيرة الحاكمين مع انتباز قانونهم المبين وصلت الى ما هي فيه الآن من الهجز والانحطاط

ومن دواعى الأسف أنه كلما ظهر فى هذا العصر رجل بصير حازم غيور على دينه وبلاده سواء أكان من الحكام أو العلماء قام في وجهه المعارضون فلا يهابونهم بل اذا نكسوا رأسه فيخاولوا لجؤ لنوى الأغراض والمصالح الشخصية وهذا مايقبأه به المسلمون والتاريخ شاهد عدل على ذلك

ولما كان لابد من قوة تنظم وتؤيد المعاملات والأحكام أعنى حكومة عادلة تسير على منهاج الشرع الالهى يكون فيها الحاكم هو المسئول الأول في تنفيذ القوانين التي شرعتها الجماعة التشريعية ويكون مسلكه قدوة للرعية اذ « الناس على دين ملوكهم » كان من الواجب أن زمام أمر كل أمة دائما أبدا بيد شخص عاقل صادق يسهر على مصالح الأمة ويعمل على محو الفوضى والخراب وجلب السعادة والرفاهية

هذه هي نظريتي التي توصلت اليها أعرضها عليكم أيها الأعزاء وفيما يختص بوطننا العزيز ، فاقى لأسف بأن الانقلاب الذي وقع أخيرا لم يكن وحده هو سبب خراب افغانستان بل أيضا عدم وجود أساس حكيمى ثابت كان أكبر عامل في ضعف وتأخر البلاد

فاذا لم نتخذ بالرغم من كل شيء الاحتياطات اللازمة والوقايات الضرورية ازاء أهوال هذه الصدمات المفجعة والنكبات المدهمة فاننا نعتبر مقصرين في خدمة الوطن الحامدة الحلقة اللائقة به ان لم نعتبر خائنين له

واننى كما تعلمون حقا أحب بلادى من صميم فؤادى ولست أرغب فى شيء أكثر من أن أعتبر خادما من خدام الدين والوطن ، ولهذا وبالرغم من المشا كل المالية التي وقعت عقب الانقلاب الأخير أرغب فى أن تكون حكومة افغانستان على أساس صحيح وأمن رغبة فى تقدم البلاد وانهاضها الى مدارج الفلاح . وكل من يساهم فى هذا المقصد النبيل لاشك يفوز برضا الوطن المقدس واحراز السعادة الأبدية الخالدة

ولهذا المقصد النبيل الذى اعتبره مفتاح السعادة طلبتكم أيها الوكلاء لأعرض عليكم رغباتي الخالصة وهي أنا

منهجنا وحيثنا الحرية الكاملة التي لم يحصل عليها أكثر الأمم رغم إراقة الدماء وأمرنا بالمجلس النيابي رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في هذه البلاد ، ولتعالوا أنكم إذا أحسنتم استعمال حقكم الخول لكم أمكنكم الحصول على فوائد جمة خير وطنكم وحكومة بلادكم

واني لأرجو أن تقوم في أفغانستان الشورى المليية التي هي دواء المرض ومفتاح السعادة على خير الأسس وتحوز كافة الصفات والعناصر التي هي في الاسلام

واني أجد الله الذي وفقني الى تحقيق ما وعدت به وهاهو المجلس النيابي يشهد لهذا المقصد السامي وبذلك أشكر الله شكرا كثيرا على ما هداني الى احياء سنة كانت متروكة الى هذا اليوم

وسيتباحث معكم في هذا الباب الصدر الأعظم ومجلس الوزراء في جوقى للوصول الى طريقة الانتخاب وعدد الوكلاء وفقكم الله وسدد خطاكم حتى يكون عملكم هذا موضع إعجاب ورضا العالم أجمع آمين »

واننا لنبتل الى الله بالدعاء بأن يحصل هذا العمل محمود النتيجة مبارك الأثر على البلاد وأن يبقى به عليها ظلال الامن والرفاهية وان يحفظ للبلاد ذات جلالته السكرية وهو من شهد له التاريخ بعمله الموفق في انقاذ البلاد من الفوضى ومن عرفت له البلاد ما أثره السكرية في نشر ألوية الحرية مؤيدة بتوفيق الله : انتهى ما جاء في الجريدة المذكورة

فلما أتممت هذا المقال قال صاحبي : لقد شرحت صدرى فأجد الله عز وجل ولكن ماذا تقول في بقية بلاد الاسلام . فقلت : هي الى هذا سائرة ، فأهل مصر بلادي وطرابلس وتونس والجزائر وصراكش ، وكندا أهل الشام والعراق وغيرهم ، كل هؤلاء ستكون حكوماتهم شورية صادقة ، وستزول الأمم الأوروبية من بلادهم فلا تبقى انكاثرا في بلادنا مصر وفلسطين والعراق ، ولا ايطاليا في طرابلس ، ولا فرنسا في الجزائر وصراكش وتونس والشام ، ولا اسبانيا في صراكش ، بل هذه الدول سترحل من تلك البلاد لأن الذي أدخلها فيها هو جهل المسلمين وغفائهم ، والقوم اليوم استيقظوا ، وستكون الحكومات محلية صادقة بعيدة عن الترف والازوات والشهوات القاذرة

إن الذي أضر المسلمين بعد الصدر الأول ظنهم أن اعدائهم هو الذي يدخل ما يشتهي ويتمتع ويأكل كل كما تأكل الأنعام في هذه الحياة ، وهذا مرض زجھل ، فليتعلم المسلمون تساماً أرقى ، وليعلموا أن ذلك كاه مريض وجھل فاضح وخزي عظيم ، الملك والأهـل والحكام والقاضي يجب أن يكونوا أرحم الناس في مال الدولة وأرفعهم نفساً وأعفهم ، والله هو الولي السليم . انتهى تفسير سورة الشورى



## تفسير سورة الزخرف

( هي مكية )

إلا قوله تعالى : فاستغفرت قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فمدنية

آياتها ٨٩ - نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَإِنَّهُ فِي  
أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ \* أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا  
مُسْرِفِينَ \* وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ \* فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَنَحْنُ الْمَوَّلُونَ \* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ  
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً  
مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهُمْ \* وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ  
مَا تَرْكَبُونَ \* لَتَسْتَوْوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا  
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ \* وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ \* وَجَعَلُوا لَهُ  
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ \* أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كُمُ الْبَالِبِينَ \*  
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* أَوْ مَنْ يَنْشُؤُ  
فِي الْخَلْقِ وَهُوَ فِي الْأُخْصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ \* وَجَعَلُوا لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا  
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ شَكَّابُ شَهَادَتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ \* وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ  
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْبِكُونَ \*  
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ \* وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ

مُقْتَدُونَ \* قَالَ أُولَؤُا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كَافِرُونَ \* فَأَتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً  
 بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ  
 مُّبِينٌ \* وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ  
 عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْيَيْنِ عَظِيمٍ \* أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ  
 رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ  
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ \* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا يُمرُّرًا عَلَيْهَا يَتَسَكَّمُونَ \*  
 وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ \* وَمَن يَعْمَلْ  
 عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَاكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ  
 الْقَرِينُ \* وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ \* أَفَأَنْتَ  
 تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* فَإِنَّمَا نَذِيرُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ  
 مُنْتَقِمُونَ \* أَوْ تُرِينَاكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ \* فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي  
 أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ \*  
 وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ \* وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ \* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ  
 بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّعِ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا  
 لَمُهْتَدُونَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ \* وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ  
 قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا



خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَسْكَدُ يُبِينُ \* فَلَوْلَا اَلَّتِي عَلَيْهِ اَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ اَوْ جَاءَ  
 مَمَّهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ \* فَاَسْتَعَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا  
 اَسْفَوْنَا اُنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ اَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ \* وَلَمَّا  
 ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا اِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ \* وَقَالُوا اٰلِهَتُنَا خَيْرٌ اَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ  
 اِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ \* اِنْ هُوَ اِلَّا عَبْدٌ اُنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي  
 اِسْرَءِیْلَ \* وَلَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِی الْاَرْضِ يَخْلُفُونَ \* وَاِنَّهُ لَمِیْلٌ لِّلسَّاعَةِ  
 فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِیْمٌ \* وَلَا یَصُدُّكُمْ الشَّیْطَانُ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 مُبِیْنٌ \* وَلَمَّا جَاءَ عِیْسَى بِالْبَیِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَیِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِی  
 تَخْتَلِفُونَ فِیهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ \* اِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّی وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ  
 مُسْتَقِیْمٌ \* فَاخْتَلَفَ الْاَحْزَابُ مِنْ بَیْنِهِمْ فَوَیْلٌ لِّلَّذِیْنَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ یَوْمَ اَلِیَمِّ \* هَلْ  
 یَنْظُرُونَ اِلَّا السَّاعَةَ اَنْ تَأْتِیَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا یَشْعُرُونَ \* الْاَخِلَآءُ یَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ  
 عَدُوٌّ اِلَّا الْمُتَّقِیْنَ \* یَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَیْكُمْ الْیَوْمَ وَلَا اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ \* الَّذِیْنَ ءَامَنُوا  
 بِآیَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِیْنَ \* اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ اَنْتُمْ وَاَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ \* یُطَافُ عَلَیْهِمْ  
 بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَاَكْوَابٍ وَفِیْهَا مَا تَشْتَهِیهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْیُنُ وَاَنْتُمْ فِیْهَا خَالِدُونَ \*  
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِی اُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* لَكُمْ فِیْهَا فَاكِهَةٌ كَثِیْرَةٌ مِنْهَا  
 تَأْكُلُونَ \* اِنَّ الْمُجْرِمِیْنَ فِی عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* لَا یُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِیْهِ مُبْلِسُونَ \*  
 وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِیْنَ \* وَنَادَوْا یَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَیْنَا رَبُّكَ قَالَ  
 اِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ \* لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ اَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* اَمْ  
 اَبْرَمُوا اَمْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ \* اَمْ یَحْسَبُونَ اَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلٰی وَرُسُلُنَا  
 لَدَیْهِمْ یَكْتُبُونَ \* قُلْ اِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَاَنَا اَوَّلُ الْعَابِدِیْنَ \* سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ  
 وَالْاَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ \* فَذَرَهُمْ یَخوضُوا وَیَلْعَبُوا حَتّٰی یُلَاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی  
 یُوعَدُونَ \* وَهُوَ الَّذِی فِی السَّمٰوٰتِ وَفِی الْاَرْضِ اِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِیْمُ الْعَلِیْمُ \* وَتَبَارَكَ

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَلَا يَحْمِلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ \* وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ \* فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \*

### ﴿ تفسير البسملة ﴾

الحمد لله على نعمة العلم والحكمة وعلى ما أوليتنا من الجليل ، وشرحت صدورنا للبيان بعض أسرار كتابك الكريم ، هذا ولما كتبت هذه الكلمات حضر صديق الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال ما الذي تريد أن تكتب في البسملة بعد ما تقدم في بضع عشرة سورة ، وكيف تعيد القول فيها ، وهذا الى التكرار أقرب ، والتكرار في التأليف غير محمود ! فقلت أيها الصديق : لقد تهجيت على وما كان لك أن تحكم حكماً قاطعاً من طريق الظن . فقال : ليس بالظن . إن البسملة معروفة المعنى يفهمها الخاص والعام ، فعادة القول فيها جار على المثل « توضيح الواضحات من المشكلات » . فقلت تسمع لي أن أبدي رأيي ؟ فقال وهل تجاسرت على الاسراع في الاعتراض إلا لأسمع مقالك ، وأفهم بيانك ، وإيضاحاً للأمر ، وتبييناً للبحث فقلت : إن هذا النوع الانساني ما أوقعه في الالم وأضاع منه معظم سعادته فأصبحوا في الأرض متقاطعين متدابرين إلا اغترارهم بعقولهم وظنهم انهم يعلمون كل شيء ، فهم يرون الجمال في الوجوه الانسانية والصور الحيوانية والنباتية والكواكب المشرقة ، ولكن أكثرهم عن الجمال مسحورون وفي ذنوبهم وهمومهم الوهمية محبوسون مغمورون ، وما يدرك حقائق الجمال إلا أولوا الأبواب

ومثل الجمال في شيوعه وعدم تعقله الماء كل والمشارب ، فالتناس جميعاً يأكلون ويشربون ويعيشون ويموتون ولا هم يذكرون حقائق ما يأكلون ، فهم عن معرفة حقائق الماء كل مسحورون كما أنهم عن بدائع الجمال والفرح بها مبهدون

وعلى هذا القياس تسمع المسلمين من نوع الانسان يقرءون الفاتحة في الصلاة ويسبحون ويحمدون ويظنون انهم يفهمون حقائق الرحمة التي يقرءونها في البسملة ، وهذا الظن استوى فيه علماءهم وجهلاؤهم وشيوخهم وصبياؤهم ، وهم جميعاً إلا قليلاً منهم مغرورون لأنهم لا يعلمون

ان الانسان اعتاد أن يظن أن ما ألفه عنده معروف ، ألا لافرق بين الشمس والقمر والنجوم التي اعتدنا رؤيتها وألفنا منظرها وبين البسملة والماء كل والمشارب والجمال العام ، فهذه جميعها يظن الجاهل بسبب ألفتها انه بها عليم وما هو بعليم . لا يعقل الجمال من نوع الانسان إلا القليل وهم الحكماء وما أندرهم في هذا الانسان ، وقد مرّ الكلام في هذه وحدها في ﴿ سورة السجدة ﴾ عند آية - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين - الخ فارجع اليها إن شئت ، وبقى الكلام في الطعام والشراب والبسملة . فقال صديقي : أما البسملة فنعم ولماذا تذكر عجائب الطعام والشراب ؟ فقلت ايضاحاً لسؤالك ، ألم نسوّ بين هذه الثلاثة في أن أكثر الناس يجهلونهم وما هم بعلمين . قال بلى . قلت : ألم أقل ان أهم الجمال تقدم في ﴿ سورة السجدة ﴾ . قال بلى . قلت إذن نشرح القسمين الباقيين ، فأما أحدهما فن باب التنظير ، وأما ثانيهما وهي البسملة فهي المقصود ، وهذا الأسلوب الذي سلكته في هذا التفسير وان كان فيه اطناب سيكون من بواعث انهاض الأعم ، وبعث العزائم ، وشرح الصدور ، وإبرازهم كانت خامدة ، وعقول كانت



نائمة ، قل لي رعاك الله : أيهما أقرب الى إيقافهم ، وبث تلك النفوس الشريفة التي أودع الله فيها قوى يعوزها الإيقاظ والتنبيه ؟ أعراب البسملة الذي كان كثير من المؤمنين يكررونه في أول كل كتاب وتطبيقها على العلوم الاثنى عشر المشهورة عند المتأخرين من أم الاسلام وموت النفوس في قشور العلوم فيكون الجهل التام والموت الزوام ، أم الفوص على الدرر والجواهر في بحار العلوم واستخراج خباياها في أول كل سورة بمناسبة ما في نفس السورة كالذي نفعله الآن ، إن تفسير البسملة في هذه السورة لا يتكرر فيه البتة ، هي فوائد مستخرجات من نفس القرآن بل من نفس السورة التي فيها البسملة ، وسترى في هذه السورة عجبا فان الرحمة مكررة في سورة الزخرف ﴿ هنا ثمان صرعات اثنتان على هيئة المصدر وهم يتسمون رحمة ربك الرحيم ورحمة ربك الرحيم ﴾ و (٩) هيئة الصفة المشبهة

(١) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا

(٢) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اثنا

(٣) وقالوا لربنا الرحمن الرحيم

(٤) ومن يمش عن ذكر الرحمن الرحيم

(٥) أجعلنا من دون الرحمن آلهة الرحيم

(٦) قل ان كان للرحمن ولد الرحيم

فالرحمة وما اشتق منها تكررت في السورة وذكر في البسملة ، والحمد والميم في أول السورة حرفان من الرحمة ، وهذه الآيات التي بها الرحمة فيها أسرار لا بد من اظهارها ، وسترى هنا من عجائب العلم وبما نفع الحكمة مما فتح الله به في ليلة الجمعة الفاتحة وفي ليلة السبت بعدها قبل الفجر أي في ليلة (١٤) و (١٥) نوفمبر سنة ١٩٣٠ م ما تقر به أعين أرباب البصائر وبرز علم مخزون تفتح به أقفال كانت موصدة قبل أني سنة على كنوز خبايا سقراط وأفلاطون في كتاب الجمهورية عند الكلام على المثل الأفلاطونية وما اعترض به عليها أرسطاطاليس بعدهما ، وما قاله الفلاسفة بعد تلك القرون وأغلق الأهرس عليهم ، فأرجو أن أوفق في هذا المقام لتحقيق هذا المقام وذلك بطريق العقل تفسير هذه الآيات وتطبيقا عليها . فقال : إن هذا القول الذي سمعته منك الآن غريب . وكيف يدخل ما يقوله سقراط ومن بعده في هذا المقام . وكيف ترجو أن تحل مشكلة عسر فهمها على فلاسفة اليونان والرومان والأمم بعدهم . فقلت : أنا قلت لك أرجو وستكون معي وقت المباحثة في هذا الموضوع والله يقول « وأمرهم شورى بينهم » ، أنا إذ ذاك سأعرض في المناقشة آيات السورة التي فيها الرحمة وسنحاول بطريق مبادلة الفهم والمناقشة معنى « ومن يمش عن ذكر الرحمن الرحيم نقيض له شيطاننا الرحيم » وقوله تعالى في سورة أخرى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وندرس هذا الموضوع ، وننظر هذا المقام في قول سقراط سيد فلاسفة أوروبا الحاليين والسابقين باقرارهم وماذا قال في هذا المعنى قبل نزول القرآن ثم نذكر الشبهات التي وردت عليه وهكذا ، ثم نبين ما عن لنا في ذلك فان زالت الشبهة فقد نصرنا الله وفتح علينا وان لم تزل فقد نلنا نعمة الاجتهاد وفقا بالواجب علينا . فقال والله لقد أقمعتني وشفيت صدري ، فأنا الآن أوافقك على البحث في هذا الموضوع ، ولقد انشرح صدري فيه لاسيما ان هذه الآيات لا تخطر في بال علماء الاسلام فضلا عن الجهال . إن الأمم السالفة خنار لهم الكلام في معانيها قبل نزولها ، فالكلام في ذلك يكون من أعجب الأعاجيب . فقلت الآن اتفقنا على أننا سنبحث في البسملة من هذه الوجهة . قال نعم . قلت إذنت لنبعث في المسألة التي كنا أخذنا ندرس فيها قبل البسملة بعد الكلام على عموم الجلال وهي مسألة الما كل والمشارب من حيث ان الناس لما كانوا معتاديينها لم يتفطنوا لها كما لم يتفطن أكثر المسلمين منهم للبسملة من أجل شيوع ذكرها في كل أمر ذي بال . قال : أنا موافق على ذلك . فقلت :

## الماء كل والمشارب

قدّمت لك أيها الصديق في هذا المقام أن أكثر الناس يتوهمون أنهم يعرفون ما يأكلون وما يشربون وهم في ذلك مضطربون ، فإذا سألت حبيبا أو رجلا جاهلا وقات هل تشرب الماء ؟ استهزأ بهذا السؤال وطقن السائل غيبيا . وهذا معنى ما قلته . قال نعم . فقلت : أنت تظن أن هذا الوهم خطأ ، وكيف لا يكون خطأ ونحن نعلم أن هذا الماء الذي نشربه وهو من السواقل من كتب من عنصريين كل منهما يشبه الهواء ، وهو عبارة أخرى عن أن هذا الماء الذي في النهر والبحر إذا وضعناه في زجاجة وسدناها عليه السدوراء وجدناه انكسر حالا ولم يبق أمامنا ماء وإنما نرى عندنا جسمين يشبهان الهواء وكل منهما له صفة تخالف الآخر ، فأحدهما إذا أدخلنا فيه قطعة خشب طرّفها فيه آثار النار فانها تشتعل حالا ، والآخر جسم خفيف جدا يصلح لارتفاع الطيارات في الجو ، وأولهما الأكسوجين ، والثاني الأديروجين ، والأكسوجين ٨ على ٩ من الماء . إذن معظم الماء الأكسوجين يكون غازا كالهواء ويكون مع الأديروجين ماء وهو داخل في اللبش الذي نبنى به مساكننا وفي الحجارة ، فلأننا وزنا الحجارة بعد تحليلها لوجدنا أن في كل مائة أقة منها (٤٨) أقة من الأكسوجين كما أننا إذا وزنا الماء بعد تحليله وجدنا في كل تسع أوقات منه ثمانية أوقات ، فهو مكون لأكثر الماء ولما يقرب من نصف الحجارة ، وهو داخل في الهواء مع الأوزون ، وهذا الأوزون لا يخلو منه جسم انسان ولا حيوان بل هو ثلاثة أرباع وزن جسم الحيوان (اقرأ كتاب تنوير الأذهان في تهذيب الأجسام) لأستاذنا على باشا مبارك ، إذن الماء الذي نشربه (ويظن الصبيان والجهال منا أنهم يعرفونه كما يظن المسلم أنه يعرف معنى البسملة) يعوزه درس وتفصيل . إذن المعرفة يعوزها التفصيل والايضاح أما الاجمال فالوقوف عنده غرور

أوليس من العجب أن نرى أكثر من ٨ على ٩ من الماء مادة تكون في نحو نصف الأحجار وثلاثة أرباع الطيوان ، ونراها في الماء شرابا ، وفي الأحجار بيوتا صلابا ، وقلاعا حصينة ، وفي الحيوان عظاما ولحما ودما ، نشرب الماء ونفعل به البلاط وهو في الوقت نفسه نصف نفس البلاط المفصول ، إذن هو غاسل وهو مفصول وهو شراب وهو مشروب ، فإذا كان ثلاثة أرباع الانسان أكسوجينا فالأكسوجين المتجمد شرب الأكسوجين السائل ، ومعلوم أن الهواء فيه أكسوجين ، فاذن الانسان أيضا يأخذ بالتنفس الأكسوجين الذي في الهواء اجلس في أي مكان شئت ، فالبلاط تحت الجالس نصفه أكسوجين ، والهواء فيه أكسوجين ، ونفس الانسان فيه أكسوجين ، والماء أكثره أكسوجين ، إذن هذه مسائل أعجب وأبدع من سحر السحرة ، هذا الانسان يمتطي القارب ويركب القارب والسفين في اليم والقطار في الأرض ويسير الى القطبين ويرصد النجوم ليحرف المجانب

يا أيها الانسان : أنت عجب ! وشرابك عجب ، وجسمك عجب ، وتنفسك عجب ، ومجاسك عجب ، أنت مغمور في بحر لجي من النور

سبعان الله الجليل البديع ، عجب وألف عجب ! أكسوجين يصير حجرا وعظما ودما وهواء ، فهو جامد وغاز وسائل وهو هو نفسه يظهر نفسه ، فهو من حيث أنه ماء يظهر نفسه من حيث أنه انسان أو بلاط أو غيرها كما أنه هو يدخل في الرئة فتتلقفه هي من الهواء فيطهر الدم في أجسامنا ، جلّ الله وجلّ العلم وجلت الحكمة وجلت نعمة العلم

ما الناس سوى قوم عرفوا به وسواهم همج الهمج

فلأكتف أيها الصديق من الكلام على الشراب بما ذكرناه في الأكسوجين ، ولنذكر مقالا وجيزا في



الماء كل ، وإنى أيسرني إذا كنت على ذكر مما تقدم في هذا التفسير ، فأجأني قائلا : نعم لقد جاء في سورة فاطر عند آية « والله خالقكم من تراب » ما يخصه ان في الفم ستة سحر تفرز مواداً تهضم المواد النشوية ، فإذا وصل ما بقي منها وهو الذي لم يؤثر فيه تلك القنوات الست الى المعدة تلقاه المصير المسمى فأذابه ، وجملة ما يتعاطاه الانسان إما مواد عضوية ولكنها ليس فيها مواد زلالية وذلك كالنشاء والسكر والزيوت والتسعم والسمن فهذه يدخلها الفم ولا يدخلها الزلال كزلال البيض ، وأما مواد عضوية وفيها المادة الزلالية كزلال البيض والمواد المستخرجة من العظام المفلية ومادة الجبن ومادة أخرى من نوع ذلك في اللحم وفي بذور البقول كالقول والعدس والبسلة وفي الحبوب كالقمح والذرة ، وبهذا عرفنا المواد العضوية بتسميتها

وهناك مواد غير عضوية مثل كربونات الجير ، وذلك في العظام والأسنان ، وفوسفات الجير في النظام أيضا وهي نصف وزنها تقريبا ، وهذان يدخلان في الأغذية النباتية والحيوانية ، ومما يحطاهم وأهلاج أخرى هذا هو ما يتعاطاه الانسان . فقلت : إذن طعامنا مفرق على البر والبحر وما فيهما ، فهذا الملح مستخرج من البحار ومن الجبال والمواد الدهنية تستخرج من الحيوان ومن الأشجار كالزيتون ، والمواد النشوية مستخرجات من النبات كقصب السكر والحبوب أمثال القمح ونحوه ، والمواد الزلالية تستخرج من الحيوان ومن الحبوب أيضا ، ولذلك تذكروا المواد الفعمية الطائفة في الهواء التي هي المخزن العظيم الذي إليه ترجع المواد الفعمية الخارجات من أجسامنا مع الزفير الذاهبات الى النبات لتغذيته الراجعات إلينا ثانيا بطريق تعاطيه من أوراق النبات وثماره ، فهناك تبادل بين الحيوان والنبات في ذلك ، فبينما النبات يتنفس مادة الأكسوجين في الهواء ويرسله الى المخزن العظيم في الهواء إذا الحيوان يقبل ذلك الأكسوجين ويحطى الجواب له مادة خممية تصل الى ذلك المخزن الطائر في الجو وهو يوصله الى النبات . فقال أتذكره فهو مذكور في ﴿ سورة يس ﴾ كما ان القناة الهضمية وجميع رسومها وما يوضحها مذكورة في ﴿ سورة فاطر ﴾ وهناك أن الفم الصافي في الجو نحو ١٣٨ ألف مليون ونصف مليون طن ، والطن معلوم أنه نحو ٣٣ قنطارا والقنطار ٣٣ أوقية . فقلت نعم إذن نحن بنى آدم في الأرض أكثرنا في غرور عظيم إذ نأخذنا نفهم الطعام والشراب ، فهنا نحن أولاء ذهبنا كل مذهب في طعامنا وشرابنا ، لقد فرق على الكرة الأرضية وطائر في الجو وغاص في البحر ، وأدهشنا أن نرى أسناننا قد ركبنا من الجير الداخل في بناء منازلنا وهو الذي التقطه النبات من الأرض فأكلناه ومن (الفسفور) تلك المادة البيضاء ذات الرائحة المشبهة رائحة الثوم ، وهي تباع في مربعات من البلور مملوءة بالماء للوقاية من إيداء تلك المادة لأنها تذهب سريعا بمجرد ملامسة الهواء ، فإذا لامست الأصابع التهبت حالا ويحسر أطفاؤها وتحدث جروح خطيرة ، وهذه المادة إذا كتب بها على حائط في محل مظلم لا نور فيه ظهرت الكتابة كأنها نار تفرغ منها الأطفال والشيوخ والنساء ، فحجب أن يكون الجير في منازلنا وتلك المادة النارية التي نراها في أعواد الكبريت التي نوقد بها النار داخلين في أسناننا بأنواعها الثلاثة لتزوي أغذيتنا وقطعها وطعنها « إن ربى لطيف بما يشاء انه هو العليم الحكيم »

فهذه الأسنان تهرس الطعام ، والعيون الست الناهبات في الفم تتجمله لهضمه ، ثم يمر فيصلى الى الاثنا عشرى هل تذكره أيها الصديق . فقال أتذكره مرسوما في ﴿ سورة فاطر ﴾ . فهناك تقابله عصارتان إحداهما آتية من الصفراء والأخرى من البنسكرياس الرسومين هناك ، وهاتان العصارتان يتقابلان فيغيران تلك المادة تغييرا عجيبا ليحصل لها اقتراب من أن تكون من جملة الدم

وانرجع الى الفم الذي يخرج مع الزفير . قال أنا أتذكره جيدا من هذا المقال ومن سابق التفسير ، فقلت : أزيدك فيه علما انه في السكر وفي الورق وريش الطيور وفي العظم واللحم والجلد والشمع والدهن والزيوت فان الفم يظهر في آثار ما يوقد منها وهو تلك المادة السوداء الظاهرة للعيان وكل شيء لا يتناول من

الفحم وهو في الحجر الذي في المباني وفي الرخام والمرص إذن هو في كل ما نضعه على المائدة إلا الملح فهو  
لاخم فيه ، ولقد قالوا « إن الفحم أمير والاكسوجين المتقدم شرحه سلطان » ولا جرم أن الهواء مركب  
من الأكسوجين والاوزوت ، وهذا الاوزوت هو نفسه المواد الزلاية المتقدم شرحها الداخلة في الحبوب واللاخم  
والبيض وقد تقدم شرح ذلك ، فأجسامنا مركبات من أكسوجين في الهواء وفي الماء ومن فحم فيه وفي غيره  
ومن مادة الزلال السابغة فيه ومن شعير الطيوان ولحمه والزيت ونشاء الحبوب وغير ذلك ، وهذه كلها يحملها  
الدم وهو يجري في الشرايين ، والشرايين تصل بدقتها المتناهية في كل جزء من أجزاء الجسم وتعطيه ما يستحقه  
من تلك المواد بعدل وانصاف ، فإذا وصل الدم الى الأسنان مثلا أخذت حتما وهو المواد الجيرية والفسفور  
كما تقدم ، وإذا وصل الى العين أخذت المواد التي تليق لها بحيث تصلح للابصار وهكذا الأذن والجلد والأعصاب  
إذن هذه الحكومة عجبية مدققة ، وانى ليحزنى أن أرى أكثر هذا النوع الانساني يعيش جاهلا بهذه السكرة  
الأرضية ، ويعيش جاهلا بنفسه وهو مفرور بهول « قتل الانسان ما أكفره »

فيا ليت شعري متى يرتقى هذا الانسان وينظم أمره على مقتضى نظام جسمه البديع الجميل المتقن ، يجري  
الدم في الشرايين فتلقاه الأعضاء فيأخذ كل عضو حقه ولا يستأده ، ويترك ما ليس له بحق ، كأن هذه  
الأعضاء قرأت « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »  
أو كأنها قرأت جمهورية أفلاطون ، أو كأنها قرأت « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »

الله أكبر . أجسامنا بديعة التركيب ، حسنة الوضع ، ونحن نعيش فيها ، ونحن بها جاهلون ، نتعاطى  
الطعام ومثلنا معه كمثل ما قال الله تعالى فيهم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجار يحمل  
أسفارا » ، وإذا جهلنا الطعام والشراب فاننا أعرق في الجهل بمعنى البسالة التي كادنا فيها ، ومتى أخذ كل  
عضو حظه من مواد الغذاء الدائبة في الدم نما وكبر على مقتضى قوانين مجهولة لنوع الانسان في الأرض ، ثم  
يكون هناك عالم آخر وهو عالم الأعصاب المتصلات بالنخاع الشوكي المرسومات المشروحات في سورة فاطر  
والنخاع الشوكي يصل الأخبار الى المخ وهناك عالم العقل والتفكير . إذن طعامنا في القناة الهضمية كيموس  
وكيلاس ، وفي السيرة الدموية دم ، وفي أعضائنا المختلفة أعصاب وعظام وعضل ودهن الخ . وآثاره في  
أعصابنا ونخاعنا الشوكي ونخاعنا دماغ ومخاريف وفكر وذكر وحكمة ، فكيف تقول اننا بما نأكل عارفون  
أولما نشرب دارسون ، وهذا من أسرار قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وهذا الجهل كما تقدم  
يضرعه بجهلنا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » . إذن فلفظ السكلام على معنى الرحمة الذي هو المقصود  
في هذا المقام فنقول :

### الرحمة

لقد قدمت لك أيها الذكي في أول هذا المقام أن الرحمة في هذه السورة قد ذكرت (٨) مرات فوق  
ما جاء في البسملة وفي البسملة (٣) فالجيم (١٠) وإطاء والميم تشيران الى الرحمة أيضا فلا بد لنا إذن من  
فهم الآيات المذكور فيها الرحمة مثل « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ » ومثل « ومن يعيش  
عن ذكر الرحمن الخ » ومثل آية « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الخ » ولما كنا قبل فهم معاني  
هذه الآيات من تحقيق معنى الرحمة فوق ما تقدم

فقل لي أيها الذكي : أيهما أحق باسم الرحمة ؟ أهذه النعم المتغيرة التبديلة التي لا ثبات لها ، أم النعم  
الثابتة ، قال بل الثابتة . قلت حسن . قلت : ثم ان النعم المتغيرة أيها أحق باسم الرحمة أم أعلاها أم أدناها ؟  
قال : كل ما كان أعلى كانت الرحمة فيه أوفر ، وكل ما كان أدنى كانت الرحمة فيه أقل . قلت إذن وجب



الآن أن نشرح أنواع النعم ونبتدى من أدناها الى أعلاها حتى نفهم الرتبة ونبين أنواع الرجات المذكورة في هذه السورة إذ ذلك . فقال : يا لهجب ! وهل النعم لها نهاية حتى تبين عددها ودرجاتها ، أنها يهوزها علوم الأمم وأعمال جميع الملوك في الأرض . فقلت : اننا لا نعرف من جميع النعم إلا ما أدركته حواسنا وعقولنا ، إذن فلندرس درجاتها باعتبار ادراكنا لها ، وحواسنا معروفة محصورة عندنا والنعم مقسمة عليها ، فالبحت في النعم سيكون في تفصيل ما يدركها لافي تفصيل المحسوسات والمعلومات . قال : أما هذا فهو حسن فأريد أن تذكر لى أدنى درجات النعم . فقلت : هي كل ما كانت تستلذه حاسة اللمس كنعومة الحرير فان لابس الحرير والنائم على الفراش الوثير يحس كل منهما بلذة اللمس ، وهذه اللذة سببها النعومة الحاصلة في اللباس والفراش ، قال ولماذا كان هذا أدنى الرجات ؟ قلت لأن حاسة اللمس عامة في كل حيوان حتى السودة في الماء وفي الطين لها حاسة اللمس ، وهذه الحاسة لا تعرف إلا ما يلاصقها فهي كالأعشى لا يدرك إلا باللمس . قال ثم ماذا ؟ قلت : اللذة التي هي من هذه المحسوسات بحاسة الذوق كالأطعمة والأشربة ، فاذا رأينا أقواما يفخرون بالطعام ولذته ، والشراب وسورته ، عرفنا أن هؤلاء في درجة اللذة الثانية . فقال ولم جعلتها ثانية ؟ قلت لأن الذوق من المطهومات أشرف من بقية الملموسات ، خاصة اللمس عامة ولكن الطعم خاص بمواد مخصوصة ، فنحس نحن بكل ما لمس جلدنا ، ولكن حاسة الذوق اصطفيت خلاصات المادة كالقواكه والحبوب وليس لها علم بالحجر والمدر والطين والتراب وهكذا . قال : ما الذى فوق هذه ؟ قلت حاسة الشم ، ذلك لأنها لا تقتيد بشم ما لاصقها بل تشم المادة عن بعد وليست مضطرة الى ملاصقتها وملاقاتها وانما تلاقى ذرات لطيفات لاتراها العيون يرسلها المسموم كالورد والمسك تسير في الهواء وتصل الى الخيشوم فتؤثر في الأعصاب فالشرف هنا من حيث أن الحاسة لم تلاق نفس المادة ، بل لاصقت ذراتها اللطيفات والواسطة في ذلك الهواء

وأرفع من هذه حاسة السمع لأنها ليست في حاجة الى ملاقات المسموع بل الهواء هو الواسطة بينها وبين الجسم الذى خرج منه الصوت وليست الأصوات كالمشمومات التي هي عبارة عن ذرات مادية . كلا . وانما هذه حركات في الهواء ، ولا جرم أن الحركات ألطف من النرات في حاسة اللمس

وفوق ذلك يكون البصر وهو أرقى ، فهو كما لم يكن في حاجة الى ملاصقة الجسم المنظور ، ولا الى ذرات منه هكذا لم يكن في حاجة الى حركات في الهواء كالسمع بل يحتاج الى صور تسير في النور والنور حركات في الأثير وهذا عالم أعلى مما سبقه ، فهل فهمت في هذا الترتيب حكمة أيها الذكي ؟ قال نعم . قلت اذا تفضلت بذلك أكون شاكر لك . فقال : قد ظهر لى هنا قاعدتان : القاعدة الأولى ان الحاسة التي هي أشرف يكون تركيبها أتم ، القاعدة الثانية انه كلما كانت النعمة أتم كانت أبعد عن المادة وأقرب الى التجرد منها . فقلت ما برهان ذلك ؟ فقال : أما كون الحاسة تكون أتم كلما كانت أعلى فان ما تقدم في ﴿سورة آل عمران﴾ يتحدثنا عن ذلك فان تركيب الأذن هناك أتم من تركيب مادونها من الحواس ، فهناك في تركيبها ١٤ عجيبة من عجائب الاتقان ، وذلك مذكور في أول السورة عند قوله تعالى « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء فهناك الأذن الظاهرة والأذن المتوسطة والأذن الداخلة ، وهناك عجائب لا تعد لها مثل السائل الذى فى داخل الأذن وفيه خيوط دقيقة شعرية وهكذا ثلاثة آلاف جسم صغير ظنوها آلات البرق (التلغراف) بحيث يتلقى كل واحد منها نوعا من الأصوات يناسبه ويرسل ذلك الى المخ ، وبالجملة فى الأذن : الصيوان والصماخ والظلمة والعظام الثلاث والذهليز والقنويات الهلالية والقوقعية والسائل المتقدم ذكره والرمل الحافظ للصوت وعصى كورتى والشعرات القوقعية والأعصاب السمعية ، فهذه هي الأربعة عشر جهازا فى الأذن وتفصيلها هناك ، وهذا الاتقان لم يكن فى صنع اللسان ولا الجلد ولا الخيشوم

واذا ترقينا الى تركيب العين وجسدنا وصفها هناك أتم من تركيب الأذن ، كيف لا وقد عدت الحكم

هناك توجد ٣٩ حكمة ، فهناك :

- ( ١ ) القرنية
- ( ٢ ) والعنابية
- ( ٣ ) والعنكبوتية
- ( ٤ ) والشبكية
- ( ٥ ) والمشيمة
- ( ٦ ) والصلابة
- ( ٧ ) والملمحةمة
- ( ٨ ) والجسم الزجاجي في وسط الشبكية
- ( ٩ ) والرطوبة الجليدية وتسمى العنسية
- ( ١٠ ) والرطوبة البيضاء

فالسبع الاول طبقات والثلاث الأخيرة رطوبات ، وهناك تفصيل لا محل لذكره ، والمقصود هنا أن الحاسة التي هي أشرف يكون تركيبها أتم ، وأما كون النعمة أتم كلما كانت أبعد عن المادة فبرهانه واضح ، ذلك أننا نرى نوع الانسان يفارق النوم على السمقس والحرير والفراش الأثير (وساوم أن هذه لذة الملاسة) ويركب القطار لرؤية الأقطار ، وجوب البحار ، وتجشم الأخطار ، ويركب متن الهواء ، ويخترق بقواماته لجح البحار ليأشاهد أنواع السمك والنبات وصنوف المخلوقات التي في قاع البحار ، ونرى الجاهل والعلماء يفادرون محادثتهم وفيها الروائح اللطيفة وأنواع الفواكه ويتوجهون الى دور الصور المتحركة مع انهم في تلك الحقيقة قادرون أن يضربوا المود ويمتعوا بأصناف الطرب وصنوف اللذات المختلفة ، فدل ذلك على أن المبصرات عند الانسان أرقى من جميع المحسوسات ، لذلك كان البصر أدق وهكذا ، ولم نرحس غير البصر لها قدرة على مشاهدة الشمس ، فأما البصر فهو الذي اختص بها . قلت والله لقد نظقت بفهم وأجبت . ثم قلت أيها الصديق انا نريد أن نتوغل في البحث . فقال حبا وكرامة . فقلت : اذا كانت الشمس أعظم ما يشاهد بحواسنا ، وأشرف حواسنا هي العين و تركيبها أتم ، والواسطة بينهما هو النور فهذا آخر لذة يعرفها الحيوان والانسان نوع منه ، وأريد أن أسألك أيها الصديق : ما أقصى سعادة عند الانسان من هذه المحسوسات . فقال : السرور واللذات . فقلت : اللذات أقصى ما يسعى اليه الناس . قال نعم . فقلت تذكر قليلا في عاشق مات مشوقه وفرح بماله ففقداه ، ومغموم بحميل فذبل الجمال

لعلك نسيت أيها الصديق ما قررناه أولا في أول هذا المقام وهو أن الثابت أتم نعمة والتنوير نعمة أقل . فالسعادة به تكون أنقص . قال حقا كان ذلك ولكن السرور الجزئية بالعالم المتغيرة لا ينسكرها العقلاء قلت : ولكننا الآن في مقام الفلسفة والحكمة وفي تفسير القرآن ، ونريد أن نصل للحكمة في ذكر الرحمة في قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليهوتهم سقفا من فحة الخ » فهذه نعم متغيرة والقرآن والحكمة يطالبان النعم الثابتة ولا نبات للمادة . فقال إذن كأنت تريد أن أسعد ما يبالي المرء في الحياة الدنيا هي البصائر . فقلت : حسن ولكن هذا المقام يهوز به إضاح وإفصاح . فقال يسرني أن أسمع منك فقلت : إن ههنا عينا وضوءا وشمسا فالعين أرقى حاسة والشمس أرقى محسوس والضوء أجمل واسطة . قال : هذا صار مبرهنا عليه . قلت : ولما رأى حكماء الأمم قبل الاسلام أن هذه المرتبة يشاركنا فيها البهائم فكفروا فقالوا : إن الشمس بالنسبة لهوالم المولدات الثلاث على الأرض أشبه بنار متقدة والناس في الأرض أشبه بقوم في مغارة ظهورهم نحو الشمس ووجوههم متجهة الى الضوء الذي على جدار المغارة أمامهم ، وهذه



الموايد الثلاثة أشبه بالصورة المرسومة على حائط المقبرة بواسطة ضوء النار ، وهذا المثل تقدم غير مرة ولست أذكرناه هنا لتوضيح به المقام . إذن وراء هذه الشمس الله الذي برأها ، وهذه الموايد الثلاثة عوالم سماها أفلاطون عالم المثل وهو عالم ثابت ، وعالم الموايد عالم متغير كان الله ثابت دائماً والشمس متغيرة ، فالله بالنسبة لعقولنا كالشمس بالنسبة لعيوننا ، وكما أن للشمس ضوءاً يصل إلى العين هكذا عالم المثل ينير على بصرنا ، فإذا لم تضيء الشمس فإن عيوننا لا ترى المبصر وإن كان أمامها هكذا عالم المثل انشأ يرسى أشعته إلى عقولنا ولولاه لم نهقل ولم نهلم ، وإلى هذا المقام انتهت عقول الحكماء في الأمم قبل الإسلام

ولما ترجمت الكتب إلى الأمم الإسلامية حصل عندهم القول بالاتحاد والحلول . هل تذكر في أي مقام أوفينا هذا أيها الصديق ؟ فقال : قد تقدم في ﴿سورة فاطر﴾ نقلاً عن الإمام الغزالي إذ ذكرت هناك في تفسير البسملة البراهين التي ذكرها موصحة وبان بها وظهر أن ما يقوله متأثرو الصوفية من الاتحاد والحلول عار عن البرهان العقلي بل هو أشبه بكلام الصبيان . قلت : ولكن أريد هنا أن أبينه بطريق أوضح مما نقلته فيما تقدم لأن الأدلة هناك طويلة وفيها بعض الصعوبة . فقال : أسبب أن أسمع ذلك . فقلت أي حاسة في الجسم أشرف . فقال : طبعا العين . قلت : هل يمكن أن يقول أحد أن العين هي الشمس . فقال وهل تخطر ببال عاقل . قلت : اسمع يا صاح ربك الله . إن العين في الحقيقة مضيئة لأجسامنا والشمس تضيء العالم . إذن العين شمس صفراء . ألم تر أن تركيبها كما قلنا سابقاً ثم ، ولماذا هذا ؟ لأجل أن تكون أقرب كما لا من الشمس ، ولولم تكن على هذا النمط لم تر النور ، فالعين مخلوق بديع عجيب والشمس كذلك والعين في أجسامنا أقرب شيء إلى الشمس فلذلك تقبلت منها النور ، ثم إن العين والجسم والأجسام كلها في الأرض مخلوقات لم تكن لولا الشمس ، فبالشمس ثار السحاب من البحار وهبت الرياح بالحرارة ، فإذا لم تكن شمس لم تكن رياح ولا سحاب فلا إنسان ولا حيوان ، وبالتالي لا عبون ولا أبصار . قال نعم هو ذلك . فقلت : إذن الشمس سبب في العين ، والعين أقرب عضو في أجسامنا إلى الكمال والكمال هي الشمس . قل حسن ذلك . فقلت : إذن يتوجه السؤال : هل الدين هي الشمس ؟ قال . كلا . لأن إحداهما سبب والأخرى مسبب غاية الأمر أن العين أقرب إلى الشمس لأنها عنها أخذت تركيبها ساعدها على ذلك . قلت : حسن جداً . ثم قلت هكذا نقول لجميع علماء الصوفية السابقين واللاحقين ونعاني الحقيقة وافحة للعالم قاطبة . فنقول : « أيها الناس إن ما سمعتموه من أقوال الصوفية من وسوسة الوجود وما جاء في كتاب الاستاذ الكبير رضي الدين في الفترحات المسكية ، كل ذلك عبارات موهمة يجب الإقلاع عنها حالا لأنه ثبت بالبرهان اليقيني اليوم أن النفوس الإنسانية كالعيون والله « والله المثل الأعلى » كالشمس والعوالم الروحية كالضوء ، وعالم المثل كعوالم الموايد الثلاثة ، ولن تبصر العين ما لم يكن النور : وكما أننا لا نقول إن العين هي الشمس وإن كانت أقرب إليها وهي تتلقى عنها الصور والأشكال بواسطة دوشها ، هكذا لا يعقل أن يكون الأنبياء أو الحكماء أو الأولياء مهمات درجاتهم وبلغوا أقصاها أن يكونوا هم نفس الله تعالى مع أنهم بالنسبة للناس كالعين والناس من ورائهم كالحواس الأخرى أدنى منزلة وهم يستضيئون بالنور الإلهي فيأهمهم الملائكة ويوحون إليهم المعلومات اثباتاً في العالم الروحي . فقال : ما أجل هذا البرهان ، أنه أقرب سهل المثل ، يستقله كل متوسط الذكاء ، فقلت : إذا عرفنا هذا وقد امتحنا آراء أسلافنا وقد فهمت الحقيقة فلمتجاوز ذلك إلى ما وراءه وهي آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، فنذكر أولاً ما قالوه ، وما آثار كلامهم في الأمم التي بعدهم ، ثم نتبع بما نراه مما فتح الله به ليلة الجمعة كما قدمته قريباً . فقال ما أشوقني إلى ذلك . فقلت : إن أفلاطون بعد أن ذكر مثال الشمس المتقدم . قال : « على الإنسان أن يترقى من الأخس إلى الأعم ، ثم يترقى من المحسوسات إلى المعقولات حتى يرجعها كلها إلى ذات الله وهو الكمال المطلق والخير المحض ، وجميع المعاني هي صفاته وهي حكمته »

وهناك أعلن للملأ أن هناك عالم المثال وهو ثابت وعالمنا هو المتغير، ولقد عارض هذا المذهب أرسطاطاليس تلميذ أفلاطون . فقال : أنا أسلم أن الكليات هي أصل العلم ، ولكن لا أسلم أنها مفارقة للمادة ، وهل هناك كليات إلا في أذهاننا ، فالتذهن مخزن الكليات ، أما ان هناك عالماً نسميه عالم المثال وهو أصل لعالمنا فهذا لا أسلم به ، وكيف أسلم به وهو اذا كان ثابتاً لا يتحرك فكيف صدر عنه هذا العالم المتحرك ، ثم انه اذا كان مفارقاً فكيف يؤثر فيما فارقه ، وكيف يكون جوهرًا مفارقاً له وان كان متصلاً بالعالم فقد دخله التغير بتغير ما اتصل به ، وكيف ينطبق الجوهر الواحد على الأفراد المختلفة مع انه لا يقبل الانقسام » وأطال في ذلك ثم قال : « إن العالم مكون من مادة وصورة (وكيفية معينة من الوجود) والمادة لا تتحقق لها إلا بهذه المعينات وهي في نفسها امكان محض أى قوة واستعداد لقبول الصورة ، والصورة كل ما به يتعين وجود المادة من شكل ووضع وبهد وكيفية كاللون والطعم والرائحة والثقل والخفة ، وهذان لا يكونان متميزين إلا بالعقل أما في الخارج فلا ، وما الحركات إلا شوق المادة الى الاستكمال ، فهي أبداً محمّدة للكمال وذلك بالحركات في المقادير (السكن) كالتقو والزيادة والنقصان والقبول والحركات في الكيف كالاستحالة من صفة الى أخرى والحركات في الاين وهي النقلة من مكان الى مكان

وقول أرسطاطاليس المذكور فيه لبس ، فقد ردّ عليه حكماء اليونان بعده فقالوا : « أولاً » ان المادة عندك أمر سلبى وعدم محض ، واذا كانت عندما فكيف تشتاق الى الاستكمال بالحركات ، واذا لم نقل ذلك بل قلنا انها (امكان محض) فهل يعقل أن للامكان وجوداً . إن وجود المادة يناقض ما يقوله هو انها مسلوبة الوجود ، واذا سلمنا بوجودها بعد هذا كله فقد أصبح للوجود أصلان معا وهو مناقض لأصل مذهبه ، ثم هو يقول : « ان الطبيعة ماهى إلا المادة والصورة والحركة ، والمجتمع من هذا كله يسمى طبيعة » ولم يبين هذه الطبيعة ، ماهى ؟ هل هى ذات موجودة ، أم هى معنى موجود باعتبار العقل »

فلما مات أرسطاطاليس ترك تلاميذه هذه المباحث وأخذوا يفكرون في علم الطبيعة والأخلاق وجدوا في هذه العلوم ، وهناك نبغ (أبيقورس) المولود سنة ٣٤١ ق.م المتوفى سنة ٢٧٠ ق.م ورجع الى مذهب (ديموقراطيس) القائل بالجزء الذى لا يتجزأ وهو يقول : « أجل المقصود من الحياة ادراك الحقائق وذلك بالفلسفة واللذة الناجمة عنها أهم مقاصد هذه الحياة » ثم نبغ فرقة الرواقيين ويسمون أصحاب الاسطوانة وأصحاب المظال (وهو اسم محل اجتماعهم بأثينا) وهم شيعة (زينون) المتوفى سنة ٣٦٤ ق.م وهؤلاء يقولون : « ان العالم جوهر واحد ، فهو من جهة قوة عاقلة ، ومن جهة أخرى مادة » ومن أصحابه (كريزيون) المتوفى سنة ٣٠٩ ق.م وعلم الطبيعيات هو علم الالهيات عند هذه الطائفة

### ملخص هذا المقام

هناك قال صاحبي : لقد طال المقال فأرجو تلخيصه ثم كيفية ارتباطه بالرجة أولاً ، ثم كيف تفسر الآيات التى فيها الرجة في سورة الزخرف بهذه العلوم المذكورة هنا . فقلت : ألا تذكر أن أصل المقام :

- (١) انك قلت ان البسملة معروفة وتفسيرها هنا تكرر
- (٢) فأجبتك بأن الجمال المذكور الموضح في سورة السجدة أكثر الناس يزعمون أنهم يعرفونه وما هم بهارفين ولا يعقله إلا الحكماء

(٣) وأن الطعام والشراب يظن الصبيان والعامة أنهما معاومان وهم جميعا لا يدركون بالتفصيل عجائب توزيع المواد النشوية والمواد الزلاية والمواد المعدنية والماء كالارز والبطاطس وكاللحم والبيض وكالملح وكماء الأنهار



فهذه موزعات على مناطق الأرض في أنواع النبات والحيوان والبحار ، وهكذا تقسمها أجزاء القناة الهضمية فتضمها وتخالط الدم فيأخذ كل عضو حظه من الحياة وهكذا

ثم يكون الفكر والعقل ، فهذا اجمال الكلام على الطعام والشراب . وبقى الكلام على الرحمة المذكورة في البسملة التي كررت (٨) مرات في سورة الزخرف . فلما أخذنا فصلها وجدنا أصراً عجيباً وجدنا أن حواسنا كلما كانت أقرب الى محسوسها كان ذلك المحسوس أخس وكانت نفس الحاسة أقل درجة وكنا نحن بذلك المحسوس أقل اهتماماً . ذلك ان المحسوس الناعم كالحرير لا نعرفه إلا اذا لاصق أجسامنا وذلك يعطينا لذة ضئيلة اذا قسناها بلذة المشموم والمشموم يبعد عن حاسة الشم ويرسل من لسانه ذرات لطيفة فهو ألطف من المطعوم كالطير الذي يلامس حاسة الذوق التي هي أرق من حاسة اللمس . فاذا ارتفعنا الى السمع وجدنا الحاسة أتم تركيباً والمحسوس ألطف يكاد يفارق المادة ولا يحتاج في تعريفه الى الملاصقة . أما المبصرات فانها أبعد وأعجب ورسولها الأمين أشرف من الهواء وهو الضوء والضوء في عالم الأثير فجّل الله ، جلّ الله الذي أعطى الانسان درسا لن ينسى . فهاهوذا يقول له : « أيها الانسان : أنت تعقل . ألم يكن أشرف حاسة عندك هي البصر . أليس المبصر بها يبعد عنها ولا يلاقي حاستك إلا النور . إذن هذه الحياة الجسمية نفسها كشفت لك الفطاء عن السعادة . تقول لك بلسان طلق : أيها الانسان : أما تخجل وكيف تجهل نفسك تتلمس السعادة في جوانب المادة وأنا رسمت لك الخطة : إن المادة ماهي إلا مبدأ كالذي رأيت في عالم الملموسات ولكن لا بد من ارتقائك في المعاني كارتقاء العين في محسوسها عن حاسة اللمس في ملموساتها . ألا ان الفرق ما بين الخشن والناعم من حيث ملاصقة الجسم وبين الشمس والعين من حيث شدة البعد التي تصل الى مسافة (٣٥٠) سنة بجري القطار السريع ليلاً ونهاراً . يجري فيها النور بين عينك والشمس وكأن الله يخاطب المسلمين في الأرض قائلاً : « المادة مبدؤكم فلا بد من دراستها واتقانها كما درست حاسة لمسكم ماحولكم واياكم أن تقفوا عندها لئلا تذلوا بل ارتقوا في دراستها طبقاً عن طبق لتحكموها وأنتم فيها كما ارتقت حواسكم طبقاً عن طبق فحكمت الأذن على الأشياء البعيدة فأخذت علمها بطريق الحركات في الأصوات . وكما حكمت عينكم على الكواكب البعيدة فاقتنصت صورها من الجوّ وهي جارية في الضوء الساري في ألطف موجود وهو الأثير ثم كأنه عز وجل يقول : « أيها المسلمون : ها هم أولاء الأمم قبلكم وان لم أرسل لهم رسولا فكروا في هذه العوالم وارتقوا في الأسباب وقالوا : اذا كانت السعادة تتبع الارتقاء عن المادة وكل من ارتقى عنها خضعت له وكل من خضع لها أذلته . فها هم أولاء من قبلكم بحثوا بأرائهم وعقولهم وقالوا ان هناك صوراً معنوية هي أصل هذه المواليد على الأرض وربكم مشرق نوره على تلك العوالم المثالية التي على مثالها خلقت عوالمكم وهناك تجلّى الله على عقولكم بالالهام كما تجلّى الشمس على عوالمكم بالضوء . وكما أن الضوء يأتي لأعينكم بصور المخاوقات الأرضية . هكذا أتجلى أنا على عالم المثال فيشرق على عقولكم بسبب امدادى لكم »

هذا ثم جاء آخرون بعد هؤلاء فأنكروا عالم المثال وقالوا : « إن السكيات العالمية لهذه المحسوسات كالانسان والحيوان لن تكون الا في الذهن » . إذن ليس هناك عالم مثال . وهناك يقول أرسطاطاليس : « إن العلم انما يتعلق بمحقق ، والمحقق هي المادة وصورتها المعينة المعروفة » وجاء بعده الأبيقوريون والرواقيون وهم أصحاب المظال . فقالوا : « إن كلامه في المادة غير منتظم » وأدركوا أن هذه الأقوال غير مجدية ، فتركوا هذه الارتباكات ورجعوا الى دراسة علم الطبيعة وعلم الأخلاق

هذا أيها الصديق ملخص ما تقدم ، وأنا أجد الله جديداً كثيراً على التبيان وتسلیم البيان ، ولم يبق إلا أن أخلص المقام كله في كلمتين اثنتين : وهما ان دراسة هذه المخاوقات التي هي آثار الرحمت عرفتنا أمرين : أحدهما محقق . والثاني يعوزه التفكير . أما المحقق فهو أن سعادة أهل هذه الأرض لا تكون بالانغماس في

المادة بل في النجافي عنها والترقي في اخضاعها لتركها فيكون الناس في هذه الأرض بالنسبة للسادة كالسجين بالنسبة للشمس

فهذه قضية محققة أظهرتها دراسة رحمة الله المذكورة في البسملة في حراسنا وفي المخلوقات حولنا ، فكأما كان الناس مغمورين فيها ذلوا ، وكلما ارتقوا فأخضعوها اخضاعا مهنويا سجدوا ، والدليل على ذلك أن استعمال الكهرباء التي هي ألطف من الأجسام الأرضية أسعد الناس سعادة مآ ، وذلك أقرب الى استعمال العين للشعاع الواصل من الشمس فان بين الكهرباء والنور مشاكسة ، ففرق ما بين استعمال غارب البفل والحار والفرس التي هي أجسام كثيفة وبين استعمال الكهرباء التي هي عوالم لطيفة شريفة فالخبرات على مقتضى المقدمات كشافة ولطافة ، وهذه بعينها دروس يسطرها لنا ترتيب أجسامنا . هذه هي السكاسة الأولى المحققة . أما الكلمة الثانية التي يعوزها التفكير فهو ما يقوله أن طاطايس وأبيقور وزيون مما تقدم فهذا راجع لأصل العالم ومنشئه

وسترى إن شاء الله في ﴿سورة محمد﴾ ﷺ تحقيق المقام في رسالة سميتها ﴿سورة الفلسفة﴾ التي وعدت بذكرها سابقا صرارا في هذا التفسير ، ولكنني أقول قولاً اجماليا الآن تذكرك لك أيها الصديق والاذكياء من قراء هذا الكتاب

اعلم اننا نحن على هذه الأرض لن نصل الى غاية العلم ، رغبة الأرض اننا تلمس الممكن منه ، فهاهوذا البرهان اليقيني الذي عرفناه من دراسة جسمنا أثبت لنا أن سعادتنا في اللطائف لا السكائيم ، وأن هذا الانسان عليه أن يجتهد في المعنويات في هذه الحياة حتى يتمرن عليها ويرتقي فيها كما ارتقت عينه عن لسانه ، فهذه ترى الشمس في الأقطار البعيدة ، وهذا يلامس النخلة فتكون قيده له وسجننا ، فإذا تلمسنا علم ما وراء ذلك ونظرنا نظر سقراط الذي اعترض على العالم المثالي الذي قرره فانا نقول اذا كان علماء الطبيعة لما عجزوا عن اثبات مادة تحمل الضوء الساري في الجو من السكواكب وتحمل قوة الجاذبية التي بين السكواكب وبين الشمس والأرض والقمر

أقول لما عجزوا عن ذلك قالوا نفرض أن هنا عالما خفيا نسميه (أثيرا) ولقد تقدم شرح عالم الأثير في أول سورة ﴿الصفات﴾ وتحقيق الكلام فيه ، فهذا الفرض قد اضطرروا اليه اضطرارا ليمكنهم به حلّ النظريات الطبيعية ونهم القوانين ، فإذا جاز هذا في علم الطبيعة التي هي أقرب الى عقولنا ، أفلا يجوز نظيره في علم ما وراء الطبيعة ونقول : اذا كان الضوء لا يصل الى عيوننا إلا بعالم سميناه أثيرا ونحن لم نتحققه ، أفليس من حقنا أن نقول ان العلم لا يكون له ثبات الا بامور ثابتة ، والامور الثابتة هنا نسميها عالم المثال وهو من دج لهالنا هذا وعلى مقتضى عالم المثال الذي صوّرت فيه جميع القضايا السككية التي نحسّ بها في أذهاننا خلقت العوالم المشاهدة فأما كل ماورد من كلام علماء اليونان على عالم المثال فانه يرد نظيره على عالم الأثير فاذا كان معدوما فكيف يحمل المعدوم الموجود ؟ فالقول هناك كالقول هنا

## امتحان آراء علماء الاسلام

### وآراء علماء اليونان

إذن نحن الآن امتحنا آراء علماء الصوفية من حيث وحدة الوجود فنأهر لنا أن دراسة أجسامنا تحمل المشكلة كما تقدم في العين والشمس ، وامتحننا آراء فلاسفة اليونان فرأينا أن عالم الأثير المقبول عند علماء الطبيعة يرد عليه ماورد على عالم المثال ومع ذلك اضطراره العلماء في زماننا اضطرارا وقدسوا باثباته لحل النظريات لتسهيل حل النظريات العامة . وهذا الذي قلته الآن برهان اقنعي ، ولكن البرهان اليقيني ستراه في سورة محمد ﷺ كما أنبأتك



## تفسير الآيات

لا جرم انك بعد هذا أيها الصديق تفهم حق الفهم قوله تعالى « واذا بشر أعدهم بما ضرب للرحمن مثله » الى آخره إذ يرى الانسان انه محصور الفكر في أن الولد ذكر أو أنثى وهذا انغماس في المادة ، والانغماس فيها عذاب أليم في الحياة الدنيا والله منزّه عن المادة فكيف يجعله متصفا بما كان عذابا له ! وهناك يظهر سرّ « ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » ودراسة علم الحواس المتقدم يظهر لنا أن الخضوع للمادة صفار ، وهذا قوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » فالذكورة والانوثة صفات أهل المادة الذين هم أقرب الى العذاب في الحياة ببرهان دراسة الحواس المتقدم والملائكة مبرّعون من المادة وهم مختصون بالعلم ، وقوله « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » فهؤلاء جهلاء ولكن الله لسعة رحمة لهم لم يهلكهم ، فهو وسعهم كما وسع البهائم في الأرض وكما عاش الانسان بين عين تنظر الشمس وليس يلمس الحجر فأنه يرحم الأدنى والأعلى كل في مركزه الخاص به . وأما قوله « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » فهو المقصود من هذا المبحث كله . ذلك ان السعادة كما قدمنا ترجع الى ادراك ماهويات ولائيات للمادة . والثابت الحق هو الله عز وجل . وكل مال وولد وسلطان وجمال وأرض وسما لا ئيات لها . فالفرح بالمفسر غرور . ولا فرح ولا سرور إلا بما هو ثابت . ويظهر هذا في قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الخ » فالقصور المزخرفات والذهب والفضة والسرور اجاعات كلها الى المادة الفليضة وقدر هنا برهاننا يقينيا أن السعادة في الابتعاد عنها والرجة الحقيقية في ادراك ماهويات ولائيات إلا لسائح العالم ، فهل لك أن اسمعك مقالته نفس أفلاطون عن (سقراط) لتعجب من أن القرآن قد جاء تفسيره على السنة الفلاسفة ، بل على لسان أكبر فيلسوف تنوّرت له فلاسفة أوروبا الحاليين باعترافهم سجدا ، فانظر ماذا يقول ؟ يقول معنى نفس هذه الآيات ، فهو يقول في الكتاب السادس مخاطبا (اديمينتس) « أولست من رأيي أيضا أن سبب استياء الجمهور من الفلسفة راجع الى تصرف الذين كالسكارى يقتحمون مالا يمينهم ويسوي بعضهم بعضا ، ويسرون بيت الفتن والاعتياب ، وبالأجبال الأشخاص الذين لا تنفق تصرفاتهم مع الفلسفة » ثم قال : « وحقا يا اديمنتس ان من وجه أفكاره نحو الأشياء الموجودة حقيقة ليس له متسع من الوقت للاشتباك بمسالح الآخرين ومنازعتهم فتعسر به عليه عدوى أذاهم بل على الضد من ذلك يقف أوقته على التفكير بأشياء صحيحة ثابتة واذ يرى انها لا تنضّر إحداها الأخرى ولا تنى خاضعة للنظام وهي على أتمّ وفاق مع العقل يجتهد في درسها والنشبه بها ، أو تظن أن الانسان يستطيع ألا يتمثل بما يلازمه ويحترمه . فأجابه : غير ممكن . فقال سقراط : فالفيلاسوف الذي يلازم ماهو إلهي متزن يصير إلهيا متزنا مع انه هنا كما في كل موقف آخر مجال واسع للتزييف »

وقال في صحيفة ١٨٨ مانصه : « إن بحثنا أربانا أن في كل منا آلة تساعد في تحصيل العلم كما انه لا يمكن تحويل العين من النور الى الظلام بدون أن يتحوّل الجسم كله ، هكذا أمر هذه القوة مع النفس فيلزم تنوّل النفس كلها عن السالم الفاني ليتمكن التفكير في عالم الحقيقة وفي أبهى قسم منه وهو ما ندعوه صورة الخير » انتهى

يقول طنطاوي : أفليس مما يدهش المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن آيات هذه السورة التي ذكرت فيها الرجة كالتى تصف الكافرين بأنهم لو كانت لهم قصور من خرفة وسرور الخ لم يكن ذلك نافعا لهم وكالتى تبين أن من أعرض عن ذكر الله تسلمه الشيطان وأضله وهكذا أقول : إن هذه الآيات قد جاء تفسيرها قبل أزمان النبوة بنحو ثمان قرون على السنة الفلاسفة . إذن

هذا القرآن كما وصفه الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إذن المفكرون في جلال الله المتهامون بالحكمة هم أرقى الناس وهم أولى بإدارة الأمم لأنهم يزهدون في المال وفي أعراض الدنيا وليسوا كبعض الزهاد يهزلون الناس ويكونون عالة عليهم . وبهذا يعرف المسلمون أن الزهد في الدنيا ليس معناه تركها ، بل أن يكون الانسان عالما بالجمال الأقدس موقنا أن السعادة في المعرفة والعلم أي العلم بالله والملا الأعلى وهذا لن يمكن بمجرد قراءة القرآن ولا تفسيره ولكن بدراسة علوم هذه الدنيا وينتقل من الخلق الى الخالق ثم يكون خليفة له على عبادته ، ولم أجد من سار على منواله سوى رسول الله ﷺ ومن جرى على طريقه فهو الذي ينطبق عليه الآيات المذكورة من احتقار المادة والقيام بخدمة الأمة وتنظيم الدولة ، ذلك هو الحق الصراح ، فأجل أنواع الرحمة في الحقيقة يرجع الى ادراك جمال الله عز وجل وصفاته وفهم الوجود تبعاً لذلك ، ثم أن يكون الانسان زاهداً في المادة متخلطاً بالأخلاق الجلية ، خليفة على عباد الله ، منظماً لأمتهم ، نافماً لدولهم ، فهو في العالم واسكنه غير مفروم به بل بالعلم وبالله وهو مساعد للجُمُوع منظم للحكومات وللأُمم بقدر طاقته . هذا هو الحق الصراح والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠

### مقاصد السورة

- ( ١ ) تأييد النبوة الى قوله - ومضى مثل الأولين -
- ( ٢ ) واثبات الالهية بالأدلة الطبيعية الى - وانا الى ربنا المنقلبون -
- ( ٣ ) بعض سيئات كفر القوم الى قوله - فهم به مستمسكون -
- ( ٤ ) سبب كفرهم الى قوله - وانا على آثارهم مقتدون -
- ( ٥ ) شدة جهلهم وجمود عقولهم الى قوله - بما أرسلتم به كافرون -
- ( ٦ ) الانتقام منهم الى - عاقبة المكذبين -
- ( ٧ ) تسلية النبي ﷺ بذكر قصة ابراهيم الى قوله - وانا به كافرون -
- ( ٨ ) ليست المظاهر المادية من أسباب الدرجات العلمية والدينية الى قوله - عند ربك للمتقين -
- ( ٩ ) من ترك عقله فلم يشغله بالحكمة تولاه الشيطان أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته . كذاك من لا يسوس الملك يخلعه الى قوله - مهتدون -
- ( ١٠ ) « من تصادقا على المعصية تعاديا عند القضاء » الى قوله - انكم في العذاب مشتركون -
- ( ١١ ) انما تنفع الذكرى من استعذ للفهم الى قوله - ومن كان في ضلال مبين -
- ( ١٢ ) عدة الله نبيه بالنصر وعلق أمره وانه مسئول عن الدين والقرآن هو وقومه الى قوله - وسوف تسألون -
- ( ١٣ ) قصص موسى لتأييد أن المظاهر المادية ليست سبباً للعارف العقلية الى قوله - ومثلاً للآخرين -
- ( ١٤ ) شؤم الحرص على الجدال وعدم جدواه في ابطال الحقائق الى قوله - إنه لاسمك عدو مبين -
- ( ١٥ ) ذكر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ووعيدهم الى قوله - وهم لا يشعرون -
- ( ١٦ ) معاداة قرناء السوء يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين الى قوله - فأنا أول العابدين -
- ( ١٧ ) تزيه الله تعالى ووصفه بسعة الملك والقدرة والحكمة وشهادة الفطرة بذلك ، وبالاختصار وصفه بصفات الجلال والاكرام وهو المقصود الى قوله - لا يؤمنون -
- ( ١٨ ) سعة الصدر والصفح والمسألة خير الأخلاق اهـ



بجمل تفسير الألفاظ  
في المقاصد الأربعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح) تقدم الكلام عليها في السورة السابقة (والكتاب المبين) القرآن ، أقسم به من حيث نظمه  
واعجازه ، ان الله صيره كذلك ، فالقسم كالاستشهاد على المقسم به (اعلمكم تعقلون) لكي تفهموا  
معانيه (وانه) عطف على - إنا - (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ (لدينا) عندنا (أعلى) رفيع  
الشان في الكتب لكونه مجزأ (حكيم) ذو حكمة بالغة ، أو محكم لا يفسد غيره (أفغضب عنكم الذكر  
صفحا أن كنتم قوما مسرفين) أفنذود الذكر ونبعده عنكم صالحين فلا نأصركم ولا ننهاكم من أجل انكم  
أسرفتم في كفركم وتركتم الايمان (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) الى قوله (يستعزؤون) أي كاستهزاء  
قومك بك (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)  
أي انهم أقروا بأن الله خلقهما ، وانه ذو عزّة وعلم ، ومع ذلك جعوا بين النقيضين إذ عبدوا غيره  
وأنكروا قدرته على البعث (الذي جعل لكم الأرض مهدا) قارة يمكن الانتفاع بها ، والمهد موضع راحة  
العبي ، والخلق كلهم يتربون على الأرض وهي موضع راحتهم فلذلك جعلت مهادا لعدد العباد (وجعل  
لكم فيها سبلا) طرقا (اعلمكم تهتدون) الى مقاصدكم في أسفاركم ، فلم تكن تلك المهاد رمية من غير  
رام (والذي أنزل من السماء ماء بقدر) بقدر حاجاتكم اليه ، فلم يكن كثيرا حتى يهلككم (فأنشأنا به)  
بالمطر (بلدة ميثا كذلك) كما أنشأنا بلدة ميثا (نخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج  
كلها) أي الأصناف والأنواع أو الذكور والاناث ، أما هو فهو فرد لا ثاني له (وجعل لكم من الفلك  
والأنعام ما تركبون) في البحر والبر (لتستروا على ظهوره) على ظهور الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة  
ربكم اذا استويتم عليه) أي بتسخير ما ركبتوه في البحر والبر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا)  
ذال (وما كنا له مقرنين) مطيقين أو حافظين (وانا الى ربنا لمنقلبون) لنصرفون في المعاد (وجعلوا له  
من عباده جزءا) أي بعد الاعتراف بأن الله هو الذي اتصف بالخلق والعزّة والعلم الخ جعلوا له من عباده  
ولدا وهم الملائكة ، والولد جزء الوالد وبعضه لأنه بضعة من الوالد (إن الانسان لكَفور مبين) ظاهر  
الكفران ومنه ، نسبة الولد اليه تعالى (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ وتعجب !  
يقول : اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أي أخلصكم (بالبنين) فاختار لنفسه المذلة الدنيا ولكم المنزلة  
العليا (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلا) أي بالجنس الذي جعله له مثلا إذ الولد لا بد أن يماثل  
الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من السكابة (وهو كظيم) ملوء قلبه من  
الكرب (أو من ينشأ في الحلية) أو جعلوا له من يترقى في الزينة يعني البنات (وهو في الخصام) في المجادلة  
(غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا)  
أي حكموا بهذا وأثبتوهم اناثا ، وقد جمعوا بهذه القرية بين الضدين : العباد والولادة (أشهدوا خلقهم)  
أي أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم اناثا (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة (ويسألون)  
عنها يوم القيامة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم (ما لهم بذلك  
من علم إن هم إلا يخرصون) أي وقال بنو مليخ بوجه غير مانع : لو نهاها الرحمن وصرفنا ما عبدناهم  
استهزاء ولكن أمرنا بعبادتهم ولم ينهنا عنها ، ما لهم بما يقولون من حجة ، ما لهم إلا يكذبون على الله (أم

آتيناهم كتاباً من قبله) من قبل القرآن (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب .

### ذكر سبب كفرهم

ولما بطلت جميع الحجج رجعوا الى التقليد (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي دين ، وهي من الأم وهو القصد ، فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) أي انهم مهتدون باتباع آباءهم وتقليدهم من غير حجة ، وهذه في الحقيقة حجة القافلين من الأمم الخاضرة والفائنة . ومن ذلك قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وهذا تسلية لرسول الله ﷺ ودلالة على أن التقليد في ذلك ضلال قديم والأم في ذلك متشابهة والعلة في ذلك التعم والسكسل والبطالة ، ولذلك أكثر الله في نوع الانسان من الحروب والأمراض والعداوات ليستخرجهم على العمل وتنشط العقول ويفسكروا حتى يقل الترف الجالب للتقليد والنوم في ظل الجهالة العمياء

(٥) — شدة جهلهم وجمود عقولهم

قال تعالى (قل) أتتبعون آباءكم (أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي بدين أهدى من دين آباءكم ، وقرأ ابن عامر وحفص — قال — أي النذير ، قل حكاية أمر ماض أوحى الى النذير — حينئذ يقال فإذا أجاب أهل القرية ؟ فأجاب (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) وان كان أهدى ، وذلك ليقنطوا نذيرهم من انهم يفسكرون

من المقصد السادس الى المقصد التاسع الى قوله — مهتدون —

قال تعالى (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولانكثرت بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء) أي براء (عما تعبدون) إلا الذي فطرنى (أي إنني أتبع ما تعبدون إلا من الله الذي خلقني) (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو الى توحيد الله (اعلمهم يرجعون) أي يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم ، فددت أعمارهم ، وأكثر نعمهم ، فشتغلهم النعم والترف والشهوات وأطاعوا الشيطان ونسوا كلمة التوحيد ، وجريت على عادتي أن أجعل في بنى ابراهيم من يوحد الله ويدعو من كفر منهم لعله يرجع ، فاخترت محمدا ليدعو هؤلاء فقالوا هذا سحراخ وهذا قوله تعالى (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول مبين) الرسول محمد ﷺ وقوله — مبين — أي واضح الرسالة بما معه من الآيات (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) وفيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) العبارة تفيد الاستهانة (على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » وانما يخرجان من الملح وحده على قول بعض القدماء ، ولكن ظهر في العلم الحديث أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب كما ستراه في (سورة الرحمن) وهذا من معجزات القرآن ، والقريتان مكة والطائف ، والرجلان الوليد بن المغيرة عظيم مكة ، وعروة بن مسعود الشقي عظيم الطائف ، وكان كل منهما ذا مال وذا جاه مع أن العظيم في العقل والعلم والدين غير العظيم في اصطلاحهم (أهم يقسمون رحمة ربك) أي النبوة والاستفهام للانكار والتجهيل والتعجب كأنه يقول : أيها القوم : عجباً لكم ! كيف جهلتم قدر أنفسكم ، أو بلغ من شأنكم أن تصطفوا من تشاءون للنبوة التي لا يصلح لها إلا من له رتبة عظيمة روحانية تستدعي عظام النفس ، فتكون ذات فضائل قدسية ، وكالات خلقية ، وتكون مستهينة بالزخارف الدنيوية



التي انتمستم فيها ، فليستهم أهلا لأن تفاض عليكم فضلا عن أن تهبوا لمن تشاءون » (نحن قسمنا بينهم  
معيشتهم في الحياة الدنيا) يقول تعالى : نحن فاولنا بينهم في الرزق ، فمنهم الغني ، ومنهم الفقير ، ومنهم السيد  
ومنهم العبد ، ومنهم الملوك ، ومنهم السوقة ، ومنهم الأقوياء ، ومنهم الضعفاء ، ومنهم ذوا الجلال ، ومنهم ذوو  
السمامة ، ولم يلقوا أحد من عبادنا أن يغير ما حكمنا به في أحوال دنياهم مع قلتها وذلها ، فكيف يقدرون  
على الاعتراض على حكمنا فيما هو أرفع درجة ، وأعظم منصبا ، وأشرف غاية ، وهو النبوة ، فنحن رفعنا  
بعضهم على بعض بمشيئتنا وخصصنا من نشاء للنبوة كما أردنا ، فكما لم يغيروا ما هو أدنى هكذا هم أعجز عن  
التغيير فيما هو أعلى . ثم أتم وصف حال تفاوتهم في الدنيا فقال (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي  
أوقفنا بينهم التفاوت في الرزق (ليستخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم  
في مهنتهم ، ويسخروهم في أشغالهم ، حتى يعيش بعضهم مع بعض ، وينفع بعضهم بعضا ، فهذا بماله وهذا  
بأعماله ، لأننا حكمنا أن هذه النفوس تعيش في الأرض لتتعاون ونحن قادرون أن نطعمهم وهم قاعدون كما  
أطعمنا النبات والدود ، ولكن هي الحكمة أن الأعمال التكليفية التي يتعاطاها الناس سواء أكانت طبيعية  
أم شرعية تصير فيما بعد الموت معينة للنفوس فيسهل عليها التعارف والتعاون في عالم الأرواح ، وعلى قدر  
تهذيبها ومحبتها لبعضها يكون ارتقاؤها ، وكيف تتعارف في الدنيا إلا باللقاء والاختلاط ، فأحوجناهم إلى القوت  
وأغنيانا وأفقرنا ، وجعلنا ذكرا وأنثى . كل ذلك ليتعارفوا ويتعاونوا ، وأنزلنا العبادات وفرضنا لها ليتحدوا  
في الصلوات ، ويتعاونوا في الصدقات ، وأنزلنا القرآن والعلم لتجمعهم جامعة الحكمة والأخلاق وهي أقوى  
الجامعات وأتمن الروابط وهذا قوله تعالى (ورحمة ربك) بالنبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) أي بما يجمع  
الكفار من الأموال ، فالدنيا على شفا جرف هار ، إن المادة والمظاهر الفانية لا قيمة لها في حضرتنا ، فنحن  
أغدقنا النعم على السواب والأنعام وكثير من جهالة بني الانسان ، ولولا أن تتطلع أعين المؤمنين إلى زهرة  
الدنيا وزينتها إذا غمرنا الكافرين بها وأوسعناها عليهم سعة مطلقة وأن تهلع قلوبهم وتنخلع حين يرون  
الكافرين في أنعم حال وهم في شظف العيش لجعلنا كل كافر في أرغد عيش وأنعم حال ، ولكننا لم نفعل ذلك  
رحمة بالمؤمنين وهذا قوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي ولولا أن يصيبوا كلهم كفارا  
فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا سعة الرزق عند الكفار (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم  
سقفا من فضة ومعارج) ومصاعدا إلى العسالى جمع معرج (عليها يظهرون) يعلنون السطوح لحقارة الدنيا  
وقوله - لبيوتهم - بدل اشتغال (ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون) أي أبوابا وسرا من فضة . يقول  
لجعلنا للكفار سقفا من فضة ومصاعدا وأبوابا وسرا من فضة (و) جعلنا لهم (زخرفا) أي زينة من كل شيء  
ويقال الذهب أيضا فيكون عطفنا على محل من فضة أي سقفا من فضة وذهب أي بعضها من فضة وبعضها  
من ذهب . وإذا كانت المعارج والأبواب والسرر كالسقف كما تقدم يكون بعضها من فضة وبعضها من ذهب  
على هذا التقدير أيضا (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي ما كل ذلك إلا متاعها القصير الفاني وليس  
مما تقدر به قيم النفوس الانسانية فكيف يقولون لولا أنزل هذا القرآن على رجل الخ والعظمة المادية  
لأعلاقة لها بالمناصب النبوية (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصي . ولا جرم أن هذه النعم والسرر  
والأبواب المصنوعة من الذهب والفضة لو أعطيت للمؤمنين حتى يصبح الناس كلهم مؤمنين لأخلت بالمقصود  
من الايمان لأن الترف والنعيم يحجب أكثر العقول عن عالم الروحانيات والرقى العقلى . وقل من يتخلص  
من شرك هذه الآفات ، فالشهوات والزينة والزخارف للعقول أشبه بالقاذورات بالنسبة للأجسام . وكما أن  
الأجسام القذرة يحوم حولها النباب فيلقى فيها بيوضه لتفرخ في القروح والعيون ويخرج ذباب يعيش من  
تلك القاذورات فتكون آلام وآلام هكذا تلك النفوس الضعيفة تعيش فيها النفوس الممائلة لها من عالم

الشياطين وتلقى اليها بغير الفساد فتزعر في تلك العقول وتحبسها النفوس خزيًا وعارًا في الدنيا والآخرة ، ولذلك أعقبه بقوله (ومن يمش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عن نفسه بانهما كه في المحسوسات واشتغاله بالذات (نقيض له شيطاننا فهو له قرين) أى نسب وانضم له شيطاننا ونسلطه عليه . وذلك على مقتضى سنننا الكونية كما سلطنا الذباب على الأجسام القذرة وخلقنا الحيات والعقارب والحشرات في المحال الفسنة لتلطيفا للهواء ورجة بالناس والحيوان هكذا النفوس . فاذا قتلت الحيات أحدا ، أو أصاب الحيوان الذرى الذى لا يرى المسمى بالمكروبات أحدا ، أو عمّ الوباء من ذلك ، فن مات فقد كان هكذا استعدادا ، ومن عاش فانه يكون أقدر على الحياة لقوة تحمله فلم يؤثر فيه الوباء ، هكذا هذه النفوس الموسوسة للضعفاء توقعهم في الذنوب لاستعدادهم فينالون جزاءهم من عقاب الحكومات ، أو اختقار الناس ، أو الأمراض في الدنيا فيكون ذلك عبرة لهم وزجرا لغيرهم ، وتكون نتيجة ذلك الرحمة ، ويشير لذلك قوله تعالى « يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » . فالعذاب بالأمراض الفتاكة والموت والشياطين المضلة . كل ذلك إيقاظ من الله للإنسان ، وإياك أن تدخل في هذا عذاب الكافر ، فوالله إن فيه سرا يحرم افشاؤه تحريما قاطعا ، فاذا عرفته فلا تقله بل ليدفن معك لأن الأمم اليوم لا تستعد لفهمه ، واعلم أن هذا المقام هو نتيجة العلوم كلها دينا وحكمة وتصوفا فن عرف الحقيقة في هذا المقام فقد وصل لله ونال غاية الحكمة ، فاذا عرفت فالزم قال تعالى (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشقين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشقون (انهم مهتدون) لأنهم تلقوا من الشياطين ما يلائم أمرجتهم ويوافق أخلاقهم وألفوه فلم ينكروه اه

### الكلام على المقاصد من العاشر الى الثالث عشر

الى قوله : ومثلا للآخرين

يحسب كفار بنى آدم أنهم على هدى وقد أغواهم الشيطان (حتى اذا جاءنا) الكافر منهم (قال) لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب ففيه تغليب أحدهما ثم التثنية (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم) أشركتم (أنكم في العذاب مشتركون) أى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا ، إن الكافر يمتنى هنا شدة البعد بينهما ، وجاء في آية أخرى « ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا الخ » فأجيبوا بأن الاشتراك في العذاب لا يخفف عنكم شيئا (أفأنت تسمع وهم أوتهدى العمى) فقومك كالصم البكم فلا يقبلون الهداية ، فن عجب أنك تقدر على هدايتهم ، وعطف على العمى قوله (ومن كان في ضلال مبين) في ضلال لا يخفى ، فهؤلاء لا يقبلون الهداية (فأما نذهب بك) بأن نمتك قبل أن نذهبهم (فأنا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أؤزيناك) في حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب (فأنا عليهم مقتدرون) قادرين على ذلك متى شئنا عذبناهم وقد انتقم منهم يوم بدر ، وهذا فيه تسلية له ﷺ لأنه وعده الانتقام منهم على كل حال (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع (إنك على صراط مستقيم) لا عوج فيه (وانه) أى القرآن (لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسألون) عن حقه وأداء شكره ومعنى هذا أن القرآن نزل بلغة العرب ودين الاسلام وعد الله بنشره في الأرض وأبناء العرب هم العارفون باللغة ، فعلى هذا هم المزمون بالقيام بنشر اللغة العربية ودراسة هذا الدين للأمم الأخرى ، فالأمة العربية متى قصرت فيما ألزمها الله به أذلها الله في الدنيا وأدخل المقصرين منها النار يوم القيامة ، ولذلك لما قصرت في واجبها انطمت معالمها ودخلت في حوزة الأمم الأوروبية ، وعسى أن يقرأ هذا أبناء العرب



من اخواننا ويفهموا مركزهم في الأرض أنهم هم المعلنون للاسم ، فلينشروا هذا القرآن وليتبعوا هم لغات الأمم وليكتبوا المصاحف بالعربية ويحكون على الماش تقاسير بلغات مختلفة كالانجليزية والروسية والالمانية وهكذا حتى تعرف الأمم هذا الدين . هذه الآية توجب على أبناء مصر والشام واليمن والهند والعراق أن يكونوا ناشري هذا الدين ، ولكن هم اليوم في الجهالة تائهون ، وسيقوم بخدمتهم كفرة أخرى وترجع أيام عزهم ، وإذا ورد في حديث البخاري ومسلم أن الخلافة في قریش ، وفي البخاري أيضا حديث « ان هذا الأمر في قریش لا يهاديهم أحد إلا أكله الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » وأيضا يقول بعض المفسرين « القوم هم العرب ، والقرآن لهم شرف »

إذا عرفت هذا فتأمل قوله ﷺ « ما أقاموا الدين » فكأن الخلافة جعلت لهم ليحافظوا على الدين فكأن المحافظة على الدين هي المقصودة من خلافتهم ، فالمحافظة أصل والخلافة فرع ، وهذا يشير لمعنى الآية (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أمهم وعلماء دينهم (أجهلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الأوثان ، والمراد تقرير أن جميع الأنبياء على التوحيد فليس ببدع ما جاء به محمد ﷺ حتى يهارض (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) انى بهذا القصص ذا كرا فيه ما يناسب انقام من تفاخر فرعون بعظمته ملكه ، ومن اتهماد لموسى عليه السلام بالسحر كما فعل القوم مما هو مذكور في هذه السورة إذ تمنوا أن تكون النبوة لرجل من القريتين عظيم وجعلوا النبوة سحرا (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) يستخرون (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) من قريتها (وأخذناهم بالعذاب) كنقص الثمرات وارسال الطوفان الخ (لعلهم يرجعون) عن الكفر (وقالوا ياأيها الساحر) سموه ساحرا أى عالما ماهرة باهرا انكارا للنبوة (ادع لنا ربك) فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك ، انا ان آمننا كشف عنا العذاب فأسأله أن يكشفه عنا (اننا لمهتدون) المؤمنون ، فدعاربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) أنهار النيل تجري من تحت قصرى وبين يدي فى جناتى (أم أنا) بل أنا (خير من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير فكيف تكون له رئاسة مع المهانة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للرئاسة (فلولا أتى عليه أسورة من ذهب) جمع أسوار ، وقرئ أسورة جمع أسورة ، وقرئ أساور جمع أسوار ، أى هلا ألقى مقاليد الملك اليه . ذلك انهم كانوا اذا أرادوا تسويد رجل سوره بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يمينونه أو يصدقونه (فاستخف قومه) أى فاستخف أحلامهم بما يبدية من عظمة الملك والرئاسة وجعلها مناط العلم . ولو كان هناك نبوة لسكان هو أولى بها كما قال أهل مكة فى رجل من القريتين (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) إذ أطاعوا الفاسق . هكذا أنتم يا أهل مكة اذا اتبعتم من يجعل النبوة موقوفة على العظمة والجاه وتصبحون كقوم فرعون إذ انتقمنا منهم لما أغضبونا (فلما آسفونا) أغضبونا بالعناد (انتقمنا منهم) فأغرقناهم (أجهين) فى البيم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من السكار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم (ومثلا للآخرين) حديثا عجيب الشأن سائرا سير المثل يضرب بهم الأمثال فيقول الناس مثلكم مثل قوم فرعون



## ذكر المقاصد من ١٤ الى ١٨ وهى الأخيرة

وهى شؤم الحرص على الجدل وعدم جدواه فى إبطال الحقائق . وذ كر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ، وذ كر معاداة قرناء السوء يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين . وذ كر تنزيه الله تعالى . ووصفه بسعة الملك والقدر والحكمة وشهادة الفطرة بذلك . وبالاختصار وصفه تعالى بصفات الجلال والا كرام . وذ كر سعة الصدر والصفح والمسامحة وانها خير الأخلاق

اعلم أن رسول الله ﷺ لما قرأ على قريش « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » غضبوا فقال ابن الزهري : يا محمد أخاصة لنا ولاهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه السلام : هو لكم ولاهنتكم ولجميع الأمم . فقال : ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا . وقد علمت أن النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى ﷺ فأنزل الله تعالى « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبدون » ونزلت هذه الآية (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أى ولما ضرب ابن الزهري عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه (إذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) ترتفع لهم جلبية وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من أسكات النبى ﷺ بجده (وقالوا آلهتنا خير أم هو) آلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه ومع عزير والملائكة (ما ضربوه لك إلا جدلا) أى ماذكروا لك عيسى ابن مريم إلا للجدل والخصومة (بل هم قوم خصمون) جدلون بالباطل ، ولما ذكر عيسى وانه معبود عند النصارى أخذ يبين حاله فقال (إن هو) أى ان عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) وصيرناه عبرة عجيبة كاللؤلؤ السائر (ابنى اسرائيل) فليس معبودا كما يزعم قوم من النصارى ، وانما العبرة فيه انه ولد من غير أب فيفتح للناس باب التفكير والتذكر والفهم والعلم وليست مخالفة العادة فى شيء موجبة لعبادته بل هى مذكرة بعبادة الخالق الحكيم (ولونشاء جعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) على أننا لو نشاء جعلنا ذريتكم ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما خلقنا عيسى من أنثى بلا ذكر وجعلناه رجلا أى لو نشاء جعلناه فى الأرض عجبا كأمر عيسى بحيث يلد الرجل ملكا فيخلفه ، فباب العجائب والنظم المدهشة لا حد له عندنا ، فكم من نواويس خافية عليكم بيدنا تصريفها (وانه) أى القرآن (لعلم للساعة) لأن فيه إعلاما بها ودلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) هذا قول الرسول ﷺ أمر أن يقوله (هذا) الذى أدعوكم اليه (صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان) عن المتابعة (إنه لكم عدو مبين) ثابت عداوته لأنه وسوس لأبيكم ولكم (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل والشريعة لتستبين السبيل لكم (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أمور الدين وحسبها (فاتقوا الله وأطيعوه) فيما أبلغه عنه (إن الله هو ربكم فاعبدوه) وهذا ملخص جميع الديانات اعتقاد الوحداية والتعبد بالشرائع أى العلم والعمل ، انظره فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ فهناك ملخص الديانات فى الأرض مصداقا لهذه الآية (هذا صراط مستقيم) هو من كلام عيسى عليه السلام ، فالصراط المستقيم علم بحقائق ، وعمل بشرائع (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحيزة (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) من المتحيزين (من عذاب يوم أليم) يوم القيامة (هل ينظرون إلا الساعة) والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة (أن تأتيهم بغتة) فجأة والمقصود انها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون) أى غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وانكارهم لها (الأخلاء) الأعباء (يومئذ بعضهم



لبعض عدو) فالخلة التي مبناها الباطل تبطل متى ظهرت حقيقةها ، وهؤلاء يظهر باطلهم يوم القيامة (إلا المتقين) لأن المودة أسست على حقيقة لا تقنى ، واذن ينادى الله للمؤمنين المتحايين في جلاله فيقول (يا عباد لا تخوف عليكم اليوم) عما تلاقونه بعد الموت كما يخاف غيركم (ولأنتم تحزنون) على ما خلقتكم لاعتقادكم اني وكيل حكيم أتصرف في ملكي بالحكمة والعدل ، ولكن الحزن لغيركم ، ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي مخلصين (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (بإطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهي القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) في الجنة (ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون) بخلاف النعيم الذي هو زائل وهو نعيم الدنيا (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) شبهت الجنة في بقائها على أهلها بالديارات الباقى على الورثة ، وتلك اشارة الى الجنة المذكورة والجنة خبر وقوله (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فيه إيماء الى انهم يأكلون بعض الثمار والباقي عشرين لشجره . وفي الحديث «لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها إلا ثبت مكانها مثله» (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفترونهم) لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) في العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحبرون (وما ظلمناهم) بالعذاب لأننا نضع كل مخلوق في مرتبته (ولكن كانوا هم الظالمين) هم ضمير فصل . يقول : إن العذاب راجع الى الاستعداد الفطرى لنقص في قابليتهم ولم يخرج ذلك عن ترتيب الدرجات على مقتضى الاستعداد ، وهذا ليس من الظلم في شيء . فالفاعل يعطى والقابل ليس بأهل لما يفاض عليه (ونادوا) لما يشعرون من فتور العذاب (يا مالئ) وهو خازن النار . قيل لابن عباس : ان ابن مسعود قرأ «يا مالئ» فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقص علينا ربك) ليمتنا . يقال قضى عليه أمانه أى سل ربك أن يقضى علينا (قال إنكم ما كاثون) لا بثون في العذاب لا تلتخصون منه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) أى لقد جئناكم معاشر الملائكة بالحق حينما أوحى الله الى الأنبياء بواسطتنا (ولكنكم أكرهتم الحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه ، لأن الحق يوجب التعب والباطل يوجب السكسل (أم أبرموا أمرا) أى بل أحكم مشركو مكة أصرا من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ (فأنا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم ، وكانوا يتنادون ويتناجون في أمر رسول الله ﷺ في دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمةهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمة لهم (يكتبون) ذلك (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) منكم أى لو صح وثبت برهان صحيح تورودونه وحجة واضحة تدلون بها أن للرحمن ولدا لكنت أسبقكم الى طاعته كما تعظمون أنتم أبناء ملوككم فاني أول العابدين وهذا وارد على سبيل المبالغة في نفي الولد ، يقول : واذا كنت أنا لم أعترف بولد بدليل اني لم أعبد مع إني أقرب الناس الى الله ، فالولد منفي حتما أى فانتفاء الولد صرت على انتفاء عبادته ضرورة انتفاء المزموم بانتفاء لازمه ثم نزه نفسه فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى عما يقولون من كونه ذا ولد . ألا ترى أن الكواكب والشموس والأحجار والمعادن كلها لا تلد المثل كما يلد الانسان والحيوان . وذلك لأن هذه العناصر المركبة منها تلك العوالم موضوعة للتجليل والتركيب فهي جعلت أصولا للأحياء تبراها عما يتصف به الحيوان من توليد المثل ، فالحجر لا يلد حجرا ، والأرض لا تلد أرضا مثلها ، وكذا السماء والهواء والماء ، فاذا كانت هذه التي جعلت أصول الأشياء تبراها عن الولد فكيف يلد مبدعها ! (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو القيامة (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أى وهو الذي هو في السماء معبود وفي الأرض معبود لا إله إلا هو وإنما قلنا هو في السماء لأجل صناعة الاعراب ، وقلنا معبود بدل إله ليكون مشتقا يتعلق الظرف به (وهو الحكيم)

في إبداعه وصنعه في السموات والأرض (العليم) بجميع النتائج والمقدمات ، والأسباب والمسببات ، بحيث تخللت الحكمة التي قوت بالعلم كل رطب ويابس ، وجميل وحقير ، وهذا هو الذي يبرهن أنه المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض لأن من يشاهد اتقان الحكمة فيهما يجد نظاما واحدا وحكمة متسقة . هذا معنى الآية . ولما كان الناظر في علم الطبيعة والفلك وقد درس علوم الرياضيات ونظر في هذا النظام يدعش لما يجد من العجائب والاتقان والصنع البديع ، ويحار لبه من تلك الحكيم التي لا نهاية لها في أصغره كما يراه في جلائل المخلوقات أرففه بقوله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) والتعبير بتبارك لا يقوم مقامه تمبير في اللغة حتى يؤدي ما شور في نفوس الحكماء والعلماء من مدهشات هذه الدنيا وغرائبها بحيث يرى العاقل في أدق الأشياء بدائع تحير العقول ، مثلا ترى الملح الذي نأكله ممّ ركب؟ ركب من عنصرين أحدهما عبارة عن مادة إذا وضعت في الماء التهب الماء فصار نارا ، والعنصر الآخر سم مهلك قاتل ، فيعجبا ! عنصران : أحدهما نار والآخر سم ، لا نعيش في الدنيا إلا بتعاطي المركب منهما صباحا ومساء ، ولو نظر الحكيم الدارس علم الحيوان في قطعة صغيرة من جناح الناموسة لاطاع على تفاصيل ودقائق وأوردة وشرابين ولرأى في إطارها ما يشبه الريش محيطا به ، وهكذا قد كشف العلماء بما نظروا بالمنظير المعظمة غرائب ينطق عندها العاقل قائلا « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما »

### حيوان ذري يدير دولابا

قد اطلعت بواسطة المنظار المعظم عند الاستاذ شوقي بك بكير المدرّس بمدرسة الزراعة بحوان على بركة ماء يبلغ عمقها في النظر عشرة أمتار وفيها حيوانات كثيرة أصف واحدا منها بأنه يحمل عجلة وهو يديرها في لجج الماء الغزير لتحصيل رزقه ، ولعلك تقول : وما هذه البركة ؟ أقول لك انه قد بل الزجاجة برطوبة من بركة هناك عنده ، فهذه الرطوبة لما وضعت تحت المنظار ظهرت هكذا وفيها تلك الحيوانات والنباتات والآلة الدائرة لتحصيل الرزق مع ان هذا الحيوان ودولابه الدائر لواجتمع هو وآلاف مثله لم تره أعيننا فضلا عن عجلته أو دولابه . هذه المعاني وأمثالها هي التي يحملها قوله تعالى « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما » فهذا مما بينهما ، وأعلم أن العقول الانسانية تبقى راكدة حتى تحركها أمثال تلك العلوم وانهاض القلوب على قسمين : قسم بما قلناه من أمثال تلك العلوم اذا قرئ على الوجه الذي قررناه . وقسم بظهور أصحاب العقول السديرة الذين يحملون الشعوب على اتباع خطة الكمال ، وقد آن أوان ظهور الأمرين معا في أمة الاسلام فسيظهر أهل العقول الكبيرة ومعهم تلك الحكم الغالية ، وهذا هو الذي يدعى الأمم ورفقها ، ولما كانت هذه العجائب لا يعلمها إلا الله وحده ، والناس لا يعلمون إلا قليلا مع انها بين أيديهم كانت الساعة أولى أن يجهلوا فأعقبه بما يدل على ذلك فقال (وعنده علم الساعة) التي تقوم القيامة فيها (واليه ترجعون) للجزاء ، ولما كان ذلك اليوم يكون فيه الحساب والشفاعة قال (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) من معبوداتهم كالأصنام والملائكة والمسيح (إلا من شهد بالحق) بكلمة التوحيد (وهو يعلمون) أن الله ربههم حقا ويصدقون ذلك ، فهؤلاء هم الذين يملكون الشفاعة كالملائكة والمسيح لأن الشفاعة على مقدار وصول الآثار العلمية والدينية وكل من وصله علم المسيح قبل النسخ وهكذا المؤمنون من جميع الأمم الذين لم تنسخ دياناتهم يشفع لهم أنبيائهم وعلمائهم وشهادتهم كما في الحديث والملائكة من باب أولى لأنهم الواسطة (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الأصنام (فأني يؤفكون) فكيف أومن أن يصرفون عن التوحيد وهذا أقرارهم ، ثم عطف لفظ قوله من (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) على الساعة أي وعند الله علم الساعة وعلم قول الرسول محمد ﷺ « يارب الخ » وقرئ مجرورا ومنعوبا وهو



في الثاني عطف على محل الساعة لأن إضافة العلم للساعة من إضافة المصدر لمفعوله فاحتاجها نصب ، فلما شكنا  
 ﷺ إلى ربه عدم إيمانهم أجابه الله قائلا (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم وأنت آيس من إيمانهم  
 (وقل) لهم (سلام) أي متاركة فلا تدع عليهم بالعذاب ولا تدعهم للدين (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم  
 وقصر عليهم . انتهى التفسير اللفظي

### في هذه السورة سبع لطائف

- (١) في قوله تعالى ... إنا جهنماء قرآنا عربيا ... مع قوله ... وانه لنذكر لك ولقومك وسوف تسألون -  
 وقوله ... وانه في أم الكتاب لدينا ... الخ
- (٢) وفي قوله تعالى ... ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم - إلى  
 قوله ... وانا إلى ربنا لمقلبون - مع قوله ... سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما  
 يصفون - إلى قوله ... فأني يؤفكون -
- (٣) وفي قوله ... بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ... الخ
- (٤) وفي قوله ... قالوا هذا سحر وإنا به كافرون - مع قوله ... وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك - الخ  
 وفي قوله ... لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - مع قوله ... فلولأ ألقى عليه  
 أسورة من ذهب - وقوله ... أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون -
- (٥) وفي قوله ... حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين - مع قوله ... الأخلاء يومئذ  
 بعضهم لبعض عدو إلا المتقين -
- (٦) وفي قوله ... وانه لعل للساعة فلا تمترن بها -
- (٧) وفي قوله ... فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا -

### اللطيفة الأولى والثانية

قد علمت فيما مضى من السور أن « حم » تشير في هذه السور إلى الحمد ، وأن الحمد هو مناط العلوم  
 كلها والحكمة ، فأول هذه الأمة الإسلامية حمد ، وآخرها حمد ، وفي صلاتها حمد ، وفي أكلها حمد ، وفي  
 لبسها حمد ، وفي سفرها حمد ، وفي جنتها حمد ، يقولون : « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » وأيضا على  
 لسان الملائكة حمد لأنهم يسبحون بحمد ربهم والحمد يكون على النعم ، والنعم لا يحمد عليها إلا اذا عرفت ،  
 فرجع الأمر إلى العلوم ومعجائب الصنع والحكمة في السموات والأرض . أما علوم اللغة من النحو والصرف  
 والمعاني وأمثالها فما هي إلا آلات . وأما علوم الفقه ومقدماتها كالأصول وما يلحقها من علوم الجدل فانما  
 هي للقضاء وحفظ نظام السولة الظاهري . أما امتلاء العقول بالحكمة واطهار رجال عظماء في أمة الاسلام  
 وحفظ البلاد من تألب الأمم عليها ورفدها بالخيرات والثروات والنعم ، فذلك لن يكون إلا بعلم السموات والأرض  
 وبعلم الكيمياء والنبات والحيوان والتشريح وطبقات الأرض والهواء والبحار . ألا تراه ابتداء السورة قائلا  
 « حم » مشيرا بالحمد ، ثم أعقبه بذكر القرآن العربي لأنه الدليل على ما يجب على الناس ، ثم أبان منزلته  
 في عاونه تعالى وحكمته فهي أعلى المنزل وهو موسوم بالحكمة ، ومن الحكمة ما ذكره في اللطيفة  
 الثانية من شهادة الفطر بأن الله خالق السموات والأرض صاحب العزة والعلم الذي مهد الأرض وجعل فيها  
 السبل وأنزل الماء من السماء فأخرج به النبات والأنعام وجعل السفن وأيضا ذكر انه معبود في السموات  
 والأرض ورب السموات والأرض ورب العرش . كل ذلك مناط الحمد المرموز له بلفظ « حم » فالحمد لله  
 رب العالمين

والترربة هنا أضيفت الى السموات والأرض وأضيفت الى العرش ، فيرجع مدار اسعاد أمة الاسلام الى معرفة العلوم كلها ونزيرة الله لها ، وهذا هو الذي بيناه في (سورة الفاتحة) فارجع اليه فانه أشارت لمجامع العلوم ، وكان سور آل حم جاءت مضمحللات للمحمد المذكور في الفاتحة ، وقد جعلت آل حم رياض القرآن وعلوم عند كبار الحكماء من أمتنا الاسلامية أن رياض الجنة العلوم ، والفاتحة بها تفتح أبواب الجنات وهي العلوم عند الحكماء في الاسلام وتفتح أبواب الجنات الحسية عند العامة ، فليس يعقل جنات العلوم إلا الذين أدركوها في هذه الدنيا ، فهؤلاء يتمتعون جنات العلوم ولا ينهمهم الجنات المحسوسة ، والمامة وصغار العلماء لا ينظرون إلا الى الجنة المحسوسة ، ففي هذه السورة أشير الى مجامع الحمد بالآيات التي ذكر فيها السموات والأرض وأضيف الرب الى العرش تارة واليهما تارة أخرى ، وكذلك شهدت الناطر بأن الله خالق ذلك كله ، وهذا القول منزل للأمة الاملا ، في كل ما عريها وعجبها ، انما الذي يدعش القول ويجير لأبواب أن أبناء العرب اليوم مسئولون أمام الله وهم نائمون

يا أبناء العرب : يا من أتم اليوم في شمال افريقيا في تونس والجزائر ومصر والشام والعراق واليمن والحجاز وغيرها ، أأنتم نيام ، ألا تنظرون ، ألا تفكرون ، اسمعوا كلام ربكم ، يقول : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ووصف هذا القرآن بأنه على المنزلة ، حكيم النظم والمعنى ، ثم في نفس هذه السورة قال : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وهذا أمر عظيم ، فأبناء العرب اليوم مسئولون عن هذا القرآن وحقه ونشره بين الأمم ، انكم يا أبناء العرب لاتقدرون أن تنشروا هذا القرآن إلا اذا كنتم أنتم للعلوم دارسين ، وللحكمة عاقلين ، حتى اذا نشرتموها نشرتم ما يشير اليه من العلوم ، وليس معنى هذا أنكم تدرسون كل علم وكل فن . كلا . بل أقول ان من اطلع على ما كتبت في هذا التفسير وقرأ بعضه بنظام في جميع القرآن فقد أدرك كيف يدعوا الى القرآن ، إن الله يا أبناء العرب سائلكم فشمروا عن ساعد الجد ، يا أبناء العرب فتم عن هذا القرآن بما كان لكم من الصولة والدولة وقام بنصره فريق من أمة الحجم جزاهم الله خيرا ، ولكن أنتم أصل اللثة ، فاذا نشرتم القرآن وكنتم عاقلين بالحكمة انقادت لكم الأمم اتقيادا أدبيا والأمم اليوم لانعرف إلا الحجة ، فلتسكن لكم جميعات منظمة تدرس نظام هذه الدنيا ومقاصد القرآن مع الامام ببعض اللغات

يا أبناء العرب : إن أهل أوروبا يريدون منكم نشر دينكم . يا أبناء العرب : أقول لكم ذلك عن علم فاني سمعت (الورد هدى) الانجليزى لما حضر الى الجامع الأزهر وهو يخطب يقول : « إن ثلاثة أرباع الامة الانجليزية اليوم يريدون أن يسلموا ، وما منعهم إلا أنهم لا يجدون قوة علمية مع هذا اللورد ومن معه تقوم بنشر حقائق دين الاسلام ويكونون قوة محتج بها من أراد اعتناق الدين أمام آبائه واخوته وأصحابه » فأينما الى الاوروبي وجهه لا يجد عربيا واحدا ينصر هذا الدين ويقيم الحجة ويعلم الدين هناك

يا أبناء العرب : هذا زمان مجركم . يا أبناء العرب : ان ربكم يقول « وسوف تسألون » . أما نبينا ﷺ الآن فليس بمسؤول لأنه بلغ ونحن الآن المسئولون ، نسأل بين يدي الله تعالى ، ان الأمم شئت تلك الديانات الباردة والتي فترت ، ودينكم هو الذي يليق بالعصر الحاضر

فاذا عرضتم عن نشره فاعلموا أن الله لكم بالمرصاد ، فالنار تحت الأرجل في باطن الأرض ، والنار قد ظهرت في الأعمال الحربية في أوروبا ، وأصبحت الأمم المقصورة في العلوم الواجبات تحت رجة أصحاب النار الذين يرسلونها من طياراتهم ، فهبوا من رقدتكم واقروا العلوم كما أوضعتها في هذا التفسير . ثم لتسكنوا شهداء على الناس ، ولتسكنوا حزب الله لتسكنوا ناصري العلم والحكمة ، لتقوموا بتمدين النوع الانساني بعد أن ترتقوا ، ليس في الأرض اليوم شعب يتدبر أن يقوم بهذا غير العرب ، العرب قاموا بدورهم أيام



القرون الأولى ولكن دورهم الحالي أهم وأعظم ، دورهم الحالي قراءة العلوم كلها ونشر القرآن بتكتمه هو الذي يفهم الأمم أن العلوم المنتشرة في الدنيا يطلبها القرآن

قولوا يا أبناء العرب للأمم : هذا القرآن نزل بلفظنا ونحن نحفظه وتركنا العلوم وربنا الذي هو ربكم ورب كل شيء أطمعكم أن تستخرجوا العلوم من كنوزها في الأرض وفي السموات ، فذن هو أنزل إلينا لفظه وألهكم ما تضمنه من المعاني ، إن ربنا عدل حتى لا نقول نحن سادات العالم بالعلم والدين ، وحتى لا تقولوا أنتم نحن سادات العالم بالأميرين ، فأعطانا ديننا حقاً ، وأعمالكم سره ، فمعدنا لفظه وعندكم معناه ، ونحن اليوم نقرؤه عليكم ونبين مواضع علومكم منه وهي تتخلل كل سورة وكل آية ، بل الحروف الطعجائية في أوائل تشير إلى مجامع علومكم ، فليسنا نفتخر عليكم ولستم تفتخرون علينا ، فإذا قلنا هو ديننا نزل بلساننا تقولون أنتم ولكن الله أظهر أسرارته على أيدينا وقوله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » يشير إلى الآيات التي ظهرت على أيدينا . وقوله « سيريكم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » كذلك ، فاذن أنتم حملتم لفظه وبعض معانيه ، ونحن قرأنا ما هو مقصوده ومعناه ، والله هو الذي أحوج أهل الشرق لأهل الغرب كما أحوج أهل الغرب لأهل الشرق ، فهو لاء بدينهم وهو لاء بملهم ، وهذا مما يشير له الحديث « ليلبلغ الشاهد منكم الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع » فنحن المبلغون وأنتم المبلغون ، والله أراد أن نتعارف وبمثل هذا يتم التعارف ، فنحن معاشر الأور وباوين أخذنا العلم عن آبائكم ، آؤكم أخفوا العلم عن أمم أخرى ونحن دخلنا العلوم من أبوابها وأظهرناها فقرأتموها ، فلما الفضل في حفظها وارتقاؤها ولستم الفضل في حفظها سابقا وفي حفظ الدين اللاحق سابقا ولاحقا . هذا هو الزمان الذي يقال فيه هذه المحاورات والله هو الولي الجيد

واعلم أن هذا الأسلوب من الدعوة هو الذي سينشر في مستقبل الزمان وهو بعض الذي يقصد من قوله تعالى « لينظروا على الدين كله » وهذا ظهور حجة وبيان ، وقد ظهر كثير من ذلك أيام الحروب الصليبية ، فان أهل أوروبا كانوا كالوحوش جهلة قبيل التاريخ ، ثم أخذوا في الرقي شيئا فشيئا ، ولما جاءت الحروب الصليبية خلعوا لباس الجهالة ولبسوا لباس الحكمة ، وأذكر لك من ذلك :

(١) إن البابا كان معتبرا عندهم كالقبط عند المسلمين ، وكان له الملك السياسي في الأرض التي تحت سلطته ، وقد ملك أهل إيطاليا سنة ٧٢٦ ميلادية الموافقة سنة ١٠٨ هجرية البابا عليهم فجعلوه رئيس الجمهورية ، ثم توسع أتباعه في ذلك قريبا بعد قرن حتى صاروا يزلون من يشاءون ويعزلون من يشاءون من ملوك أوروبا

(٢) وكان لكل ملك تاج ولهم ثلاثة تيجان

(٣) وكانوا إذا ركبوا يمسك لهم الركاب ملوكهم

(٤) وإذا أمروا بمحاربة أمة لا يخالفهم أحد

(٥) ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي

(٦) وكان البابا مرة ألزم إمبراطور ألمانيا أن يقف حافيا ثلاثة أيام في فصل الشتاء أمام باب قصره ليطلب منه الغفران

(٧) ورفس البابا مرة برجله تاج ملك جرمانيا حيث كان جائيا أمامه يطلب الغفران

وبهذه الأفعال أخذت سطوة البابا تنحط شيئا فشيئا إلى سنة ١٢٨٨ هجرية فدخل الإيطاليون عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه رئيسا على الكاثوليك ومقره في الكنيسة الرومية . وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الأولى والثانية والحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون  
هذه الآية وأمثالها كثير في القرآن قد تقدم القول عليها في غير ما موضع فإن النوع الانساني لكونه  
في هذه الأرض التي تعتبر أنها في الطبقة المتأخرة من العوالم ليس كاملا كل السكالم فهو في عالم متأخر يمشي  
الحيوان الذي لا رأى له بل يسير بما فطره الله عليه ، فأدنى الانسان قريب من الحيوان ، قل في المفسكرون  
الذين يجتازون تلك الأسوار المنيعه ، والحصون الشاهقة ، والأشواك الشائكة ، والطرق الوعرة ، والبحار  
الواسعة ، والجبال الشاهقة الفاصلة بينه وبين التفكير ، إن الناس خلقوا بين أوهام وآراء تنقب أمامهم سدا  
وحائلا أشد مما ذكرناه ، فإذا ما أنار الله بنسائر الناس هدموا تلك الحصون ، وأزالوا تلك الجبال ، وكسروا  
تلك الحوائل ، وعبروا الأنهار ، ووصلوا الى الحقائق سامية ، وكثير منهم يهلكون في أثناء الطريق لعدم  
قدرتهم على تلك المشاق العظيمة

هذا كله من التقليد الذي ملك مشاعر هذا الانسان الذي يعيش بالتقليد ويموت على التقليد بل جميع  
الديانات تقليد ، فالمسلم والوثني والنصراني كلهم مقلدون ، متبعون لامبتدعون ، والله أظهر قهره للانسان بهذه  
الأسوال ليفكر المفسكرون ، ويعتبر المتتبعون ، ويخرج في كل أمة مجتهدون عاقلون ، وقوله تعالى في هذا  
المقام « قال أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » فتح باب للنظر والعلم ، ان الأمة الاسلامية في  
الأعصر الأخيرة غفلت عن هذا النور ، فهم أمسروا بهذه الآية أن يتبعوا ما هو أهدى وما هو أحسن كما في آية  
أخرى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فنحن مأمورون باتباع الأحسن وباتباع الأهدى في  
كل زمان ، هذه فتح باب للنظر في كل صناعة وكل علم ، فلندرس طرق البعش والهواء والحرب والسلام والسياسة  
ونتبع ما هو أسلم لنا . هذا هو الدين . وهذا هو القرآن . وما سواه ضلال . تم الكلام على اللطيفة الثالثة

### اللطيفة الرابعة

في قوله تعالى « قالوا هذا سحر وانما به كافرون » مع قوله « وقالوا يا أيه الساحر ادع  
لنا ربك » وقوله « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » مع قوله  
« فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ »

الناظر في هذه السورة يرى أسرار القصص واختلاف نبي موسى عليه السلام فيه مسائل كثيرة نذكر هنا  
ما يناسب المقام . أنه تعالى ذكر قول مشركي مكة هذا سحر ، وأتى من قصص موسى عليه السلام  
بما يناسبه فقال « وقالوا يا أيها الساحر » وأيضا هزم الله فرعون ونصر موسى ، فهكذا محمد ﷺ يكون  
مثله وقد تم ذلك فانهم قالوا ساحر كما قال قوم فرعون لموسى ، ثم نصر النبي ﷺ كما نصر موسى . وأيضا  
قال مشركو مكة : إن الأولى بالنبوة الرجل العظيم في المال والجاه ، فهكذا قل فرعون « أليس لي ملك  
مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » وقال أيضا « فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ أي ان النبوة  
انما تكون لمن أعطى الملك وعزة الحياة الدنيا ، وكانت نتيجة ذلك أن نصر موسى هكذا يا محمد سيكون  
شأنك وقد تم ذلك ، واعلم أن هذا المقام يفتح لك باب التفكير في قصص القرآن . وبدلنا أن هذا القصص  
غير مقصود لذاته فيؤتى منه بالشواهد التي تكون تسليية للنبي وللمؤمنين وحكمة ، وهذا يدلنا أن التواريخ  
ليست مقصودة لذاتها بل يراد بها الحكمة والعلم وانتهاج الطهارة المثلى . فانرجع الى قصص القرآن ونفكر في  
المقصود منه لاني أصل القصة وحقائقها فان ذلك ليس مقامه بل مقامه الاعتبار والحكمة والنتائج وهذا من  
غرائب الحكمة والعلم



فالحكمة في ذلك أن لا يدرس التاريخ إلا للتأنيح ولا يترك سبيلاً ، بل تنظم دروسه ، وتتخذ نتائجها مناراتهم تدل به الأهم الإسلامية ، فليقرأ المسلمون تاريخهم ، وليأتوا بمقامه الحكيم ، والله حكيم عليم . انتهى  
اللطيفة الرابعة

### اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى « حتى إذا جاءنا قل يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » وقوله « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »

في هذه الآيات أصول المحبات والعداوات ، إن المحبة لا تكون إلا بأسباب ، ولا محبة بلا سبب ، فمن قال « أنا أحب فلانا لله » ظاناً أنه لا سبب له فهو جاهل ، بل المحب حنان : يحب في الله ، وحب في غير الله . فأما المحب الذي هو لله فهو المبني على العلم والطاعات والحكمة ، ولذلك ترى الذين استووا في أخلاق واحدة وعالوم متعحدة وعقائد صادقة تكون بينهم المودة والمحبة على مقدار تكامل هذه الصفات فيهم ، وكلما تباعدت الصفات تقاصرت المحبة حتى إذا ما تنافرت أغلبها حصل التنافر العظيم ، فمن كانت موداتهم ترجع إلى الطاعات فخيرهم في الله ، ومن كانت موداتهم على الشرور كالقتلة والفسقة فهي لغير الله ، ومستحيل أن تكون محبة بلا سبب . فإذا قال امرؤ أنا أحبك لله وظن أنه لا سبب له فهو مخطئ ، وعلى ذلك إذا أحب الإنسان أباه وأستاذه وتلميذه والصانع الذي صنع له غذاءه فكل هذا المحب في الله لأن الأسباب التي أوجبت المحبة لامعية فيها لأنها إما مباحة ، وإما واجبة ، أو مندوبة .

### نتائج تلك المحبات

وتكون نتائج تلك المحبات بقاء ما كان أصله الطاعة وانحلال ما كان أصله المعصية ، وبيانه أنك ترى القتل والفسقة والذين يشربون الخمر وأمشاطهم مجتمعون ويتحاربون ، فإذا وقفوا أمام القضاء أقر كل منهم على صاحبه بقتل أو بسرقة ، فذهبت تلك المودات ، وضاعت تلك الصداقات ، فهذا الذي نراه في الدنيا هو بعينه ما يرى يوم القيامة وبعد الموت ، فإن من أخطأ جاهل يعرف بعد الموت أن ضلاله من اضلال قريته فيكرهه يوم لا ينفع ذلك ولا الندم على ما حصل . فأما المتقون الذين كانوا على الصلاح وعلم الحقائق فانهم بعد الموت لم يروا ما يناقض أسباب مودتهم ومحبتهم ، فتزيد الألفة الجامعة كما تهتت الألفة الفاسدة . هذا معنى قوله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » انتهى اللطيفة الخامسة

### اللطيفة السادسة

في قوله تعالى : « وانه لعلم للساعة »

تقسم أنك قرأت أن الضمير يرجع للقرآن لأنه مشتمل على بيانها فهو مبين لأمر الساعة ، وهذا الرأي على غير ما قال به جمهور المفسرين فانهم قالوا إن الضمير يرجع لعيسى عليه السلام ، وفي هذا الاحتمال وجهان : الأول أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ونزوله يعلم به قرب الساعة ، وقرئ علم كقمر أى علامة على قرب الساعة . الثاني : أن إحياء الموتى باذن الله دليل على أن الله قادر أن يحيي الموتى يوم القيامة . فهنا يكون الوجه الأول والوجه الأخير لادليل فيهما على نزول عيسى آخر الزمان . والوجه الثاني هو الذي يدل . ولذلك ترى التفتازاني وبعض العلماء لم يجهاوا في الآية دليلاً على نزول عيسى عليه السلام .

إذا عرفت ما ذكره العلماء في القرآن فهل لك أن تسمع الأحاديث الواردة في الصحيحين في أمر عيسى عليه السلام

(١) في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد »

وفي رواية أبي داود . قال : « ليس بيني وبين عيسى نبي » وأنه نازل فيكم الخ . وفي حديث الشيخين قال رسول الله ﷺ : « كيف أتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم »  
وهناك روايات أخرى ليست في الصحيحين مثل أنه يقتل الرجال ، وأنه يأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الإمام فيقتله عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ويخرب البيع والسكناس ويقتل النصارى إلا من آمن

هذا ما جاء في الروايات ، وقد علمت ما صرح منها ، فأما أعداء أهل البيت عن الشيخين ، ومحصل الكلام في أمر عيسى عليه السلام أن القرآن لم ينص عليه فإن في الدليل احتمالا ، وأتى في الصحيحين ما سمعته وما زاد فليس فيهما

### الكلام على المهدي

واعلم أن الكلام على المسيح يستدعي الكلام على المهدي ، وخير من كتب في اسمه هو العلامة ابن خلدون ، لقد عقد فصلا لهذا الموضوع . هكذا « فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك » وقد ذكر في هذا الفصل الأحاديث الواردة في المهدي ونزوله في آخر الزمان وآراء المتأوفة وكبار الشيوخ ومحض الموضوع تمهيدا

### الأحاديث المروية

ذكر الأحاديث التي رواها الترمذي وأبو داود والبزار وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي ، وذكر أنهم أسندوا تلك الأحاديث إلى الصحابة رضي الله عنهم مثل عليّ وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم هانئ وقرّة بن إياس وعليّ هلالى وعبد الله ابن الحرث . وقال إن تلك الأسانيد عارضها قوم بالانكار . والمعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل . ومن جملة الأحاديث ما رواه أبو بكر الاسكاف : « من كذب بالمهدي فقد كفر ، ومن كذب بالرجال فقد كفر » وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك . ويقولون إن أبا بكر الاسكاف عندهم منهم وضاع للأحاديث . وهناك ذكر الأحاديث الكثيرة مثل أن المهدي يكون اسمه على اسم النبي ﷺ واسم أبيه على اسم أبيه ﷺ وقد أطل في ذلك واستوفى المقام ، وكنت أودّ الإطالة بذكره ولكن المقام لا يحتمل ذلك في مثل هذا التفسير . ثم قال : فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان ، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه . ولقد تقدم الكلام في هذا الموضوع مطولا في أول سورة الحج فارجع إليه إن شئت

### آراء الصوفية وكلامهم في أمر المهدي

ذكر العلامة ابن خلدون في هذا المقام أن الدلف الصالح من الصوفية ما كانوا يتعزّون لمثل هذه الأمور ، فلا يذكرون المهدي ولا خروجه وكانوا يحرضون على المجاهدة وتناجها ، وكان الامامية والرافضة من الشيعة يرجع كلامهم إلى التبرّي من الشيخين أولا ثم حدث فيهم القول بالامام المعصوم وألفوا كثيرا في ذلك . وجاء الاسماعيلية منهم فادّعوا ألوهية الامام بنوع من الحلول . وآخرون يدّعون رجعة من مات من الأئمة على طريق التناسخ . وآخرون ينتظرون مجيء من يقطع بموته منهم . وآخرون منتظرون عودا لأمر في أهل البيت مستدلين بتلك الأحاديث المطعون في أسانيدها . ثم ظهر عند المتأخرين منهم الكلام في الكشف



ومصرقة ما وراء الحس والقول بالحلول والوحدة فشاركوا الاسامية والرافضة القائلين بألوهية الأئمة وحاول الإله فيهم ، وهكذا القول بالنقط والابدال وهو يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء ، وأشربوا أقوال الشيعة وظهر في كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة مثل ذلك في الفاطمي المنتظر . كل ذلك مبني على أصول واهية ، ومن هؤلاء ابن سبئين

وقال ابن عربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه : « وهذا الامام المنتظر من أهل البيت من ولد فاطمة ، وظهره يكون بعد مضي ستمائة وثلاث وثمانين سنة ، ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر أخذوا يؤولون ولم يتم شيء . قال : وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة من اليوم الحمدي الذي ابتداء وفاته عليه السلام ونهايته ألف سنة »

وذكر الكندي أن هذا الولي يجتد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويفتح الهند ، ويصل الى رومية فيفتحها ، ويسير الى المشرق فيفتحها ، ويفتح القسطنطينية ، ويصير له ملك الأرض ، فيقوى المسلمون ، ويأبوا الاسلام ، وحدد لذلك سنة سبعمائة وثلاث وأربعين ، ثم يعقب ذلك سبع سنين للدجال ، ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر ، فيصالح الدنيا ، وتمشي الشاة مع النسيب . وأطال في ذلك رجه الله وأثار قبره وأنعم عليه بالنظر الى وجهه الكريم

إني حينما أقرأ أمثال هذا في كتب أسلافنا يأخذني الأسف على هذه الأمة المسكينة التي كثرت فيها الخلاط والخطب والتحريف ، حتى إن أكبر العلماء يضل في مثل هذه الامور . ومن العجيب أنه ينقل عن متصوفة عصره ما سمعه من متصوفة عصرنا ، وكل له خبط وخطأ وأمانى وأضاليل . وقال انه سمع في عصره عن المسمى أبا يعقوب البادسي كبير الأولياء بالمغرب في أول المائة الثامنة ان ظهور المهدي قريب ، فالأولون والآخرون يقولون وينتظرون وتذهب الأعمار ولا يحصلون على طائل

### رأي العلامة ابن خلدون

يقول : ان الملك لا يقرم إلا بشوكة وعصبية . يقول : وعصبية الفاطميين في زمانه قد تلاشت وهكذا قرش أجمع . وظهرت أم غلبت عصبيتها عصبية قرش . ثم قال : إن بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة بنى حسن وبنى حسين وبنى جعفر . قال : فانما صح ظهور مهدي فليكن منهم . وخلص كلامه أنه لا يظهر إلا في عصبية . وأما مجرد النسبة الى آل البيت فلا يكفي

وقد ذكر جماعة ممن قاموا بدعوة المهدوية ولا عصبية لهم فقتلوا (مثال ذلك) انه قام رجل ينتحل التصوف وادعى المهدوية برباط ماسة لأول المائة الثامنة فاتبه خلق كثير من السنوس ، فدرس عليه رؤساء المصامدة من قتله بيانا وانحل أمره ، وكذلك ظهر قبله بسنين قليلة رجل يسمى العباس وادعى انه الفاطمي واتبه قوم ، ودخل مدينة فاس عنزة وأحرق أسواقها ، ودخل غيرها فقتل في المزمة غيلة وانحل أمره

### فكرة عامة في مسألة عيسى عليه السلام والمهدي

قد رأيت أن المهدي أحاديثه مطعون فيها وليس له في القرآن ذكر ، وقد ظهر بعد أيام العلامة ابن خلدون الشيخ السنوسي ، ويقول أتباعه انه المهدي المنتظر ، وهكذا ظهر في السودان المهدي السوداني وهو الذي تركته دولة انكائرا حتى استفحل أمر النعاش بعده ، وانقضت عليه بعساكر بلادنا وعساكرها وهي تحكم بلادنا المصرية ، فازالت الملك وانتهى أمر المهدي أجد . وقد ظهر في الاسلام بعد ابن خلدون أيضا من قال انه هو عيسى وهو بهاء الله في بلاد الفرس وأتباعه يسمون البهائية ولهم انتشار في أوروبا وأمريكا وظهر في زماننا رجل في الهند جعل نفسه عيسى المنتظر . ويقال انه نسخ الجهاد وأقر لانكائرا بأن

تتوكل المسامين وهو بذلك مستبشر فرح وهو الملقب بالقباداني  
 فيا ليت شعري ماذا ينقذ الاسلام من هذه المصائب التي حلت به . خرج المهديون وقد كثروا فمنهم من  
 قتل ومنهم من بقي ملكه سنين ومئات السنين ثم ذهبت دولهم وخرج الذين يقولون انهم هم نفس عيسى  
 الموعود به في القرآن احتمالا وفي الحديث صريحا والأمة في ذلك لا تعرف كيف يكون المخرج ، وإذا كان في  
 الاسلام الآن « عيسىان » ولكل عيسى منهم أتباع ربما جاء بعدهم غيرهم وهكذا ، إن هذا تفريق  
 لدين الاسلام واضعاف له ، فالهامة بخرفون بالمهدي قديما وحديثا ، ويرون من يقول أنا عيسى فيعذر أمر  
 الناس في ذلك « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

### رأى المؤلف

اعلم أن الأمة الإسلامية لا يخرج لها من الجهالة العمياء والنزلة إلا بدراسة العلوم والوقوف على الحقائق  
 ليكن فيها اختصاصيون في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ والحديث والتصوف وهكذا حتى يتقن الخواص  
 على حقائق هذه الدنيا ، واذن يسهل عليهم معرفة الحقائق ، أما رأيي في المهدي فواضح ، فقد قام بالأمر  
 العلامة ابن خلدون وأظهر الحقيقة ناصحة ، وأما الكلام في عيسى عليه السلام فاعلم انه أقوى من المهدي لأنه  
 جاء في المسيحية ، وجاء انه يبطل الدنيا دار سلام ويكون على دين الاسلام الخ ومخلص ذلك أن هذه  
 الأرض التي نساكنها تتبدل حالها وتكون حالها أجل مما نحن فيه ، وإذا نظرنا نظرة صادقة لهذا الموضوع  
 أيقنا أن ذلك لا يتم في يوم أو سنة أو قرن لأن انقلاب الإنسانية من هذه الحال الى تلك الحال يحتاج لقرون  
 فإذا عاش عليه السلام في الأرض سبع سنين أو أكثر أو أقل كما في الروايات الواردة فهذه المدة لا تقلب الأمم  
 لأن هذه ليست سنة الله وهو عليه السلام نزل الى الأرض قديما فرجع الناس لحالهم بل أرادوا صلبه فشبه  
 لهم ، وجاء النبي ﷺ الى الأرض وأمر الدنيا بعسائه معلوم ، فاذن نزول المسيح صرة أخرى لا يكون إلا  
 بعد انتقال الأمم من هذه الحال تدريجا الى حال تصبح الأرض فيها أشبه بالفردوس وأهل العقول إذ ذلك  
 يكون لها شبه علم بنزوله عليه السلام ، فإذا نزل قبلته بالقبول ، هذا ما يمكن أن يقال والله أعلم

### فائدة هذا الموضوع كله

ها أنت ذا قرأت الأحاديث الواردة في المسيح عليه السلام وقد دخل في جملة الامور الاعتقادية في الأمة  
 وإن لم يكن صريحا نصه في القرآن ولكن أحاديث الشيخين لهما منزلة القبول في الأمة . واذن نريد أن  
 نعرف فائدة هذا الاعتقاد فنقول :

أقد علمت مما أسلفنا في هذا التفسير أن الأمة الإسلامية عليها أن تقوم بما عليها للإنسانية فهم خير  
 أمة أخرجت للناس ، وهم شهداء الله على الناس كما ان الرسول شهيد علينا ، وهذا الدين وعد الله بظهوره  
 على جميع الأديان ، فهذه وأمثالها ترجع اليها لأنها ظاهرة واضحة ، وإذا ضممنا اليها أن النبي ﷺ رحمة  
 للعالمين ونحن معاشر أمة الاسلام اليوم في الأرض قائلون بشريعته فنحن إذن يجب أن نكون رحمة للعالمين  
 وعلى هذا يكون المسلمون يوما ما يقودون الإنسانية الى السلام العام والانسانية الخلاصة ، وتكون الأمم  
 بسبب نشر المعارف والعلوم قد اقتربت من السلام العام ، وتكون أمة الاسلام قد أصبحت صاحبة الفضل  
 الأكبر في ذلك ، إذن تسرى الروح العيسوية في العالم بسبب الاسلام وظهور حقائقه الموعود بها بمثل قوله  
 تعالى « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ومثل « سير يكم آياته فتعترفونها » وحتى سرت الروح العيسوية في  
 الأرض بسبب دين الاسلام فهناك سين يظهر المسيح يجد الأمة مستعدة للسلام العام ، وسواء أنزل هو بنفسه أم  
 كانت النفوس قد أشربت السلام فيكون ذلك رهنا ، فكل هذا لا تهترئض له ، فهو خاص بعلم الله تعالى



والنبي في قدرتنا أن نقوله : على المسلمين اليوم أن يأخذوا دورهم في الرقي ، وأن يكونوا دعاة الانسانية والسلام والمودة وأن ينشروا السلام ، ويكون الاسلام مزوجا بما كشفه الناس في العصر الحاضر ، وتكون دعوته قائمة بنفس العلوم كما سطرناه في هذا التفسير ، أما أن يقوم في كل قرية رجل ويجعل له أتباعا ويقول أنا المسيح ، فهذا مالا يليقه الاسلام ، وإذا كان هؤلاء الذين ظهروا كل واحد منهم هو المسيح فأين السلام في الأرض ، وما هذا التعدد ؟ مع ان عيسى واحد لا اثنان ، وكيف نرجع أحدهما على الآخر ، وأين السلام في الأرض

فالقول العدل أن الأمة الاسلامية التابعة للذاهب المختلفة يجب على رؤسائها أن يوجهوا همهم الى تهذيب التعليم واكثار المدارس ونشر فكرة العلوم مزوجة بالدين كما أوصناه ، ومتى تنورت الأذهان ووضحت الطرق طاحت تلك الدعاوى من النفوس أى اننا لا نشغل أنفسنا بتكذيب أحد من مشايخ الطرق ولا العيسويين ولا المهديين ، ولكن نقول : ليقرا أتباع هؤلاء الشيوخ العلوم فيعملون الحقائق ، وربما كان أساتذتهم هم الذين يمنعونهم العلم خيفة اطلاعهم على الحقائق فيستصغرون شأنهم ، فأما أوصى قرأ هذا التفسير أن يقيموا بين الأمة العلم والحكمة ، وبذلك وحده يظهر المسلمون ويكونون خيرامة أخرجت للناس ويستعدون للروح العيسوية حتى اذا جاء أوانه فهموه فنزل فيهم ، وأما مادام المسلمون على هذا المنوال فكيف ينزل المسيح في قوم جاهلين ربهم ونظامه وجماله وحكمته

ولتنصح أيها الذكي الأمة أن تقلع عن انتظار من يأتي اليهم من المهديين ، فوالله لا سعادة لأمة إلا بجدها واجتهادها ، ان نفس الأنبياء لم يرسلوا إلا في أوساط تناسلهم ، فيترك الشعب نفسه بالعلم والعمل والحب العام وينتظر بعد ذلك نعم الله عليه ، فليس يقلب المسيح طبائعهم بل يأتي اليهم وهم مستعدون للسلام العام . ثم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين

### اللطيفة السابعة

في قوله تعالى : فاختلف الأحزاب من بينهم

اعلم أن النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام كانوا مقررين بالوحدانية وعيسى بالرسالة ، ثم بعد رفعه دخلت شبه فانقسموا ثلاث طوائف : ملكانية ، ونسطورية ، ويعقوبية . فالملكانية مصرحة بالتثليث فهم يقولون : « الآلهة ثلاثة : المسيح ، وأمه ، والله » . ويقولون : « إن المسيح ناسوت كلبي قديم ، وصريح ولدت ولدا أزليا ، والله هو الأب ، وعيسى هو الابن » اطلاقا حقيقيا عندهم . وأما النسطورية فانهم يقولون « إن الكلمة أشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة أوربلور » . وأما اليعقوبية فيقولون : « انقلب الحكمة لحما ودما فصار الإله هو نفس المسيح » والى الملكانية الإشارة بقوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » والى اليعقوبية الإشارة بقوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » . ثم ان الملكانية هم المنقسمون الآن ( كاتوليكية ) . فأما اليعقوبية والنسطورية فهؤلاء ليسوا في أوروبا ، وربما يكونون في الشام ومصر والعراق والحبشة . وأما الذي حدث في أوروبا هو مذهب البروتستانت والكاتوليكية ، والبروتستانت يقرّون بالبعث ، والبعث إما بالأرواح والأجساد واما بالأرواح فقط بخلاف بينهم . ثم ان لفظ كاتوليكية كلمة مدح لأنها كأهل السنة عندنا ، ورئيس المذهب الكاتوليكي هو البابا برومه في دولة ايطاليا ، فله اليوم الرئاسة الباطنية كالقبط عند المسلمين وكشايخ الطرق ، وتقدم قريبا ظلم البابا لأهل أوروبا وماوكها فأنحطوا وذهبت رئاستهم . ثم ان الكاتوليكية بقوا على مذهبهم الى القرن التاسع الهجري ، فظهر منكرون للبابا برومه نصاروا يسمون المنكرين ( بروتستانت ) وهي كلمة أشبه بكلمة

## الخوارج أو المعتزلة عند المسلمين

وملخص ذلك أن الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت هو البابا ، فمن اعترف بابا رومه فهو كاثوليكي ومن لم يعترف به سموه بروتستانت فيأترف ويقول أنا كاثوليكي وان كان لا يعترف برئاسة البابا ، والبابا من جملة الأساقفة ، و رئاسة الأساقفة ليست خاصة به ، بل هي له ولأسقف الاسكندرية وأسقف القسطنطينية فأما الكاثوليك فلا يعترفون إلا بابا رومه ، وبعض البروتستانت أيضا لا يقرّ بالتثليث ، لأنهم نظروا في كتب الاسلام فاعترفوا بالوحدانية ، ويجهلون عيسى عبد الله ورسوله ، وهم مع الكاثوليك فيما بقي من العقائد وهناك فريق من البروتستانت باق على التثليث ، ويكون الفرق بينهم وبين الكاثوليك عدم الاعتراف بابابا وحده ، ثم ان الصوم يقول البروتستانت انه سنة ، ويقول الكاثوليك انه فرض وهو مدة (٤٠) يوما يتركون الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها

وأما البروتستانت وبعض الكاثوليك الذين ضعفت عقيدتهم ، فهم يجوزون تناول الطعام والشراب ، لكن يمنعون اللحم كله وما تولد منه كاللبن والسمن إلا الحوت فانهم يأكلونه في حال الصيام ويأكلون الخبز والحلوى ، وعندهم فرقة يسمونها اللاتينية ، وفرقة يسمونها أهل البيانة الروسية (أرثودكس) وذلك لأنهم لا يعترفون بالبابا رئيسا ، وهم موافقون للكاثوليك في كل شيء ، وهؤلاء جميعا ينتفخون بأنهم كاثوليك فيكذبهم أخصاصهم قائلين لهم : أنتم فرقة لاتينية أو أرثودكس

واعلم أن الفرنسيين دخلوا دين النصارى سنة ٤٩٦ ميلادية وهم كاثوليك وبروتستانت ، ومنهم من لا يقرّ بالله في باطنه ، وكان ابتداء ملكهم سنة ٤٣٠ ميلادية وأصل ملكهم قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة ولم يتم الاستقلال فيما بين التاريخين ، فحكمهم اليونان فالرومان فاستقلوا ، وكانوا يعبدون الأصنام التي على صور السكواكب كالهنود

ودولة الانجليز التي ابتداء ملكها قبل الميلاد بنحو خمس وخمسين سنة لم يستقلوا إلا سنة ٢٤٣ هجرية وهي سنة ٨٢٧ ميلادية ، ودخلوا النصرانية سنة ٥٩٦ مسيحية ، وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وفيهم الكاثوليك والبروتستانت والديورية وحصل بينهم وبين الفرنسيين حرب من سنة ١٣٣٧ م الموافق سنة ٧٣٨ هجرية الى سنة ١٤٥٣ م الموافق سنة ٨٥٧ هجرية ويسمى حرب المائة سنة

﴿ دولة النمسا أوستوريا ﴾ أكثرهم من التتار ، ابتداء الملك سنة ٣٣٣ ميلادية ، والاستقلال سنة ٩٨٢ ميلادية الموافق سنة ٢٤٨ هجرية ، ودخلهم النصرانية كالذين تقدموهم  
﴿ الدولة الجرمانية ﴾ ابتداء الملك سنة ٥٤ ميلادية ، والاستقلال سنة ١٣٩٥ ميلادية الموافق سنة ٨١٨ هجرية

﴿ دولة المسكوف ﴾ استقلالهم التام سنة ٨٦٢ ميلادية الموافق سنة ٢٤٨ هجرية ، وكانوا يعبدون الأوثان ، ودخلوا النصرانية سنة ثلثمائة وخمس وسبعين هجرية ، فهم الأمة الوحيدة التي تأخرت في دخول النصرانية الى ذلك الزمن ، وأما بقية دول أوروبا فان دخولها في النصرانية في أواخر القرن الخامس الميلادي فتكون النصرانية في أوروبا الآن نحو ألف وأربعمائة سنة ، وهذا بهم الكاثوليك والبروتستانت واللاتين والاورثودكس ، ثم الكاثوليك هي عين الملكانية ، وأما النسطورية واليعقوبية فقد حذفنا من الغرب وربما كانت في الشرق والله أعلم ، وقد تقدم ملخص هذا في ﴿ سورة آل عمران ﴾ والى هنا تم الكلام على الاطيفة السابعة من الاطائف الخاصة والحمد لله رب العالمين



## اللطائف العامة للسورة كلها (١)

### اللطيفة الأولى

في قوله تعالى « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » مع قوله « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »

لأجعل الكلام على الآيتين في مقامين : المقام الأول في غريب اللفظة العربية في القرآن . المقام الثاني في نفس الأمة العربية ، وهما بيانها

### الكلام على المقام الأول في غريب اللغة العربية في القرآن

تقدم في أول سورة « حم فصلت » الكلام على الألفاظ التي دخلت في القرآن من القبائل المختلفة ومن اللغات التي ليست عربية كالفارسية والهندية الخ . وأريد هنا أن أذكر نبذة يسيرة في الكلام على معرفة غريبه ، فقد جاء في كتاب « الاتقان . في علوم القرآن » تحت العنوان التالي مانعه :

#### النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه

أفرد بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد ، ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحكِّره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب ، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كرامين . قال ابن الصلاح وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفوا الكتب في « هني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري انتهى وينبغي الاعتناء به فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة صرفوعا « أعربوا القرآن والتمسوا غرائب » وأخرج مثله عن عمرو بن عمرو بن مسعود موقوفا ، وأخرج من حديث ابن عمر صرفوعا : « من قرأ القرآن فأعرب به كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير أعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » المراد بأعربه معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الأعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقهه ليست قراءة ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن ، فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا ، فأخرج أبو عبيدة في الفضائل عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله « وفاكهة وأبا » فقال أي سماء تظلي ، أو أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم ، وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر « وفاكهة وأبا » فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو الكلف يا عمر ، وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس . قال : كنت لأدري ما فطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما يقول أنا ابتدأتهما ، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة أنه سئل عن قوله « وحنانا من لدنا » فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس . قال : لا والله لا أدري ما حنانا . وأخرج الفريابي : حدثنا أسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعة : غسيلين ، وحنانا ، وأواه ، والرقيم . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة . قال قال ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله « ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق »

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

حتى سمعت قول بنت ذى وزن **إِنَّمَا أَعْلَمْتُ أَنَّكَ** تقول أنا صامك . وأخرج من طريق شجاعه عن ابن عباس . قال : ما أدري ما النفساين ولكني أظنه الزقوم

فصل : معرفة هذا الفن للفسر ضرورة كما سيأتي في شروط المفسر

قال في البرهان : ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالا وحروفا ، فالحروف لقلتها تكلم النجاة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة ، وأكبرها كتاب ابن السيد ، ومنها التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والجامع للقران ، والصالح للجوهري ، والبارع للفارابي ، وجمع البحري للصاغاني . ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية ، وابن الظريف والسرقي ، ومن أجمعها كتاب ابن القطاع . قلت : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وهما أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة فأنها من أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبا على السور . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي (ح) وقال ابن جرير حدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يؤمنون) قال يصنعون (يعمهمون) يتبادون (مطهرة) من القدر والأذى (الخالسين) المصدقين بما أنزل الله (وفي ذلكم بلاء) نعمة (وفومها) الخطة (إلا أمانى) أحاديث (قلوبنا غلف) في غطاء (مانسوخ) تبدل (أونفسها) تركها فلا نبسدها (مثابة) يشوبون إليه ويرجعون (حنيفا) حاجا (شطره) نحوه (فلا جناح) فلا حرج (خطوات الشيطان) عمله (أهل به لغير الله) ذبح للطواغيت (بن السبيل) الضيف الذي ينزل بالمسلمين (إن ترك خيرا) مالا (جنفا) إثم (حدود الله) طاعة الله (لأنكون فتنة) شرك (فرض) أحرم (قيل العفو) مالا يقين في أموالكم (لأعنتكم) لأخرجكم وضيق عليكم (مالم تمسوهن أو تفرضا) المس الجماع والفرضة الصداق (فيه سكينه) رجة (سنة) نعام (ولا يؤده) يثقل عليه (صفوان) حجر صلد ليس عليه شيء (متوفيك) مميتك (ريون) جوع (حوبا كبيرا) إثما عظيما (نحلة) مهرا (وابتلوا) اختبروا (آنستم) عرفتم (رشدا) صلاحا (كلالة) من لم يترك والدا ولولدا (ولا تفضلوهن) تهنووهن (والحصنات) كل ذات زوج (طولا) سعة (محصنات غير مسافحات) عفاف غير زوان في السر والعلانية (ولا متخذات أخدان) أخلاء (فاذا أحصن) تزوجن (العت) الزنى (موالى) عصبية (قوامون) أصراء (قاتلات) مطيعات (والجار ذى القربى) الذى بينك وبينه قرابة (والجار الجنب) الذى ليس بينك وبينه قرابة (والصاحب الجنب) الرفيق (فتيلا) الذى فى الشق الذى فى بطن النواة (الجبث) الشرك (نقيرا) النقطة التى فى ظهر النواة (وأولى الأسر) أهل الفقه والدين (ثبات) عصبا (سرايا) متفرقين (مقيتا) حفيظا (أركسهم) أوقعهم (حصرت) ضاقت (أولى الضرر) العذر مراغما التحول من الأرض إلى الأرض وسعة الرزق (موقوتا) مفروضا (تألمون) توجعون (خلق الله) دين الله (نشوزا) بغضا (كالهلقه) لاهى أيم ولاهى ذات زوج (وان تلوا) ألسنتكم بالشهادة (أو تعرضوا) عنها (وقولهم على صميم بهتان) يعنى رموها بالزنا (أوفروا بالعقود) ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حصد فى القرآن كله (بحرمنكم) يحملنكم (شنان) عداوة (البر) ما أمرت به (والتقوى) ما نهيت عنه (المنخقة) التى تخفق فتموت (والموقوذة) التى تضرب بالخشب فتموت (والمتردية) التى تتردى من الجبل (والنطيحة) الشاة التى تنطحها الشاة (وما كل السبع) ما أخذ (إلا ما ذكيتم) ذبحتم وبه روح (الأزلام) القداح (غير متجانف) متعد (لاثم . الجوارح) السكاك والفهود والصقور وأشباهاها (مكابين) ضواري (وطعام الذين



أوتوا الكتاب ذبايحهم (فأفرق) أفصل (ومن يرد الله فتنته) ضلالتة (ومهيضنا) أمينا ، القرآن أمين على كل كتاب قبله (سرعة ومنهاجا) سبيلا وسنة (أذلة على المؤمنين) رجاء (مفلولة) يهنون بخيل أمساك ما عنده تعالى الله عن ذلك (ببحيرة) هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا الى الخامس فان كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وان كان أنثى جسدعوا أذنيها (وأما السائبة) فكانوا يسبيون أنعامهم لأهلهم لا يركبون لها ظهرا ، ولا يحملون لها لبنا ، ولا يجزّون لها وبرا ، ولا يحملون عليها شيئا . (وأما الوصيلة) فالشاة إذا أنتجت سبعة أبطن نظروا للسابع فان كان ذكرا أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال والنساء ، وان كان أنثى وذكرا في بطن استحيوها ، قالوا وصلته أسقته فحرمته علينا . وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا حتى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا ، ولا يجزّون له وبرا ، ولا يمنعونه من حبي رعى ، ولا من حوض يشرب منه وان كان أطوئ لغير صاحبه (مدرارا) بعضها يتبع بعضا (وينأون عنه) يتباعدون (فلما نسوا) تركوا (مبلسون) آيسون (يصدفون) يعدلون (يدعون) يهدون (جرحتم) كسبتم من الإثم (يفرطون) يفضيعون (شيها) أهواء مختلفة (لكل نبأ مستقر) حقيقة (تبسل) تفضح (باسطوا أيديهم) البسط الضرب (فائق الاصباح) ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل (حسابنا) عدد الأيام والشهور والسنين (قنوان دانية) قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض (وخرقوا) تخرصوا (قبلا) مهينة (ميتا فأحييناه) ضالا فهديناه (مكاتبكم) ناحيتكم (محجر) حرام (جولة) الإبل والخليل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه (وفرشا) الغنم (مسفوحا) مهراقا (ماجلت ظهورهما) ماعاق بها من الشحيم (الحوايا) المجر (املاق) الفقر (دراسهم) تلاوتهم (صدف) أعرض (مذؤما) ماوما (ريشا) مالا (حشينا) سريما (رجس) سحق (صراط) الطريق (افتح) اقض (آسى) آخن (عقروا) كثروا (ويذكرك وآلكتك) يترك عبادتك (الطوفان) المطر (متبر) خسران (أسفا) هو الحزين (إن هي إلا فتنتك) إن هو إلا عذابك (عزروه) سحوه ووقروه (ذرأنا) خلقنا (فانبجست) انفجرت (نتقنا الجبل) رفعتاه (كأنك حفي عنها) لطيف بها (الطائف) اللة (لولا اجتبيتها) لولا تلقفتها (بتان) الأطراف (جاءكم الفتح) المدد (فرقانا) المخرج (ليوثقوك) ليوثقوك (يوم الفرقان) يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل (فشردهم من خلفهم) نسكل بهم من بعدهم (من ولايتهم) ميراثهم (يضاعفون) يشبهون (كافة) جميعا (ليواطوا) يشبهوا (إحدى الحسينين) فتح أو شهادة (مغارات) الغيران في الجبل (مدخلا) السرب (اذن) يسمع من كل أحد (وأغلاظ عليهم) اذهب الرفق عنهم (وصاوات الرسول) استغفاره (سكن لهم) رحمة (ريبة) الشك (إلا أن تقطع قلوبهم) يعني الموت (الأواء) المؤمن التواب (طائفة) عصبة (قدم صدق) لهم السعادة في الذكر الأول (ولا أدراككم أعلمكم) ترهقهم (تغشاهم) عاصم) مانع (تفيضون) تغفلون (يعزب) يغيب (يثنون) يكونون (يستغشون) ثيابهم (يفطون رؤسهم) لا جرم) بلى (أخبتوا) خافوا (فارا التنور) نبع (أقلعي) أسكني (كأن لم يفتوا) يهيشوا (حنيد) نضيج (سى) هم) ساء ظنا بقومه (وضاق ذرعا) بأضيافه (عصيب) شديد (مهرعون) يسرعون (بتطمع) سواد (سومة) سعادة (أليم) موجد (زفير) صوت شديد (وشوق) صوت ضعيف (غير محذون) غير منقطع (ولا تركنوا) تذهبوا (شففها) غلبها (متكأ) مجلسا (أكبرته) أعظمته (فاستعصم) امتنع (بعدامة) حسين (تخصنون) تخزنون (يمصرون) الأعناب والدهن (حسحس) تيان (زعيم) كفيل (ضلالك القديم) خطئك (صنوان) مجتمع (هاد) داع (معقات) الملائكة (يحفظونه من أمر الله) بأذنه (بقدرها) على قدر طاقتها (سوء الدار) العاقبة (طوبى) فرح وقرّة عين (بيأس) يعلم (مهطمين) ناظرين (في الأصفاد) في وثاق (قطران) النحاس المذاب (يود) يمتنى (مسامين) موحدين (شيع) أعم (موزون) معلوم (سماسنون) طين رطب (أغويني) أضللتني

هذا وإذا أردت بقية هذا الموضوع فراجع في كتاب الاتقان المذكور تجد جميع الغريب فيه إلى آخره وهو نحو ٧ صفحات فاقراءه هناك إن شئت

ويقع ذلك ماورد عن ابن عباس أيضا إذا اكتشفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن . فقال نافع ابن الأزرق أنبذة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه ، فقالا إما نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقته من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ؟ فقال ابن عباس : سألني عما بدا لكما . فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى « عن اليمين وعن الشمال عزين » . قال المزون حلق الرفاق . قال رهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

جاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله تعالى « وابتغوا إليه الوسيلة » قال الوسيلة الحاجة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عنزة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة \* إن يأخذوك تسكحلي وتغضي

وهكذا استمر يسأله وهو يجيب على هذا النمط ، ونحن الآن نجترى هنا ببعض الكلمات وشواهد

اختصارا واستبصارا :

الشاهد	الكلمة
(١) لقد نطق المؤمن بالصدق والهدى * وبين للإسلام ديننا ومنهجنا	(١) (منهاجا) طريقا
...	
(٢) إذا ما مشيت وسط النساء تأودت * كما اهتز غصن ناعم النبات يانع	(٢) (ينعه) نفضجه
...	
(٣) فرشني بخير طال ما قد بريتني * وخير الموالى من يرش ولا يبرى	(٣) (ريشا) سالا
...	
(٤) ياعين هلا بكيت أربد إذ * قنا وقام الخصوم في كبد	(٤) (كبد) اعتدال
...	
(٥) يدعوا إلى الحق لا يبغي به بدلا * يجلو بغضه سسناه دابجى الظلم	(٥) (السناء) الغضوء
...	
(٦) أبا منذر أفيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض	(٦) (حنانا من لدنا) رحمة
...	
(٧) لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنه * وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا	(٧) (أفلم يئس الذين آمنوا) أفلم يعلم بلغة بنى مالك
...	
(٨) إذ شددنا شدة صادقة * فأجأناكم إلى سفح الجبل	(٨) (فأجاءها المخاض) أجاها
...	
(٩) إني وجدك ما نيت ولم أزل * أبغى الفسك لك بكل سبيل	(٩) (لاتفيا في ذكرى) لا تضعفا عن أسرى
...	
(١٠) على مكثريهم حق معتربا بهم * وعند المقلين السماحة والبذل	(١٠) (القانع والمعتز) فالقانع الذي يقنع بما أعطى والمعتز الذي يعترض الأبواب



ولأكتف بهذا في النظم ومن أراد اسقيفاءه فليقرأه في كتاب الاتقان . والشواهد تبلغ نحو (١٥٠) شاهدا فلا نطيل بذكرها . والى هنا تم الكلام على المقام الأول

## المقام الثاني

في الكلام على نفس الأمة العربية

اعلم أيها النكبي أن الأمة العربية بقدر ما ذقت من العز والآنحاد والسمادة وما نالت من الارتقاء أصابها الذل والانحلال والشقاء والانحدار ، أمة بلغت بعلمها المشرقين والمغربين ، ثم رجعت بعد ذلك بخفي حنين رفعتها العلم ومنخفضها الجهل ، أمة عريقة في الجدد ، رفيعة القدر ، قوية الشكيلة ، هي وحدها التي اختارها الله لارتقاء النوع البشري ، لذلك خلقها وتمت كلمة ربك ، خلقها في البداية وأنشج عقولها ، وهذب نفوسها تهذيبا نسبيا ، وصرت لها على شظف العيش ، والبأس وعزّة النفس والقناعة ، أعطاهم مثاب مع هذه الفضائل فصارت كل أهل بيت وقبيلة يرون أنهم سادات الأمم وعظماء أهل الأرض ، فأورثهم ذلك التخاذل والتطاحن والأضعاف والأحقاد ، وما ذلك كله إلا من ازدياد سمو النفس والشهامة وحب العزة وازدياد تلك القوة عن المقدار الوسط والنهج التويم ، فأصبح ما كان ممدوحا تناحقه المذمة ، وبينما هي على هذه الحال إذ جاءهم الرسول ﷺ وزل القرآن فجعلهم بهذا الفرقة ، ولم شملهم ، فنالوا ما كالم تحلم به الأكاسرة ولا القيصرية ، وتضامت تلك القوى المتفرقة المنتشرة في الصحاري والقفار فصارت قوة واحدة فهزّت أمم الأرض هذا ، وما ذلك إلا لما فهموا « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وأنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم . ثم استبدلوا الكسل بالعمل ، والترف والتنعيم بشظف العيش ، والقناعة وفتح البلاد لنزوات النفوس والشهوات ، والطمع والجشع وجمع المال الوفير المورث للاستكانة ، والصفار والذل بالجهاد لاعتلاء كلمة الله واعزاز دينه مع حفظ الدولة واسعاد الإنسانية كلها بلافارقة بين الأمم والشعوب بالمحافظة عليها مع تأدية تلك الأمم ما يجب عليها لهم ، حتى عليهم ما ورد في الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وهذا الحديث بنصه في أول سورة الأنفال وهو من صحاح الأحاديث

ثم إن هذه الأمة بعد أن أدّت وظيفتها في الأرض ونشرت الدين وتفرّقت في أقطارها خدّت ريحها وأصبح الأبناء على تقيض الآباء ونسوا مجدهم القديم وعزّهم الشاخص وفضائلهم العظيم ، فأبناء العرب اليوم في شمال إفريقيا مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والسودان واليمن ونجند والحبشة والعسير والعراق والموصل ودير الزور . فكل هؤلاء بلادهم متلاصقة ودينهم واحد وعقولهم متقاربة ولغتهم واحدة فياسبغهم الله ، أنا لم أر أمة بلغت ما بلغت هذه الأمة في مجدها أيام رفعتها ، ولم أر أمة سقطت سقوطها أيام ذلها كأن الغنم بالغرم ، وبرد الشتاء على مقدار حرارة الصيف ، وطول الليل في الشتاء بمقدار قصره في الصيف . ها أنا ذا من أبناء العرب ولدت بالبلاد المصرية في قرية من قرى الشرقية ، حفظت القرآن صغيرا ودخلت الأزهر بالغا ، ثم اعترتني فكرة هييجت بالبالى زمن الشباب ، فأخذت استغيث وبعن أستغيث ؟ لا استغاثة إلا بمن خلقني ، فكنت أدعوه وهو سميع الدعاء ، ولكم سألته أن يوقني على حقائق هذه الدنيا ونظام الكون وبؤس المسامين وذلهم وعزّ غيرهم ، ولماذا أرى الجهالة والنقص فاشين حتى في التعاليم الدينية . وأنت أيها النكبي تهرف بما ذكرته كثيرا في التفسير أن اتصالي بمدرسة دار العلوم ونظري في كتب الأمم المحيطة بنابه وقفت على كثير من أحوال هذا العالم وهذه الأمم . وما اتفق لي حادثة لا بد من ذكرها ذلك أنها أشبه بتعريف لمفتاح به تفتح أبواب الخيرات لسائر الأمم العربية

## محادثة بيني وبين المرحوم لطيف باشا سليم

في أصهار لقاء العرب في المستقبل القريب

قد كنت في أطوار حياتي إلى السكون والجلول والازواء أقرب لما قرأت ما يأتي :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ، سوى الخزي من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس إلا ، لأخذ العلم أو إصلاح حال

ولسكن كنت أقول في نفسي : « لو أنني عرفت الحقائق وكنت مجهولاً في الناس لا يفكر في أحد  
لسكن ذلك أقصى أملي » . ولسكن سبب البحث والعلم كانا سببا في علاقتي بجميع أمم الاسلام ومنهم اللبقة  
الراقية في مصر ، ولما أخذت أوائف الكتب عرضتها على أهل العلم وذوى العقول الراجحة لأستوثق مما أنشر  
برأيهم ، وكان منهم المرحوم الشيخ محمد عسكر والمرحوم لطيف باشا سليم ، فأما الأول فاني قابلته في منزل  
المرحوم ابراهيم بك أباطه بجوار قريتنا ولم يكن رأيي ولا رأيته من قبل ولسكن عرف كل منا الآخر وأنا شاب  
وهو قد بلغ نحو مائة سنة ، وله قدم صديق في الحادثة العراقية ، وأخذ يسألني عن تاريخ حياتي العلمية التي  
عرفت مجملها من قبل أن ألقاه فأجبت ، هنالك قال لي : أنتم أحسن منا ، نحن أيام عرابي باشا لم نبن ثورتنا على  
أساس ، أما أنتم فبنناؤكم على أساس ، لأنكم تريدون أن تجعلوا السلام التي بها ارتقت أم الأرض متصلة  
بالدين وأنتم ناجحون ، وأن ماسمعتك منك من حيث أن بعض رجال المعارف يضطهد ذلك ، فهذا  
زادني يقينا لأن الرجل لا يكون عظيم الشأن حتى يحقد عليه نظراؤه . وسيكون نشر آرائك على أيدي  
تلاميذك ، والمستقبل لهذه الأمة عظيم . وأما المرحوم لطيف باشا . فهناك ما دار بيني وبينه ، وهو الذي سقت  
الكلام لأجله ، لم تسكن لي سابقة معرفة بالمرحوم لطيف باشا سليم ، وهو كان من أكابر الأمة ومن أكابر  
الوطنيين ، والذي عرفني به اني نشرت بعض كتيبي وأردت أن أعرف آراء أكابر العلماء في مصر ، فأعطيته  
كتابي نظام العالم والأمم ، فأثنى عليه ، وصارت لي به صلة وثيقة ، وهذه صورة الحادثة التي سقت الكلام  
هنا لأجلها :

قال رحمه الله : إن جلد الحمار الميت أرفع شأننا من الأمة المصرية ( أقول : وذلك من شدة غيظه على  
البلاد ) . فقلت : ما برهانك يا باشا . فقال : إن جلد الحمار يمكن العلماء بالصناعة والكيمياء يلوّنونه بالحنة  
أو بالصفرة الخ وهذه الأمة حلّت بساحتها الآشوريون والفرس والرومان والفرنسيون والانجليز ، ومع ذلك  
لا تزال نائمة جامدة ، إذن جلد الحمار أمكن تلوينه والأمة المصرية لم تلون . هذه الأمة جامدة .  
فقلت : إن لي ردا على ما ذكرتموه . فقال : فإذا تقول ؟ فقلت : إن الأمة المصرية أمة عربية لأن الأصل  
القبلي فيها قليل ، وهانحن أولاء نجد عاداتنا وأخلاقنا وآدابنا كلها عربية ، والأمة العربية بعد ما بانفت  
الصين شرقا وجنوب فرنسا غربا وأزالت ملك فارس والروم أصابها داء الترف ، وأرداها الكسل ، وأنهبها  
الطمع ، وجند لها الجهل ، وأصابها التخاذل والتناكب والتكبرياء والادخار والاتكال على الأمم المحكومة بهم  
فسلط الله عليهم من كانوا لهم مستعبدين ومستعبد من الفرس والترك والممالك البرية والبحرية ، وآذاهم  
الاسبانيون في الجزيرة ، وحلّ الترك بساحة مصر فأزالوا نخوتها ومظاهرها وجلالها ، وألقوا مدارسها  
وتركوها قاعا صفصفا ، ومحووا منها الصناعات والعلوم ، وبقيت البلاد ترتفع في معاهد الجهل ، وصارت اللذ ،  
حتى اذا قبض الله لها المغفور له محمد علي باشا فقد أخذ يسلمها ، ولسكن تسليمه لم يكن مصحوبا بحرية ،  
فبقيت الأمة مقيدة وعمومها جاهل بحقوقه ، حتى اذا جاء المرحوم مصطفى كامل باشا في هذه السنين ونشرف  
جريدة اللواء مقالات وقرأها الشبان وأنا ملاحظ ذلك انفتحت بصائرهم وعرفوا الحرية في هذه السنوات



اللائل . ولقد كنت قبل ظهور جريدة اللواء أشاهد من تلاميذ المدارس احتقارا لشكل ما هو وطني حتى إذا ظهرت جريدة اللواء أحبوا الوطن واستبدلوا بحب الأساتذة الانجليز ، وكان مدرّس اللغة العربية كأنه أمر ثانوي عندهم ، فانقلبت الحال وعندهم طسم آبا . كل ذلك بتأثير جريدة اللواء التي طاعت بهيئة عزّفت الشبان ما سنى المحافظة على الوطن وعلى الطرية . إن أهل مصر أكثرهم من أصل عربي ، والذي أخرهم وأضاههم هو الجهل الذي غمرهم به الترك مدة مئات السنين ، وما مثلهم في مصر إلا كمثل آبائهم قبل النبوة فانهم كانوا قوما جاهلين ، فما كاد ﷺ يدعوهم الى الدين ومضت ٢٣ سنة حتى كانوا أهل ملك عظيم ودين كبير هكذا ( وإن كان الفرق كبيرا ) أبأؤهم وهم أهل مصر ومن حولهم من أهل الشام وفلسطين والمغرب والعراق والمصر فلكفي هذه الأمم أن يظهر فيهم نايقة كظهور مصداقي باشا كامل حتى يعلموا سقوطهم وينفضوا عن رعرسهم غبار الذل وينفضوا ببلادهم ، ودليلي على ذلك حال التلاميذ بمدارسنا ونقلاهما في زمن قليل جدا ، فهذا دلي على أن هذا الشعب من ذلك الأسد . فقال رحمه الله : أنا قلت لك لا مانع أن يحصل أصغر غير عادي . فقلت : لكن أنا لا أقول ذلك ، بل أقول هو أمر عادي ، فإن المسألة علم وجهل فالعرب متى هرفوا نهضوا ورجع لهم بمجدهم . انتهى الحديث

### مصدق هذا الحديث

حديثي مع نجله فؤاد باشا سليم

وبعد سنين قليلة توفي المرحوم لطيف باشا فذهبت الى منزله بالعباسية لأعزي نجله فؤاد باشا سليم ، فلما رأيته بكى لعمري بمودة أبيه لي ، وحكي لي ما يأتي . قال :

« إن مصطفى باشا كامل لما أسس الحزب الوطني وأصبح هو رئيسه وأنا ناموسه (سكرتيره) ، كان والذي إذ ذاك في مرض موته ، فدخات عليه ، وسأني ماذا فعلتم ؟ فقلت : هانحن أولاء أسسنا الحزب الوطني فقال : يا فؤاد اجتمع المصريون ؟ فقلت نعم يا والذي ، وأنا سكرتير الحزب الوطني . فقال : لوقاها غيرك لم أصدقها ، أنا أموت وأنا مستريح الضمير إذ رأيت المصريين اجتمعوا في حياتي » اهـ

فقلت له الحمد لله إذ أصبح ما استنتجته قبلا في حديثي معه وظهر له صدقي فرأيتي في أمة العرب والأمة المصرية . أكتب هذا الآن وفي بلادنا الأحزاب الآتية : الوفد . الحزب الوطني . حزب الاتحاد . حزب الشعب . حزب الأحرار الدستوريين . إذن أصبح ما كان فإستأنا أولا يقينا الآن ، وعليه أقول حقا وصدقا إن الأمة العربية على بكرة أبيها لا ينقصها إلا التعليم ، والذي قلها هو الجهل ، فهي أمة متروكة مهملة وقد أقيمت أيام مسعاداتها وهامى ذه أخذت تقوم من رقدتها . وههنا أذكر بعض ما كان لها من المجد في العلوم الطبية في الشرق والغرب والآثار العمرانية ، وأخص بالذكر بلاد الأندلس ، وأقفي بذكر ما حاق بها من الذل والهوان في القرون الأولى بسبب تفرق وحدتها ، ثم أتبعه بنتائج ذلك اليوم في البلاد الإسلامية ، وأخص بالذكر تونس وصرا كمش ، ثم أقفي بما ساقه الله من اللائل على مستقبل باهر للأمة العربية والأمم الإسلامية ، وذلك بذكر مسألة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وكيف كانت هذه أول أساس أخذ المسلمون يبنون عليه اتحادهم ، فالعرب جميعا اتحدوا مع أهل فلسطين في ذلك ، ثم إن دفن المجاهد الكبير المولى محمد علي الهندى في فلسطين وتوطيد المودة بين العرب واليهود المسلمين أمر لم يسبق له في التاريخ نظير ، ثم أبين أن هذه الحوادث ترجع لآيتين إلهيتين هما آية « خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » في سورة حم غافر ، والثانية هنا وهي « رانه لذكر لك ولقومك » وايضا في المسيح الدجال هنا والعلم العيسوى ، فهذه سأوضحها في « سبعة فصول » الفصل الأول : في أثر الطب العربي في تطور الطب الفرنسي ( الفصل الثاني )

فيما قله الأمير شكيب أرسلان في رحلته الى بلاد الأندلس للدلالة على عظمة آثار العرب ﴿ الفصل الثالث ﴾  
 فيما جاء له أيضا في كوكب الشرق من تحالف الأمم العربية قديما وتضافر الأمم عليهم فذهبت دوطم ﴿ الفصل  
 الرابع ﴾ في نتائج ذلك التفرق القديم الذي حلّ بالمسلمين اليوم في تونس وصرا كس ﴿ الفصل الخامس ﴾  
 في حادث الوطن القومي لليهود ، وكيف كان سببا لوضع أساس للاجتماع بعد التفرق ﴿ الفصل السادس ﴾  
 في حادث لم يسبق له نظير من اتحاد العرب والهند بعد ذلك ومن دفن المجاهد السكير (محمد علي) بالقدس  
 وتصر يحات أخيه المولى شوكت ﴿ الفصل السابع ﴾ في أن هذه الحوادث ترجع لآيتين من كتاب الله تعالى  
 الأولى « خلّق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » وقد تقدم بيانها في سورة حم غافر ، وفيها  
 شرح أصح السجالات ، والثانية هنا وهي « وانه لذكر لك ولقومك »

### الفصل الأول

فيما ذكرت به أمة الاسلام عموما والعرب خصوصا في علم الطب  
 وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ما جاء في مجلة « الجامعة الاسلامية » المقال الثاني وهو ما جاء في  
 جريدة الاهرام تحت عنوان « أثر الطب العربي في تطوّر الطب الفرنسي » وذلك كله إيضاح لقوله تعالى  
 هنا « وانه لذكر لك ولقومك » وهاك نصهما :

### البحث عن تاريخ العلوم أو

#### تأثير المدنية العربية الاسلامية في نهضة الغرب

في أوروبا اليوم حركة عظيمة للبحث عن منشأ العلوم الحاضرة وعن كيفية تطورها ، ولقد كان من أكبر  
 العوامل على هذه الفكرة أحد العلماء الطبيعيين الفرنسيين السكياوى (مارسلين برتساو) ولهذا العلامة فضل  
 كبير في جلب أفكار الاوروبيين الى مسألة هامة وهي تاريخ العلوم ، لقد أدرك (برتساو) انه لابد من دراسة تطوّر  
 الفكر البشري فقال لابد أن ندرس كيفية تطوّر العلوم في الأزمان المختلفة ، فألف لذلك كتابا سماه تاريخ العلوم  
 ومنذ ذلك الحين عمت في أوروبا فكرة جديدة وهي أنه لا يجوز أن ينظر الى مافكر فيه السالفون كأنه أساطير الأولين  
 لأن الرقي لا يكون إلا بالتدرج أى كل عصر من العصور مدين للعصر الذي قبله ، ولا يمكن أن نتصور أمة تنشأ  
 فجأة كما نرى ذلك في كثير من كلامهم ، وترى الاوروبيين يهتمون الاهتمام العظيم في هذا الشأن وينفقون  
 له كثيرا من القوى المادية والمعنوية ، ففي كل قطر من الأقطار عدة معاهد لهذا الشأن بعضها للبحث  
 عن تاريخ الطب ، وبعضها للبحث عن تاريخ العلوم الطبيعية ، أما تاريخ الفلسفة فقد اشتغل فيه كما لا يخفى  
 أناس كثيرون منذ أجيال عديدة ، ولا يمكننا أن نتصور أن شخصا درس الفلسفة إلا واهتم بتاريخها قبل  
 كل شيء ، ففي ألمانيا اليوم عدة أساتذة وقفوا كل حياتهم لهذا الغرض ، وقد عثروا في طريقهم على نقط  
 هامة ، وليس غرضهم هنا معرفة المنشأ ولمن الفضل في نشر العلوم فحسب ، بل يودون أن يعلموا الى أى  
 جهة توجه معارفنا (أى معرفة الماضي والحاضر للتفكير في المستقبل) كما اتضح لبعضهم ان العلوم المادية  
 برقي عظيم والمعنوية بالخطا مستمر فثابروا على إحيائها ، وبذلك قطعوا خطوات واسعة ، وتهيأت الحكومات  
 الأوروبية لهذا الشأن اهتماما كثيرا فساعدت علماءها على نشر ما كشفوه من الامور وعلى عقد مؤتمرات  
 يحضرها العلماء من أقطار مختلفة ليتبادلوا الآراء وليعرفوا صوابهم وخطأهم بالبحث مجتمعين ، وقد عقد في  
 منتصف شهر ايار الماضي من السنة الحالية مؤتمر بين المللي (كندا) في باريس حضره علماء من أصقاع مختلفة ، هل تعلم



ماذا كان أهم شيء تداوله المؤتمرون؟ وجوب تعلم تاريخ الأمة العربية، وأن أكبر عثرة واقفة أمام طريقهم هي معرفتهم تاريخ الأمة العربية حق المعرفة، وما دامت الحالة على هذه لا يمكنهم أن يداوموا البحث بصورة جدية، ولقد سمعت هذا من أستاذين كبيرين: الأستاذ سيفريست المتخصص بالطب عند العرب في لينينغ، والأستاذ روسكار رئيس معهد البحث عن تاريخ العلوم الطبيعية في برلين. وهناك كتب خطية عديدة ولا أظنها إلا بيست بثن بخس هي اليوم في مكتبات أمهات مدن أوروبا محفوظة في أعزّ موقع لا يسمح لنا برؤيتها إلا بكل صعوبة، تفتخر كل أمة من الأمم بأنها بين خزائن كتبها. ولا يمكننا أن نألفها ولو أنفقنا في سبيل ذلك ما أنفقنا من الأموال الطائلة، هكذا كانت تلك الكتب القيمة ذليلة بيننا، عزيزة عند من يعرف قيمتها ولقد أحرز اثنان من بني وطننا وهما السيدان: كامل عياد ومحمد أبو غنيم، لقب دكتوراه في جامعة برلين، الأول في الفلسفة، والثاني في الطب، لاشتغال الأول في ابن خلدون، والثاني بالطبيب العربي الجراح أبي القاسم الزهراوي، فأهمية ابن خلدون كما قال عنه كبار القرب أنه هو أول من وضع التاريخ ضمن علم، وجاء بنقد التاريخ، وتبع الحوادث التاريخية ليحصل الإنسان على نتائج لا بد منها لمعرفة الشعوب وعزايها وتطورها وحسناتها وسيئاتها، أما أبو القاسم فقد ذكر عنه الدكتور أبو غنيم بأنه سلك طريقا في التداوي بالكلى يشبه تمام الشبه الجراح الشهير الأستاذ المستشار (بير) وقد ذكر قاموس المحيط الألماني عن أبي القاسم هذه الكلمات:

« ولد أبو القاسم في الزهراء من مدينة قرطبة وتوفي سنة ١١٠٦-١١٠٧ ج وقد كان شهيرا في الجراحة، وأهميته لا تزال حتى هذا اليوم في التاريخ، وله كتاب في الطب الذي ألفه وترجم إلى اللاتينية للمرة الأولى من غريم سنة ١٥٣٢ م »

أما القسم التشريحي وهو خير ما ورث من الطب العربي، فقد ترجمه إلى اللاتينية في أويسفورد سنة ١٧٧٨ العالم الانكليزي شالينغ. فنجد أهمية البحث عن تاريخ العلوم هنا وكيف كانت تدرس العلوم من منابع عربية، وقال السيد الدكتور محمد شرف في المقدمة من محجّمه الانكليزي العربي مانصه: « بقيت جامعات أوروبا أكثر من خمسة قرون تعتمد في مادتها العلمية على الكتب العربية، وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الكتب العربية المستعملة في جامعة تورينجين أضعاف الكتب اليونانية، وكانت مؤلفات الرازي وابن سينا أساس التعليم الطبي في (جامعة لوقان) في القرن السابع عشر، واستمرت مؤلفات ابن سينا تدرس في جامعة الطب السكبرى في (مونبيلييه) حتى القرن الثامن عشر »

ولقد ألقى الأستاذ المتخصص في تاريخ الطب (سيفريست) محاضرة في الحفلة التي أقيمت على مضي ألف سنة على الطب العربي في المعهد الطبي الألماني التابع لجامعة برلين هذه خلاصتها: « نحن مدنيون للعرب بجزيل الشكر لهذه المدينة الزاهرة التي ننعم بها. أهمية المدينة العربية كبيرة لأننا إذا وصلنا إلى آخر حلقة من حلقاتها نجد متصلة بنا، فإذا أخذنا مثلاً اكتشاف ميزان الحرارة من قبل (غاليليه) نجد كتب طب ابن سينا الأساس الذي نمشي عليه في ذلك العهد، عندنا اليوم كثير من التعابير اليونانية لا يمكننا فهمها إلا إذا ترجمناها للعربي، تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام لا يهملنا كثيرا حيث لاصلة له بنا، ولكن الذي يهملنا منذ نشأة محمد ﷺ ذلك الرجل الذي عرف توحيد القبائل وغرس الفضيلة في قلوب الناس. وما مضى على ظهور هذا الرجل قرن واحد إلا رأينا مدينة زاهرة وحكومة عظيمة عادلة، فنجد أولاد الصحراء القاحلة يفتحون العالم وينشرون العلوم والفنون في أرجائه المختلفة

وقد ازدهرت العلوم في عهد العباسيين وترجوا كثيرا من آثار اليونان وقد كانوا مترجمين فأصبحوا باحثين وأنا نجب حتى يومنا هذا كل العجب بتلك القابلية العظيمة التي كانت عندهم، فنجد شخصا واحدا يجتمع

فيه ميول عديدة مثل الفخر الرازي الذي ألف الطب مجلد ، وكان رئيس مستشفى وفيلسوفاً وموسيقياً ومن محبي الفنون الجميلة ، ولا يزال الحجب يأخذ منا من ابن سينا الذي أراد أن يستخرج قانون الطب على حسب المنطق فنجده سياسياً دينياً حقوقياً طبياً منطقياً ، ومن ينسب اليوم إلى قرطبة يرى غابة من المراسم الجليل ويرى الآثار التي تنبئ عن وجود ( ٥٠ ) مستشفى ، ويرى المكتبة التي تحتوى على ( ٤٠٠ ) ألف مجلد ، ويرى الجامع القديم هناك يبرك ولا شك أهمية تلك المدينة ، ثم إذا سمع بعد ذلك على قصر الزهراء يكون في القصر الذي ولد فيه الطبيب العربي الجراح (أبو القاسم)

ولقد كان لظهور هذا العالم أهمية عظيمة والجراحة حيث كانت العرب قبله تخاف من موسى ، وأهميته على قسمين : نظرية وعملية . أما الأولى فهي تغيير أفكار الناس من وجهة الجراحة والنظر للرئيس بعين الشفقة أما العملية فهي ترقى أسباب الطب الجراحي إلى أن صار بالعبودية التي نراها اليوم

الآن لقد انعكس الأمر (مخاطبا طلبة العرب) فنحن يجب أن نؤدّي ما علينا نحكم من الواجب ، وهذه العلوم التي ترونها اليوم عندنا قد ورثناها عن أجدادكم ، عندكم واجب كبير واسمكم مجد عريق وسلف صالح ، يجب عليكم أن تفهموا تاريخكم ومدينتكم ، وكما من الكونز العربية الثمينة أصبحت اليوم مدفونة للاهمال ، ومؤتمر العلوم في باريس أفهمنا جهلنا بتاريخ العرب ، وقد ساعدونا على درس تاريخكم وحضارتكم وعليكم واجب ثان يطلاب العرب ، الشرق اليوم يتحين للنهضة وأنتم ستقلون المدنية وتعلمون الناس كما فعل ذلك حنين بن اسحق وستكونون باديء ذي بدء مترجمين فتصبحون بحثة . ولا يبعد أن يكون بيننا رجل يحتفل فيه أيضا بعد ألف سنة كما تحتفل اليوم في هذا المكان بأبي القاسم ، ولقد قال المستشار الاستاذ (هيس) مدير جامعة برلين هذه الكلمات : « نحن نهتم بتاريخ الطب العربي لأمور ثلاثة :

﴿ أولاً ﴾ الجد والاجتهاد الذي لا يعرف الملل الذي كان عندهم

﴿ ثانيا ﴾ حب الاطلاع وأداء الواجب المجرّد عن أي شخصية

﴿ ثالثا ﴾ تحمسهم للمعرفة وشرف الصنعة عندهم

فلذلك لا عجب أن نرى ممن اجتمعت فيهم هذه الصفات أن يكونوا من أحسن البعثة »

لينا قدرنا هذه الحقيقة كما يقدّرها الأوروبي الذي لا يريد من ذلك إلا أن يزيد مداركه ومعارفه ليتقدم إلى الأمام ، وقد بحثوا أيضا في العلوم الطبيعية التي كانت عند العرب مباحث كافية ، ونشروا كذلك كتباً عديدة كمصنفات في الكيمياء لجابر بن حيان نشره هوالمبارد الانكليزي وطبع في باريس ولقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدت نظريات جمة في العلوم الطبيعية الموجودة في ذلك الزمن وبين الآراء الطبيعية اليوم . وأكبر فضل وجدته في جابر هو تقديره للعمل والتجربة إذ يقول : « وملاك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة ، فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدا »

ثم قوله أيضا : « كل شيء طبيعي فاعتمد عليه » ويوجد أيضا كثير من التوقيعات التي وضعها قصدا لكي لا ييؤح بسر الصنعة

ونشر أيضا في فن المستعندات تأليف (التيماش) طبع في روما . وكتاب الأسفار لأرسطاطاليس ترجمه (لوقا بن اسرافيون جهه) وترجمه إلى الألمانية الاستاذ (روسكا) . وقد قال في مقدمة الكتاب الكلمات الآتية : « ليست الأسفار اليدوية ولا الأدب الذي جاء بعد الاسلام هو الذي رفع اسم العرب في الغرب فقط اذا أردنا أن نعرف تأثير المدنية الاسلامية في المسيحية الغربية فلنتفكر في الرياضيات والفلك والكيمياء والطب كيف كان علماء الاسلام يشتغلون بها بعد أن فقدت علوم اليونان إلى يومنا هذا فقيها ترى الأسماء الفنية المشتقة من العربي وكيف كانت العلوم زاهرة تحت راية الاسلام وكيف تعلق الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي »



هكذا يشتهل الأوروبيون في البحث والتقصي عن تاريخنا ومدنيتنا ويثرون بذلك كتباً قيمة ويقيمون حفلات عظيمة لكل عالم خدّم البشرية خدمة صادقة ، ونحن ننظر إليهم كأساطير الأولين ، أيطربنا هذا الاهتمام ؟ أيطربنا تفرقنا شيئا وأحزابا بين قديم وحديث ، ونحن اليوم بأشد الحاجة أن نمدّ يد الاخاء الى بعضنا للجد والاجتهاد ؟

وقد قال لي أحمد الاخوان أثناء احتفال ألف سنة على الطب العربي ، وفي نفس الوقت نقيم مأتما على خروج المدنية من أيدينا ، ولا ينفعنا الحزن واليأس بل السعي والجد ، النوم كان طويلا فكل شيء أماننا صعب جدا ، وكلما تقاعسنا عن العمل ازدادت الصعوبة ، هكذا كان أجدادنا في غابر الأزمان واليوم فقدنا كل شيء من أثر الأجداد ، ولم يبق لنا غير ذكريات الماضي نسمعها من العلماء الغربيين إن كنا حقاً نحب ذلك السلف الصالح رحيم الله فلمسترجع هم الخلف لنعيد لنا ذلك الشرف فانا بهم مقتدون ، وانا على آثارهم مهتدون

محمد يحيى الهاشمي

برلين

\*\*\*

ومما يناسب ذلك أيضا ما جاء في جريدة الاهرام يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٠ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### أثر الطب العربي

ألقى الدكتور البارح يوسف أفندي حريز الحائز لشهادة الامتياز من كلية باريز محاضرة في نادي مدرسة الطب عن أثر الطب العربي في تطوّر علم الطب في فرنسا ، ولأهمية هذا الموضوع رأينا نشر خلاصة تلك المحاضرة القيمة . قال المحاضر :

« من المتعارف أن الاغريق كانوا منذ ألفي عام حملة الطب القديم ، أكان ذلك بعض ما خلفه الاسكندر الأكبر عقيب غاراته المشهورة على الشرق ، أم ان هنالك بقايا معاومات طبية يونانية الينبوع ، قد يكون الصواب بين هذين . على أن العرب لم يتصل بهم فن الشفاء إلا بعد قيام الدولة الأموية ، ولئن كان العهد الجاهلي فيه بعض من مارس الطبابة إلا ان خالد بن يزيد بن معاوية كان أول من نقل العلوم الطبية والنجوم والكيمياء الى العربية ، وكذلك فعل جابر بن حيان . على أن الحركة العلمية التي بدى بها في صدر الدولة الأموية لم يتح لها أن تبلغ شأوا بعيدا إلا في صدر الدولة العباسية ، وعلى الأخير في عهد المأمون سابع الخلفاء العباسيين الذي جعل رأسه أرفع عمامة في الشرق والاسلام . ولما انتهت هذه البذور الجديدة الى ذلك المستنبت العربي العجيب ظهرت قرائح طبية من الطراز الأول في القرن العاشر للميلاد أعدت منها الرازي أبابكر محمد بن زكريا في آسيا وابن الجزار في افريقيا بالقيروان وأبا القاسم عباس بن خلف الزهراوي في الأندلس . أما الرازي فقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية في الجيل الثاني عشر للميلاد وكانت عمدة التدريس في أوروبا جميعها وعلى الخصوص في مدرستي مونبلييه وباريس بفرنسا كما تشير اليه بكل تفصيل أطروحتي في جامعة باريس الموسومة « حظ الطب العربي في تطوّر الطب الفرنسي »

وللرازي مؤلفات عديدة أوصّلها كتاب « عيون الأنباء » الى المئة ، ومما يدهش فيها تهتمد مواضيعها وبحوثها ، فقد كتب الرجل في الفلك ، وقال بدورة الأرض ، وكتب في الطب والتفسير والكيمياء والاهليات الى آخر ما هنالك من شتى المذاهب والأبحاث . وبمناسبة عيد الألفي أنشأت عنه محاضرة في المجمع العلمي في دمشق الشام في شهر اكتوبر المنصرم ، وله بيتان مشهوران من الشعر لا بأس من ايرادهما قاهما حين حضرته الوفاة بهد أن عمر مئة من الأعوام وتزيد :

لعمري لا أدري وقد آذن البلى بهاجل نرحال الى أين نرحال  
 وأين مقر الروح بعد خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالي  
 ومنه يستدل على شكه العلي . وأما ابن الجزار فهو تلميذ سلمان الاسرائيلي ومن أكبر مؤلفي العرب في الجيل  
 العاشر للميلاد . وضع في القيروان كتابه الموسوم بزاد المسافر ونقله الى اللاتينية في الجيل الحادي عشر (لاون)  
 الافريقي كبير النقلة من العربية الى اللاتينية في الجيل الحادي عشر كما كان جيران السكرواني كبيرهم في الجيل  
 الذي يليه ، وفي ابن الجزار وكتابه زاد المسافر يقول كشابتم :

أبا خالد أبقيت حيا وميتا \* مكارم ذاعت في البلاد عظاما  
 رأيت على زاد المسافر عندنا \* من الناظرين المارفين زحاما  
 سأذكر أفعالا لأحمد لم نزل \* مواقعها عند السكرام كراما

وأما أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى فقد كان بلا شك جراح عصره وأستاذ القرون الوسطى في ذلك  
 الفن ، ولقد نشرت له مجلة (المعهد العلي) بمشقة الشام منذ عامين رسوم أدوات جراحية وجدت في  
 إحدى منسوخات كتبه وكما تشير اشارة لا تقبل الاعتراض الى معرفه النشر بحية وطول باعه في هذه الصناعة

### الجيل الحادي عشر

كان من أكبر كواكبه الشيخ الرئيس ابن سينا ، وقد كان اهتمام أوروبا به بالغا حتى أن العجاز فقد نقلت  
 الى اللاتينية وشرحت كتبه وذيلت ما يقارب الأربعين من المرات . على أن أكبر مؤلفاته الطبية وهو القانون  
 موجود اليوم بالعربية في قاعة المطبوعات في المكتبة الأهلية بباريس وهو طبع روما ، ويرجع تاريخ طبعه  
 الى الجيل السادس عشر أى في أوائل عهد الطباعة كما هو معلوم ، ولا بن سينا في قاعة المطبوعات بباريس  
 كثير من كتبه أذكر منها كتابا لبقراط في الطب العام ، وقد كتب على الصفحة الأولى منه : « هذا  
 الكتاب ملك أبى الحسين على بن سينا المتطبب »

وعلى الجدار الامامى للبهو الكبير في كلية الطب بباريس رسم أطباء الانسانية من عهد أبى الطب بقراط  
 الى يومنا ومن جملتهم الرازى وابن سينا والزهرائى

### الجيل الثانى عشر

وانتقل مصباح العلم من الشرق الى الغرب وكان بنو زهر على رأس الحركة العلمية لذلك العهد وحفيدهم  
 أبو العلاء وهو أشدهم صداقة متينة وسلة بابن رشد فيلسوف الأندلس وطبيبها ، وبينما كان ابن زهر يظهر  
 عدما كثرات بمؤلفات الرئيس ابن سينا كان ابن رشد يشرح أرجوزة الرئيس ، وكتب هؤلاء المؤلفين السكبار  
 نقلت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر والرابع عشر وكانت موضوع التدريس في أوروبا جميعها مئات  
 من الأعوام . أما ابن رشد فقد ظلّ لمذهبه الفلسفى أثر جديد ، وآخر من اهتم به الفيلسوف الكاتب (أرست  
 رينان) فقيده فرنسا ، ولما كان الرازى أول من وصف الجذري وكتب في أمراض الأطفال وفي واجبات  
 الطبيب ، كان ابن زهر أول من تكلم عن الشعور في العظام ، ووصف عالم الجرب ودعاه بالصواب ،  
 وأسهب في وصف الكسر والوشاء ، وكذلك كان الزهرائى أول من أشار بالسكى واستعمل حجر جهنم الى  
 آخر ما هناك من ضروب العلاج

وأختم كلمتى هذه بأن أرى من طلاب المدارس الطبية في الشرق أمثال الأعلام من سبق ذكرهم فنعيد



لشرق رونقه الخابر وتفسير مع أبناء المعمور في سبيل رفاهية الانسانية ، وما على المجتهد أمر عسير . وإلى هنا  
تم الكلام على الفصل الأول والحمد لله رب العالمين

### الفصل الثاني

في بعض أسرار قوله تعالى « وسوف تسألون » وأن هذه الأمة عوقبت في الحياة الدنيا  
فضلا عما تماقب به في الآخرة وذلك في ثلاث مقالات ، وهالك نصها

### المقالة الأولى

جاء في جريدة « المؤيد » بتاريخ يوم الأربعاء ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هجرية تحت عنوان  
« الرحلة الى الأندلس » وفي مدريد وطليلطله للأ مير شكيب أرسلان مانصه :

وصلت أمس الى مدريد آتيا من سرقسطه التي كان العرب يسمونها بالثغر الأعلى كما يسمون طليطله  
بالثغر الأدنى ، وقد استغرقت معنا الطريق من سرقسطه الى مدريد نحو من ست ساعات بالسكة بالسير السريع  
صهرنا فيها على قرى ومدن معروفة من زمان العرب مثل قلعة أيوب والجة وغيرها ، والجة حمام سخن كما  
يفهم من اسمها ، وجميع هذه القرى والمدن الصغار التي شاهدناها في أثناء اجتيازنا الى مدريد مبنية على  
أنهر وجدول ومحاطة بالجنان والبساتين وهيئتها شامية في تربتها وأشجارها وزروعها حتى في جبالها ووهادها  
فلا عجب أن رغب أهل الشام أكثر من كل العرب في سكنى الأندلس ، فانهم ما انتقلوا من شام إلا الى شام  
ومن لم يشاهد اسبانيا لم يعلم سبب الجاذبية التي بينها وبين سورية ، ولكن متى شاهد هذه البلاد فهم السبب  
فالأندلس في الحقيقة قطعة شرقية في الغرب ، أو قطعة غربية من الشرق ، ولقد ذكرت اقراء رسائي الى  
سأخرج إن شاء الله كتابا مستقلا عن رحلتى الى الأندلس ، فلا ينتظر القراء منى هنا إلا اشارات بسيطة  
ولحات دالة ، وقد كان يخفق فؤادى طول هذه الطريق من مشاهدة المآذن التي كنا نراها في كل قرية  
من القرى التي كانت السكة تشقها أو تمر حذاءها ، فبقي باقية على حالها بطرزها المعماري العربي وشراريفها  
وطاقتها وتجاريمها وكلها صرصة الشكل على نمط مآذن المغرب وما تغير فيها إلا وضع الأجراس في أعلاها  
وتحويل المساجد الى كنائس في أديانها ، وجميع البشري يدون الله ، وكثيرا ما كنا نرى منارتين أو أكثر  
حول مسجد واحد مما يدل على أن المساجد كانت لعهد العرب أوسع مما هي الآن وهي كنائس وأن القرى  
التي هي اليوم قرى متوسطة الحال كانت في دور الاسلام قصبات كبارا وأن القصب التي لا ترتفع اليوم الى درجات  
مدن كانت مدائن حافلة فان المساجد التي تبنى من فوقها منارتان وثلاث وأربع لا تكون إلا في المدن الزاهرة  
العمران ، وقد صادف وجودي في القطار بعض نهاء من الفرنسيين لخطوا هم أيضا ملاحظته أنا

أما مدريد فهي عاصمة من أجل العواصم الغربية لا ينقصها شيء عن عواصم الممالك الأخرى من  
سعة شوارع ، ونظافة أزقة ، وضخامة شأن ، وضخامة بانيان ، وعظمة ساحات ، وتراخي مساحات ، واشتباك  
أدواح جنائن ، ونضارة أزهار وحدائق ، وانتظام شامل كل معاني المدنية مع منزلة فيها هي ارتفاع الصقع  
واشراف يشعره الغريب بانسراح الصدر

ليس لمدر يد ما ينقصها إلا حداثة تاريخها إن كان هذا يعد نقصا ، فانها ليست كبرشلونه التي يرجع تاريخها  
الى دور الفينيقيين الذين لم يحبوها إلا لشبه سواحل هذه البلاد بسواحل سورية ، ولا كسرقسطه التي كانت  
كرسيا لمملكة أراغون بعد أن أخذها الاسبانيون من بني هود الجنامين ، وقد كان لها دور مجيد في زمن  
الرومان واشتق اسمها سرقسطه من (سيزراوغسطا) أي القيصر أوغسطس الذي كان له مزيد العناية بها ،

ولم تسكن مدريد كطليطلة عاصمة القوط يوم دخل العرب الأندلس ، ولا كقرطبة كرسى الخلافة الأموية لهذا اكتمال عظمتها في الغرب واشتغالها على الممالك من شروقي فرنسا إلى السودان ، ومن البحر المحيط إلى طرابلس الغرب . كذا . فمدريد كانت في أيام العرب قرية غير ذات شأن بنى العرب فيها مسجدا في وجهه بوارقشتالة اسمه حجر يط وذلك في القرن العاشر .

ثم لما أخذ الأسبانيون يسترجعون البلاد مستفيدين من قتال العرب بعضهم لبعض (هذا المرض العربي الذي كان ولا يبرح رأس كل بلاء هسند الأمة) استرجع الازدقوش السادس ملك قشتالة حصن حجر يط بعد نحو ١٥٠ سنة من بناء العرب إياه ، والقصر المملوكي الحالي مبني في محل جامع كان مسجدا لقرية حجر يط التي تحول اسمها إلى مدريد لقرب مخرج الجبل من المال وقرب مخرج الدل من الماء وأطباء ، ولما سكن الذي جعل مدريد مدريد هو فيليب الثاني ابن شربل كان ، وانما اختارها برغم حقولة باديتها وجذب ضايعتها لأجل توسطها من بلاد اسبانيا ، فسر قسطة ضاربة إلى الشمال الشرقي وورشلونة صمدى واقع في طرف قرطبة مائلة إلى الجنوب واشيالية مهمنة في الغرب وهم جرا ، فهذا عجزت مدريد وهي أحدث أسبانية تاريخا وأرفعته وانخفض ما كان مرتفعا قبلها والله يرث الأرض ومن عليها

ثالث يوم وصولي إلى حجر يط أو مدريد قصدت إلى طليطلة التي لا تبعد عنها بسكة الحديد أكثر من ساعة ونصف فزرت تلك المدينة الشهيرة عاصمة الأندلس يوم فتعها العرب ، وشاهدت كل ما يشاهده السائح فيها وبقيت بطليطلة نحو ثمان ساعات أبحث على آثار العرب وأحدث في هذا القصر وهذا الجسر وتلك المنارة وهاتيك الماذنة وأقبل ذا الجدار وأمسح بذلك الركن حتى شفيت غلبي من طليطلة ، فقد كان في نفسي منها ما كان في نفس اقراء حتى كنت منذ عهد الحداثة أحفظ قول القائل :

زادت طليطلة على ما حدثوا به بلد عليه نضرة ونعيم

الله زينه فوشح خصمه به نهر المجرة والقصور نجوم

فرايتها كما قيل بلدة عالية مشرفة على نهر كبير هو نهر (ناجدا) الذي ينتهي إلى البحر المحيط عند أشبونة (ليزبون) وقد انخفض النهر المذكور عن طليطلة وأحاط بها من الجهات الثلاث فهي لا تساوي البر إلا من جهتها الشمالية ، وعلى النهر بساتين وأشجار ، وفي ضفافه غياض وجنان ، ومنظر هذا النهر وما يليه من بساتين طليطلة من أبدع المناظر التي سرحت فيها طرف طرفي على رأى الكتاب ، وكذلك حصانها ظاهرة للعيان وقد قلت لما دخلتها : انه لا يمكن أن تؤخذ إلا بجوع أو بخيانة ، ولا سيما في العصر التي أخذت فيها ، وكنت أعلم من تاريخ الأندلس أن بنى ذى النون أساءوا التصرف فيها حتى آل الأمر إلى استرداد الأسبانيون إياها قبل جميع حواضر الأندلس حاشا برشلونه ، فلما رجعت إلى مدريد راجعت التواريخ بالتدقيق ، فأيدت المراجعة حدسي ، وقررت ما جال في نفسي ، وتحريرا لبر أن القادر بن ذى النون كان ضعيف التدبير فائل الرأي فطمع فيه جيرانه من أصراء المسلمين وطفقوا يهتدون عليه ويتجاوزون ، فذهب إلى الفونس السادس ملك قسطنطينية أو على حسب قول العرب الازدقوش طاغية قشتالة وطلب حمايته ، وجاء الازدقوش بجيش ومعه القادر بن ذى النون ليفتح له بلده التي كانت هي أيضا تمردت عليه ووعد الازدقوش بأنه يفتحها ويقره فيها ، فلما دخلها بسبب تفرق كلمة أهلها قلب له ظهر المجن وأقطع له بلدا أخرى ، واستولى الازدقوش على طليطلة وأعادها لحاضرة الملك كما كانت يوم دخل العرب الأندلس

وكم في العالم الاسلامي من أمثال القادر بن ذى النون قديما وحديثا يستخدعون بأقارب الأعداء ويستسلمون اليهم ويثقون بهودهم حتى اذا ما تمكن هؤلاء بواسطتهم من سرادهم قلبوا عليهم ظهر المجن وأرسلوهم يقرعون من الندم على تقصيرهم بهم ولما كان حين لا ينفع قوع النسي على حسن الظن ، فكان استرداد



الاسبانيون لطليطلة مبدأ مصيبة الأندلس لأنه بأخذها أخذ الأذفنى اقلما طويلا عريضا فيه ثمانون منبرا ،  
ودخل في وسط بلاد الاسلام منها ، خال بين قرطبة وغرناطة من الغرب ، وسرقطة ولاردة وقلعة أيوب  
من الشرق حتى قال الشاعر :

الشوب يفصل من أطرافه وأرى \* ثوب الجزيرة مفسولا من الوسط

والى هنا تمت المقالة الأولى

### المقالة الثانية

ثم انه لما استوثق اصحاب قشتالة أص طليطلة وتمكن بها طمع في قرطبة ومازال حتى أخذها ، ثم في  
أشبيلية ومازال حتى أخذها ، وانهار بعد ذلك ملك الاسلام بالأندلس ، ولولا نجدة المرابطين ثم الموحدين  
من أفريقية لسقطت الأندلس قبل أن سقطت بنحو ( ٣٥٠ سنة ) فأبناء تاشفين ثم من بعدهم أبناء  
عبد المؤمن هم الذين شاء الله أن ينسأوا أجل الاسلام في اسبانيا تلك المدة ، وأما السبب في ملك ابن ذى النون  
لطليطلة وجلبه الأذفنى اليها فهو انصداع الخلافة في قرطبة وتشظى عصاها بتوالى الفتن ، حتى انه لما رأى  
أسراء الأطراف أن أمر الخلافة لم يعد جميعا استقل كل أمير منهم بما بيده ، فابن ذى النون بطليطلة وابن  
هود بسرقطة ، وابن عباد بأشبيلية ، وابن صامح بالمرية ، وابن الأفطس ببطليوس وهلم جرا  
وهؤلاء هم الذين يقال لهم ملوك الطوائف ، لم يكن لهم شغل إلا مقاتلة بعضهم بعضا بينما العدو يلتهم  
منهم جميعا كل يوم قطرا : وهم مع ذلك عن غيهم لا ينتهون

ولذلك ولشدة ما عانى مساهو الأندلس من ملوك الطوائف عند ما نصرهم يوسف بن تاشفين رحمه الله  
في وقعة الزلاقة وأراد القفول الى أفريقية فزع اليه الفقهاء وقالوا : انك بمجرّد ما ترجع يرجع هؤلاء الى  
الظلم والعسف ومقاتلة بعضهم بعضا واستنجد الطاغية على المساكين فخرجوا منك أن تريحنا منهم وتقوم بما  
أخذ الله عليك وهكذا أقنعوه بأن ييسط يده على الأندلس كلها ويقضى على ملوك الطوائف ، وجاءت  
الفتاوى بمثل ذلك الى ابن تاشفين من الشرق حتى قيل ان الامام الغزالى أفتاه بالاستيلاء على الأندلس  
إزالة لمعرة ملوك الطوائف ، وليس لى أدنى اعتراض على ما فعل ولو كان ابن عباد صاحب أشبيلية خيا  
وكنا نحن ننتهى الى ارومة واحدة وكان ابن هود الجذامى جدّا لصديق خالد بك القرقى من عيون أعيان  
طرابلس الغرب ، وهذا عدا أن نجما وجذاما كانتا قبيلة واحدة قريبا

وقصارى ما أعترض أنافيه على يوسف بن تاشفين في نفيه المعتمد الى اغتمات التقصير معه في أمر معيشته  
فقد كان يمكنه أن يرفه عيشه ، أو يسد خلته ، ولو كان منفيا

ولم تنجم دويلات الطوائف هذه إلا بسبب سقوط الخلافة في قرطبة ، ولما كان حبل الخلافة مستحصفا  
كانت الوحدة تامة ، وكان الاسلام مهيبا ، وكان المساهون في اسبانيا نحو ١٥ مليونا ، وكانت قرطبة وحدها  
ذات مليون ومائتى ألف نسمة ، وكان وكان

فلما انتكس حبل الخلافة ، وانصدعت الوحدة ساءت الحال ، وتفرق الناس ، وزالت الهيبة ، وذلت  
العرب ، وبعد أن كان الناس لهم خولا صاروا هم خولا للناس

هذه هي الخلافة التى يقول بعض الناس اليوم انها لم تفد الاسلام بشيء ، بل يقولون انها كانت وبالا  
على المساكين ، وما كان وبالا على المساكين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع ، ولا سيما العرب الذين هم كما قال  
النعمان ابن المنذر اكسرى : « تراهم كلهم ماوكا »

وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ماوكا ينهى أمرها بأن يملك أمرها الأجانب ولا يبقى لها ملوك

وأعود الى طليطلة فأقول : عند ما كنت أقرأ :

طليطلة أدال الله منها \* سوارها ، إن ذا نبأ كبير

فليس نظيرها إيوان كسرى \* ولا منها انطونق والسدير

كنت أقول : ماذا عساها أن تكون هذه التي لا يحاكيها إيوان كسرى ولا يرتفع الى مستواها انطونق والسدير ؟ فلما رأيتهما وجدت من حصانة موقعها ، ومنعة أسوارها القسدية المبذبة طبقة دلى طبقى ما أكد لي قول هذا الشاعر وعلمت أن سقوط طليطلة هو بأفضل نبأ كبير ، لأن العرب لما أخذوا طليطلة ملكوا جميع ديار الأندلس ، ولأن صاحب قشتالة لما دخل طليطلة بدأ الانهيار في جدار العرب ، ثم لما تذكرت قوله : جوامعها كنائس أى قلب \* على هذا يقر ولا يطير

لحظت أن ناظم هذه القصيدة انما نظمها ثانی سنة فتح الازفونش لها لأنه بحسب شروط تسليم طليطلة له كان تقرر بقاء المسجد الجامع للمسلمين ووعد الازفونش بمراعاة حقوقهم وأحسن معاملتهم في البداية ووزع مائة ألف دينار على ضفافهم حتى يعملوا ويحرقوا ، وهذا كله حتى يخدروا عصابهم ويفرى غيرهم بالاستسلام ، وقد أفلح في سياسته هذه ، وخدع منهم خلقا كثيرا ، ولكنه بعد ذلك نقض كل عهد عاهد به وأعاد المسجد الجامع وغيره كنائس وشاهدت تلك الكنيسة العظيمة وهي مبنية بمكان المسجد ولم يبق من المسجد الأصلي إلا قسم قليل

والبيوت في طليطلة لم يبق منها إلا قليل من القديم ، ولكن صفة البلدة في ضيق شوارعها ودخول بعضها في بعض لا تزال كما كانت كأما العرب لم يخرجوا منها إلا من خمسين سنة ، وقد بقيت اللغة العربية لغة أهل طليطلة حتى بعد رجوعها للاسبانيول نحو خمسمائة سنة يتكلم ، ويكتب بها المسلمون والمسيحيون معا ، ثم خلت طليطلة من المسلمين ، فبقى المسيحيون وحدهم ، وكذلك بقي اليهود ، ولبثت لغتهم هي العربية ، وبقى طرز بنائهم ، وأسلوب معيشتهم غربيين ، واستمر ذلك الى سنة ١٥٨٠ مع ان ارتجاع الاسبانيول إياها كان سنة ١٠٨٥

وكان لنصارى طليطلة طقوس دينية خاصة بهم يقل انهم أخذوها عن القوط القدماء ، وليست بالتمام مطابقة للطقس اللاتيني ، ولما كانت طليطلة تحت حكم خلفاء بني أمية أى تبعا لقرطبة كان للنصارى المستعربين فيها أساقفة كما لنصارى قرطبة ، وقد كان لمطران طليطلة في زمان الخليفة عبدالرحمن الناصر أسقف يقال له عبد الله بن قاسم ، وقد أطلعني الاستاذ آسين بالاسيوس أعظم مستشرق الاسبانيول على أربعة مجلدات مطبوعة حديثا تتضمن الوثائق والصكوك العربية الباقية كانت في خزانة الكنيسة بطليطلة يستدل منها على أن اللغة العربية كانت هي اللغة السائدة في تلك البلدة وما جاورها الى نحو سنة ١٦٠٠ ولقد نسخت بعض أمودجات من هذه الوثائق وهذا كاف من خبر طليطلة ، بل هذا زائد على القدر اللازم لأن جميع هذه المباحث يجب ادخالها (للحلة السندسية ، في الرحلة الأندلسية) وما جاء منها هنا هو محض اعتداء على (الحلة) وابتسار من ثمرات الرحلة ، فمن شاء فليراجع الأخبار في آئنها ومكانها . انتهت المقالة الثانية

### المقالة الثالثة

الجامعة الاسلامية لم تكن يوما من الأيام بالمعنى الذي شاعت أوروبا تسميتها به لافي العصور الأخيرة ولا في العصور الأولى من الاسلام ، طبعاً ان القرآن يوصي المؤمن أن يكون دائماً الى جانب أخيه ، وأن لا يفرق قضيته عن قضيته ، غير انه يأمره أيضاً بأن لا يؤيد إلا قضية عادلة ، وأن يقيم العدل الصحيح تجاه



كل الناس دون ماتفریق فلا يمكن والحالة هذه أن يكون في الاسلام مسألة مناصرة مؤمن لغير مؤمن مجرد كونه مسلما ، جاء في القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون »

إن القرآن رسنة الرسول مليشان بالمواظظ الحائفة على اقامة العدل دون ماتفریق ، الحق والحقيقة هما لله ولقد قال النبي ﷺ مرة « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فسئل : كيف يهين أخاه ظالما ؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام : اذا كففت أخاك عن الظلم فقد نصرته . ولكن اذا كان المؤمن مظلوما أينما كان وكيفما كان فان القرآن يجعل مهونته فرضا مقدسا إلا انه يفني ذكر أن امكان هذه المساعدة بين المسلمين يجب أن يكون ثابتا ، ويجب أن تكون درجة هذه المساعدة موضع الدرس ، فلا يمكن مطلقا أن يطلب من المؤمن ما لا يستطيع ، فالأقربون أولى بالمعروف والقرآن صريح في هذه النقطة ، واليك الشروط التعاونية التي أمر بها الدين الاسلامي

فالمسلمون تعاونوا بعضهم مع بعض غالبا أدبيا وعقليا وسياسيا واقتصاديا وماديا ، والاسلام يتقدم الأمثلة الناصحة على هذا التضامن ، بيد انه لم يتخذ في زمن من الأزمان شكلا عاما عالميا ، فالخلافة الموحدة في الاسلام لم تدم إلا مدة حكم الخلفاء الأربعة الاول ، حتى ان خلافة علي كانت منشأ انشقاق هائل وحرب دامية بين المؤمنين ، حرب أولدت الانقسام بين السنة والشيعة ، فبعد عهد الأمويين في الشام ووحدة الخلافة تعرضت لصدمة عظيمة من قبل ثورة ابن الزبير الذي انتزع منهم الحجاز مدة خمس عشرة سنة . لكن في الاجال ظلت الأمبراطورية الاسلامية موحدة ، وهذه الحال استمرت زهاء قرن حتى سقطت الأمويين وقيام العباسيين الذين نقلوا قاعدة الخلافة من دمشق الى بغداد ، وفي ذلك الحين استطاع أحد الطارئين من بني أمية أن ينجو من سيف العباسيين فقصده اسبانيا التي كان الاستيلاء عليها حديث العهد ، لكي يقيم فيها دولة مستقلة عن خصومه ، ثم ان عبيد الرحمن الأول وهو المسمى بصقر قرش لم يجرؤ وهو مستقل على اتخاذ لقب الخلافة لنفسه ، وظلت الادعية العامة في الأندلس تدعى أمامه باسم خلفاء بغداد ، وإنما عبد الرحمن الثالث الفاتح الشهير الذي أخضع كل اسبانيا وجنوبي فرنسا وكل شمالي افريقيا والذي كان أبرز حاكم في زمانه (القرن الثالث للهجرة) هو الذي تجرأ على أن يتخذ لقب خليفة بالرغم من وجود الخلفاء العباسيين في بغداد ، وعندئذ قامت عدة دول اسلامية مستقلة بعضها عن بعض ، فالعباسيون في بغداد والأمويون في قرطبة ، وفي حين من الدهر كان الادريسيون في المغرب ، ثم قامت أسرة ملكية أخرى تحدث انقسامها جديدا وهي أسرة الفاطميين خلفاء القاهرة (القرن الخامس للهجرة استطال حكمها حتى القرن الحادي عشر) ومن ذلك الحين فقدت الوحدة الاسلامية كقوة سياسية ، ولم يهد التضامن الى تلك الممالك المتحدة ، وكان معترفا للعباسيين بشيء من التفوق الأدبي ليس غير ، وكان يبدو أحيانا مظهر للتضامن الأدبي حتى والمادي في البلاد الاسلامية لكنه لم يتجاوز حدود التضامن الذي كان ممارسا في البلاد المسيحية وقد قدمت الدول المسيحية في القرون الوسطى تجاه الاسلام مثلا للوحدة التي كانت مفقودة عند الدول الاسلامية ، وذلك بتضافر الفرنسيين والألمان والفاطميين والانسكلز والطليان الخ ، كتلة واحدة لحرب المسلمين في الشرق ، فقاموا باحدى عشرة حملة صليبية ، ومن جهة ثانية رأينا أن المسلمين لما أرادوا صد تلك الحملات لم يتحدوا إلا فيما بين المصريين والسوريين وسكان ما بين النهرين ، وهؤلاء جميعا ليسوا إلا جزءا من المسلمين وعبثا نادى صلاح الدين ودعا مسلمي المغرب لتوازره حكوماتهم بأساطيلها القوية ، ولوائهم لبوا دعوته لاستطاعوا أن يحولوا دون نزول الحملات الصليبية

وإن كان بين مسلمي افريقيا ومسلمي الأندلس تضامن تجلى بتقديم الجيوش فقد كان ازاء ذلك أكثرية

منهم بجانب الشعوب المسيحية ، ولكن بين الشرق الاسلامي والغرب الاسلامي لم يسفر التاريخ أعمالا عسكرية تبودات بشكل عام ، وقد وقع فقط أن أهل تونس والجزائر وطرابلس الذين كانوا أقلية تجاه الدول المسيحية دعوا لنجدتهم الدولة العثمانية ، وقد سارع السلطان سليمان القانوني لوضع هذه البلاد تحت سيطرته إمارعية في الفتح ، وأما في التضامن الاسلامي ، وأما لاقامة التوازن بين قوته وقوة شارل كان وقد صرّ حين من الدهر لم يكن في البحر المتوسط سوى أسطولين : أحدهما اسلامي تحت قيادة خير الدين بربروس ، والآخر مسيحي . انتهت المقالة الثالثة

### الفصل الثالث

في أن القرآن ذكر للمسلمين عجزا والمهرب خصوصا

في النهضة الحالية

ولأقدم مقدمة فأقول : اعلم أيها القارئ أني كما ذكرت سابقا مولود بقرية من قرى مديرية الشرقية تسمى ( كفر عوض الله حجازي ) وقد كان ذلك أيام الظلم والاعتساف ، والجور والقسوة ، فكان الحكم أظلم خلق الله ، وكانت الرعية جارية على سنن الرعاة ، فلأقوى كان يقام الأضعف ، وكنت أرى أن الأقوياء والأغنياء يتحكمون في الضعفاء ، فيرسلونهم إلى أعمال الحفر في الجسور والترع التي لأجر عليها من الحكومة بل هي مجرد ظلم واسترقاق وارهاق ، ولكن كانت الحكومة المصرية تنقل من حسن إلى أحسن سنة فسنة حتى استتب الأمن في البلاد وعرف كل ذي حق حقه ، وفي أثناء تلك المدة دخلت الأزهر فدرسة دارالعلوم فصرت مدرّسا ، وهناك أخذت أولف الكتب لنشرها بين المسلمين قياما بما عاهدت الله عليه أني إذا عرفت الحقائق العلمية جهلت حياتي وقفا على تعليم ورقى المسلمين كي لا يستسلموا للشك الذي آذاني وأقلق بالي ، وأخذت أعرض الكتب على ذوي الرأي في البلاد حتى إذا وجد أحدهم عيبا دلني عليه وكان حديثي المتقدم مع المرحوم لطيف باشا سليم وتوالت الجمعيات في مصر كحزب الوفد المصري وحزب الأحرار الدستوريين وغيرهما وهذا كله مصداق لما رأيته من قبيل ، وقد ظهرت في هذه الأيام جمعية الشبان المسلمين ولها فروع في الجزائر وتونس والشام والعراق وأمريكا ، وهكذا جمعيات أخرى كجمعية المواطنة والجمعية الجغرافية وغيرهما ، وكل في الأقطار العربية من جمعيات أدت أعمالا عظيمة وأكثرها ظهرت بعد الحرب الكبرى ، وجميع البلاد الناطقة بالضاد اليوم تطلب الاستقلال ، فانظر ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٩ وهذا نصه :

### الانتداب في البلدان العربية

بقلم الكاتب غوردون كاتنج

المقال الأول

كان من أعظم أسباب سقوط الأباطوريات القديمة اسراف القوة الرئيسية تدريجا بالتوسع المطرد في الممتلكات ، ونرى في عصرنا هذا أن الأباطورية البريطانية والأباطورية الفرنسية في خطر الانحلال لهذا السبب نفسه ، إن مستشاري الأباطوريتين يبلوحنهم من طراز قديم (سابق لتاريخ البشر) ممن لهم خبرة بفنون الحرب يصرّحون أن الضرورة تقضي بصيانة الممتلكات الموجودة بضم ممتلكات أخرى . مهلوم أن زيت البترول باب من أهم مطالب العالم في هذه الأيام فأصبحت موارده من الضرورات الأولية لكيان الدول العالمية ، فالبترول اذن كان من العوامل التي اجتذبت انكاثرا إلى العراق وفلسطين وإيران التي اضطرت بحكم أحوال خصوصية إلى الانسحاب منها ، ومتى كانت انكاثرا موطدة في العراق وفلسطين



ففرنسا لا يمكنها أن تتدخل عن بقعة مجاورة ترتكز اليها وتتخذها قاعدة لحماية مصالحها ، وهذا ما بحث على عقد اتفاق (سيكس - بيكو) وتنفيذ هذا الاتفاق كان مضرا بالاتفاق الذي عقد بين الملك حسين والحكومة البريطانية مع انه كان في تاريخ سابق لاتفاق (سيكس - بيكو) وما يدل على أن انكيترا قد سلمت بأنها حثت عهدها مع الملك حسين أنها أوجدت عرش العراق للملك فيصل بعد ما طردته السلطات الفرنسية من سورية ، وقد أثر ذلك تأثيرا سيئا في سمعة انكيترا وهيبتها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط لأن العناصر العربية أدركت انها سعت لشار أقوى وأقدر ، فقد كانت مقتضيات مواصلة الحرب أهم من كل شيء وفوق كل شيء ، حتى ان الشرف البريطاني ترك جانبا وعد من سقط المتاع ، وكانت هذه الاتفاقات الحربية المختلفة هي السبب الأكبر التي جعلت معاهدة فرساي وغيرها من المعاهدات شوما وهولا وأسباب القلق الحالي وعدم الارتياح بين ملايين من الناس ، والغاية من مقالتي هذه أن أقترح علاجا لمسألة بلدان الانتداب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط التي عانت هولاء تلك المعاهدات وفي أي علاج يتناول مصالح عدة أم لا يمكن لأية أمة منها أن تكون راضية كل الرضاء ، ولا بد من مراعاة مبدأ الأخذ والعطاء من كل جانب

وللبحث في هذه المسألة لا أرى من الضرورة الدخول في تفاصيل إدارة شؤون بلدان الانتداب خلال الثمان سنوات الأخيرة لأن هذه الوجهة من المسألة كانت موضوع البحث في عدة جرائد ومؤلفات ، فالغلطات التمهيسة والأخطاء المحزنة التي ارتكبتها فرنسا وانكيترا قد اعترف بها ، وايست المصاعب التي جابهتها كلاهما مما يستحق العطف لأنها من المصاعب التي أوجدتها انكيترا وفرنسا ، وقد أصلحت انكيترا جانبا عظيما من أخطائها ولا سيما علاقاتها مع العراق ، وأخذت فرنسا بارشاد الميسويوسوتحاول اصلاح عواقب ادارتها الوضيعة في سورية ، إن الفلطة الرئيسية التي ارتكبتها كل من انكيترا وفرنسا هي عدم العمل بمقتضى البند الثامن والعشرين من عهد جمعية الأمم ، وقد قالت المس (هويت) في كتابها عن الانتدابات ما يلي :

« أما اذا كانت هذه الرغائب قد نفذت فأمر مبهم غامض ، وأما اذا كان هناك لأولئك الناس رغائب جلية فأمر أغمض وأكثر ايماما . وبالْحَقِيقَةُ وواقع الأمر أن أهل بلدان الانتداب لم يستشاروا ، والأسلوب الذي أتبع في هذه البلدان في تقسيمها الى دويلات أوجد على سطح الكرة الأرضية بلقان أخرى وهو أسلوب سقيم من الوجهة الاقتصادية نظرا للتهربات الجركية بين تلك الدويلات وعرقلتها حركة التجارة . وبلدان الانتداب المعروفة بحرف (ا) هي كما يلي :

(١) — (العراق) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في سبتمبر

سنة ١٩٢٤ ويبلغ عدد سكانه ثلاثة ملايين

(٢) — (سورية) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في يوليو

سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٣٢٥٠٠٠٠ من المسلمين و٤٠٠٠٠٠ من الدروز و٤٠٠٠٠٠

من المسيحيين منهم ١٥٠٠٠٠ ماروني

(٣) — (فلسطين) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ ووافقت عليه جمعية الأمم في شهر

يوليو سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠٠٠ نفس ٨٧ في المئة منهم عرب

(٤) — (الشرق الأردن) ويبلغ عدد سكانه ٢٠٠٠٠٠ نفس

وفي شبه جزيرة العرب بلدان تحت الحماية البريطانية وهي : عدن ، وعمان ، والكويت ، وبلدان

مستقلة وهي : نجد ، والحجاز والعسير واليمن وحضرموت ، ومجموع عدد سكان هذه البلدان كلها يتراوح بين

خمسة عشر مليونا وعشرين مليون نسمة . أما اذا كان اصطلاح الانتداب قد وضع على قاعدة المثل الأعلى

أوابتكر كرادف للضم والتملك فليس من موضوع البحث في مقالتي هذه ، ولكن الأرجح أن جانبا عظيما

من عدد السكان المبين آنفا متعدد في مطالبه ورغبته في التخلص من الوصاية الأجنبية وإن كان مختلف الأحزاب غير متفقة على شكل الحكومة التي يجب أن تحمل محل حكومة الانتداب أو دولة الحماية فهل مقتضيات الأممية الطورية البريطانية تتطلب أن تكون إنكلترا في فلسطين والعراق وشرق الأردن وهل من الضروري أن تكون فرنسا في سورية؟ إن جواب البلدين هو (نعم) فإذا كانت إحدى الدولتين في سورية لابد أن تكون الأخرى في فلسطين والعكس بالعكس، وتقول إنكلترا: نعم لا دافع عن قناة السويس ضد مهاجميها من الشرق، ولا دافع عن مصالح بريطانيا في بتروال الموصل والحيرة. وتقول فرنسا: نعم لا دافع عن خط أنابيب البترول وسكة الحديد المزمع مدّها إلى الموصل وبغداد ومن كل منهما إلى حيفا، وهذه الفكرة الثانية لتنمية التجارة ومصالح الصناعات، ويتبعها ويترب عليها الحماية العسكرية، وهكذا تظلّ الدول الأوروبية الإدارية تثير كفتلة متجمعة من الرأي العدائي في تلك البلاد الذي قد يصبح بقوة الاتحاد قوة خطيرة، فالأفضل والحالة هذه الاعتماد على عقل سكان البلاد وعلى عهد صداقة يقوم على قاعدة التعاون التجاري والسكسب المتبادل.

والسبب الأول يمكن درأه باتفاق متبادل يعتقد بين إنكلترا وفرنسا اللانسحاب في وقت واحد من سورية وفلسطين وشرق الأردن، ولكن فرنسا تقول: « محال عليّ أن لأحجى الأقلية المسيحية » ولكننا نرى اليوم أن هذه الأقلية المسيحية هي أيضا تطلب جلاء فرنسا عن البلاد، وتقول إنكلترا: « إن ذلك مستحيل لا يمكننا أن ننسحب ونندع الاسرائيليين تحت رجة العرب » ومع هذا فإن اليهود والعرب كانوا في عهد تركيا عاشين معا في وفاق تام، إن تصرّح بالهجوم هو سبب الاضطراب الحالي بين العرب واليهود، إن تأسيس هذا الوطن القومي لليهود لم يلق تعظيدا حقيقيا من زعماء اليهود، فقد أيدوا الفكرة عن غير طيبة خاطر ماليا وأديبا ولم يوافقوا قط على فكرة منادوية محل اقامتهم للإقامة بذلك الوطن القومي، وقد كان معظم المهاجرين من اليهود القاطنين في شرق أوروبا الذين ذاقوا النذل والهوان، وعانوا الشيء الكثير من الاضطهاد والظلم، وقد برهنت الأيام على أن الصهيونية صناعة خائبة عقيمة وجناية سياسية، فالصهيونيون المقيمون الآن بفلسطين قد وجدوا هناك بمساعي إنكلترا وجهودها ولا بد من الاعتراف بهم وحمايتهم ومساعدتهم.

نعم يجب الوصول إلى اتفاق متبادل بين فرنسا وإنكلترا تتفقان فيه على سحب كل شيء فيه شبهة العسكرية من سورية وفلسطين وشرق الأردن وأن يقدموا للبلاد خبراء لتنمية فن الإدارة الحكومية والفنون والصناعات عند ما يطلب منهم العرب ذلك بأنفسهم، والحماية البريطانية التي تسحب من مصر وفلسطين يمكن أن تعسكر لمدة ١٥ سنة في جوار بورت فؤاد بعد استئذان الحكومة المصرية فتكون منها قوة مركزية متأهبة في أية لحظة للدفاع عن مصالح بريطانيا العظمى في شرق البحر الأبيض المتوسط وللتعاون مع الحكومة المصرية على حماية القناة ودرء الاعتداء على حرية الشعب المصري، ولكن قبلما يتسنى نقل هذا الاقتراح إلى حيز الفعل يجب على العرب أن يمدّوا أيديهم للعمل ويقدموا برهانا حاسما على استطاعتهم إيجاد مشروع ابتكاري يتسنى به ملافاة حدوث الفوضى عند ما تنسحب القوّات البريطانية والفرنسية من البلاد، فعلى نواب العرب أن يقدموا مشروعا يبينون به ما يلي:

- (١) انهم أهل لإدارة شؤون بلادهم بأنفسهم وأن الانتداب صار غير لازم
- (٢) إن جميع المشروعات التجارية مثل سكك حديد بغداد وحيفا ومناجم البترول في الموصل والحيرة تقدم لها التسهيلات اللازمة لترقيتها وانماؤها، وأن يسمح للمشروعات الأوروبية بالاشتراك مع المشروعات العربية أن ترقى مؤهلات البلاد التجارية والصناعية تحت شروط عادلة مرضية للجميع
- (٣) أن تستطيع الحكومات العربية تقديم الضمان الوافي لتأمين معاملة الأقليات المسيحية في سورية



والأقلية اليهودية في فلسطين وتنفيذ ، وأن تمنح الوطن التوحي اليهودي قسما معيناً من الحكم الذاتي ، وهذا الوطن القوي يجب أن يكون مثلاً مصغراً لمركز روجي تشيفي فقط  
(٤) أن يستطيع زعماء ثواب العرب أن يثبتوا برهاناً حاسماً على موافقتهم ، على إنشاء إيجاد دول عربية تحت سيطرة ابن السعود إذا كان ذلك ممكناً . وبهذا تم الكلام على المقال الأول

\*\*\*

### المقال الثاني

يعتقد معظم الناس أن العرب يحجزون عن اظهار مقدرتهم بتقديم خطة انشائية ، أما أنا فأعتقد أنهم قادرون ليس بناء على تاريخ عتصرهم الماضي فقط بل لما يحوزه أبناء العرب المهاجرون من النجاح الباهر في المراكز الصناعية والتجارية المصرية في بورس ايس ونيويورك وغيرها من أنحاء العالم المتمدن ، وليس من الضروري الرجوع بالقارئ الى الحكومات العربية السديدة الخطوات في اليهود الغابرة ، وحسبي أن أقول انه في القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخلفاء الراشدين ببغداد كان في وسع التاجر المتجول أن يسافر من البصرة الى دمشق مثقلاً بالسلع بغير أن يعتدى عليه أحد ، وفي عام ٩٨٠ ميلادية كان المسافر يقطع الشقة بين المهديّة وقاهرة بلا خوف ولا وجل من قطاع الطرق ، فإذا كان العرب قد استطاعوا في تلك الأيام تأمين الطرق بهذه الكيفية ، فن الأكيد المحقق أنهم قادرون على ذلك في هذه الأيام ، ولا بد لنا من التسليم أنهم يحجزون هذه المقصرة بالارث ، ولكن هل يحجزون الارادة والعزيمة على اظهار هذه المقصرة ؟ ان على العرب أن يبرهنوا على ذلك الآن ، ولا يكفي أنهم شديدي الرغبة في طرد العلم من بلادهم ، فهذا لا يعدو سياسة الهدم . ولكن يجب عليهم أن يظهروا مقدرتهم على التمييز والانشاء . أما فيما يتعلق بالخوف التي قد تنطرق الى قلوب الانكليز بأن الأقليات المسيحية واليهودية لا تطبق الأغلبية الاسلامية فلا بد من قول شيء في ذلك .

إن الأقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في البلدان الاسلامية الى أن تأتي دولة أوروبية وتستخدم تلك الأقليات لقلب الحالة كما حدثت في مسألة الأرمن والآثراك . نعم انه في الأنحاء البعيدة المنعزلة عن العالم الاسلامي قد لا يخاف الأمر من تعصب ضد المذاهب الأخرى ، ولكن هذا كان كذلك بين مختلف الطوائف المسيحية . على أن زعماء العرب في هذا العصر وفي العصور السابقة كانوا دائماً يعمدون على تلافى هذا التنافر واصلاح ذات البين ، فإذا كان التعصب الديني قد أخذ مجراه في زمن من الأزمنة فقد كان المسلمون من غير مذهب الحاكم يناهون من الاضطهاد ما ينال المسيحيين ، ومن الواجب أن تتحد مبادئ نجران كالمثل الأعلى للزعيم المسلم ، وكلمة الامام على رضى الله عنه : « إن دم الذمي كدم المسلم » هي أيضاً خير مثال

واليوم نرى الموازنة في لبنان والمسيحيين العرب في فلسطين ومسلمي الشام وفلسطين والعراق قد أخذوا يعرضون عن الفوارق في المذاهب والعقائد ويخضعون الى المثل الأعلى والمذهب العميم وهو أننا جميعاً اخوان في الانسانية ، وأول خطوة في هذا السبيل هي السعي الى توحيد بلاد العرب ، وقد أخذ أبناء العرب المثقفون المتنوّرون في هذه الأيام يتطلعون الى هذه الغاية وينشئون الدعوة اليها في عدة أنحاء وزعماء العرب أدري منى بالمنهج الذي يجب أن ينتهجوه للحصول على الوحدة العربية والتخلص من وصاية الأجنبي والتقدم الحثيث في التعاون مع خير الطبقات الأوروبية ، واني أقترح مايلي على سبيل التجربة :

١) أولاً : المبادرة الى عقد مؤتمر في القاهرة يدعى اليه مندوبون من جميع البلدان العربية

(ثانياً) ينتخب هذا المؤتمر مجلساً دائماً يكون مقره في القاهرة أو جدة أو الشام (ولما كانت القاهرة مركزاً حسناً تتوفر فيها أسباب المواصلات مع جميع بقاع الأرض العربية قد تكون لائقة لأن تصبح بمثابة جنيف للعرب)

(ثالثاً) على هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر كل سنة أو سنتين

(رابعاً) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الاجراءات اللازمة لاجراء اتحاد عربي وأن ينتخب زعماءه ويتفق على زعيمه الأكبر

(خامساً) تكون مهمته توحيد الأمة العربية ببحث دعوة مبنية على الفطنة والحكمة

(سادساً) يجب وضع خطة للتعليم يمكن كل دولة في خلال الخمس عشرة سنة المقبلة من الحصول على سبل مطرد من الشبان المتدربين على فن الادارة الحكومية والعلوم والفنون والشئون الصحية وما الى ذلك

فإذا استطاع العرب أن يصلوا الى هذا التوحيد فيحصل أن تتمكن انكثرا من رفع حمايتها عن جميع البلدان العربية عدا عدن ، وأن تعقد معاهدة صداقة ومحاربة بين سلطات الاتحاد العربي والأمبراطورية البريطانية ، وأنى أعتقد أن حلا كهذا يكون ضامناً أفضل لسلامة المواصلات الامبراطورية وبتوطيد أركان القوة في هذه البلدان من الشرق الأوسط وتوحيدها وتخلص الامبراطورية البريطانية من اتفاق عدة ملايين من الجنهات كل عام

ويغلب على ظني أن العرب يجب أن لا يتصوروا وهم لا يتصورون أنه يتسنى لهم الوصول الى هذه الغاية بغير مساعدة من الغرب ، ويجب أن لا يعزب عن بال انكثرا وفرنسا أن أمة تحت التدريب والتعليم لا يمكن أن تحوز المسؤولية اللازمة إلا بالممارسة والاختبار ، وبهما دون سواهما تتعلم هذه الأمة اجتناب الأخطار والوصول الى مستوى مرض من الحكم الذاتي ، وزعامة الدعوة الى الوحدة العربية يجب أن تخرج من دمشق ، وربما قبل مضي وقت طويل يعود العالم العربي الى ازدهاره وبنائه ، ويدهش العالم بثقافته وعلمه كما كان في سالف الأحقاب

وما هو تأثير هذا كله في انكثرا فيما يتعلق بالامبراطورية البريطانية ؟ الجواب عن ذلك من الوجهة السلبية أنه يوجد القوة العسكرية في مركز واحد ويقل من تبعه التورط ويؤدي الى اقتصاد المال ، ومن الوجهة الايجابية الابتكارية يضم جميع العناصر العربي الى دائرة الصداقة الخالصة ، ويوجد زبائن أقوياء أغنياء بالتقدم في المعيشة العصرية وبالتعاون التجاري الوثيق مع الغرب ، وحيث كان زبون واحد في الماضي يقوم اثنا عشر زبونا جديدا محله

إن مشروعاً كهذا يتطلب وقتاً للنضوج ، ولكن الوقت لا يجدي ولا يفنى فليس إذا كان زعماء العرب في هذا العصر لا يهتمون التربة ويتعهدونها بسماد العقل والفطنة وينثرون فيها بذور الاتحاد والوثام ، ولا نهش هذا المشروع وابلأغه طور الازدهار والايناع يجب أيضاً أن تنقى أرضه من الأعشاب البرية ، وأن يروى ويسقى ليس بمساعي زعماء العرب الشجهاً فحسب ، بل بمساعي الاورو بين أيضاً ولا سيما الرجال الانكليز ذوي البصيرة النيرة والنية الحسنة

ولكن ينتج هذا المشروع خير النتائج من الضروري الحصول على تعاضد انكثرا ومعاونتها ، فالعرب أن يقتبسوا العلوم عن الألمان والفنون عن الفرنسيين ، ولكن العلوم السياسية وفن معاملة المذاهب المختلفة ، وتحمل الفوارق الدينية ، وواجبات الشرف والنزاهة يجب أن يتعلموها من انكثرا ومحب الرجال



الانكاز ، وقد يطول العمر على ثقافة انكازا وتبقى مكرمة محترمة مرغوبا فيها خلال أجيال كثيرة مقبلة ويكون مثلها مثل ثقافة الرومان والعرب في هذا العصر .  
وأختم مقالى هذا بكلمات أرناموتو : « إني أقصد الحث واذا كاء وطيس الحساسة والانتراح لا الارشاد والتعليم » والى هنا تم الكلام على المقالين للمصنف الذي غوردون كاننج

## الفصل الرابع

في تأكيد الفصل الثالث وذلك بمقالين

### المقال الأول

#### التنافس الدولي ونصيب العرب منه

جاء في إحدى جرائدنا المصرية في يوم الأربعاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هجرية ما يأتى :  
إن القاعدة التى بنيت عليها مدنية القرن العشرين « الحق للقوة » وعلى هذا الأساس أصبح التنافس عظميا بين الدول العظمى فى بناء الأساطيل ، وتدريب الجيوش ، والتفنن فى ابتكار الآلات الجهنمية القاتلة لحيازة السيادة والتفرد بالنفوذ فى هذا العالم مما أدى الى نشوب الحرب العظمى التى كان من نتائجها انهيار الأمبراطورية الألمانية وسقوط أكبر دولة حربية على وجه الأرض

إذا كانت الضغائن موجودة فى الأفراد عند انتصار أحدهم على الآخر ومنعه من نيل ما يقتضيه والاستئثار به دون رفيقه ، فأحرى بها أن تسكون عند الدول الكبيرة وهكذا فإن ألمانيا التى كانت تطمح لفتح العالم أصبحت اليوم لاحول لها ولا طول لآثرى بهين الرضا ما يتمتع به دول الحلفاء من ثمرات الانتصار وتفردهم بالاستيلاء على بلاد العرب ، وإذا كانت عاجزة عن إثارة حرب ثانية تقضى بها على ما يتمتع به غرماؤها ، فلا تعدم غيرها من الوسائل خصوصا وهى تلك الدولة التى دفعت سفينة العالم فى اليم وجعلتها تائهة بين أمواجه المتلاطمة مدة أربع سنوات حتى رست على الشاطئ وهى محطمة

إن الشعب العربى يقطن أقطارا شاسعة ، وأغابها واقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط من خليج الاسكندرون الى مضيق جبل طارق ، وهذا الشعب خاضع جميعه لنفوذ وسيطرة ثلاث دول كبيرة (الحلفاء) الأولى بريطانيا العظمى ولها الشطر الأهم كمصر والسودان وجزء من سوريا الجنوبية والعراق وأغاب سواحل الجزيرة العربية ، والثانية فرنسا وفى يدها سوريا واقليم المغرب أوافريقيا الشمالية كتونس والجزائر ومراكش والثالثة إيطاليا وهى مستولية على طرابلس الغرب

فن هذا ترى أن بلاد العرب محصورة فى يد هذه الدول الثلاث التى لم تزل تسعى وتجتهد لتفكيك عرى هذا الشعب وبث روح التنافر فيه بمختلف الوسائل ، فهذا مصرى وذاك سورى ، وهؤلاء عراقيون ، وأولئك مغاربة ، وبث سموم فكرة اللغات العنمية والسعى للتشويق الى العدول عن اللغة الفصحى التى هى الرباط الوحيد الذى يربط سبعين مليونا من العرب

ولما كان لهذه الدول من ينافسها فى السيادة ولا يروق له أن تتحكم فى هذه الشعوب جعل ينافسها العداء بمختلف الوسائل التى تقضى على نفوذها وسلطانها من حيث لا تشعر

إن التنافس بين انكازا وروسيا هو سبب بقاء الاستانة بيد الترك أو بقاء الدولة العثمانية الى زمن الحرب العظمى وكذلك بقاء الدولة الإيرانية . وهانحن الآن للمرة الثانية نرى التنافس بين ألمانيا ودول الحلفاء سيكون سببا لاجتاد شىء من لاشىء وخلق كيان من الدم

إن الشعب العربي الذي قرّر المفكرون بأنه صائر إلى الانقراض بدأ يتعثر كـ ويتحسّر بوجوده في هذا العالم بعد تلك النفية الطويلة ، وما هذا إلا بفضل ذلك الطبيب النطاسي الحاذق الذي أخذ على عاتقه إحياء هذا المريض ليحوم أعداءه من ترائه

إن الاجتماع العربي الكبير في (برلين) تحت إشراف لجنة الدفاع عن المقربين العرب وحضور مندوبين من جميع الأقطار العربية للاحتجاج على مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر أول قطر عربي احتله الأجنبي وإلقاء الخطب النارية التي ترمى جميعها إلى وسادة العرب الكبرى مآدو إلا أثر من آثار التنافس الدولي بين ألمانيا والحلفاء

وهكذا سوف نرى أن هذه المنافسة الخطيرة ستفضي إلى مخارق دولة (الاتحاد العربي العام) ومن يعيش يره ، أوكما قال شاعر العرب القديم

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا به ، ويأتيسك بالأخبار من لم تزود  
ويأتيسك بالأخبار من لم تبع له به ، بتاتما ولم تضرب له وقت موعد  
(البصرة - العراق)  
أبو الوليد

## المقال الثاني

جاء في جريدة الاهرام يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م ما يأتي :

### في المجمع النسائي العربي

قرّر المجمع النسائي العربي في بيروت وكذلك فروعه في البلدان العربية في الجلسة القانونية المنعقدة في أول نوفمبر سنة ١٩٢٩ م بعد الوقوف على آراء الأكثرية الساحقة من مفكرات وجمعيات الأقطار كافة المسائل التالية :

(أولا) المبادرة إلى عقد المؤتمر الشرقي العربي الأول في مدينة دمشق قلب العرب النابض في أواخر الربيع القادم لتعود المرأة العربية إلى ازدهارها ومناعتها ، ويدش بتقافتها وعلمها كما كان في سالف الأحقاب ، وتنضم جميع العناصر النسائية إلى دائرة الصداقة الخاصة  
(ثانيا) ينتخب لهذا المؤتمر مجلس أعلى من مفكرات هذه الأقطار ويكون له مركزان رئيسيان في دمشق والقاهرة

(ثالثا) على هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر في كل سنة متناوبة في أقطار الشرق العربي

(رابعا) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الاجراءات اللازمة لإيجاد اتحاد نسائي شرقي عربي تكون مهمته توحيد الأمة العربية بربث دعوة مبنية على الفطنة والخصافة

(خامسا) أن يكون هذا البيان كإعلان رسمي لجمعيات وأفراد المفكرات في الأقطار الآتي ذكرها وهي : مصر . تونس . طرابلس . الجزائر . برقة . مراکش . السودان . جنوب إفريقيا . فلسطين ، شرق الأردن . العراق . الحجاز . اليمن . نجد . حوران . بلاد العلويين . سوريا لبنان . وبصورة مخصوصة يطلب المجمع آراء أخواتنا في المهجر ليشتركن معنا روحيا

(سادسا) ان المسائل الخس الرئيسية التي ذكرت في برنامج المؤتمر وأضيفت اليها مسألة رعاية الطفل باقتراح النابغة (حى) سيتمفرّع منها مواد شتى

(سابعا) إن هذا المؤتمر العام لا يزاحم المؤتمرات المحلية بل يحترمها ويؤيد مقوررتها . انتهى المقال الثاني



## الفصل الخامس

في أن الوطن اليهودي في فلسطين مما قرر ارتفاع ذكر الأمم العربية جاء في إحدى المجلات العلمية وهي « السياسة الأسبوعية » في يوم السبت ٩ أغسطس سنة ١٩٣٠ تحت العنوان الآتي مانعه :

### حديث للأستاذ محمد علي باشا

عن رحلته في فلسطين ودفاعه عن البراق ورأيه في الرابطة العربية عاد الأستاذ الكبير محمد علي باشا من الديار الفلسطينية بعد أن قضى في بيت المقدس زهاء عشرين يوماً أبلى فيها أحسن البلاء في الدفاع عن حقوق المسلمين والعرب في البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية ، وكان لمفاعه المجيد أثر خالده في الأوساط السياسية العربية وضجة عنيفة في السواثر الصهيونية وقد رأى أحرار الجالية السورية بمصر أن يخفوا زيارته ويمنهوه بسلامة الأوبة ويشكروه على ما عمله من المشاق ، وما قام به من جلائل الأعمال في تأييد حقوق العرب وتشجيع مزاعم الصهيونية ، فتألف وفد من هيئة إدارة جمعية الدفاع عن فلسطين وأعضاء حزب الشعب السوري برئاسة الأستاذ الزعيم الدكتور شهبندر وزاروا الأستاذ محمد علي باشا في منزله للقيام بواجب التهئة والشكر ، وقد رأى كاتب هذه السطور أن يفتتح هذه الساحة فطرح على الباشا أسئلة عدة حول البراق والمسألة الفلسطينية والرابطة العربية فتفضل معاليه وأجاب عليها بما يلي :

(س) لقد رفعت رأس مصر والشرق عاليا بما ناضتكم به عن حقوق العرب وتفيد المزاعم اليهودية الصهيونية في قضية البراق الشريف (جدار المبكى) فهل لكم أن تمضوا بتلخيص الأسس التي بنيت عليها دفاعكم المجيد ؟

(ج) حينما اتصل بي نبأ إبحار اللجنة الدولية الى فلسطين للتحقيق في قضية البراق والنظر في شكاوى الفريقين المتنازعين والحجج التي يتدرع كل منهما بها ، تحركت في نفسي عاطفة الغيرة على هذا المكان المقدس الذي تتجه نحوه أنظار ثلاثمائة مليون مسلم ونيف في جميع أقطار العالم ، ورأيت أن الواجب الديني والقومي يقضي على بأن أقبل دعوة اخواني الفلسطينيين ، وأقوم بقسطي في الدفاع عن ذلك الجدار الشريف فبرغم الأزمة الوزارية التي قامت في مصر ، وبرغم ما كنت أشعر به من الانحراف في صفتي لبيت نداء الواجب ووليت وجهي شطر بيت المقدس ، وبعد أن تعرفت هناك الى أحرار البلاد ودرست الموضوع من جميع أطرافه رأيت بالاتفاق مع سعادة الأستاذ أحمد زكي باشا ، وهيئة الدفاع أن نقسم أعمالنا الى ثلاثة أقسام :

(١) القسم التاريخي : ويتولى القيام به الأستاذ أحمد زكي باشا

(٢) قسم التحقيق ومناقشة الشهود : ويتولاه الأستاذ عوني بك عبد الهادي

(٣) القسم القانوني والسياسي : وقد عهد اليه بالقيام به

وسار التحقيق سيره المعلوم ، وأدلى كل من الفريقين بحججه وبراهينه ، وبسط الأستاذ أحمد زكي باشا موضوع النزاع من الوجهة التاريخية والوثائق القطعية التي لا ترد مؤيدا بها حقوق المسلمين ، ومن ثم جاء دوري فرأيت أن أستهل دفاعي بإبداء الاحتياطين الآتين :

(الأول) ان الأمة الفلسطينية أعلنت رسميا وفي كل الظروف عدم اعترافها بالانتداب البريطاني وهي لذلك لا تريد أن تتقيد بأي نظام مستمدة من هذا الانتداب ولا الاقرار بأية نتيجة ترجع الى ما يسمى بوطن قومي لليهود ، فدفاعي في هذا النزاع لا يغير شيئا مما احتفظت به فلسطين لنفسها لأنها هي وحدها

صاحبه الحق في تقريره

(الثاني) يقرر المسلمون أن النزاع على ملكية أماكن العبادة أو على حقوق مدعى بها على هذه الأماكن يجب أن ترفع إلى الهيئة المختصة دون غيرها بالفصل في أمر الوقف والأماكن المقدسة الإسلامية وماعداها فهو غير مختص أصلاً لعدم وجود حق له في ولاية الحكم على هذه الأماكن

ثم دخلت بعد ذلك في الموضوع من الوجهة السياسية وكشفت القناع عن حقيقة هذا النزاع وأسبابه المسيحية ، وبسطت مآلقيه اليهود من العنت والارهاق في أكثر بقاع الأرض وانهم لم يجدوا ملاذاً يفرعون إليه إلا البلاد الإسلامية والعربية لما كان يظهر أهلها من التسامح والرعاية نحوهم وأمطت اللثام عن المطامع الصهيونية في السعي للاستيلاء على المسجد الأقصى وعلى قبة الصخرة وجعل مكانيهما هيكل لليهود ، وسردت طائفة كبيرة من الأدلة تؤكد نياتهم وهي مستمدة من كتبهم وتصرّيات مفكرهم وزعمائهم ، ثم ألمحت إلى الخطر المقبل فما إذا أصرّ اليهود على التمسك بمزاعمهم فتسكون النتيجة أن هذه الصهيونية ستحمل العرب والمسلمين كافة على أن يعتنقوا الانقيسار (مطاردة اليهود) ولتحت سستار (الانيسونيسم) مطاردة الصهيونية فيتناطح تاريخ الإنسانية مرة أخرى يمثل تلك المأساة التي وقعت في أوروبا من قبل ، ولكن بطريقة أشد وأسى ، ثم تسكمت عن الجدار والرصيف في نظر المسلمين وأسباب تقديسهم إياها وماورد بشأنها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ثم قرنت بين ذلك وبين أسباب قدسية الجدار عند اليهود . وختمت دفاعي بالبحث من الوجهة الشرعية ، وتطرق إلى ذكر الوقائع والتطبيق القانوني

(س) هل تعتقدون أن لجنة التحقيق تراعى في وضع قرارها تلك الاعتبارات الخطيرة التي وردت في دفاعكم ؟

(ج) لا نستطيع الجزم الآن في كيفية القرار الذي ستصدره لجنة التحقيق الدولية في هذا الموضوع ، ومهما كان شأن هذا القرار فنحن غير مقيدين به بوجه من الوجوه كما مهدت في دفاعي أمام اللجنة لأن هذا الجدار لا يخص فلسطين وحدها بل هو ملك لثلاثمائة مليون مسلم منتشرين في أنحاء المعمورة ، ولا بد من القول أننا لم نشأ أن نكتفي بإبراز وثائقنا وأدلتنا أمام اللجنة ، بل قدمنا لها البراهين العملية المحسوسة التي لا تدفع والتي تستدّر بشرويل فيما إذا فكر أحد بالاعتداء على الأماكن الإسلامية المقدسة ، وذلك بأن دعونا أعضاء اللجنة إلى زيارة بعض الكنائس المسيحية مثل كنيسة القيامة وبيت لحم وغيرها وشاهدوا بأعينهم نتيجة الخلاف بين الطوائف المسيحية نفسها التي سالت من أجله السماء ، فكيف يكون بالإمكان والحالة هذه التوفيق بين عنصرين متنافرين قد تأصلت بينهما الخصومة الدينية والسياسية وحملهما على الاجتماع للعبادة حول جدار واحد

إن وضعية الستاتيسكو القائمة بين الطوائف المسيحية كانت من أقوى الحجج التي تدعم نظرية المسلمين وتدعو أعضاء اللجنة إلى التفكير العميق في هذا الموضوع الديني السياسي الخطير قبل أن يبرموا قراراً بصده وقد علمت أن أحد أعضاء اللجنة صرّح لأحد رجال العرب قبل سفره : « إن القضية خطيرة جداً أكثر مما كنا نتصور »

(س) ماهو الأثر الذي تركته في نفس معاليكم زيارتكم إلى القطر الفلسطيني ؟

(ج) لقد اختلف نظري أثناء وجودي في فلسطين نقطتان : الأولى ملأت نفسي غبطة وحبوراً ، والأخرى ملأتها كآبة وأسى . لقد أبهرتني منظر تلك الوحدة الجميلة التي تضم رجال العنصر الكوريين والمسلمين والصيحيين وتلك الوجوه المتلازمة بماء طرفة الاخلاص والنفوس المملئة بروح الهمة والنشاط وانصراف القوم جميعهم إلى الدفاع عن حقوقهم المقدسة والوقوف كتلة واحدة في وجه العدو الفاصب والصهيوني الدخيل ، والذي أخزني



أن أرى تلك التربة الطيبة والأراضي الخصبة التي تعد من أخصب بقاع العالم قد أخذت تنساب من أيدي العرب شيئا فشيئا وتنتقل إلى يدي الصهيونيين الذين نشد ازدهارهم الأموال الأجنبية الطائلة وتردهم المساعدات الكبرى من سائر أغنياء اليهود في العالم . أما العرب فمع خصب أراضيهم ووفرة ثروتهم لا يستطيعون أن يستثمروا تلك الكنوز الدفينة بسبب فقرهم وسوء أحوالهم الاقتصادية وشدة احتياجهم إلى المواد الأساسية للاستفادة من أراضيهم كما يجب .

وفي اعتقادي أن السبيل الوحيد لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية وتقوية عزائم العرب في هذا القطر الشقيق وانهاض هذه البلاد من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية هو أن يتضافر أغنياء الشرق عموما ومصر خصوصا على استملاك الأرض في تلك الأصقاع ، وقد علمت بعد البحث الوافي والاستقراء الدقيق أن ثمن دونم الأرض في فلسطين وهو يعادل ربع فدان مصري يتراوح بين جنيتين وعشرة جنيهات ، ويعطى موردا في العام تبلغ نسبته بسهولة إلى ٣٠ في المئة ، وهذه عملية ناجحة ، وصفة رابحة كما ترون وأنا سأواصل جهودي في هذا الموضوع ، وأدعو من أتوسم فيهم الخير من متمولي مصر إلى الاشتراك في هذا العمل الاقتصادي المضمون وتمضيد هذه الفكرة الرشيدة

(س) ماهي أقوى الوسائل التي تقترحونها معاليكم لتعزيز الروابط بين الأقطار العربية الشقيقة ؟  
(ج) إن التعاون على تحقيق المشروع الآف الذكر وإخراجه إلى حيز الوجود مما يقوى الأواصر بين هذه الأقطار الشقيقة ، لاجرم أن المشارع الاقتصادية والعمرانية يجب أن تنقذ على كل مشروع سواها لأنها دعامة الاستقلال وأساسه

وهناك مسألة أخرى يجب أن يكون لها الاعتبار الأول في هذا المضمار وهو أن نسمى سعيها حينئذ لا نزاع الفكرة الفرعونية من مصر لأنها فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ، ومن المصلحة الأدبية والمادية لمصر ( كما نوه الدكتور شهبندر في إحدى خطبه ) أن تهجر عبادة الأصجار الميته وتستعطف القلوب الحية في الشرق العربي التي جعلت قبلتها مصر لتسال الزعامة الحقة التي هي بسيرة بها ، رمادات شروط الزعامة متوافرة فيها بالنظر لما لها من الموقع الطبيعي والمكانة التاريخية والمقام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فخير بها أن تسير في طليعة الأمم العربية وتحمل لواء ثقافتها وتسمى إلى توثيق الروابط مع هذه الأم الشقيقة

ولا أكتف عنكم أننا الآن منهحدرون في انحدار خطر مجهول العواقب بسبب اختلاف اللهجات بين الأمم الناطقة بالضاد ، وأخشى كثيرا إذا استمرت هذه الحالة أن يؤدي ذلك في النتيجة إلى إيجاد لغات جديدة كما وقع في اللغات اللاتينية ، وهذا من أقصى مطامع المستعمرين الذين يعملون جهدهم لافساد لغتنا وتقطيع أوصالها والاستعاضة عنها بلغات دخيلة كما هو الحال في بلاد الجزائر حيث تشجع هناك اللغة البربرية وتعلم تعليمًا مدرسيًا لا يحلها محل اللغة العربية

وعبثًا تحاول الأمم العربية أن تقبوا مكانها بين الأمم المتمدنية وتنال ما نصبوا إليه من حياة استقلالية هنيئة مالم تعمل باديء ذي بدى على تكوين ثقافة خاصة لها وتحفظ هذه الثقافة كبريات تاريخي خالد ، وأنمازلت أعلق أكبر الآمال على الأزهر الشريف ، فهو باعتباره أكبر معهد ديني عربي في العالم الاسلامي قوة لا يستهان بها ، فإذا أمكن إصلاحه وتنظيم شؤنه عاد بالفوائد الجليلة على مصر والبلاد العربية جمعاء

وأرى أن يتكاتف العرب جميعا لوضع معجم عام باللغة العربية على شاكلة القواميس الانكليزية والفرنسية الكبرى لتوحيد المصطلحات العملية والفنية وغيرها

(س) ما رأيكم في عقد مؤتمر عربي للبحث في هذه الشؤون ؟

(ج) أنا لا أعتقد نجاح فكرة المؤتمر في الوقت الحاضر ، وإنما أستصوب تأليف لجنة عامة من كبار

منسكري مصر والشرق تأخذ على عاتقها النظاري انهاض البلاد العربية وترقية شئونها الاجتماعية والاقتصادية واتخاذ الوسائل المؤدية إلى إيجاد رباط مالية وأدبية بين هذه الأقطار وتوطيد دعائم الألفة والاتصال بينها وإزالة جميع ما يقام بين هذه الأقطار من الحوائل والفوارق التي يمكن التغلب عليها فإذا توفقتنا إلى تأليف مثل هذه اللجنة وسعيها لأن تكون متجردة من جميع النزعات الحزبية والصفت السياسية ونالت عطف أرباب الثراء في الشرق وتأييدهم المالي أمكننا حينئذ أن نخطو خطوات واسعة نحو الهدف الأسمى

إن الأمم التي تظلم وتسلب حريتها لابد أن تستعيد هذه الحرية إن كانت جديرة بها ، فنحن كأمة عربية كبيرة يجب أن نسمى لاستكمال الخصائص والمزايا التي تؤهلنا لنيل الحرية والسعادة والاستقلال انتهى ما أردته من المجلة المذكورة وهذا الحديث يدل دلالة واضحة كيف اجتمعت أمم العرب بل أمم الإسلام لهذه القضية ، وهذا كاف لما قصدناه في الفصل الخامس

### الفصل السادس

في ذكر أمر عظيم إسلامي في أيامنا هذه  
وهو دفن فقيد الإسلام محمد علي بفلسطين وهذا حادث يبرز نظيره في التاريخ  
٢٠٠ ألف يشيعون الجنازة و ١٠٠ ألف يشهدون الصلاة  
حفلة التأبين في المسجد الأقصى

جاء في جريدة الاهرام يوم السبت ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م مانصه :  
خرجت البلاد الفلسطينية الواقعة على خط السكة الحديدية من القنطرة الى القدس لتحية رفات الفقيد الكبير مولانا محمد علي وتعزية شقيقه مولانا شوكت علي ونجله مولاي زايد علي وحرم الفقيد الكريم فكانت كل بلدة تقابل القطار بالتهليل والتكبير قبيل انبثاق الفجر بساعات برغم شدة البرد ، وكان مولانا شوكت علي يشكر لهم تكبدهم هذه المشاق ويحي عواطفهم النبيلة ، وفي منتصف الساعة السابعة صباحا وصل القطار الى البلد التي كانت محطتها غاصة بالجماهير من سائر الأنحاء ، واصطف طلبة وطالبات المدارس ورجال الجمعيات بأعلامهم وشاراتهم ، وكاهم مكبرون مهللون ، وكذلك في الرملة وفي سائر المحطات حتى وصل القطار الى القدس التي احتشد في محطتها ألوف من المشيعين بينهم قناصل الدول الأوروبية ورؤساء الدين المسيحي ، وبالرغم من شدة الزحام ابتداء الموكب سيره في الساعة العاشرة صباحا ووصل الى المسجد الأقصى في منتصف الساعة الأولى بعد الظهر حيث أدي هؤلاء جميعا فريضة الجمعة في حرم المسجد الأقصى الذي غص بالمصلين وبرغم اتساع جوانبه الفسيحة ضاق بهم ولم يتمكن الكثيرون من أداء الفريضة داخل الساحة العظمى فأدوها في الشوارع المجاورة للحرم ، وبعد انتهاء الصلاة وقفت الألوف لشهود حفلة التأبين التي لم يمكن اقامتها في الحرم وضافت بها ساحته الرحبة ، وصعد رجال الوفود الإسلامية والمؤبنون على المنبر الأثري المصنوع في عهد المرحوم السلطان قايتباي سلطان مصر مدة حكمه في فلسطين وسوريا ، وابتدأ سباحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس بافتتاح حفلة التأبين بكلمة قيمة أسالت العبرات أعرب فيها عن مبلغ الخسارة التي أصابت الشرق وعلى الخصوص الهند وفلسطين هذه النكبة الصاعدة التي انتزعت بطلا نادرا من أبطال الإسلام ، وقام بعده الاستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثمالي نائبا عن شمال أفريقيا ، وعلى الخصوص عن وطنه تونس ، وهو أقدم الحاضرين عهدا بصداقة الفقيد ، وأخذ يتدفق في بلاغته تدفق السيل ، وأخيرا



بكي فابكي ، وواصل رثاءه فكان ينقل الجمهور من الحسرة الماطقة وأثر النكبة الصاعدة الى الأمل والرجاء بأن تكون هذه الفاجعة مبدأ عهد جديد للمسلمين يقدمون فيه بالراسل الكريم في حياته الخاتمة بالجهود والتضحيات العظيمة

وقام خطباء مصر يون وغيرهم ، ثم ابتدأت حفلة الدفن ، فسارت الالوف تلو الالوف الى القبر الذي أعد للفقيد في خلف آل الخطيب السكرام بالمسجد الأقصى ، وحيى بالنمش وقد غطي بغطاء من القطن المنسوج في الهند أعده هنود بورسعيد وفوقه غطاء من الحرير الأخضر الموشى بالذهب ، وقد نقش عليه بعض آيات الكتاب الكريم صنع سيدات القدس الشريف ، وفوقهما قطعة أثرية من الكسوة الشريفة النبوية أهدها سمو الأمير محمد علي لتوضع فوق نيش الفقيد (انظر شكل ٨ وشكل ٩ في الصفحات التالية)

وقد صلى عليه داخل حجرة الدفن فضيلة شيخ الهنود في القدس ومولانا شوكت علي ونجله زاهد علي وحرم الفقيد الكريم وفضيلة الاستاذ التفتازاني ، ثم وري التراب بين بكاء الباكين ودعاء الداعين وبالجملة فقد شهدت فلسطين مشهدا في جنازته لم يشهده من قبل المناصرون كثرة واجلالا وعناية ، وكان مولانا شوكت علي يحيب على تهزيت الوفود الاسلامية العديدة بسيارات بليغة بالانجليزية ترجع الى العربية ، وقد قال أخيرا لأهل فلسطين : « لقد استودعناكم أئمن مائلكم ، وذلك دليل قيم على حبنا لكم ، وإخلاصنا في قضيتكم ، واهتمامنا بأمركم ، نحن معاشر الهنود المسلمين المدينين للعرب كافة بإسلامهم ومدنيتهم ، وكانت كلمته تقابل بما هي أهل له من الأثر الصالح في النفوس

### بعد يوم محمد علي في فلسطين

قال مراسل الاهرام في يوم الأربعاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي : « انقضى يوم مولانا محمد علي ولكن أحاديث الناس عن هذا اليوم لاتنقضي قبل وقت طويل ، فلم تزل الألسنة تلهج بعظمة هذا اليوم وملاقاه جثمان الفقيد من الاجلال في الاستقبال والدفن . وقد هالني ما رأيت من كثرة الناس المتوافدين لزيارة الضريح وقراءة الفاتحة والترحم على الضيف الثاوي في هذا المكان ، ورأيت كثيرا من النساء البدويات فضلا عن السيدات والعوائل من أهل المدن يزرن محمد علي رافدا في ضريحه ، وبينما أنا خارج من هذا الجامع فاذا جماعة قادمون صوب الباب ، فبادرنى أحدهم سائلا : هل هذا قبر مولانا محمد علي ؟ ثم دخلوا بكل لفة ، وكذلك تتردد الوفود الفلسطينية على مولانا شوكت علي لتقديم عزاءها له ، فيجيب بأنه لن ينسى هذه الحفاوة الكبرى ، وأن مشاهدته من مشاطرة أهل هذه البلاد له في هذا الخطب العظيم يدل على أن الشهور بالوحدة الشرقية أشد مما كان يتصور ، وقد قال لأحد الوفود : « إن هذا اليوم يوم دفن أخي محمد علي في بيت المقدس هو بالحققة فاتحة عهد جديد بين فلسطين والهند

ويتردد على مولانا شوكت علي مكاتبو الصحف الأجنبية ويطالبون مقابلته ، ولكن الوقت الى الآن لم يتسع له هذا ، وقد علمت أن المسترمارتن مكاتب الديلي تلمراف قابل مولانا شوكت وأخذ منه حديثا أعرب فيه مولانا شوكت عن الوقع الذي حصل في نفسه من ليلة ٢٣ يناير الحالى الى ساعة المقابلة

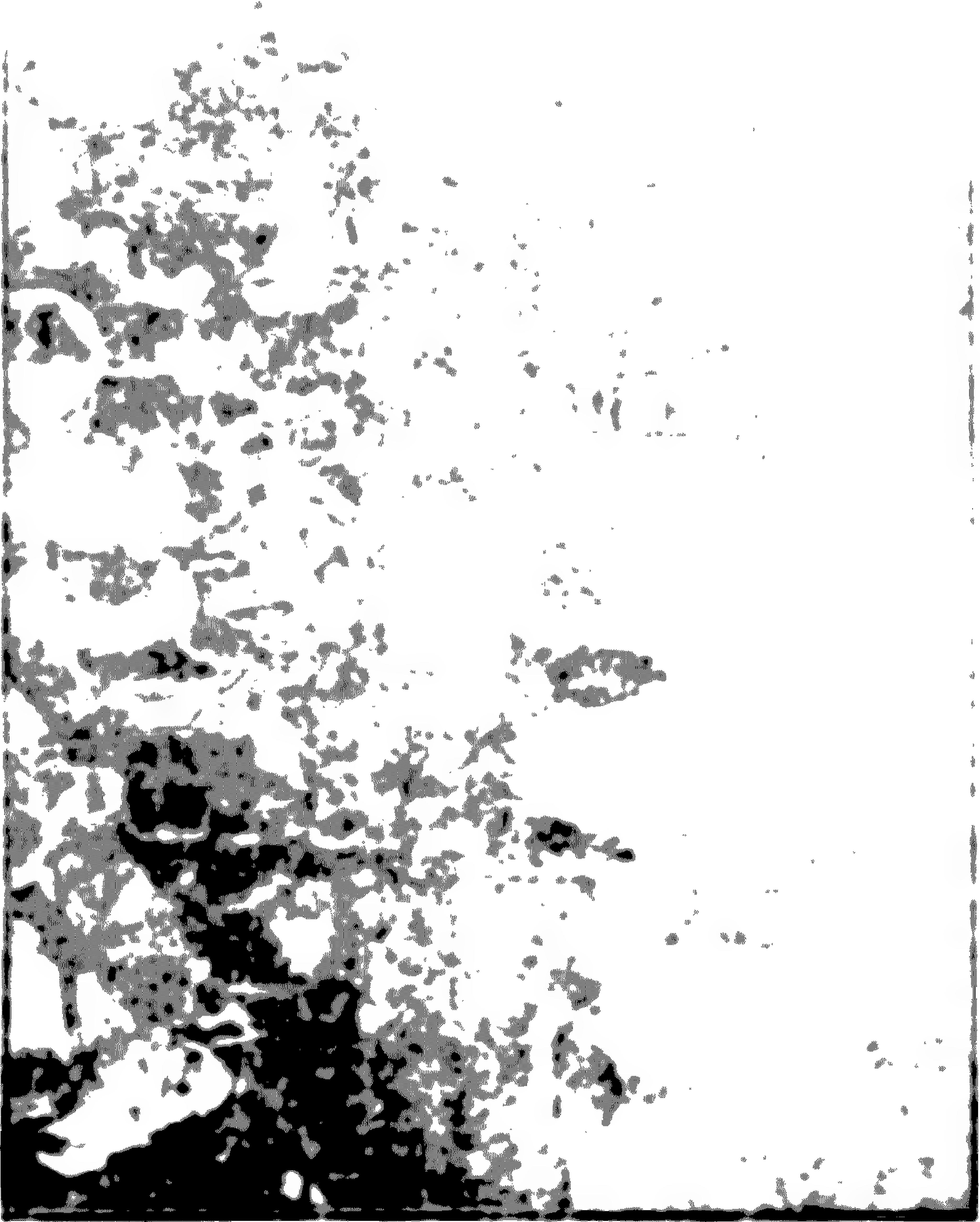
وقد علمت أن مولانا شوكت علي قد أ برق الى جمعية الخلافة في بمباي برقية مسهبة ضمنها صفوة الأخبار التي تصف نقل الفقيد من بورسعيد الى القدس الشريف ودفنه بجوار المسجد الأقصى ، وقد جاء في هذه البرقية العبارات التالية : « وضع الشمس تجاه المسخرة الى جهة الجنوب ، وفي الساعة الثانية حتى الرابعة بعد الظهر كان عظماء المؤمنين يتبارون في تأيين محمد علي ، وبعد أن فرغوا وقفت وطلبت منهم باسم الاسلام وبحرمة الفقيد أن يقطعوا العهد على نفوسهم أن يكرنوا من هذا اليوم عاملين لتكميل العمل الذي بدأ فيه محمد علي وثابر عليه بكل توفيق من تجديد الحياة الاسلامية الشرقية »





( شکل ۱ - دیوار آتشفشان در نزدیکی دهانه آتشفشان )





( شكل ٩ - نعش الزعيم الكبير مولانا محمد علي مجولا على الأكتاف ، وخارجا للدفن بعد الصلاة عليه في المسجد الأقصى الذي ضاق على سعة بعشرات الالوف من المصلين فاضطروا الى الصلاة في الشوارع المجاورة له )

وقال في هذه البرقية أيضا مانصه : « إن جثمان أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح الى معشر العرب الذين لم يزل العالم مدينا لهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم »

ومن أقوال الاستاذ شوكت على أيضا ما يأتي : « إن موت أخى في ميدان التضحية للحظلة الأخيرة وقد كان مشغلا بخدمة الوطن والاسلام أثر تأثيرا عظيما في الانكليز ، والموت على مثل هذه الحالة المقرونة بالجهاد يؤثر أكثر من الجهاد في حالة الحياة ، ثم قال : إن موت شقيقى سيؤدى الى حل مشاكلك الهند ويوصل الى تحقيق رغبات البلاد . وسئل هل ستطرح قرارات مؤتمر لندن على هيئة عامة في الهند ؟ نعم سيقدم مؤتمر من مسلمي الهند بعد وصولي ليسموا من المندوبين المسلمين في مؤتمر لندن كل ما حدث هناك لتقرير ما يروونه ملائما للوقوف على رأيهم فيما يشيرون به ، ثم يعتقد بعد ذلك مؤتمر عام من المسلمين والهندوس . هل أنتم متفائلون ؟ نعم انى متفائل ، وما يدل على ذلك أن المسلمين بحمد الله يد واحدة وقوة متحدة »

ثم قال : « إني مسرور لأن مؤتمر لندن أعطاني فرصة للتحقق من أن الانكليز يرغبون رغبة أكيدة في انتاج سياسة مبنية على حسن التفاهم واصلاح ذات البين بينهم وبين الهند ومصر ، واعطاء الشرقيين القسط الواجب من الاحترام » اه

\*\*\*

لما رسمت هذه الصور واطلع عليها صديق العالم . قال : إن لى اعتراضا على رسم هذه الصور في التفسير . إن عادتك جرت في هذا التفسير أن لا ترسم إلا ما يفيد فائدة طبيعية من صنع الخالق عز وجل . أما هنا فأراك خالفت عادتك . فقلت : نعم ، ألا ترى رعاك الله أن هذه حادثة يعزّ نظيرها في التاريخ ، ألم تر كيف أقدم الاستاذ شوكت على على دفن أخيه في البلاد العربية المقدسة ، وهذا حادث لم أجده له نظيرا من قبل ، بل انى لم أربطه بين المسلمين توطدت مثل هذه ، ان تاريخ المسيحيين شاهد أنهم كانوا أقوى اتحادا من المسلمين كما تقدم ، ولكن اليوم جاء دفن المولى محمد على ببلاد العرب دليلا على ارتباط مسلمي الهند وهم ٧٠ مليوناً بمسلمي الأمم العربية . فإذا قالت انكليزنا هذا وطن يهودى قال الهنود نحن مع اخواننا وقد دفنا أحد عظمائنا فيه ، وهل في زماننا معجزة قرآنية أعظم من هذه ، وهل أنا رسمت النهش في التفسير إلا لأنه أبرز لنا معجزة نبوية ، ألا ترى الى ما قاله الاستاذ المولى شوكت على : « إن جثمان أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح الى معشر العرب الذين لم يزل العالم مدينا لهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم » اه

إن هذا القول لم يصدر من أمة من أمم الترك أو الفرس ، فالترك هدموا ممالك العرب هدماء وأذلواهم وقدماء الفرس من قبلهم فتكروا فتكا سياسيا بالأمم العربية وهم مسلمون ، ولكن أهل الهند بهذا العمل المجيد قد أفهمونا معنى قوله تعالى هنا « وانه لنذكر لك ولقومك »

أصبحت الهند وأبناء العرب اليوم صفوا واحدا في مقابلة من يعتدى على بيت المقدس أو بلاد فلسطين ، فهذا مصداق لهذه الآية ونور من أنوار النبوة المحمدية والحمد لله رب العالمين . انتهى الفصل السادس

### الفصل السابع

في اتحاد المسلمين اليوم على فرنسا إذ أشيع أنها تنصر البربر ، وتشجع النصرانية في تونس ، وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ماجاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٠ بعنوان « نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعها » . المقال الثانى وهو ماجاء في جريدة « كوكب الشرق » تحت



## نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعها

والى علماء الحرمين الشريفين ، ورجال المشاهد الاسلامية من اعلام الأزهر ومحققاته في المملكة الاسلامية ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، ومعهد ديوبند في الهند ، ومعهد النجف في العراق ، والى الجمعيات الاسلامية في أنحاء الأرض ، ولاسيما جمعيات الهند : جمعية الخلافة في بمباي ، وجمعية العلماء في دهلي ، وجمعية أهل الحديث في دهلي ، وجمعيات أندونيسيا : اتحاد اسلام في سومطرة ، وشركة اسلام في جاوه ، والجمعية المحمدية في جاكجا كرتا ، والى المسجد الاسلامي الأعلى في القدس ، والمسجد الاسلامي الأعلى في بيروت ، والى جمعية ترقى الاسلام في الصين ، والى الصحف الشرقية على اختلاف لغاتها ولهجاتها

ان أمة البربر التي اهتدت بالاسلام منذ العصر الأول والتي طالما اعتمد عليها الاسلام في فتوحه وانتشاره وطالما استند اليها مستنجدا أومدافها في خطوبه العظمى ، هذه الأمة التي سارت مع طارق الى اسبانيا ثم مع عبد الرحمن الغافقي ومع أسد بن الفرات الى صقلية ، هذه الأمة التي كانت منها دولتا المرابطين والموحدين فكانت لها في تاريخ الاسلام أيام غراء مجيدة ، هذه الأمة التي ظهر منها العلماء الأعلام ، والقادة العظام ، والتي لرجاها في المكتبة الاسلامية المؤلفات الخالدة الى يوم الدين ، هذه الأمة التي تبلغ في المغرب الأقصى وحده أكثر من سبعة ملايين نسمة تريد دولة فرنسا الآن اخراجها برمتها من حظيرة الاسلام بنظام غريب تقوم به سلطة عسكرية قاهرة متهمة به جريرة الوجدان ، ومتهمة على قدسية الايمان ، بما لم يعهد له نظير في التاريخ

لقد وردت على مصر كتيب من الثقات في المغرب الأقصى تذكر أن فرنسا قديما استصدرت ظهيرا سلطانيا تاريخه ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ - ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م ونشرته الجريدة الرسمية في المغرب بعددها رقم ٩١٩ تنازل فيه سلطان المغرب لها عن الاشراف على الامور الدينية لأمة البربر ، وأن فرنسا قد بدأت بالفعل في تنفيذ ذلك الظهير ، فقامت السلطة العسكرية في المغرب الأقصى تحول بين ثلاثة أرباع السكان وبين القرآن الذي كانت به حياتهم مدة ثلاثة عشر قرنا ، فأبطلوا المدارس القرآنية ووضعوا قلوب أطفال هذه الملايين وعقولهم في أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات يدبرون مدارس تبشيرية للبنين والبنات ، وأقفلوا جميع المحاكم الشرعية التي كانت في تلك الديار ، وأجبروا هذه الملايين من المسلمين على أن يتحاكموا في أنسكحتهم وموارثهم وسائر أحوالهم الشخصية الى قانون جديد سنوه لهم وأخذوه من عادات البربر التي كانت لهم في جاهليتهم وهي عادات لا تتفق مع الحضارة ولا تلام مستوى الانسانية ، وحسبنا مثالا على انحطاطها وقبحها انها تعتبر الزوجة متاعا يباع ويشتري ، وتورث ولا ترث ، وانها تجيز للرجل أن يتزوج ماشاء كيف شاء ولو أخته فن عداها في وقت واحد ، وان قانونا كهذا القانون يسق للمسلمين مخالفا للاسلام ، يهد من رضى به مرتدا عن الاسلام باجتماع علماء المسلمين

إن فرنسا التي تبث الدعاية في أُمم الأرض بأنها أمة الحرية قد أجبرت رجال حكومة المغرب المسلمين على أن يتركوا دينهم بتنازلهم عما للسلطان من الحق في إقامة أحكام الشرع الاسلامي بين رعاياه من قبائل البربر وجاهليرهم والاعتراف لحكومة الحماية الفرنسية بأنها صارت صاحبة التصرف في دينهم وأموالهم التشريعية والتهذيبية وهو مالا تملك تلك الحكومة الحق في التنازل عنه ، ومنذ استصدر الفرنسيون ظهيرا (مرسوما) من سلطان المغرب بهذا التنازل اعتبروا جميع المدارس القرآنية ملغاة ، وجميع العبادات الاسلامية معطاة ،

وذكروا أمر تعليم أطفال المسلمين الى الرهبان توطئة لتبشير هذه الأمة عقيدة وعبادة وعملا ، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم فلا يتصل بها أحد منهم

أيها المسلمون : قد أجمع علماءكم من جميع المذاهب على أن من رضى بارتداد مسلم عن دينه يكون صريحا برضاه عن ذلك ، فيجب على جماعات المسلمين وطوائفهم وجمعياتهم وأفرادهم أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على هذا العمل المنكر الفظيع بكل ما في وسعهم كل يحسب ما يليق به ، فاذا لم ينفع الاحتجاج فكر المسلمون في الوسائل الجديدة ، وإن في وسعكم أيها المسلمون أن تجبروا دولة فرنسا على احترام اسلام هذا الشعب الكبير وتركه يتمتع بحريته الدينية والوجدانية ، لأن حرية الدين والوجدان حتى من حقوق الانسان يجب على الانسانية حمايته من عبث العابثين واعتداء المعتدين

لقد سلكت دولة فرنسا مع اخواننا مسلمي المغرب سبيلا غير سبيل الرفق والنصح ، فجردتهم من وسائل النهوض وحالت بينهم وبين التعليم الصحيح ، وأنفقت أموال أوقافهم الاسلامية في ضد ماوقفت له واختصتهم بشر النصبين في كل ما اتصل به مصالح الوطنيين والأجانب ، وأن في المسلمين من كان يعرف هذا ويتقاضى عنه الى حين رجاء أن يجعل الله لأهل المغرب فرجا من عنده ، ولكن امتداد يد السلطة القاهرة في المغرب الى دين الاسلام واعتدائها على حرية العقيدة والعبادة قد أوصل هذا العدوان الى الحد الذي ليس بعده حد ، فحق على كل مسلم أن يبادر الى انكار هذا المنكر بكل وسيلة يستطيعها

يجب أن تعلم فرنسا أن الاسلام لم يمت ، وأن المسلمين قد استيقظوا وصار بعضهم يشهر بلسانهم ببعض البعض الآخر من اضطهاد في دينه ودينه ، وأن بناء مسجد في باريس تؤخذ باسمه ملايين الفرنكات من أوقاف الحرمين الشريفين وملايين أخرى من الاعانات الجبرية من جميع مسلمي افريقية مع اعانات أخرى من سائر العالم الاسلامي لا يمكن لفرنسا أن تجعله حجة على حرية الاسلام ومودة المسلمين في ممالكها (التي تسميها أحيانا اسلامية) مع هذا الجرم الفظيع الذي شرعت فيه أخيرا وظنت أنها تستزع به بضعة ملايين من حظيرة الاسلام بنظام تنفذه قوة عسكرية قاهرة

إن فرنسا اذا لم ترجع عن هذه الجريمة فإن العالم الاسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته ، وسيعلن ذلك على منابر المساجد ، وعلى صفحات الجلات والجرائد ، وفي حلقات الدروس الدينية ، وفي نظم الجمعيات الاسلامية . لقد حان حين امتحان أحرار أوروبا فيما يدعونه من الانتصار لحرية العقيدة والوجدان ، حتى لقد رضوا بكثير من المنكرات التي يستفرون أنها منكرات ، وذلك حرصا منهم على بقاء الحرية طليقة من قيودها ، وإن أقدس الحريات حرية الوجدان والاعتقاد ، وأسوأ ما أصيبت به هذه الحرية في هذا العصر محاولة فرنسا أن تحوّل المغرب الأقصى عن اسلامه الى النصرانية أو ما شئت أن تحوّل اليه

لقد سمعنا صوت أوروبا حكوماتها وشعوبها يرتفع عاليا باستنكار ما فعلته روسيا البولشفية من اقنائها بعض المعابد مع ان يد البولشفيك الحديدية انما امتدت الى التجارة والطوب ولم تمتد الى النفوس والقلوب فالعالم الاسلامي ينتظر من أوروبا التي احتججت على عمل السوفيت في الكنائس أن تقول لفرنسا كلمتها الصريحة في عدوانها على دين الاسلام في المغرب الأقصى ومنعها سبعة ملايين من البشر منها رسميا مؤيدا بالسياسة والجيش من أن يسكنوا الى دينهم وأن يتصلوا باخوانهم المسلمين اتصالا روحيا يطهشون اليه ويرتاحون له

فيأيتها المسلمون : إن دينكم مهتد بالزوال من الأرض ، فإن فرنسا اذا أمكنها تنفيذ مشروعها هذا في المغرب فستحذو حذوها جميع دول أوروبا في المشرق ، وقد حكم عليكم في هذه الحال بذل أنفسكم وأموالكم في سبيل الدفاع عن دينكم ، فما الذي يمنعكم عن الدفاع عنه والله تعالى يقول : « فلا تخافوهم وخافون



ان كنتم مؤمنين » ويقول : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ويقول « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ويلي ذلك الامضاءات

### ظاهرة عجيبة

من ظواهر التبشير الديني في تونس

حديث اليوم . الشهور العام نحو المؤتمر الانفارستي . الاضراب عن العمل . مظاهرة الطلبة . عرائض من الشعب للباي والأعضاء المسلمين . نشاط البوليس واهتمام الحكومة

اعتقال ٢٥ طالبا

جاء من صراسل كوكب الشرق في تونس يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٣٠ ما يأتي :  
لعل القراء يعلمون أن المؤتمر الانفارستي الذي يعقد في كل عامين لحج الرهبان والكاثوليك عامة ولأمور أخرى قد قرّر اجتماعه في هذه الدورة بتونس ، ومنذ أول بلاد اسلامية ينعقد فيها مؤتمر مسيحي ، وقد حاولت الحكومة التي أشرفت عليه إخفاء حقيقة صفةه والنويه على الناس بأنه حجج مسيحي لادخل فيه لجرح العواطف ومس المعتقدات ، غير أن أسقف قرطاجنة (منسفيورلوميتر) أعرب عن العصبية الحقيقية للمؤتمر وقال في إحدى خطبه : « إن هذا المؤتمر هو عبارة عن حملة صليبية جديدة نحو تحقيق فسكرة سان لوى (لويس التاسع) والكردينال فيجري »

وقد زادت الحكومة الفرنسية أن قرّرت أخذ مليونين من الميزانية التونسية (برغم أنف المجلس الكبير) وخمسة ملايين من ادارة الأشغال العامة التونسية ونصف مليون من البلدية التونسية وعشرات ألوف من ادارة أوقاف المسلمين ، كل ذلك لتصرفها على المؤتمر الذي هو حملة صليبية ، وقد قدّروا غضب الشعب واستياءه من هذا العمل المخرج ، ولكن يتخلصوا من ذلك الغضب وتكون الضربة متمكنة ، ولكن ينفذوا شيئاً من برنامج سياستهم التي اتخذوها بهذه البلاد وهي إيجاد الشقاق بين الأمة والعرش أي بين الشعب وملكه قرّروا أن يكون المؤتمر تحت رئاسة الباي أحمد الثاني ، وبعضوية شيخ الاسلام ، والباين مفتي ، والوزراء المسلمين وشيخ المدينة الذي قدّم لهم خدمات جمة في الموضوع ، وشقيق رئيس الطعجرة التجارية الأهلية ، وعضو المجلس الكبير ، ومحمد يس رمضان عضو المجلس الكبير وغيرهم من النواب

واستاءت الأمة وقرّرت الاضراب عن العمل احتجاجاً على وجود المؤتمر بصيفته هذه وعلى الملايين المقدّمة لقوم يريدون أن يقوموا بحملة ضد الدين الاسلامي الذي هو دين الأمة العزيز عايتها ، وأصبح يوم السبت ٣ مايو يوم اضراب ، فاستهملت الحكومة القوة لقمعه ، واتخذ البوليس كل طرق الشدة والعسامة في ذلك ، وقام جميع طلبة المعاهد باضراب عام عن التعليم ، وفي الغد تظاهروا واشتد غضب الحكومة وتدخل البوليس فانها على المتظاهرين بالضرب حتى وقعت جروح للبعض وشاهدت البوليس يضرب الناس بالبسكيت من غير رحمة ولاشفقة إلا ان الطلبة أعادوا المظاهرة في الغد (يوم الاثنين) وجابوا شوارع باب البحر والبوليس يعتقل ويفرق ولم يرحم ، وظلّ الطلبة متظاهرين من الساعة الثالثة ونصف الى الساعة السادسة ينادون بحياة الاسلام وسقوط المؤتمر الانفارستي ، وقدمت عرائض ممضاة من كافة الأمة الى الباي والنواب المسلمين الذين قباوا عضوية المؤتمر تطلب منهم الانسحاب من المؤتمر واعتقل البوليس خمسة من الوطنيين و٢٥ من الطلبة ، والحكومة ههنا متخوفة من العواقب الوخيمة التي يفضي اليها هذا العمل الجارح الذي

أرادت أن تقوم به في القرن العشرين . هذا وإن الحزب الاشتراكي معاضد للأمة التونسية في استجوابها وقد سعى لدى المراجع العليا لإطلاق سراح المعتقلين كما سعى الطلبة في ذلك مع زعماء الحزب الدستوري ، وقد أطلق سراح الكثير منهم بفضل مساعي الحزب الدستوري ورجاله ، والخواطر لا تزال مضطربة ولا يزال صراي الألف راهب ، يثير الحماس والغضب . وإلى هنا تم الكلام على الفصل السابع من اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين

### اللطيفة الثانية

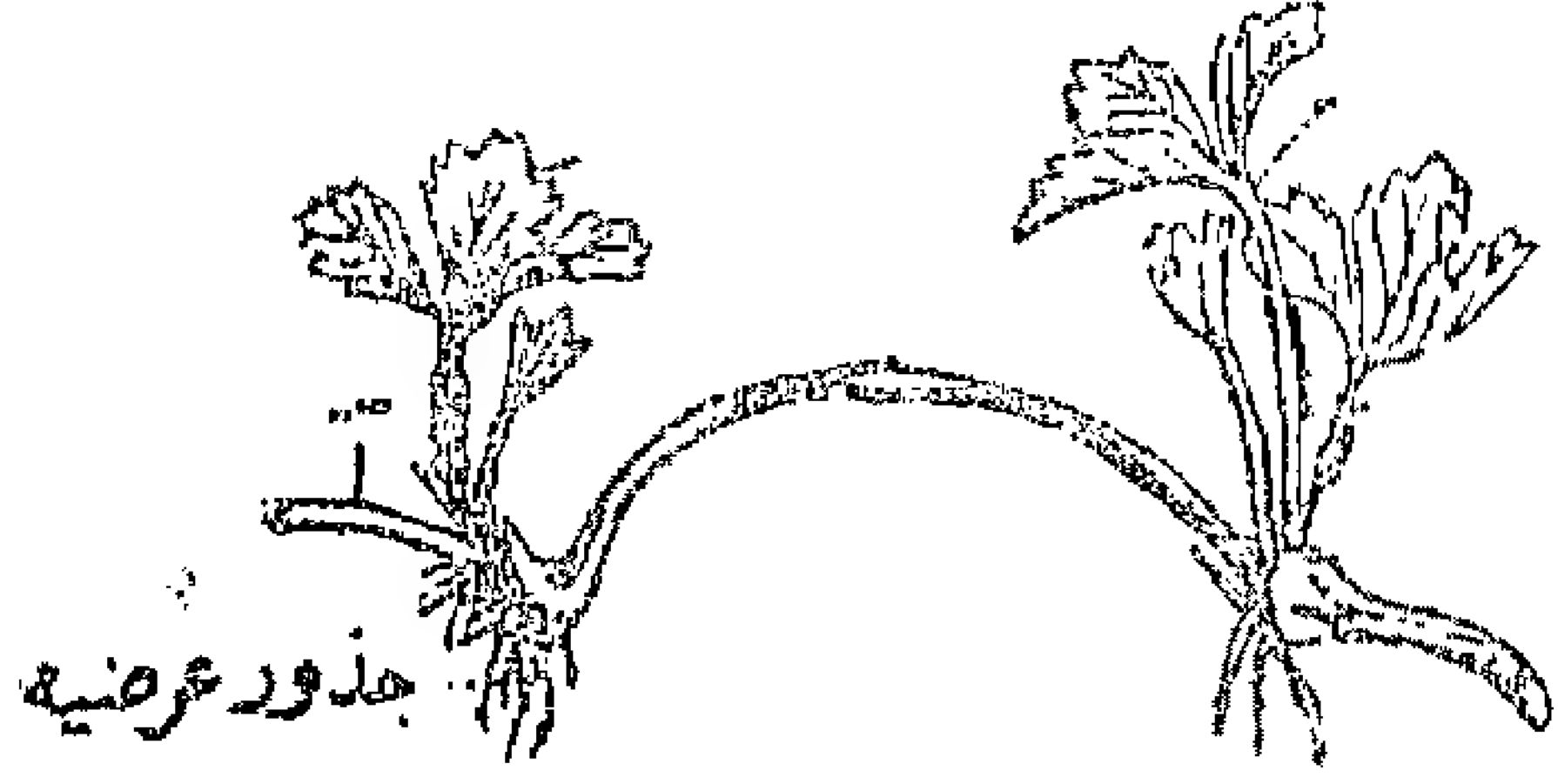
في قوله تعالى : والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون \* والذي خلق الأزواج كلها ، مع آيات أخرى في سور كثيرة كقوله تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، إلى آخر ما في سورة الزمر من شرح المصدر للإسلام إذ يقول تعالى : أفن شرح الله صدره للإسلام الخ

جاء في هذه الآيات أنزال الماء ، واستخراج الزرع ، ثم شرح المصدر للإسلام ، وأن القرآن أحسن الحديث في ﴿ سورة الزمر ﴾ وهنا مجال لفهم زرع مختلف الألوان نابت بسبب الماء ، وانشراح صدر للإسلام ، وكون القرآن أحسن الحديث ، فلهي أي مناسبة بين الزرع والماء الذي يشربه وبين انشراح الصدر للإسلام ، ثم كون القرآن أحسن الحديث ، ولما كتبت هذا حضر العالم صديقي الذي اعتاد الحديث معي في مثل هذا المقام ، فقال بعد أن قرأ ما ذكرته الآن : حقيقة إن المناسبة تكاد تكون بعيدة الشقة بين الأول والثاني ، أما بين الثاني والثالث فالمناسبة ظاهرة لأن الثالث سبب في الثاني فهو من ذكر السبب بعد المسبب لأن من قرأ أحسن الحديث ينشرح صدره لما فيه من المعاني ، أما المناسبة بين الأول والثاني فهي التي تحتاج إلى بيان . فقلت : لقد جاء الكلام على النبات في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد ظهرت عجائب في ﴿ سورة النمل ﴾ في آية « فأبتنايه سداقي ذات بهجة » وفي غيرها ، مثل أن الجذور وتدية وليفية ودرنية ، وهناك مباحث أخرى ، هكذا في ﴿ سورة المسجدة ﴾ عجائب من النبات في صور الظاهرة وعجائب تركيبه من الداخل ، وبيان أن النخل له في تركيبه صورة أخرى تخالف جميع الأشجار ، وإذا رأينا الله عز وجل يكرر ذلك الشيء الواحد في مواضع كثيرة في القرآن فهذا معناه أن تذكر الحكمة مفرقة لا مجمعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ينحسن أن تفرق عجائب النبات على الآيات فإن قراءة علم النبات بصفة علم لا يثمر في النفس بهجة كالتي يثمرها ما يصنع في أمثال هذا التفسير بحيث يصطفي من أصناف النبات ما يثير في النفس بهجة ويرسم أشكاله ويشرح شرحا يشرح الصدر ويهيج النفس ، فالقرآن ليس كتابا علميا بالمعنى المتعارف ، فالكتب العلمية قصد منها نفس العلوم شيء والعلوم شيء والوعظ والاستدلال والتأثير في النفوس شيء آخر ، وفرق بين خزن الحب في مخزن وبين إعداد الطعام للجائع ، فالعلوم في حصد ذاتها كالمخازن واقتطاف شيء منها في مواضع متفرقة من القرآن شيء آخر ، فليس المقصود من آيات القرآن أن تدرس العلوم المتعلقة بها دفعة واحدة في تفسيرها بل تقتطف اقتطافا ، ولهمري أن الناس يعرفون الفرق بين روضة ذات أزهار وبين باقة من الأزهار تهدي للزائرين ، إن الروضة لا تهدي ولكن الباقة تهدي وتشم وتأتي بالغرض المقصود من الأكرام ، هكذا يجب أن يهدي لقارئ الآيات المختلفة زهرات العلوم ، ويجب أن تنوع تلك الأزهار على مختلف الآيات كما ينوع المضيف لضيفه أنواع المأكول والمشروب والمشموم في اختلاف الحالات ، إن النفس لتسام من التماذي في طعام واحد ، ومن التماذي في حديث واحد ، لذلك نجد القرآن نوع الحديث ، وجعل النبات الذي يحض عليه مفرقا على السور تهليما للفسرين أن يفرقوا عجائب النبات



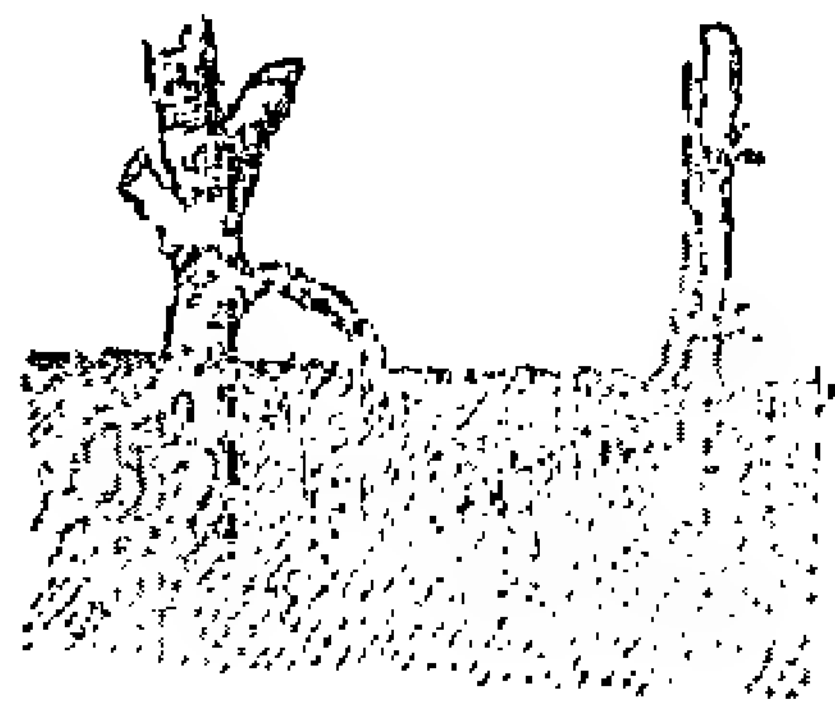
على مختلف الآيات ويصوّروا محاسن أشكاله لينشرح الصدر للإسلام بما يرى من أجلال البسديح ، وذلك بما يؤثر في نفسه من مختلف الأشكال في الأحوال المختلفة ، وهنا استبان أصران : انشراح الصدر للإسلام بمباهج الصور ، وكيف كان القرآن أحسن الحديث ، لأنه حديث ذو شجون لا يسأم الإنسان منه للتأن في ترتيب الآيات

فهاك ما يهيج من علم النبات ومن صوره البديهة الخمسة ، إذا قلنا في (سورة النمل) ان الجذور ثلاثة أقسام ، ورأيت رسمها وشرحها هناك فلندكر هنا الجذور التي لا تنشأ من الجذر الأصلي بل من الساق وتسمى الجذور العرضية (انظر شكل ١٠) ومثلها الجذور التي تشاهد على الساق الزاحفة للشليك ، والجذور العرضية شائعة على الأكثر في ذوات الفلقة الواحدة كالذرة والقمح فان الجذر الأصلي لهذه النباتات يموت بعد الانبات بقليل ، وتنشأ بدلا منه جذور عرضية على قاعدة الساق ، وتتكوّن الجذور



( شكل ١٠ - الجذور العرضية )

العرضية في بعض النباتات بمجرد ملاسة الساق للماء أو التربة الرطبة ، ويستفاد من هذه الخاصية عمليا في تطبيقات عديدة كترقيد النباتات وتقصيل القمح الخ ، ففي الترقيد يحني فرع من ساق النبات (شكل ١١) ويدفن في الأرض فلا تلبث الجذور العرضية أن تتكوّن على هذا الفرع فيصبح نباتا جديدا يمكن فصله من النبات الأصلي ، وتلك وسيلة لتكثير النباتات كما ستري فيما بعد ، وتقصيل القمح يكون باصهار عجلة اسطوانية على القمح وهو حديث فتميل السوق على الأرض وتنبت عليها جذور عرضية تزيد في تغذية النبات فيترتب على ذلك وفرة الفلة



( شكل ١١ )  
ترقيد الكرمة

فلما قرأ صاحبى هذا القول واطاع على هذين الشكليين . قال : إن الجذور العرضية للشليك (شكل ١٠ المتقدم) وترقيد الكرمة (شكل ١١ المتقدم) لم يخرجنا عن كونهما أمرين اعتياديين ، فشكل من الجذور الوتدية في التطن مثلا ، والجذور الليفية في شجور القمح ، والجذور الدرنية في نحو الجزر ، والجذور العرضية في نحو الشليك ، والجذور الترقيدية في نحو العنب ، كل هذه لم تخرج عن كونها مدفونة في الأرض وقد وافقتها الرطوبة والمواد الأرضية ، غاية الأمر أن الساق امتدت منها الجذور في الشكليين السابقين على خلاف المعتاد في الجذور الأصلية ، ولكن الدفن في التربة هو السبب في ذلك ، فليس أمرا غريبا . فقلت : حياك الله ، إن الأرض والدفن فيها ليسا شرطا في امتداد الجذور . فقال : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . فقلت :

### الجذور الهوائية

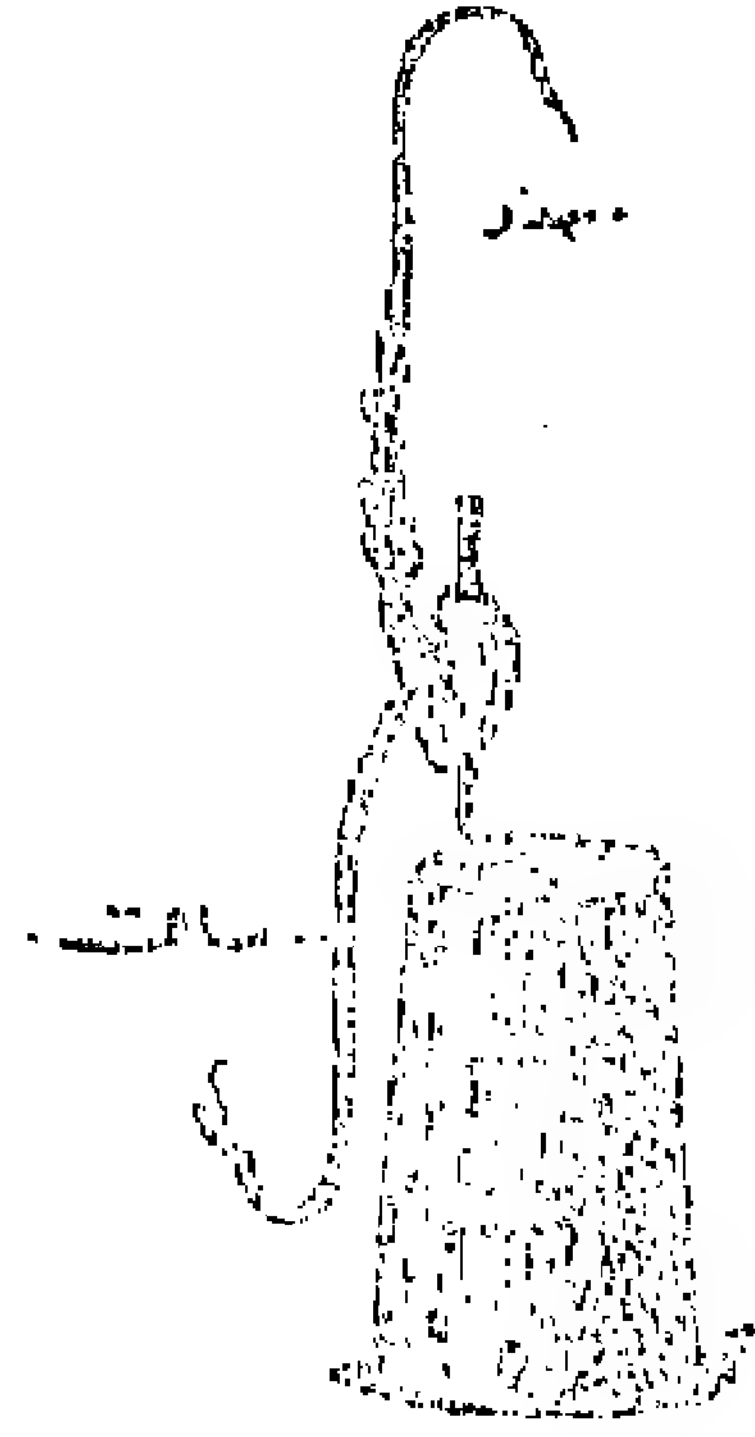
قد تنشأ الجذور على سوق بعض الأشجار كالفيكوس البنغالي (انظر شكل ١٢) فتتوعدلا في الهواء حتى تصل الى الأرض فتتفرس فيها ، وتعرف هذه الجذور بالجذور الهوائية وتكون مغطاة بفسيج ضارب الى السمرة يحفظها من أن تجف في الهواء ، ومن أهم وظائفها انها تكون بمثابة دعامة للعصون الأفقية



( شكل ١٢ الجذور الهوائية )

فقال : هذا حسن ولكن لا يزال في النفس شيء : اذا اتجهت الجذور من الأعلى الى الأسفل في الهواء واستغنت عن الطين وارتقت في أشجار كافيكوس البنغالي عن أشمال القطن والجزر والقمح ، فهي جميعها تتجه من أعلى الى أسفل ، وهذا أصل طبيعى عام ، والتجربة الآتية شاهدة بذلك

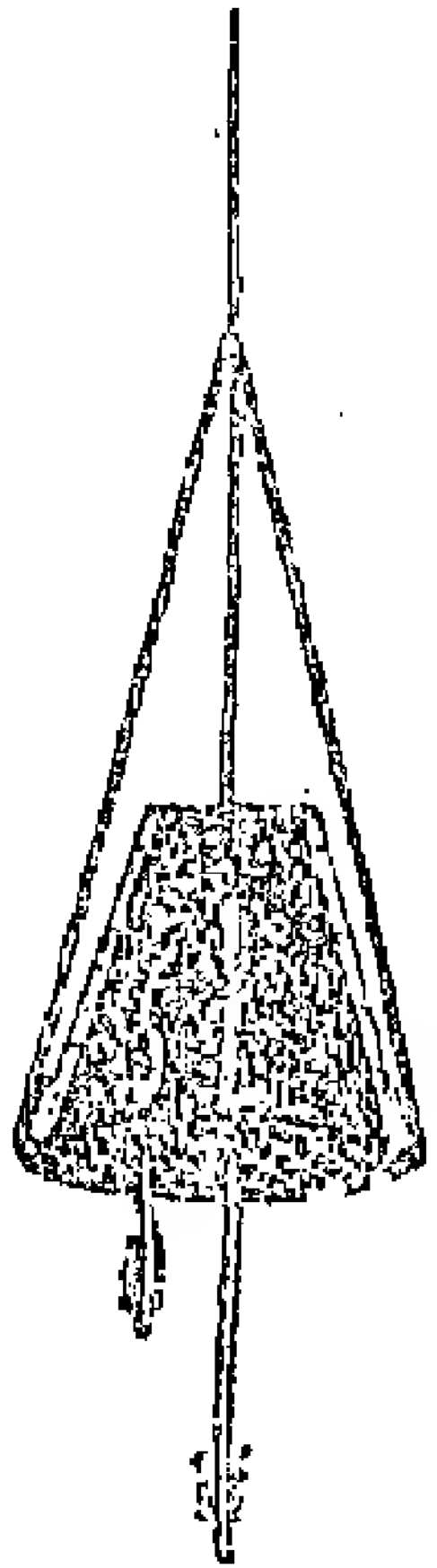
### اتجاه الجذور



( شكل ١٤ )  
بادرة معكوسة

يتجه الجذر الأمامى على العموم اتجاه رأسها رأسيا من أعلى الى أسفل لظهور ذلك تأخذ بادرة في طور النمو وتضع الجذر وضعاً أفقياً (شكل ١٣) فتري طرفه ينحني رأسيا الى أسفل ، وإذا من الفلين بحيث يكون الجذر الى أعلى والساق (شكل ١٣) نشاهد في اليوم التالى أن الجذر ينحني الى أسفل جذر في وضع أفقى والساق الى أعلى

فقال صاحبي : هذا حسن فقد عرفنا اننا اذا وضعنا الجذر وضعها أفقياً كما في (شكل ١٣) أو وضعاً منكوساً معكوساً كما في (شكل ١٤) فإن الجذر يتجه الى أسفل دائماً ، ولكن ربما يخطر لبعض الناس أن هذا الجذر انما يتجه الى أسفل دائماً فراراً من النور أو طلباً للرطوبة الأرض . فقلت :



( شكل ١٥ )  
تجربة الأصبغ المنكس

« اذا بذرنا بذوراً في أصيص ثم ينكس الأصيص (انظر شكل ١٥) بعد أن نضع على حافته شبكة سلكية تمنع سقوط التربة منه فيرى أن الجذر ينمو رأسياً من أعلى الى أسفل وهو في هذه الحالة لا يجتنب الضوء ولا يتجه نحو البيئة الرطبة فقال صاحبي : لقد استبان هذا الموضوع وظهر ظهوراً واضحاً ، ولكن بماذا يسمى العلماء هذا الميل . فقلت يسمونه (الاتجاه الأرضى) وقالوا إن هذه ليست من الجاذبية العامة ، وما هذه التسمية إلا مجرد الاصطلاح . فقال صاحبي : هذا حسن وبه نعرف قول الله تعالى « والنرى قدر فهدى » وقوله « وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »

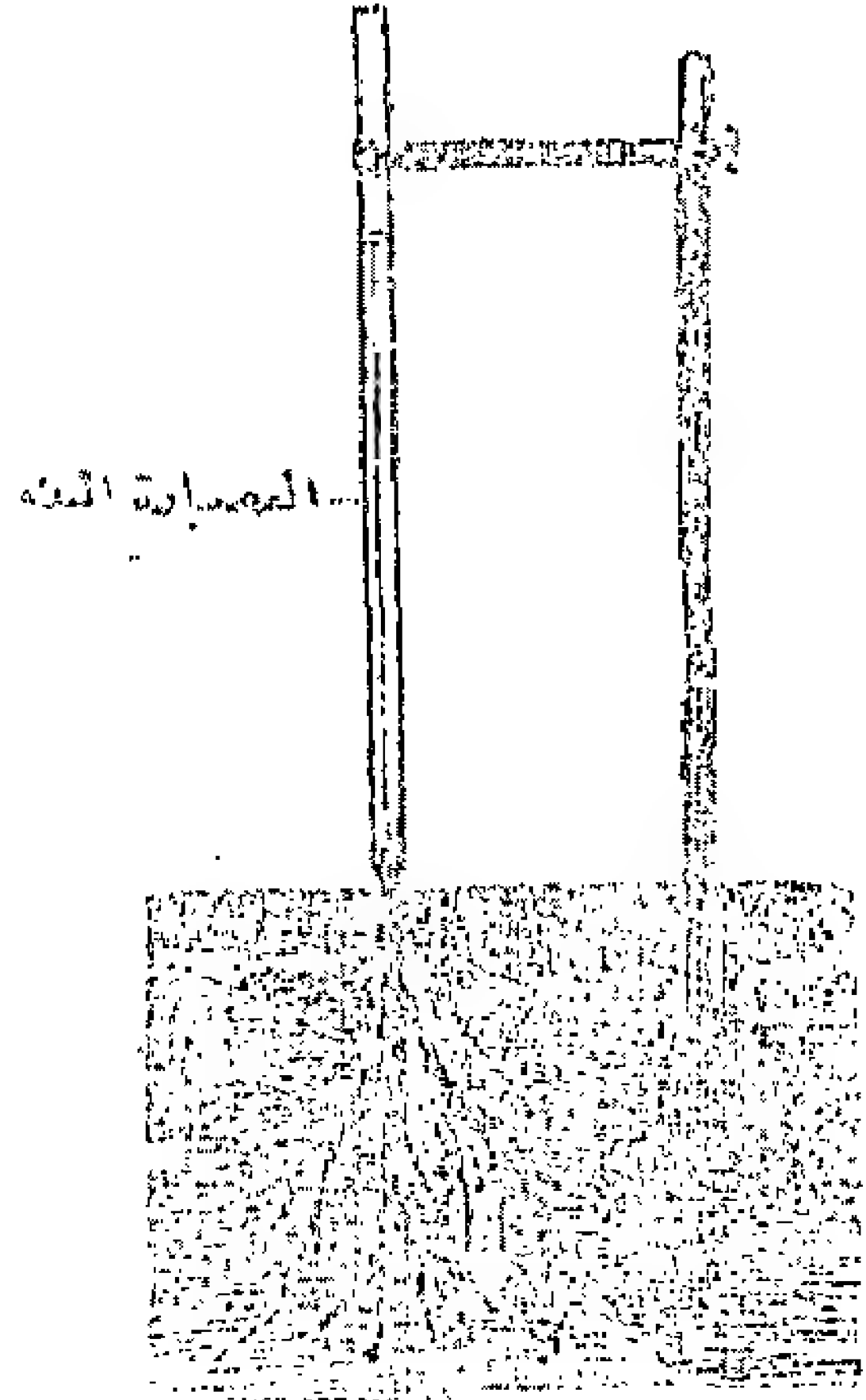
فقال صاحبي : عرفنا أن النبات يتجه دائماً جذره الى الأرض وان هذا أمر جديد لم يكن في طبائع الأشياء ، ولكنى أرى أن امتصاص الجذور للمواد التى حولها يشبه كل المشابهة امتصاص المثانة (في التجربة الآتية) للماء النقي حولها ، وذلك اننا نأخذ أنبوبة مسدودة في أحد طرفيها بقطعة من مثانة ونصب فيها محلولاً سكرياً سميكا ثم نغمز الأنبوبة رأسية في إناء يحتوى على ماء نقي (شكل ١٦) بحيث يكون المحلول السكرى على سمت الماء الخارجى ونضعها كذلك زمناً ما فنلاحظ أن سمت المحلول السكرى قد ارتفع في الأنبوبة من (أ) الى (ب) كما نلاحظ أن ماء الإناء الخارجى يحتوى على قليل من السكر ، ويدل ذلك على أن مقدارا من الماء النقي قد نفذ من المثانة الى داخل الأنبوبة ، وأن بعضاً من المحلول السكرى قد نفذ الى الإناء الخارجى ، غير أن تسرب الماء الى داخل الأنبوبة كان أسرع من تسرب المحلول الى الخارج فان انتشار السوائل والمحاليل خلال الأغشية على هذه الصورة يعرف بالاسموز أو الانتشار الغشائى ، والضغط الذى حدث في الأنبوبة فرفع سمت المحلول يعرف بالضغط

شكل ١٦ الانتشار  
الغشائى (م ماء نقي .  
غ غشاء . ش شراب)



الاتقاري ، إذن ينفذ الماء والمواد الذائبة فيه من جذران الشعيرات الجذرية بالتقشير الغشائي ثم يدفع الى أعلى بالضبط الاتقاري

إذن الجذور في النبات كهذه المثانة سواء بسواء ، فهي تقص من الخارج الى الداخل وترسل من الداخل الى الخارج . إذن هذا أمر طبيعي معروف ، فإذا وضعنا قطعة من السكر في ماء وأبناها امتصت الماء فساد فيها أمام أعيننا ورأينا الماء حولها قد وصله شيء من سلاوة السكر ، ولكن الماء الداخل في قطعة السكر أكثر مما فقد السكر في أول الأمر ، ثم تنعكس الحال بعد ذلك . فقلت : إن الجذور ليست كذلك ، إنها تأخذ ولا تعطي



ان الاتقار الغشائي في الأنسجة الحية يختلف عنه في الأنسجة غير الحية ، لذلك لا تسمح الشعيرات الجذرية بمرور السكر وغيره من المواد التي في داخل الخلايا الى الخارج ، ولاظهار أثر الضغط الاتقاري في رفع العصارة اليئة الى أعلى تعمل التجربة المعروفة بتجربة (هلز) :

« تقطع ساق شجرة بمقربة من الأرض ويثبت على الجذع أنبوبة زجاجية تحمل رأسية (انظر شكل ١٧) فيمد مدة ما يندفع في الأنبوبة سائل رائق ضارب الى الصفرة إن هو إلا العصارة اليئة

وليست قدرة الشعيرات الجذرية مقصورة على امتصاص السوائل والمواد الغذائية الذائبة فيها بل إنها قادرة أيضا على امتصاص المواد الصلبة فإذا وضعنا رملا رطبا على قطعة من الخام وبنينا فيه بعض البزور (انظر شكل ١٨) نشاهد بعد الانبات أن المواضع من الرخام الملامسة للشعيرات متآكلة ، ذلك لأنها تفرز في مثل هذه الأحوال سائلا يذيب هذه المواد الصلبة ، ثم بعدئذ يحدث الامتصاص

شكل ١٧ تجربة هلز



( شكل ١٨ )

امتصاص المواد الصلبة

و يقوم الجذر عدا وظيفة الامتصاص بوظائف أخرى ، فهو يثبت

النبات في الأرض ، وكلما كان الجذر أكثر تعمقا وتفرعا كان النبات أكثر ثباتا وأشد مقاومة لفعل الرياح ، والمنطقة الخاصة بالثبيت هي الأقرب الى الساق وهي خالية من الشعيرات و بشرتها غير مادة

والجذر يتبادل الغازات مع الأرض لأنه يتنفس كسكل الأجزاء الحية من النبات ، ووربما مات النبات إذا لم يجد الجذر مددا كافيا من الأكسجين ، لهذا كان من الضروري تسهيل دخول الهواء الى الجذر ، ويتوصل الى ذلك بحرق الأرض وعزقها ، ويستخدم الجذر لادخار المواد الغذائية التي يستهلكها النبات عند التزهير كما يشاهد في جذور البنجر واللفت الخ

فقال صاحبي : هذا عجب ! فان افراز الشعيرات التي في الجذر للسوائل واذابتها المواد الصلبة من عجب العجب ، وهي في هذا أشبهت الانسان والحيوان إذ لنا جميعا غدد لعابية في أفواهنا ، ولنا سوائل أخرى مثل (البسكرياس) في المعدة ، وكل هذه هضم الطعام ، ولنا غدد تفرز لبن المرأة لولدها ، ولنا المرأة الصفراء التي بجانب الكبد تفرز تلك المادة فتكون سببا في منافع عظيمة ، وهكذا هنا السكيتان لمتجه الماء اليهما فينزل في الحاليين ، فاذن النبات عنده وظائف كالوظائف عند الحيوان ، وبافرازه سوائل خاصة يحدث تمتنا في الحصوصات ، وعلى ذلك تهدم الجذور المباني العظيمة بنفس الافراز لا بالضبط الذي يفعله الثلج اذا جدد في باطن الكهوف فان الماء اذا برد في باطن الجبال كسرها لأن الثلج أكبر حجما من الماء الذي صار ثلجا فيكسر

ذلك الثلج مافوقه من الأشجار فتظهر العيون ، فظهور العيون في الجبل إنما يكون بضغط الثلج على الأشجار  
 أما ذوبان الحجارة والحصى وسبات الرمل ودخولها في جسم النبات فإن يكون بالضغط والتكسير وإنما يكون  
 بأعمال كيميائية وهي التحليل والتكوين فتعدال جذور تلك العناصر الصلبة في الحلال وتدخلها أجسامها ، وهناك  
 تركيب تركيبا جديدا ، وهذا هو الرقي ، وهذا هو الرقي الذي وضعه الله في أرضنا وجعله درسا لنا ، فهو يقول :  
 الضغط الجسمي شأن الجباد ، فتعلم الناس العلم بالضغط والأذى ، وارتغامهم على العمل الصالحة الذين استعملوا  
 بلادهم إنما هو شأن الأم الذين لم يخرجوا عن أعمال الجباد فلا حياة لهم إلا الحياة الجامدة ، وهل الرجل  
 الذي يستخر غيره لمنفعته هو إلا كالثلج ضغط على الحجر فكسره ، فأما الأم التي هي أرقى فانها تعلم الشعب  
 تعلمنا نافعا وتنقله من حال الصلابة والهمجية الى حال العلم والحسنة ، فتجمع سهلة القبول للرقي وتكون  
 الأم إذا ذاك أشبه بتلك المواد المغتنة من الحصى وقد حصلت في جسم النبات فصارت زهرا باهرا ، وورقا  
 ناضرا ، ونمرا نافعا لسائر الناس ، هذا هو صراط الله المستقيم أن يعلم الناس قاطبة فيكونون أشبه بأمة واحدة  
 لا أن يساموا الطسفت كما يفعل الثلج في الجبال فيكسرها ، الماء في حال المعتادة كالأم في حال هدوئها .  
 ولكنه إذا برد و صار ثلجا في الجبل صار كالأم الوحشية إذا اجتمعت لغزاة أخرى فتؤثر فيها بالقوة ، أما  
 جذور الأشجار فلا تؤثر بقوة الجسم بل بقوة العلم وهو علم الكيمياء ، ولنا نقول أن الجذور علماء الكيمياء  
 بل نقول أن السلطة العليا المحيطة بهذه العوالم علمت هذه الجذور وهدتها أن تفتت الحصى وحولها كما  
 هدت لعاب الحيوان أن يهضم الطعام ، ولقد اجتمع هذان المثالان أي مثل الثلج ومثل الجذور في مضغ  
 الأسنان والحيوان لطعامهما ، فنمحن نمضغ بقوة الأسنان ، ولكن هذا المضغ وحده لا يسعد الحيوان لأنه  
 وإن فقت القمة فليس معنى هذا أن القمة بهذا التفتت أصبحت صالحة للغذاء . كلا . بل هناك تتلقى القمة  
 الغدد اللعابية في الفم والبسكروياس في المعدة ، وهناك يهضم الطعام ويختل بالجسم الإنساني ويصبح هو  
 جسم الإنسان ، حال المضغ هي حال هذا الإنسان في وحشيته الحاضرة والماضية ، وحال اللعاب وهضمه  
 حال الأم التي تأتي بعدنا التي تضع كل امرئ فيما استهد له من العمل ، وكل أمة فيما استعدت له من المنفعة  
 الأمة لجميع الناس ، وهذا هو الذي ألفت له كتاب **﴿ أين الإنسان ﴾**

فقال صاحبي : هذا الموضوع كله قد بنيت أنت على الجذور وعملها ، وأنا أريد أن تختتمه بالكلام على  
 أجزاء بعض الشجرات الظاهرة . فقلت : لقد تقدم الكلام على ذلك في مواطن كثيرة ، منها ما تقدم في  
**﴿ سورة الحجر ﴾** عند آية « رأيتنا فيها من كل شيء موزون » فانك ترى هناك الدوائر البديهة المنتظمة  
 بها أوراق النبات بنظام هندسي بديع فأقرأه هناك ، وعند آية « وأرسلنا الرياح لواقح » في نفس السورة  
 فانك ترى هناك عجائب الأزهار ونومها ويقظتها وإلقاها ، وترى في **﴿ سورة الشعراء ﴾** نظيره ، وفي **﴿ سورة  
 النمل ﴾** ترى الكلام على الأوراق ونظامها من جهة أخرى غير ما جاء في **﴿ سورة الحجر ﴾** . فقال ولستكني  
 أريد أن أشاهد نفس الزهرة عند نومها وعند يقظتها وما أشبه ذلك أيضا لما تقدم في **﴿ سورة الحجر ﴾**  
 فقلت : جاء في كتاب **﴿ مبادئ التاريخ الطبيعي ﴾** ما نصه :

« ويؤثر الضوء في اتجاه الأوراق ، فإذا وضعنا نباتا في غرفة أمام نافذة رأينا الأوراق تدبر وجهها العلوي  
 نحو النافذة حتى تلتقي أكبر قدر ممكن من الضوء ، والأوراق بوجه عام تجعل فصلها عموديا على اتجاه الضوء »

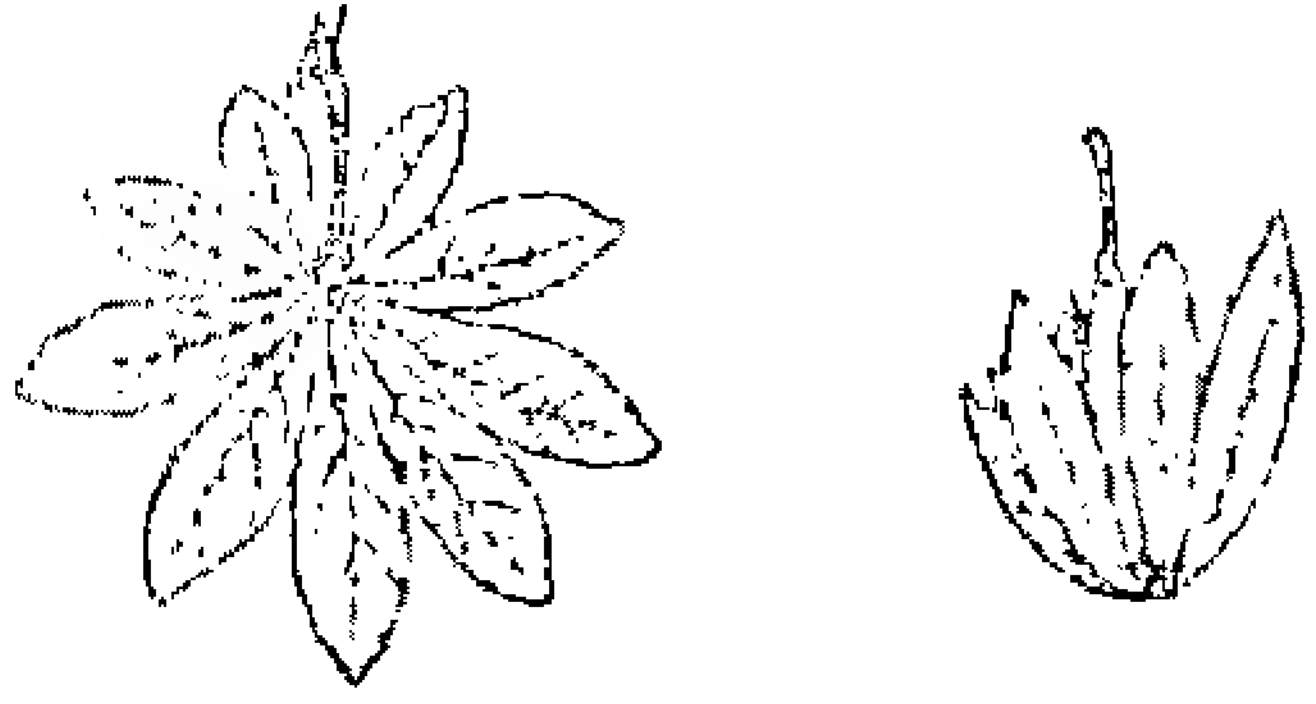
### حركات الأوراق

رأينا فيما تقدم أن أوراق البراعم تغير وضعها عند تفتحها وأن المحالقي تلتف حول الأشياء التي تصادفها  
 وهذا التغير في الوضع أوفى الاتجاه الذي يشاهد في الأوراق الآخذة في النمو يعتبر نوعا من الحركة ، على أن



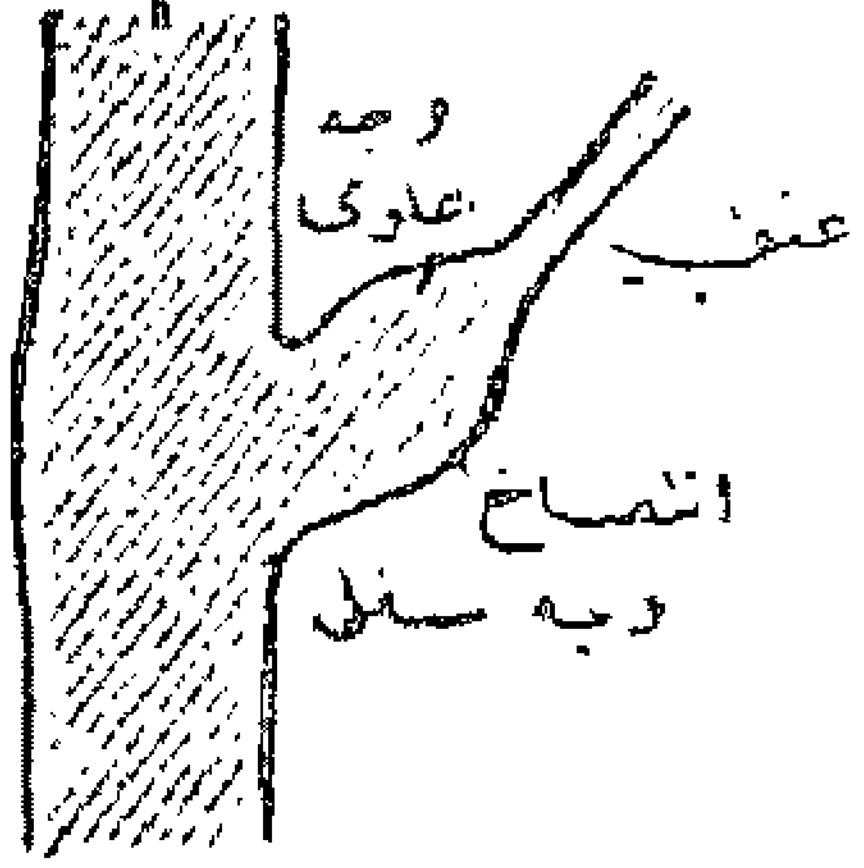
الأوراق الثابتة المحركة تنحرف في صورة واحدة عند بعض النباتات ، وقد تكون هذه الحركة مسببة عن الضوء أو عن الملامسة وقد تكون ذاتية ناشئة عن أسباب داخلية ، ونحن نسردها هنا بعض أمثلة من هذه الحركات :

### نعاس الأوراق



(ب) نعاس (أ) بقطة

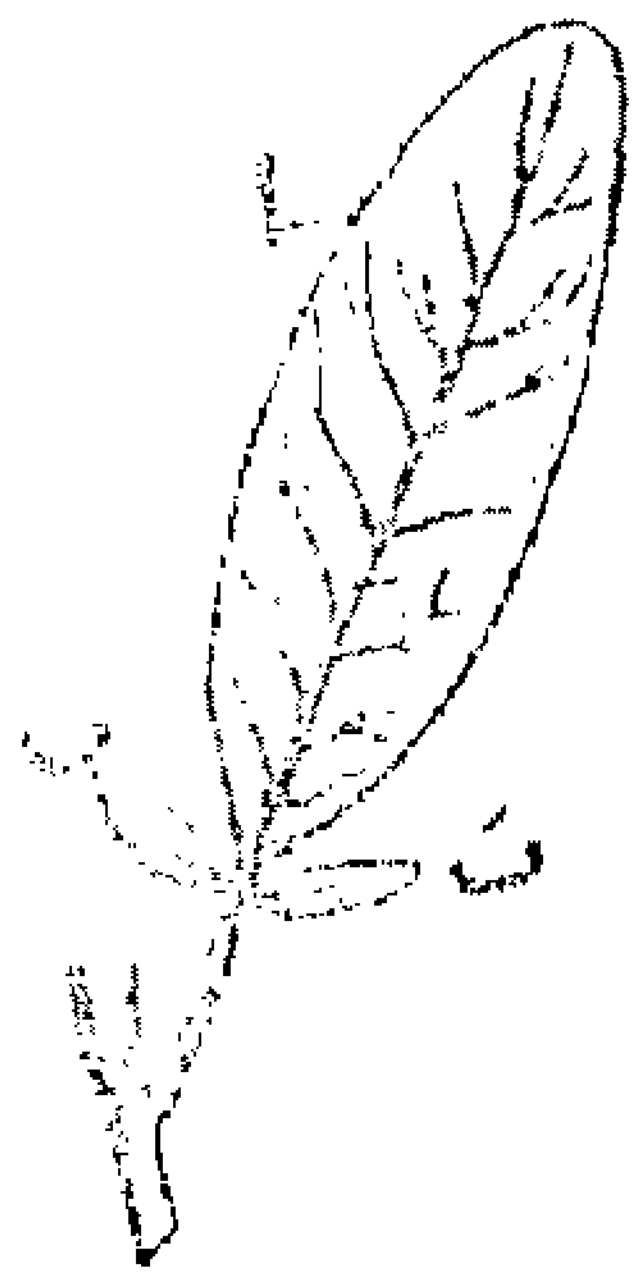
ورقات الورقة المركبة من الترمس تكون أفقية أثناء النهار ولا تنحرف حتى أقبل الليل تنسدل شيئاً فشيئاً حتى تضخم أوجهها السفلى بعضها إلى بعض (انظر شكل ١٩) ثم تعود في الصباح سيرتها الأولى ، وتسمى الحركات التي من هذا القبيل بالحركات النعاسية وهي شائعة في كثير من النباتات كالبرسيم والحبيص الخ إنما يظن أن تنحرف الأوراق في نعاسها إلى أعلى ضامة أوجهها العليا بعضها إلى بعض ، وفي قاعدة الورقة المتحركة نجد انتفاخاً يعرف بالانتفاخ المحرك (انظر شكل ٢٠) وهو من الماء تضخم ودفع الورقة إلى أعلى أولى أسفل رفقاً لشكله الذي يختلف باختلاف النباتات ، وبالضد إذا تسرب منه بعض الماء إلى الساق رأيناه يهبط ويصير خروما فتأخذ الأوراق وضعها الأفقي من جديد ، ونرجع كثرة الماء وقلته في الانتفاخ المحرك إلى أن مقدار الماء الذي ينتجه النبات يتغير تبعاً لشدة الضوء ، وكأنما الغرض من الحركات النعاسية انقاص السطح الورقي المعرض لبرودة الليل



شكل ٢٠ .. الانتفاخ المحرك

الحركات المسببة عن الملامسة

أوراق بعض النباتات كالستيفية والنباتات الآكلة الحشرات تنحرف عند لمس فتغير وضعها ثم تعود إليه بعد زمن ما ، هذه النباتات إذن قابلة للتنبع بصورة تشبه من بعض الوجوه قابلية التنبع عند الحيوانات لاسيما أننا نستطيع في كلنا الحالتين إبطال هذه القابلية للتنبع وقتياً بتأثير بعض المواد المرقدة كالأنثر والكلوروفرم والنباتات المستعصبة تقلبت مشروحة بصورة في صورة الرعد عند آية ... يسقي ماء واحد ... الحركات الذاتية



( شكل ٢١ )

وهناك نباتات تنحرف أوراقها لغير سبب ظاهري يطلق على مثل هذه الحركات اسم الحركات الذاتية ، وأحسن مثال لهذه النباتات نبات ينبت في الهند اسمه هيدرازوم جيرانس (شكل ٢١) تتكون ورقته من ورقة كبيرة ، وعند قاعدتها ورقتان صغيرتان (ب) و (ب) فتى وضع النبات في بيئة لا تقل درجة حرارتها عن ٢٢° مئوية نرى الوريقتين الصغيرتين تتحركان ببطء فتسدور كل منهما حول قاعدتها بحيث تتم الدورة الكاملة في زمن يتراوح بين دقيقتين وخمس دقائق ، وغالباً تكون هذه الحركات الدورية منتظمة بل تتركب من عدة رجات متتابعة ، وهنا أيضاً يرى في قاعدة الورقة المتحركة انتفاخ هو الذي يدفعها إلى الحركة بما يظهر عن جوانبه من لارتفاع والهبوط المتبادلين ، على أن السبب الباعث لهذه الحركات لا يزال غير مدرك حتى الآن

سقوط الأوراق

في غالب الأشجار والشجيرات التي تنمو في المناطق الباردة والمعتدلة تكون الأوراق محدودة الأمد قائما

تصل إلى الربيع ونمو مدة الصيف ، ولكن متى حلّ الخريف انفسادها تنفقد خضرتها وتأخذ صبغة صفراء أو خضاربه إلى الحمرة ، ثم تنفصل قاعدتها عن الفصن الذي كان يحملها وتسقط على الأرض تاركة مكانها أثرا ظاهرا يعرف بنسبة الورقة ، ويشاهد فوق سطح النسبة طبقة واقية من الفلين ، وهذه الطبقة تنشأ قبل سقوط الورقة بمدة مما فتمنع وصول العصارة إلى الورقة كما أنها تساعد على انفصالها من الفصن ، ويتكوّن في إبط الورقة قبل سقوطها برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ، ثم يخوف في الربيع التالي ويكون غصنا جديدا ذا أوراق ، وتعرف مثل هذه الأوراق بالأوراق المتجددة ، ومثلها أوراق المشمش والتفاح والكرمة ، على أن بعض الأشجار والشجيرات تكون مكسوة بأوراق خضراء في جميع أوقات السنة ، وتسمى هذه النباتات بدائمة الخضرة ، ومثلها السنوبر واليوكالبتس (المعروف عند العامة بالكافور) والفيسكوس الخ ، ففي هذه النباتات تبقى الأوراق على الأشجار أكثر من فصل ولا تسقط أوراقها في وقت واحد .

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : هذا حسن جدا ، فهل ترى هنا فكرة محكمة ؟ فقلت : لقد عجبت كثيرا من الأمرين : أوّلها أن الورقة قبل سقوطها يحدث فوق سطح النسبة طبقة واقية فتمنع وصول العصارة إليها (ثانيهما) أنه يتكوّن في إبط الورقة قبل السقوط برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ثم يخوف في الربيع وهذا عجبان ، فكأن هذه الطبقة أشبه بالسدود في البحر تمنع جري الماء لفرض خاص أو كما يصنع الفلاح في سقيه الأرض إذ يحول الماء من الحوض الذي يجري فيه الماء إلى حوض آخر وذلك بسده بالطين الذي يجرفه بالفأس ، إذن فعل الله في أبداننا ما فعله في حقولنا سواء بسواء ، وبدون دراسة هذه العلوم لا يخطر لنا أن ذبول الأوراق تقطعه سد العصارة عنه كما أن الإنسان يموت ولا يعرف الناس عن الموت إلا أنه أمر طبيعي ويجهلون السبب ، لم يكن ليخطر لأحد من الناس قبل انتشار هذه العلوم أن الحصى والجدرى والاسهال والحصى التيفوزية ، والحصى التيفوزية وأمثالها والكوليرا كلها لم تكن إلا حيوانات ميكروسكوبية أحسستها وأنتجت تلك الأمراض (انظره في سورة الروم) كما أن سقوط الأوراق لم يكن ليخطر للناس قبل ظهور هذه العلوم ، ان هناك سدا يوجب انحباس العصارة عنها ، إذن كل ما في أجسامنا وما في هذه العوالم لا يكون إلا بأعمال دبرتها نفوس عالية منظمة مستمعة نظامها من مبدع العالم كما نرى الضوء المنتشر في الأرض مستمدا من قرص الشمس ، فهذه قوى عاقلة تحيط بنا كاملة العقل مهندسة حكيمة لها أفعال ذات نظام تحيط بنا احاطة الشمس بأجسامنا ، فهذه نور شمسي وكوكبي وههنا ضوء عقلي يتدخل في كل شيء .

هذا هو الأمر الأول ، أما الأمر الثاني فهو أن البرعم الإبطي الذي يخوف في الربيع أشبه بالأجنة في بطون أمهاتها ليحياوا محمل الآباء إذا ماتوا ، فبينما أهرم يحلّ بالآباء نرى الأبنسة والأطفال يهيمون ويكبرون ، هكذا البرعم الإبطي يخوف أثناء منع العصارة عن تغذية الورقة ليحلّ بها الفناء ، وهذا هو قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فهذه العصارة حوّلت من الورقة إلى البرعم الصغير كما تتزايد الحياة في الأطفال وتتناقص في الكبار ، والله هو الوليّ الحليم وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتب في يوم الأربعاء ١٥ يناير

سنة ١٩٣٠ م

### بهجة العلم في اللطيفة الثانية

في قوله تعالى : « والذي نزل من السماء ماء بقدر

يقول الله في « سورة الواقعة » : أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه جحاما فظلمتم تفسكهون ، فإله هو الذي أنزل الماء من السماء ، وهو الذي سلكه ينابيع في الأرض ، وهو نفسه الزارع ، وهذه الآيات يفهما الجاهل والعالم لأنها واضحة ، ولكن التعقق منها وإدراك حقائقها لن يكون



ولن يتسنى إلا لقليل من نوع الإنسان . أن الناس مغمورون في النعم وهذه النعم تسمى وتصمم لتأثرها عن ادراك الحقائق ، فالنعم لو فرتنا من شمس تضيء وهواء يحيط ، وحبوب تزرع ، ونبات يظهر ، ولا عمل للإنسان فيها ، كل هذه أنعمت هذا النوع الانساني قديما وحديثا ، فهل لك أن أحدثك حديثا بهيلا يكشف بعض النقاب عن هذا الجلال حتى يكون بابا تلج منه لادراك الحقائق وان كانت تلك الحقائق يفوزها صرف الحياة في فهمها والبحث عنها ، ولن يحب الانسان صانع هذا العالم حبا مفرط لذاته غير ملاحظ خوفا من النار ولاطمعا في الجنة ، ولا عقابا ولا ثوابا إلا اذا درس هذه الدنيا وجمالها درساً فكرياً بعد الاطلاع على علوم الحيوان والنبات والسمك والحبوب وهذا الدارس هو السعيد حقاً في هذه الدنيا وبعد الموت لأنه لا يرى من الله إلا الرحمة العظيمة ولا يكتشف من مآثر من حوادث الدول والحروب والموت والحياة فان هذا الدارس المفكر وقفت نفسه على سر هذا كله وقنعت بالحقائق فالشرحت لها وتجلي لها الله في الدنيا برحمته الحقيقية وهذا هو الذي لا يميزه الفزع الأكبر لأنه عارف والعارف موقن بالرحمة ، والذي يخاف من الفزع الأكبر هم أكثر هذا النوع الانساني لأنهم يعيشون في جلودهم ولا يفهمون نظام الرحمة في الوجود ويتقلبون في أنواع اللذات والآلام ولا يفهمون ما وراءها ، فهؤلاء قد جعل من بين أيديهم سد الشهوات ومن خلفهم سد الآلام فأغشى على عقولهم فهم لا يبصرون الحقائق ، فأما أنت أيها الذكي فهالك نبذة من ذلك الجلال فتفتح بها ما أغلق على أكثر نوع الانسان وان كانوا علماء في جميع هذه العلوم ، فانظر الى الشمس انها ترسل الألوان السبعة المعروفة وهو الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وهذه تعد وتفسير لونا واحدا هو الذي يغطي الأرض وجمالها وأنهارها وبحارها وآجامها وحجرها ومدرها ونبتها وشجرها ، وهذا الضوء هو الذي به ينمو النبات ، ذلك انه يساعد المادة الملونة المخزونة في الأوراق على اجتذاب المواد الفعمية من الهواء وهو الذي يقيم هيكل النبات ، وهذا النبات هو الذي توقف بناء هيكله على الشمس ، ترى فيه أمراً عجيباً ! تراه مقسماً على بقاع الأرض وعلى الأزمنة وعلى حواس الأحياء وعلى ما ينفعهم من غذاء وفاكهة ودواء . فهذه أربعة فصول في تقسيم النبات على بقاع الأرض والأزمان والحواس ومنافع الحيوان . وهالك بيانها :

## الفصل الأول

في أن أنواع النبات تكون في جميع الأماكن

إن منها ما ينبت في البراري والقفار ، ومنها ما ينبت على رؤس الجبال ، ومنها ما ينبت على شواطئ الأنهار وسواحل البحار ، ومنها ما ينبت في الآجام والفياض ، ومنها ما يزرعه الناس ويغرسونه في القرى والسوادات والبساتين ، ومنها ما يكون على وجه الأرض ، ومنها ما ينبت تحت الماء ومن ذلك قصب السكر والارز والنيلوفر ، وأنواع العكرش ، ومنها ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينسج على الشجر والنبات ( كالسكشوثا ) واللباب . ومنها ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن ، ومنها ما لا ينبت إلا في البلاد الحارة كالنخل . وما لا ينبت إلا في البلاد الباردة . وما لا ينبت إلا في التربة الطيبة . وما لا ينبت إلا في الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والأرضين اليابسة . ومنها ما لا ينبت إلا في الأرضين السبخة المشورجة واعلم أن أرضكم هذه لما أتممت في حضانة الشمس المدة الكافية لسق بلوغها قالت لها بلسان الحال أي بنيتي ها هوذا جاء زمن بلوغك فانفضي من صرقدك في معهدك الذي تنربين فيه . وهأنذا أرسلك الى مدارك الذي تدورين فيه حولي كما أرسلت من قبلك أخواتك الكبريات مثل بناتي ( أورانوس ونبتون والمشتري والمريخ وأمتاهن ) فهذه هي الأوقات التي أرسلت لتسكن في مدار خاص وهو منزل بلاك الذي

تطيعينه وهو الضوء الذي يسير مني اليك حين تبتدئين في الدوران ، وباجتماعه معك تلدين ذرية صالحة إن شاء الله وهي أنواع النبات والحيوان ، ولكن يا بني واسوءناه ، إن أبناءك من ذرية أحد أولادك المسمى آدم سيكونون خارجين عن سنن القوانين حين يطردون من الجنة التي كان أبوهم فيها ، فأنا يا بني أنصحتك أن تأخذني معك كل ما يجب لحفظ صحتهم اذا ضعفت لتطول حياتهم أمدا ما ، نفذي في هيكلك من العناصر ما ينفعهم ، فها هو ذا الفوسفور والكبريت والفوسفور والحديد والكلور وأمثالها فانها ستدخل في مواد نباتية فيكون الأول نافعا في العضلات ، والثاني في الدم ، والثالث في المخ ، والرابع في احمرار الدم ، والخامس في هضم طعامهم ، فهذا يا بني هو أمثاله من الجهاز الذي تأخذ به بنائي معهم لأزواجهن حتى يلدن ذرية الصالحة النافعة . واعلم يا بني أن الله قد أعد لأبنائك من ذرية آدم كل ما يحتاجون اليه قبل اخراجك من جسمي لأنه علم أنهم قوم لا يحافظون على صحتهم فأمرني أن أبلغك أمرهم إذ يقول : انه سينبت عليك مثلا الجزر ليكون نافعا للبعال كما تفهم ، وأمثال الخس ليكون نافعا للأعصاب ، وأمثال البرتقال ليكون نافعا للشجاعة ، والبقونس ليكون نافعا للكلى ، والطماطم لتكون نافعة للكبد .

وهذه الذرية ستخلق بعد مئات الازدين من السنين . فقالت الأرض : يا أماء . وكيف هذا ؟ فقالت لأن الله يعلم كل شيء قبل خلق السموات والأرض فهناك مناسبة عجيبة بين العناصر والنباتات وبين أعضاء الانسان عضوا عضوا وليسكن أكثر الناس لا يعلمون

## الفصل الثاني

في تقسيم النبات على الفصول

النبات	مبدأ زرعته	زمان حصده
أكثر النبات	في زمن الربيع	
الحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها	في زمن الخريف	الربيع
القشام . الخيار . الباذنجان	في الشتاء	»
الجزر . الشلغم . الكرنب . القنبط	الخريف	الشتاء
السهم . الذرة . الارز	الاصيف	الخريف
القطن . القنب	الربيع	»

## الفصل الثالث

في تقسيم النبات على حواس الحيوان ومنه الانسان

النبات	الحاسة
مناظر الأشجار والأزهار جميعها	الحاسة البصر
الأزهار وذوات الرائحة الطيبة كالورد	الحاسة الشم
حفيف الأشجار وغوير الأعشاب وهكذا	الحاسة الأذن
الحلو كالتمر والتفاح والعنب وأمثال ذلك	الحاسة الذوق
نعومة الزهر والقطن مثلا	الحاسة اللمس



## الفصل الرابع

في تقسيم النبات على منافع الانسان

فمن النبات ما هو الغذاء كالخبوب والفواكه ، ومنها ما هو للدواء ، وهذا مقسم على الأعضاء أو عام ، فأما ما هو عام فثلاثة السكاثور والصفصاف ، أما السكاثور فهو نافع في الأمراض العصبية كالصرع واختناق الرحم المسمى (هيستريا) وذلك بأن تهجم على المريض نوبات عصبية فيفقد الشعور تماماً فلا يتحرك ولو كوى بالنار ويقع ولو كان أمامه بهر ويضع على لسانه ، ويقول له الإمامة (مفروت) وهذا يستعمل له التفريح وترك السكر ، ويرش له مسحوق السكاثور على فروشه فهو مضاد للتشنج وإن كان قد اعتاد الاستمناء باليد يمنع ذلك المسحوق على الفرس ، وأما الصفصاف فهو للعصبى ، وذلك أن المصاب بالحمى يعالج بمثل أوراق الصفصاف بأن يوضع (أوقيتان في رطل ماء) ويغليان ويشرب بهما مع وجوب ترك الحمل الذي أصيب فيه بالحمى حتى يتغير الهواء ، ويقتصر على الحمية ولا يأكل إلا قليل المرق واللبن ولا يشرب إلا ماء الشعير ليطفىء الماء الظمأ ، ويقوم مقام ورق الصفصاف مفلى قشر البلوط وورق الحور أو الزيتون . فهذان مثالان لما هو عام للدواوة الجسم كله ، أما ما يختص ببعض الأعضاء دون بعض فثلاثة :

- (١) أن الجلد ينفعه أكل الجزر
- (٢) والأعصاب ينفعها أكل الخس والسبانخ
- (٣) وترك الخوف وظهور الشعباعة ينفع أكل البرتقال والليمون
- (٤) ولأجل شفاء السكايتين ينفع أكل البقدونس وكشك الماز والفجل
- (٥) ولأجل شفاء السكبد ينفع أكل الطماطم والهندبا (جهضيض) والبصل
- (٦) ولشفاء النزلة المعوية المزمنة وهي (القرقة) يأكل المريض السريس الأخضر وهو (الشكوريا البرية) مع الغذاء مدة اسبوع ، وهكذا حب الرشاد لأنه يحتوى على أصول مقوية جداً للهضم ومصلحة لتلك المعدة
- (٧) ولشفاء الرأس من ضرر (بطخة الشمس) وهي المسماة ضربة الشمس يصب على الرأس ماء بارد مضاف إليه قليل من الخل ، ويترك الرأس عارياً
- (٨) ولشفاء (داء الخناق) المسمى (دفيريا) يؤتى للمريض بخارقة نظيفة تلف على قطعة خشب رقيقة ثم تقمس في عصير الليمون المصفى ويمس بها خلق الطفل ، ويكرر ذلك كل ساعة مرة
- (٩) ولإسهال الطفل الذى يسميه الفلاحون بمصر (التاويكه) يجب أولاً منع سببه وهو أكل الطعام والثمار قبل استعداد الطفل للأكل بل يجب أن يعلم ابن البقر إذا لم يكن لأمه لبن ويضاف إليه مقدار درهم من مسحوق الطباشير الناعم النقى كل يوم أو مثله من مسحوق الفصح النباتى (خم الخشب النظيف) وقد يضاف إليه (بى كربونات الصودا)
- (١٠) ويهالج وجع الشقة وهو (أمراض النخاع والمغص المعوى والمغص السكوى) باستعمال مفلى بزراخله يؤخذ قدر أوقية ويغلى في رطل ماء ويصفى ويشرب منه قدر فنجال كل صباح ، فليواظب على ذلك فإنه لا يشكو مرة أخرى من وجع الشقة ، وإيلا حفظ ماء الشرب ، فالأحسن أن يغلى في إناء ويؤخذ الصافى منه ويبرد في أوان ويستعمل ، أما الترويق بنوى الشمس أو بالفول ففيهما ضرر كبير ، فالأول قتال والثانى يعفن ويأتى بجراثيم مخرصة ، والأحسن وضع نصف أوقية من الفصح النباتى النظيف المغسول صرارا في الزبر ، ومتى فرغ الزبر

يؤخذ الفصح ويغسل ثانياً ويفعل به ما فعل أولاً ، فهذا ربحاً يفيد في إزالة وسخ الماء ، وينفع في هذا الأرض أيضاً أكل الكبر وهو معروف في حقول البرسيم في مصر ، وينفع أيضاً فنجال من مغلي بز الخرميل عند تناول الإفطار مدة أسبوع

تلك عشرة كاملة بعد المثاليين الأولين العامين . فقلت : هذا كله من كتابين : أحدهما كتاب « طب الركة » تأليف الدكتور عبد الرحمن اسماعيل المتخرج من القصر العيني بمصر ، وثانيهما كتاب في الطب تأليف ( السير ويليم ويلسكوكس )

ولقد بذلت جهدي في أن أجعل هذه الأمثلة مستوفاة بحيث يمكن الانتفاع بها في المعالجة ولم أنقص من المعالجة المذكورة فيها شيئاً مما ذكر في المصدر الذي نقلت منه

هنالك اطلع على هذا أحد العلماء . فقال لي : هذه الفصول الأربعة طال الكلام فيها ، وهل هذا كتاب طب ؟ أم هو كتاب زراعة ؟ إن هذا تفسير للقرآن . وانما ذكرت لك بهذا لئلا يستهويك جمال العلم فتدعى أصل الموضوع ، فيرى القارئ إنك تجاوزت الحد المقرر للتمثيل في التفسير . فقلت : كلا . ما غفلت وانما هذه الفصول جعلتها قواعد أربعة أبني عليها قصور الحكمة وقلاع العلم : إن القمح والقطن وأنواع الخضر والريحان والفاكهة يزرعها الناس وتقرّ عليهم الفصول والسنون ويأكلون وينفكحون ويعرضون ويتداوون ثم يموتون وأكثرهم لا يدركون ، فهنا ذكرت هذه الأمور ، وسأبين هنا كيف تمثل الروايات حول الناس صباحاً ومساءً وهم لا يشعرون ولا هم يدركون ، غاية الأمر أن يقال فلان غني ، وفلان فقير ، وفلان جاهل ، وفلان عالم ، أما هذه الفصول التي تمثل في مشاهد الطبيعة فهم عنها معرضون ، وقل من يخلق في هذه الأرض ثم هو يفكر في أن الشمس خرجت منها أمواج الأشبهة فسافرت حتى وصلت إلى البحار فأثارت اهتزازات الهواء فكان سحاب فطار ففرق وتفر ودواء الخ

إن أكثر الناس لا يعلمون « قتل الإنسان ما أكفره » « انه كان ظلوماً جهولاً » ضوء وهواء وحس يدفن في الأرض وماء ينزل عليه ومواد خضراء بعضها فوق بعض ذات أوراق على ساق فأزهار فاتنة ، ثم إن كل ثمرة أوجب له عضواً من أعضاء جسم الإنسان يداويه . فأى مناسبة بين الشمس التي بهتت عنا مسافة ( ١٢ ) سنة بسفر قلة المدفع وبين بذور تلقى في الأرض وماء يخاطبها ثم ينتج دواء أو غذاء للخلق بهيد عنهما لا مناسبة بينهما البتة ، أى مناسبة بين بذور ومياه وأضواء وبين رجس في الحقل حتى إن هذه الحبوب والأوراق المختلفة تقسم منافعها على أعضائه من قلب وكبد ومعدة وأمعاء إلى آخر ما تقدم . يخار فكر العاقل فيقول : نور يسوق غازاً وسائلاً وهذا يجرى في الجوّ بالانظام ، ثم هما يؤثران في غيرها وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى منفعة عامة لكل حي .

فقال صاحبي : لقد ذكرت أن هذه أشبه بالروايات والناس لا يعقلونها . فقلت نعم إن فصول الروايات على قسمين : فصول يعقلها الحكماء ، وفصول يعقلها الجهلاء ، والعقلاء والجهلاء كل منهما فرح بما لديه ، فهذا بالخيال مفرور ، وهذا بالحقائق في حجب ، فبأبعد ما بينهما ، إن بينهما بعد المشرقين والمغربين . فقال حدثني عن الخيال الذي للعوام وللحقائق التي للخواص على شريطة أن يتعمدا في معنى واحد حتى أدرك الفرق بينهما ؟ فقلت : أذكر لك أولاً قصة خيالية من قصص ( ألف ليلة وليلة ) قد قدمت ذكرها في سورة الكهف . وهي قصة مدينة النحاس ، ذكرت هنا من أنواع الزينة التي أبدعها الله في عقول العلماء فأبهجت القلوب ، ذلك أن الكاتب تصور أن موسى بن نصير المعروف بأنه مع طارق بن زياد اللذين فتحا الأندلس كان معه رجل اسمه عبد الصمد قد كشف عموداً من النحاس ففتحاه فخرج جنى كان معذباً من



أيام سليمان عليه السلام ، وحكى لهما تاريخ حبسه ، ثم ذهبا الى مدينة النحاس وهي كبيرة جدا طاف الرجال حولها على خيوطهم يومين حتى رجعوا للسكان الذي خرجوا منه ، وأدهشهم سورها الذي لا يمكن اقتحامه لعظمة ارتفاعه ، ثم عثروا على مفاتيحها فوجدوا جواهر من ذهب وفضة وألماس وياقوت مما لا يحصى إلا الله والناس صرعى كل في مكان في السوق والقصور والمنازل ، ومن أعجب العجب انهم رأوا فتاة جميلة وعيناها تنظران غسلا فلم ترد فعرفوا انها ميتة ولكن عيناها تتحرك بالحكمة فقرب واحد منها ليأخذ ما عليها من الحلوى والحللى التي لانظير لها في الدنيا ، فانقضت عليه سيافان واقفان حولها بتصوير الحكمة فضر به بالسيف فقتلاه فتركوها ، ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه قصة هذه المدينة والمجاعة التي حلت بها ، فقرأ المتخصص بنامه في ﴿سورة الكهف﴾ أوفارجع الى نفس ألف ليلة وليلة

فهذه الخرافة تلد السامعين من الصغار والنساء والعامة الجهلاء ، لأن فيها مفاجآت عجيبة وأمور غريبة والخيال يصبو الى هذه الغرائب فانه اذا سمع أن هناك مدينة عظيمة جدا دهش لأنه لانظير لها ، واذا سمع انها مملوءة جواهر وأن فتاة جميلة تتحرك عيناها دهش جدا ، واذا سمع أن رجلا قتل بسيف من تماثيل واقفة زاد دهشه ، فهذه الرواية جعلت لتعليم الناس الزهد في الدنيا ولا سبيل لذلك إلا بهذه الخرافات فهي حسنة جدا لصغار الأحلام ، وهكذا تجد رواية أخرى جاء فيها أن ابن ملك من ملوك مصر رأى في خزان أبيه خلعة بهجة فيها صورة فتاة جميلة وهو في سن الرابعة عشرة فهام بحبها وأعطاه أبوه بعد اللتيا والتي ما طلبه من رجال الجند والنخائر والبدة وسافر الى أقصى الشرق ومات جميع رجاله غرقا تارة وقتلا أخرى بعد أن وقع في الأسر صارا ، ورواه القدر في بلاد الفرس بعد رجوعه من الشرق الأقصى فحدث على ابنة ملك الجن في حديقته وهي نفس الصورة التي كان يطلبها فتزوجها ورجع بها الى أبيه وكان يوما مشهودا

فهذه القصة تقرأها في نفس كتاب «ألف ليلة وليلة» وربما صرّت الإشارة اليها في غضون هذا التفسير . ولعمري ما هذه القصة وأمثالها إلا رمز لمعرفة الحقائق التي نحن بصدددها ، فالتأنيش في الأرض ولا نفقه من هذا الوجود شيئا ، وإن نال تلك الحقيقة الناصعة التي هي السعادة الحقة إلا بأن نجعل أجسامنا وأموالنا قربانا لأجلها ونلقى بهيجنا في سبيل العلم والحكمة أوفى ساحات الحرب ، فنكون أدينا ماوجب علينا . فهذه المهالك التي وقع فيها ابن ملك مصر وما صادفه من ذل وجوع وعري وفقد الرجال والمال ثم الأسر والضرب والغرق ثم النجاة . كل هذا ضرب مثلا لطلاب المجد والعلا فهم لا ينالونه إلا باستغنائهم عن هذه الحياة والوقوع في المهالك والهاوى والمشاق العظيمة فيكون الفوز

ولقد أردت أن أؤلف رواية خيالية تستبين بها سبيل هذه الفصول الأربع في ضوء الشمس والهواء والماء والنبات وتقسيمه على الفصول الأربعة وعلى أعضاء الانسان مع تباين ما بينها فأعيتني القريحة بعد السكد والنصب حتى اذا كنت يوم أمس بعد الظهر وهو يوم الأحد ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية وأنا ساثر في منيل الروضة وهناك جلست تحت شجرة فأخذتني وأنا جالس سنة من النوم ففيل لي كأن أُمّى رجلين يتحدّثان . فقال أحدهما : هل أحدثك حديثا عجيبا في غرائب هذه الدنيا . فقال أحب ذلك . فقال كنت الليلة نائما فأتاني خمسة رجال فأيقظوني فرأيت جسمي مطروحا على الأرض كأنه ميت فقلت أنا ميت قالوا أنت حيّ وهذه روحك ولها اتصال بهذا الجسم وسترجع اليه ، وسارابي حتى ارتفعنا الى السماء ووصلنا الى الشمس :

(١) فرأيت حمامتين : إحداهما ذات طوق أحمر ، والأخرى ذات طوق أبيض . فقات ماهاتان يرحم الله ؟ فقالوا اصبر قليلا

(٢) ثم نظرت فوجدت هاتين الحمامتين أسرعتا في الجري حتى وصلتا الى الهواء المحيط بالأرض . ثم أخذتا

ترفران كثيرا حتى رأيت عربات لا عدد لها تجري في الجوّ ولكن لا عجالات لها . فقلت : ما هذا ؟ فقالوا اصبر قليلا

(٣) ثم عمدت الحمامتان الى البحر فأخذتا تضربانه بأجنحتهما فخرجت قرب لطيفة الصنع مملوءة ماء وصارت تطير في الجوّ هنا وهناك بغير نظام ، إذن هناك عربات وقرب ماء كالماء طائرات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لا نظام لها ولا ثبات

(٤) وبينما أنا متعجب من هذه الحركة المختلطة إذ رأيت هذه القرب قد حلت على تلك العربات واتحدت هذه مع هذه حتى صارت كأنها سفن تقترب من بعضها ، ففجبت كل العجب ! فقلت ما هذا يرجمكم الله ؟ أدركوني وأسعدوني حتى أنهم ، فقالوا اصبر

(٥) وبينما أنا كذلك إذ رأيت هاتين الحمامتين عمدتا الى تمثيل مصنوعة من الطين مجوّفة فأخذتا ترفران عليها ، فرأيت تلك الصور أخذت تنقلب من حالها الأولى الى حال أتم وأرق وأخذ الطين يصفو شيئا فشيئا حتى صار لهما وعظما وفيه عيون وأسماع وأبصار : ثم أخذت التماثيل تتحرك وتمشي وتتسكّم ، فأخذ مني العجب كل مأخذ ، وهذه الصور مختلفة الأشكال والألوان والأعمال من كبير وصغير

(٦) ثم رأيت صورة طينية أكبر من جبال هماليا بهيئة انسان ، وهذه الصورة أخذت الحمامتان ترفران عليها ، وانضمّ اليها ألوف مرفرفات حتى تحركت ونطقت ، وهناك أخذ مني الرعب كل مأخذ وقلت ان هذا الذي أمامي هو ما يقال له الغول ولوانه خطي خطوتين نحوي لقتلني . فقالوا لا تخف اصبر قليلا

(٧) ثم سارعت الحمامتان الى أرض قفر ، فأخذتا ترفران عليها وقد رأيت هناك نملا كثيرا تضع ما يشبه الحصى أو الرمل والحمامتان تضربان دائما على وجه الأرض فوق تلك الرمال ، فما أسرع أن رأيت تلك الحصى والرمل قد ارتفعت فوقها أعمدة شيدت عليها قصور خضر وفيها مخازن عجيبة وتلك المخازن فيها ما يشبه تلك الحصى والرمل التي جلبها النمل . فقلت ما هذا يرجمكم الله ، فقد والله رأيت عجبا لم أسمع ولم أر مثله . فقالوا اصبر

(٨) ثم سمعت من ذلك الانسان الكبير الجثة أصواتا من جميع جسمه ، وتلك الأصوات مختلفات من مهدته ، ومن أمعائه ، ومن كبده ، ومن قلبه ، ومن رأسه ، ومن جنبه ، ومن نخاعه ، ومن رقبته ، ومن طحاله ، ومن كليتيه

(٩) فعند ذلك رأيت جماعات من النمل قد أسرعت حيثما الى تلك المخازن فصارت تأخذ منها وتلقي على مواضع تلك الأصوات فلا تسكاد النملة تضع بزرا من تلك البزور على الجنب أو الرأس أو المعدة حتى يسكن الصوت حالا ، وتارة يتأخر قليلا ، فهناك اعتراني أشد الدهش ، فقلت ما هذا يرجمكم الله ، فاني لاصبر لي على هذه العجائب ؟ فقالوا لي : أما الآن فنعم قد تم لك العلم

قال : فقلت وأيّ علم ؟ أنا لا أعلم شيئا . فقالوا لي يرجمكم الله ما هما هاتان الحمامتان . فقال أحدهم وهو الرئيس الآن أحدثك : إن الناس في الأرض نيام ، وهذا الذي رأيته هو الذي يرونه بأعينهم ولكنهم لا يفقهون وعلمائهم وجهلاؤهم على حدّ سواء . قال فقلت ولم لا يفقهون ؟ قال لأن هذه روايات خلقوا فيها وهم أنفسهم من الممثلين والممثل في مسرح التمثيل غير النظارة ، فأنت الآن من المشاهدين وأهل الأرض هم المشهودون . فلما كنت في جسمك كنت مشهودا ولكنك الآن شاهد والشاهد غير المشهود . فما أهل الأرض إلا صور متحركات يشهدهم فيها المقرّبون . فأما أنت الآن فلست منهم بل صرت روحا فصرت أشبه



بالشاهدين . قال فقلت ، ولم لا أكون من الشاهدين . قال يا بني ان الشاهدين ليسوا هم الذين تضرب لهم  
الأمثال فحسب مثل هذه الأمثال التي سأبينها لك بل هم الذين يدركون نفس الحقائق ، و يفرق بين الثريا  
والثرى ، ومدركوا الحقائق هم المقربون الذين يقول الله فيهم « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجهل  
لهم الرحمن ودا » . والمودة الحقيقية لا تسكون إلا بمعرفة الحقائق فعلا لا تخيلا ، فها أنا ذا أقص عليك ما رأيته  
الليلة لتبلغه لأهل الأرض . فقلت : فما هاتان الجماتان إذن ؟ فقال : أما ذات الطوق الأحمر فهي الحرارة  
وأما ذات الطوق الأبيض فهو الضوء ، وأما العربات فهي الرياح ، وأما القرب المماومة ماء فهي البخار الخارج  
من البحر بتسلط الحرارة عليه فيكون باجتماعهما سحاب ، وأما ضرب الجماتين بأجنحتهم على الأرض  
وعلى ما يشبه الحصى والرمل فذلك ان الحرارة والضوء لا بد منهما في ظهور النبات من الأرض ، وأما تلك  
الصور الطينية فهي جميع الحيوانات فهي من الطين مصورات ، ولولا الحرارة والضوء ما كانت لها حياة ،  
وأما القصور المصورات فوق الأعمدة وفيها المخازن فهي النباتات ، وأما ذلك الانسان العظيم الجثة كجبال همالايا  
فهو الأهم الأرضية صوّرت لك بهيئة انسان كبير الجثة ، وأما الأصوات الخارجات من أعضاء جسمه فهي  
الأمراض الموزعات على الأعضاء الجسمية في أفرادها ، وأما طوائف النمل الحاملات لتلك الحبوب من المخازن  
في تلك القصور فهم الأطباء يضعونها على مواضع الداء لتشفى . قال ثم قال هذا الطيف لي : فهذا هو تمثيل  
أحوال تحيط بكم ، فاذا رجعت روحك الى جسمك فقل لهم : يا أهل الأرض . إن حواسكم عجائب وعجائب  
ولكنكم لا تفقهونها لأنكم أنتم صورتمثلون ولستم من النظائر ، ولقد أقسم الله بالشاهد والمشهود وقدم الشاهد  
لأن الشاهد يعقل ويكون من المقربين وهو الذي عقل عن الله وأدرك رحمته فعلا فلا يهوله الفزع الأكبر لأنه  
اطلع على الأسرار وعرف الحقائق فلم ير من الله إلا الرحمة فان أماته أو أحياء أو أفقره أو أغناه فهو في السعادة  
الأبدية سعيد في الدنيا بالعلم ، وسعيد في الآخرة بالعلم ، فأما أمثال هذه الخيالات فهي لفتح باب العشق والحب  
ومتى كان الحب وصل العبد خالقه ، والهيب على قسمين : عبيد عبدوا بالرغبة ، وعبيد عبدوا بالرهبة ، فأهل  
الخيال عبيد الرهبة ، وأهل الحقائق والحب والعشق عبيد بالحب ، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى « إن كل  
من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » ، وإلى الثاني الإشارة بقوله « سبحانه الذي أسرى بعبده  
ليلا الخ » فلك الناس تارة يكون بالرهبة ، وتارة يكون بالحب والعشق ، وأفضلهما الثاني . قال : ثم قال لي  
الطائف وهو رئيس الجماعة الذين معه : وما كل مصقول الطميد يماني ؟ قال فقلت لرئيس  
الجماعة المذكور : حياك الله . عرفت أن القصور والخضر تمثل المزارع ، وأن المخازن فيها تمثل الحبوب فعلمني  
رعاك الله مما علمك الله بعض الحقائق بعد الخيال عسى أن أستيقظ فأخبر أهل الأرض فيصلوا الى الحقائق  
فقال أما الآن فنعم لأنك اشتقت الى العلم ، ولا علم إلا بعد الشوق ، والشوق أعظم أبواب السعادة ، قد رأيت  
النبات في الأرض ؟ قال نعم . قال وهو مقسم على الأزمنة والأمكنة والأعضاء والحواس . قال فقلت نعم وهذا  
أمر عجب ! لا أعرف سره . فقال : قد علم الله أنه سيخلق الانسان وان أنسب الأوقات للزراعة فصل الربيع  
الذي فيه تظهر أكثر النباتات . قال فقلت نعم . قال : لو انه تعالى لم يجعل الزرع إلا في ذلك الوقت لتعطل  
الانسان في بقية السنة ، فدبر الأمر وجعل لبقية الفصول أنواعا من الزرع ليعمل الناس لأنهم اذا لم يعملوا  
كان ذلك تعطيلاً لهم ومرضا لأجسامهم ، ولو أن النبات اختص بمكان دون مكان لاجتمع الناس في مكان واحد  
هم والحيوان فهلكوا فلذلك وزعه على أمكنة كثيرة . قال فقلت هذا عجب ! والله ان أهل الأرض لا يفكر  
أكثرهم في ذلك . قال : لهذا أعلمك . ثم قال : وهى الحرارة والضوء والهواء والماء كانوا علماء بكل شيء  
حتى عرفوا أن بذورا مرماة في الأرض فاجتمعوا عليها ثم حصل النمو فوزعت محصولاتها على الأعين  
والآذان والجلود والبطون والأكباد والقلوب الخ بحيث أصبحت تلك الامور المبهمة التي يرى ظاهرها لا نظام

لها وكأنها جاريات بغير حساب قد صارت مقصودة قصدا حقيقيا بحيث توزع ثمراتها على حاجات الحيوان والانسان عضوا عضوا وحاسة حاسة أى ان النباتات البالغات عندكم الآن (٢٥٠) ألف نوع كلها موزعات على أعضائكم وحواسكم مع ان من يرى الضوء والحرارة والهواء والماء والأرض وهى تتفاعل لا يخطر له أن النتائج تكون منظمة هذا التنظيم المدهش ، وأى نسبة بين الشمس التى تجرى وبينها وبينكم آمادا وآمادا وهى ترسل ضوءا لكم وبين الأعين والمعدات والجلود ، ثم ان أرضكم كما تقرأون أنتم فى العاوم كانت قطعة من الشمس ، وهذه القطعة فيها الجير والمغنسيوم والكبريت والفسفور والحديد والكلورين ، فهذه المواد مما يدخل فى النبات عندكم ، وكل هذا يرسل من الشمس فى أجزاء الأرض ، فلم تقف الشمس عند هذا الحد ، فأمرها الله بارسال ضوء وحرارة ينبعثان منها ليهتما ما قصده الله سبحانه كما خلق الله عقولكم يا بنى آدم فهى كهذه العناصر ساكنة لا عمل لها ، ولكنه يرسل لكم أنبياء ، ويلهم من بينكم حكاء فيحركون أجسامكم وعقولكم كما أنكم ترون الضوء والحرارة ينبعثان من الشمس فيساعدان :

(١) الجير المذكور المفيد للعظام الشافى للجروح على أن يدخل فى نبات السكرنب وفى اللبن والجبنه التى لم يؤخذ زبدها وفى السبانخ والبصل والشمش والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبااميا والرده

(٢) ويساعدان أيضا المغنسيوم الذى يكون قوّة فى العضلات ويمنع الفتق فيدخل بسببهما فى السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والتين والبااميا

(٣) ويساعدان أيضا الكبريت الذى هو المنظف للدم المانع للروماتيزم على أن يدخل فى السبانخ والقنبط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والسكرنب والبصل والبااميا (٤) ويساعد الحرارة والضوء أيضا الفسفور الذى هو مغذ للمخ على أن يدخل فى الفجل والقنبط والخيار

والجوز والبسلة والعنبد والقمح وفى الخس والسبانخ ، وهكذا فى صفار البيض وكشك الماز

(٥) ويساعدان أيضا الحديد وهو الذى يعطى الدم لونه الأحمر على أن يدخل فى تركيب السكرنب الأحمر والسبانخ والبصل والزبيب وصفار البيض النيى والبلح والبرقوق والبنجر وكشك الماز والطماطم

(٦) وهما أيضا يساعدان الكلورين وهو المساعد للهضم المنظف للمعدة على أن يدخل هيكلا السكرنب وملح البحر والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنه وجوز الهند والبنجر

ثم قال : هذه المواد الست مما يدخل فى تركيب النبات قد أرسلها الله مع الأرض يوم أن اقتطعها من الشمس ، ثم أرسل لها الضوء والحرارة فنزلت عليها فكانت سببا فى دخولها فى هذه النباتات المفرقات على أعضاء بنى آدم وعلى حواسهم بحيث لا يكون هناك داء إلا وله دواء ، ولا حاسة إلا ولها ما تطلبه ، ولا حاجة من حوائجكم إلا كانت حاصلة موجودة قد أثرت بذورها وأصولها من عوالم فوق شمسكم « وفى السماء رزقكم وما تعدون »

ثم قال : فهذا هو ما سألت عنه ، فهل فهمت ؟ قال فهمت . يقول مؤلف هذا الكتاب : كل هذا وأنا مصغ الى القائل وعندى أشد الدهش والبهجة ، وأقول فى نفسى : يارب كيف أكون فى حيرة وقد عجزت فعلا عن تمثيل ما يحيط بنا من الجوائب بحيث يكون أشبه بالروايات ، وكيف يثبت والله بأسا حقيقيا من أن أصور ذلك بصور خيالية ، ثم كيف أسمع ذلك فى المحاورة بين هذين الرجلين ، فهل هذه الأرواح هى اخوان روحى ؟ أم أى شىء هذا ؟ ثم أردت أن أسأل هذا المتكلم ، لأسأله من أنت ؟ فاستيقظت وقد عجبت كل العجب وحمدت الله على انه علمنى ما لم أكن أعلم ، وانى الآن يكاد قلبى يطير من بين جنبى إذ عرفت ما عجزت عنه والحمد لله رب العالمين . كتب ضحى يوم الاثنين ١١ رمضان سنة ١٣٤٨ هجرية



### اللطيفة الثالثة

كشف النقاب عن بعض أسرار قوله تعالى : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين .

حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير . فقال : لقد أومأت الى تفسير آية « ومن يعش عن ذكر الرحمن الخ » عند الكلام على البسملة ، واسكن النفس اليوم يعوزها الوقوف على الحقائق ، وكما أن علم الطبيعة لا يورث اليقين اذا اشتغفناه اشتغافا هكذا علم القرآن ، فاذا لم نصل الى النهايات فلسنا علماء ولنا سعاداء ، فهل هذه الحياة الدنيا شقاء والسعادة محصورة في ذكر الله تعالى ؟ نحن نريد التحقيق في هذا المقام بالعقل . فقلت : أيها الحبيب : اذا أردت الوقوف على حقيقة هذا الموضوع فلا مندوحة لك من الصبر على البحث معي والتفتيق . فقال سأصبر . فقلت : جاء في كتابي « بهجة العلوم » في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية الذي ألفته وهو الآن تحت الطبع ما يأتي من علم الحساب :

﴿ أولا ﴾ ان كل عدد قسم بقسمين ثم زيد عليه أحد القسمين يكون المجموع من ضرب جميع ذلك في نفسه مساويا لضرب ذلك العدد قبل الزيادة في تلك الزيادة أربع مرات والقسم الآخر في نفسه ومثاله أن نربع ( ٧ + ٣ + ٣ ) فهنا يساوي ١٠ × ٣ × ٣ زائد ٧

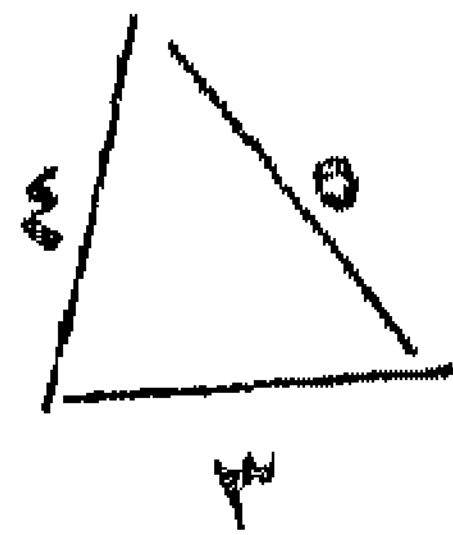
﴿ ثانيا ﴾ كل عدد قسم بنصفين ثم زيد عليه زيادة ما يكون الحاصل من ضرب ذلك العدد مع الزيادة في نفسه وضرب الزيادة في نفسها مجموعا مثلي ما يكون من ضرب نصف العدد مع الزيادة في نفسه وضرب نصف العدد في نفسه ، مثال ذلك ( ١٠ ) قسمت نصفين ثم زيد عليها اثنان فأقول ان ضرب الاثنى عشر في نفسه والاثنين في نفسها مجموعا مثلاما يكون من ضرب ٧ في نفسها و ٥ في نفسها مجموعا

﴿ ثالثا ﴾ كل عددين مجذورين على الولاء اذا ضرب جذر أحدهما في جذر الآخر زيد عليه ربع تكون الجلة عددا مجذورا ، فاذا ضربنا جذر ٤ في جذر ٩ وزدنا ربعا فحذر المجموع ٣٥ فهذه ثلاثة مسائل من علم خواص الأعداد ، وهالك ثلاثة أخرى في الهندسة وهي :

( ١ ) زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين

( ٢ ) مربع وتر الزاوية القائمة في المثلث يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين ، فاذا كان أحد الضلعين

٣ والثاني ٤ فان الضلع المقابل للزاوية القائمة يكون ٥ ومربع ٥ = ٣ + ٩ ومربع ٤ يساوي ١٦ ومجموعهما ٢٥ ومربع ٥ يساوي ٢٥ وهو المطلوب وهذه صورته :



( ٣ ) الزاويتان الحادتان من وقوع خط مستقيم على آخر مستقيم على جانب واحد منه هما قائمتان أو تعادلان قائمتين . فهل فهمت أيها الصديق هذه المسائل ؟ فقال انها في غاية الوضوح ، إن مسألة الزوايا الثلاث في المثلث تقدمها ٣٣ شكلا حتى أمكن البرهنة عليها ، ومسألة مربع وتر تقدمها ٤٦ شكلا كذلك ، ومسألة الزاويتين تقدمها للبرهنة عليها ١٢ نظرية في الهندسة . فقلت : حسن جدا . إذن هذه المسائل ليست من البديهيات بل هي نظريات ، ولا جرم أن النظريات ترجع الى البديهيات في آخر الأمر كقولهم « الكل أعظم من الجزء » وهذه النظريات والأشكال التي تقدمت المسائل المتقدمة قد جعلت لتوصل هذه المسائل الى البديهيات . قال نعم . قلت فلنسر في بحثنا على هذا النور العلمي لنصل لما قصدناه فنقول : لنتخذ هذه المسائل الهندسية والحسابية الست مقدمات كما جعل الناس القضايا البديهية مقدمات

و بنوا عليها علومهم الجزئية كالحساب والهندسة والفلك والجبر وغيرها ، فلبين نحن علمنا الذي هو سيد العلوم وهو العلم الأعلى وهو أصل العلوم على تلك العلوم الجزئية ( وبعبارة أخرى ) ان علماء الرياضيات والطبيعيين يتخذون المحسوسات والبدهييات أساسا وبنوا عليها علومهم الجزئية التي بها نظمت أمور الحياة في الأرض فلتتخذ نحن نفس علومهم التي برهنوا عليها ونجعلها أساسا للعلم الأعلى وهو العلم الذي به السعادة والحكمة والجمال المطلق ، ذلك لأن الناس مع شيوخ علومهم وكثرتها نراهم دائما في قلق ، وآراؤهم في حيرة واضطراب والناس في حرب وضرب واختلاق واختلاف ، لافرق بين علمهم وجاهلهم وأرباب العلوم ورجال الصناعات سواء في ذلك .

وكل يدعى وصلا ليلي \* ويلي لا تقر لهم بهذا كما

فنحن هنا نريد أن نتوصل الى العلم الذي يريح جميع الطوائف وهو في اليقين كاليقين الذي يعرفونه في العلوم الرياضية ، ومتى عرف الانسان اليقين سعاد السعادة التي لانهاية لها . فقال صاحبي : انك تحدث عن أمر عظيم ذي بال وهو شريف ، وأود أن يمنحك الله قوة الفكر حتى تعرفنا هذا العلم البديع الذي لو تحقق لأعطى النوع الانساني اطمئنانا والاطمئنان هو النعيم الأكبر في هذه الدنيا . قلت : أيها الصديق ستسمع مايسرك ويكون عندك اليقين ، لننظر في المسائل الحسابية الثلاث وأخواتها الهندسية التي قدمناها هل هي خاصة بالأعداد التي كتبناها وأشكال هندسية خاصة ؟ أم كل قاعدة منها تشمل أعدادا وأشكالا كثيرة . قال بل كل منها تشمل مسائل لا يحصرها هندسة وحساب ، فالأرقام التي ذكرتها والزوايتان اللتان رسمتهما ما هما إلا مثالان لاغير ، فهناك من الزوايا ومن الأرقام ما لا يعد وكله مطبق على هذه القواعد . قلت : أصبت المرحى ، أترى هذه القواعد السككية مشاهدة بأبصارنا . قال : كلا ، بل نحن نعقلها ببصائرنا والمشاهد بالأبصار :

( أولا ) المحدودات الخارجة والمواد التي دخلتها الهندسة في العالم المشاهد كالمنازل والقلاع

( ثانيا ) الألفاظ الدالة على تلك المحدودات والمواد الخارجة

( ثالثا ) أرقام الأعداد وأشكال الهندسة المرسومات في الدفاتر والكتب ، فالألفاظ والأرقام تدل على ما في الخارج ، وما في الخارج صورة لما في الذهن ، أما الذي في أذهاننا فهي القواعد السككية التي لها صور كثيرة في الخارج . فقلت الله أكبر ، وسلمنا الى المقصود وأشرفنا على عالم الجمال والكمال والدوام ، قل لي أيها الحبيب ماذا تقول في هذه القواعد السككية التي في ذهنك أنت في الحساب والهندسة والمنطق والفلك والطبيعة والكيمياء هل اعتراها يوما ما تغير أو تبدل من يوم أن عرفتها . قال كلا هي دائمة في عقلي وهي أشبه بالخازن ومنها أتصرف في أعمالي اليومية . قلت حسن ، أيهما أكثر دواما ، خزائن الذهب والفضة ومخازن الحب ونحوها أم هذه ؟ قال بل هذه هي الدائمة . قلت : ولكن الناس لغفلة أكثرهم لا يفرحون بهذه المخازن التي في أنفسهم وانما يفرحون بالأمور الجزئية الوقتية ، فتعال معي الى ما هو أرقى من هذا ، قل لي أيها الحبيب : ما الذي أدرك هذه السكليات العلمية . قال نفسي . قلت : فهل لهذا نظير في العالم المحسوس ؟ قال نعم ، العين والصورة الواصلة اليها بضوء الشمس من شجرة الورد مثلا ، فالعين نظير نفسي وقواعد الحساب والهندسة كصورة شجرة الورد الواصلة الى عيني من ضوء الشمس . قلت حسن جدا ، فانرق في البحث الى درجة أخرى . فقال : إني الى ذلك وامق . فقلت ما الذي كان السبب الظاهر بأذن الخالق في نمو الشجرة ؟ قال الشمس . وما الذي كان السبب أيضا في انك رأيته ؟ قال الشمس أيضا . فقلت : إذن الشمس سبب لظهور شجرة الورد وسبب لرؤيتك إياها . قال نعم : قلت حيالك الله وبياك ، فبين لي ذلك ؟ فقال الشمس تضيء ولها حرارة ، والحرارة سبب البخار ، وجري الهواء ، والبخار يحمله السحاب ، فالبخار والهواء معا



سببهما الظاهري الشمس ، والسحاب يحكون مطرا ، وبالطرق (بإذن الله) كان النبات ، وأيضا تقدم في (سورة يس) أن الورق المرسوم هناك في داخله مواد ملونة عائمة في سوائل هناك ، وهذه المواد الملونة تساعدنا أضواء الشمس على تناول المواد الفعمية من الهواء فينمو النبات ، ومن النبات شجرة الورد المذكورة ، ثم ضوء الشمس كما أنه ساعد على التغذية هو نفسه الذي يرسم صورة شجرة الورد ويوصلها إلى حديقتي فأنارها

قالت : أحمده الله انك تتذكر العلوم إجمالا وتفصيلا ، ولم تنس شيئا مما ذكرناه في هذا التفسير . ثم قالت : إذن عندنا :

- (١) شمس
- (٢) وشجرة الورد
- (٣) وصورتها المرسومة بالضوء
- (٤) وعين الانسان
- (٥) والقواعد العلمية (٦) ونفوسنا

فنفسنا كالعين والقواعد العلمية كصورة شجرة الورد التي وصلها الضوء الى العين فيما تقدم فلم يبق إلا مثال الشمس ومثال نفس شجرة الورد ، فهنا نحن أولاء لدينا ست مقدمات واضحة : أربعة محسوسة واثنان معقولتان ، فلم يبق إلا الاثنتان الباقيتان ، فلنبحث عنهما كما يبحث علماء الجبر إذ يتوصلون بالمعلوم للجهول فنقول : أيها الحبيب : هل تظن أن ضوء الشمس يوصل لأعيننا صورة شجرة الورد وهي ليست موجودة قال . كلا . فالضوء لا يوصل إلا صورة ما هو موجود فعلا . قالت حسن . أفلم تستر أن الصورة السكية التي في أذهاننا في سائر العلوم لها أصل وهي صورته . قال : إن كليات العلوم أصلها هو الذي نشاهده في الخارج من المعدادات ومن المباني في الهندسة وهكذا . فقالت : هذه جزئيات وتلك كليات وما أبعد الفرق بينهما ، فصورة الكلي في عقولنا منقولة عن معنى كلي ، كما أن صورة شجرة الورد الواصلة لعيننا منقولة عن مادة جزئية ، وليس من المعقول أن الكلي يكون عن جزئي ، وما الجزئي إلا مثال له ، فانظر لمثال شجرة الورد والشمس ، وقل لي ، أليست ترى أن القواعد التي نحس بها في عقولنا صور لأمور كلية معنوية ثابتة في أنفسها وصانع العالم هو الموجد لها وهو الذي أظهر صورها لعقولنا بلا رابطة كما أن شجرة الورد المذكورة صنعها بواسطة الشمس وأظهرها لعيننا بوساطتها ، أليست ترى أيها الحبيب أن مثال الشمس جميل به أمكننا أن نعرف هذه المسألة العظيمة فنقول :

إن الله الذي هو ثابت لا يتغير قد خلق أمورا كلية معنوية وهي أمور روحانية ثابتة لا تتغير وهو نفسه أهداها لعقولنا فمرفتها وعشنا بها وضرب لها مثلا بالشمس وبالخلوقات الأرضية ، فكما أن الشمس سبب في حياة النبات والشجر كانت هي أيضا سببا في رؤيتنا له والله تعالى سبب في خلق المعاني الدائمة بدوامه ، الجميلة المستمدة من جلاله ، وحين تشاهد أعيننا صور العوالم المشاهدة يكون ذلك سببا في استيقاظ عقولنا واستعدادها الى انكشاف تلك القضايا السكية التي يفيضها الله على عقولنا ، وبهذا تنحل مشاكلا كل واحد لها في عالمنا الأرضي وتظهر حقائق كانت مخبوءة

فهنا نحن أولاء قد وصلنا الى المقصود ، واستنتجنا نتائج باهرة ، وقسنا ما لم نشاهده على ما شاهدناه وأدركنا أن المعاني السكية التي نحس بها في عقولنا والتي عليها مدار حياتنا هي أصل لكل ما نشاهد في هذه الأرض وهي صنع الله نفسه بلا واسطة وهي دائمة ، وإذا ثبت هذا في علومنا التي نرجع إليها في جميع أحوالنا فليثبت نظيره في كل أمر عام

فاذا رأينا الوجوه الجميلة ، واذا سمعنا بالعدل والكمال وما أشبه ذلك فلنقل ان كل جمال وكل عدل مشاهد لنا فهو في هذا العالم ناقص كما قلنا ، إن المعلومات التي نراها جزئية والسكنى هو العالم المعقول ، فالجمال المعنوي والعدل المعنوي والكمال ، كل ذلك له مثل (بالضم) عليا في عوالم خارجة عن المادة كما ان للعالم مثلا (بالضم) عليا

وبالجملة فلا علم ولا جمال ولا كمال ولا سعادة إلا فيما هو ثابت ، فأما ما لا ثبات له فأنما هو مذكر بماله كمال . أيها الحبيب : إن ما قلته الآن كله قد أذكرني به آية في ﴿سورة النبأ﴾ وأنا أصلي وقت السحر ليلة الخميس (١٩) نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهي قوله تعالى « وبنينا فوقكم سبعا شدادا » وبنينا سراجا وهاجا » وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » لنخرج به مهابا ونباتا » وبنات ألفافا » فاني حينما كنت أقرأها ذكرت بالسراج الوهاج وبالسحب والمطر والنبات المذكورات في الآية مسألتنا بحذافيرها ، فالنبات أذكرني بالمعلومات الجزئية التي تشبه المسائل الست المتقدمة في الحساب والهندسة . والشمس أذكرني بصانع تلك الصور الجميلة المعنوية وهو الله تعالى ، والصور المعنوية الروحية توصلنا لها المعلومات الجزئية المشار لها بالنبات وهي مصنوعة لله الذي يرزق له بالشمس ، وهنالك تبتدى لى معان كثيرة ، فالجمال والعلم وكل معنى شريف إنما يكون في العالم العقلي ، وما الحس إلا أثر من آثاره

أليست هذه مسألتنا التي نبرهن عليها الآن ، ومما مثل الحرارة للرسالة من الشمس الى ماء البحر التي بها يكون البخار فالسحاب فالطر إلا كما يفعل العقل الانساني الذي يعرف الحقائق الخبوءة في العالم العقلي فيتزل الى العوالم الأرضية فيدرسها كما تنزل الحرارة من الشمس فاستخرجت الماء الصافي فصار مطرا هكذا هذه العقول تستخرج بحرارة ذكائها المعارف وتشرها بين أهل الأرض ، وهذه النظرية الآن بها نعرف أكثر آيات القرآن وأسرارها مثل « أفتمارونه على ما يرى » ولقد رآه نزلة أخرى » الى قوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » أفرايتم اللات والعزى » ، فآيات الله الكبرى هي التي رآها في عوالم غير عالمنا هذا ، وذكر اللات والعزى ضرب مثل للعوالم المادية ، فان الناس اذا اكتفوا بالعالم المادي صاروا أشبه من بعض الوجوه بالذين يكتفون بالأصنام في العبادة ، ومثل قوله تعالى هنا « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » ، فذكر الرحمن انما يكون بالعلوم الثابتة المعنوية ، فأما تكوف الناس على الامور المادية فذلك هو البقاء في هيبة الهائم وشهواتها ، وهنالك تكون الشياطين إذ لا شيطان ولا وسوسة إلا حيث تكون العوالم المادية والوقوف عندها ، وهكذا البيوت ذات السقف المزخرفة والسرر كلها عالم مادي ، ولكن الرحمة الحقيقية في العوالم الحسكية العقلية وهكذا قوله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، ففضل الله ورحمته هنا هي العلوم والمعارف ومنها الدين والوحي والذي يجمعونه هو المال . هذا هو القرآن ، وأعجب كيف تكون هذه المعاني هي التي يحوم حولها سقراط ، ولقد أوضحت لك أيها الذكي الدلائل التي أجعلها هو وفصلاتها لك تفصيلا تاما ، ثم لتعجب ولتعجب ألف مرة من دين الاسلام كيف تكون الآيات التي تعد بالمئات في هذه المعاني قد ذكرت في جمهورية أفلاطون ، ألا فلا سمعك بعضها في العلم وفي الجمال والعدالة وهكذا ، إذ ذكر في الكتاب السادس منها أن الفلاسفة وحدهم هم الذين يقدر أن يحكموا الأمم وأما الجهلاء فلا ، ومن هم الجهلاء إذن ؟ هم التائهون في تعدد الصور أي هم الذين لا يفكرون بعقولهم : وكل مقصودهم هذه الخلقات المشاهدة لا المعقولة كما قدمنا

ولنشرع الآن في إيراد ما جاء في « جمهورية أفلاطون » من صحيفة ١٥٦ الى ١٥٨ وهاك نصها بالحرف الواحد :



قال سقراط : لما كان الفلاسفة هم القادرين على ادراك الأبدى غير المتغير ، ولما كان العاجزون عن إدراكه تأمهن في ببداء التغير وتعدد الصور ليسوا فلاسفة ، فأى الفريقين يجب أن يحكم ؟  
غلوكون : بماذا أجيب اذا رمت أن أنصف القضية ؟

(س) سل نفسك ؟ أى الفريقين قادر على رعاية قوانين الدول وعاداتها ، وليكن هؤلاء الحاكمين (غ) أنت مصيب

(س) أفيمكن أن نسأل : هل الأعمى أو البصير هو أهل للحكم ، ولحفظ كل شىء ؟  
(غ) لا محل لهذا التسأل

(س) أفنتظن أن هنالك أقل فرق بين حال الصبيان ، وحال الذين تجردوا كل التجرد من معرفة الأشياء على ما هي في ذاتها ، وليس لهم في نفوسهم مثل واضح ، وليسوا بقادرين أن يتفرسوا في الحقيقة الكاملة تفرس المصورين فيتخذونها نموذجاً دائماً يتأملونه ويدرسونه بأتم عناية قبلما يتقدمون للعمل في النظم الأرضية فيما هو جميل وصالح وعادل ، واضعين هذه الأشياء في محالها اللازم ، ساهرين على حفظها حيث وجدت

(غ) كلا ليس بينهم كبير فرق  
(س) أفهؤلاء نعين حكما ونؤثرهم على العارفين كل شىء معرفة حقيقية وليسوا أقل من اخوانهم اختبارا ، ولا هم دونهم في دوائر الفضل الأخرى  
(غ) من الجنون تولية غيرهم ، إذ أنهم لا ينقصون جدارة ، ولأن النقطة التي يتفوقون فيها هي أهم كل شىء

(س) أفنتقدم الآن لتبيان كيفية امتلاكهم نوعى الجدارة ؟

(غ) من كل بلد  
(س) اذا كان الأمر كذلك وجب أول كل شىء أن ننظر نظرا ثاقبا في سجيته الخاصة كما قلنا في مستهل بحثنا ، وأظن أنا اذا اتفقنا فيها اتفاقا كافيا اتفقنا أيضا في امكان اقتران الجدارتين في الأشخاص أنفسهم ، وان أرباب هذه الصفات دون غيرها هم الذين يحكمون الدول  
(غ) وكيف ذلك ؟

(س) دعنا نسلم أن أرباب الفطرة الفلسفية هائمون بكل أنواع المعارف لتجلى لهم حقيقة هذا الوجود الخالد الذى لا يغيره الزمن ، ولا تسطو عليه عوادي المحن  
(غ) فلنسلم

(س) ولنفرض أيضا أنهم شغفون بحقيقة الوجود الخالد لا يرضون منه بديلا ، ولا أن يحذف فرع من فروعها ، كبيرا كان ذلك الفرع أو صغيرا ، معتبرا أو مستغبرا ، كما أبنا ذلك سابقا في كلامنا في أرباب المطامع والحب

(غ) أنت مصيب

(س) والآن نتقدم لنرى هل في الامكان أن نجد صفة ثالثة في خلق الذين تنطبق أوصافنا عليهم

(غ) وأية صفة تعنى ؟

(س) أعنى صفة الصدق أى العزم على تجنب الكذب في كل صورة ما أمكن ، ومقتنه مقتنا كليا ، ومحبة الصدق محبة حقيقية

(غ) نعم والأرجح أننا سنجد فيهم هذه الصفة

(س) ليس الأرجح فقط يا صديقي ، بل انها ضرورة لامتدومة عنها ، فان من كان فيه شغف فطري بشيء سرّ بكل ما اقترن بذلك الشيء اقترانا وثيقا

(غ) يقينا

(س) أفتعبد حليفا ألقى بالحكمة من الصدق ؟

(غ) مؤكدا لا

(س) أفستطيع فطرة واحدة أن تحب الحكمة ، وفي الوقت نفسه تحب الكذب ؟

(غ) لا يمكن ذلك قطعا

(س) فالنتيجة هي أن عاشق المعرفة الحقيقية يصبو الى الصدق منذ الطفولية صوبا شديدا

(غ) نعم يصبو

(س) ولا ترتاب في أن من تنهّب رغباته على شيء انصبابا شديدا يضعف ميلها الى سواه كالماء الذي

يتحوّل عن مجراه

(غ) نعم ، لاشكّ في ذلك

(س) فني تحوّل التيار نحو العلم بكل فروعه حامت رغبات المرء حول الذات العقلية هاجرة للذات التي

محورها الجسد ، هذا اذا كانت محبته الحكمة حقيقية لا مصنعة

(غ) لا يمكن أن يكون غير ذلك

(س) ثم ان انسانا كهذا يكون عفيفا لا يسوده الطمع لأنه أبعد أهل الدنيا عن اعتبار الأشياء التي

تحمّل المرء على الاستماتة في حب المال مهما يكلفه الأمر

(غ) يقينا

(س) وهنالك نقطة أخرى ينبغي لك اعتبارها في تمييز السجية الفلسفية عما سواها

(غ) وما هي ؟

(س) انها تحذر التفاضل عن أية وصمة سافلة ، لأن الصغارة أعظم ضدّ للنفس المتصفة بالميل التام

لامتلاك الحقيقة الإلهية والبشرية في حالي وحدتها وتعميمها في كل أين وآن

(غ) غاية في التأكيد

(س) أفتظن أن النفس المملوءة بالأفكار السامية ، المتمتزة بالتفكير ، يمكنها أن تعلق شأنا كبيرا على

الحياة الحاضرة

(غ) كلا ، ذلك غير ممكن

(س) فانسان كهذا لا يحسب الموت حادثا مروّعا

(غ) مؤكدا أنه لا يحسبه كذلك

(س) فلاحظ للفطرة الجبانة في الفلسفة الصحيحة

(غ) لا أراها تتمكن منها

(س) أفيمكن عقلا متزنا حرا من الطمع والسفالة والمجرفة والجبانة أن يكون صعب المراس أومتعديا ؟

(غ) غير ممكن

(س) فحين تراقب ظاهرات الخلق الفلسفي والخلق غير الفلسفي يجب أن تلاحظ أيضا منذ الصغر هل ذلك

العقل لطيف عادل أو شرس ووحشي

(غ) تماما هكذا



(س) وهنالك نقطة أخرى لا أخالك تفعلها

(غ) وماهى؟

(س) أبسرعة يتعلم ذلك العقل أم ببطء؟ لأنك لاتستطيع أن تتوقع أن يحب أحد عملا ما محبة كاملة وهو يتعاطاه بصعوبة وانزعاج فيكون تعبه كثيرا ، ونجاحه قليلا

(غ) كلا ، ذلك مستحيل

(س) وإذا كان حليف النسيان فلم يذكر شيئا مما حصل له أفلاتفرغ جعبته من المعرفة ؟

(غ) تفرغ

(س) أفلاتظن أن جهوده العقيمة تنتهى به الى كرهه نفسه ووظيفته

(غ) دون شك

(س) فلاندرجن حليف النسيان فى عداد النفوس الفلسفية بل نطلب ذرى الناكرة الحافظة . انتهى

ما أردته من « جمهورية أفلاطون » والحمد لله رب العالمين

ولقد شرح قبل ذلك فى الكتاب الخامس أن الرجل ذا الفطرة السليمة يعلم أن من شغف بالحب فى شرح الشباب يكون شديد الشغف بمحبوبه ، فيمدح فى الفتى قصر الأنف لأنه جذاب ، والأنف الأفتى أيضا أمره عجب ومظهره بديع ، والأنف المتوسط يجعل الوجه أكثر انساقا وجمالا ، ويمدح الأسمر اللون بأنه ذو رجولة ، وشقر الألوان بأنهم أعلى الناس ، والعشاق يمدحون (الأصفر الزيتونى)

وذلك لأنه انتحل عذرا لما رأى صفرة فى وجنة الحبيب ، وبالاختصار يخلق العاشق جميع أنواع الأعذار لمدح جميع صفات محبوبه ، وهكذا المولعون بالخمر فانهم يخلقون جميع الأعذار لرشف أنواع الخمر كلها ، وهكذا عشاق المجد فانهم اذا لم ينالوا اكرام عظماء الرجال اكتبوا بمدح الأقلين ممن لا وزن لهم ، وهذا مجد على أية صورة ، هكذا فلنقل : محب الفلسفة يجب أن يكون عاشقا لها جميعها عشقا كاملا لا جزئيا مولعا بجميع العلوم أما المغمومون بسماع القصص والحكايات والنوادر ، والذين يدخلون كل جوقة لسماع الطرب ، وكأنتهم أجروا آذانهم للسماع ، فهؤلاء نسميهم فلاسفة زائفين ، والحققيون هم الذين ينظرون فيما هو ثابت لا ما هو متغير ، والثابت هى المعانى السكينة المتقدمة التى ترجع لها جميع العلوم

وهنا أخذ يبين أن هناك جمالا وقبحا ، وعدالة وتهديا ، فسكل منها واحد فى نفسه عقلا ولكنه متعدد المظاهر . ثم قال ان الذين أغرموا بالعلوم كلها ، وأدركوا الحقائق ، وتعلقت نفوسهم بالصور المعنوية التى سبقت فهؤلاء قسم وهم الفلاسفة الحقيقيون ، أما عشاق النظر الظاهر والصناعة والفنون ورجال العمل ، فهؤلاء لانسميهم فلاسفة ، فعشاق الأصوات الجلية والأشكال والألوان والصور ، وكل ما أنتجه الفن ليسوا فلاسفة لأنهم لم يعرفوا الجمال المطلق الذى أوضحناه ، وحياة هؤلاء حلم و المنام ، فليسوا أحياء لأنهم خلطوا الحقائق بالصور ، وإذا أردنا أن نتلطف مع هؤلاء جيها قلنا لهم : « أيها الأحاب إن عقولكم عقول متوسطة ، ذلك لأنها أدركت ما هو متردد بين الوجود والعدم وهى هذه الصور والأشكال لأن وجودها ليس دائما ، فهؤلاء لانبيخسهم حقهم ، ولا نقول لهم انكم جهال كالذين يقولون ان المعدوم موجود كلا فالذين يحكمون بوجود المعدوم جهال ، والذين يعتقدون الموجود الدائم هم الفلاسفة ، أما أنتم فلا أنتم فلاسفة ولا أنتم جهال ، بل أنتم ذوو عقول متوسطة بين الجهل والعلم ، لأنكم خلطتم فى حكمكم وفرحتم بالأشياء الأرضية من مال ومتاع وجمال وثروة ومنصب ، فلسنا نحكم على عقولكم بالجهل المطبق ولكنكم أشبه بالأطفال تفرحون بالألعاب »

فأما سمع صاحبي ذلك . قال : الله أكبر ، إني قرأت ذلك في نفس الجذورية ، ولكن القول هناك مطول ، وهنا ظهرت المعاني ظهيرا واضحا ولم يخرج هذا عنها

الله أكبر : إن هذه المعاني تنطبق على آي القرآن التي ترهده في الدنيا وتحجب في الآخرة ، ولكن وصفك لها على هذا النهج يجعل المسلمين بعد اليوم مغرمين بالعلوم ، مع شدة حرصهم على نفع الناس فيكون العالم فعلا زاهدا في الدنيا لأنه عرف حقيقة نفسها وهو نفسه ينبوع فيفيض الخير على أمته فترتقى بما تسمع من علمه ويكون أشبه بالشمس والناس أشبه بالمخلوقات على الأرض فهو كل أنتاج الجزئيات ، فأما أكثر كتب الصوفية ومن على شاكلتهم في القرون المتأخرة فاسمهم تصدوا إلى احتقار الدنيا ولكنهم في الوقت نفسه لم يعيشوا الناس في ادراك العلوم وتنظيم المدن . كلا . فأنحطت الأمم الإسلامية ، وأن هذا الشرح الذي أبنته الآن من أعظم النعم ، وإطالما أشكك على ما كنت تقوله لي سابقا من أن القرآن يهوزه في تفسيره علم جميع الحكماء ، فهأنا ذا الآن أرى أكبر العقول في العالم الانساني بعد الأنبياء (وهو عقل سقراط وأفلاطون اللذين قال فيهما الفيلسوف سبنسر الانجليزي وسنتلانه التلياني : « إن عقول فلاسفة أوروبا بالنسبة طؤلاه كالبقعة بالنسبة للفيصل » هو الذي يقوم بشرح هذه الآيات وايضاح بعض حقائقها) وأن القصور والمعارج المزخرفة والسرر البديعة وحطام الدنيا ، كل هذا لاحظ للانسان فيه كامل ، والشياطين تلازم المادة ، ورجة الرحمن تلازم العلوم والمعارف والمعاني التي لا تفسير بتغير الزمن والنفوس تعقلها بأشراق النور الالهي عليها . ولقد زاد تعجبي ودهشي إذ أرى سقراط يقول : « إن المعاني العقلية التي هي صور وآساس لكل ما على الأرض وغيرها من عالم المادة صنعها الله بنفسه ، والشمس جعلت رمزا لله فصنع الله للمثل العقلية بالواسطة مثله لنا وقربه لنعقولنا كون الشمس سببا ظاهريا لوجود الحوادث التي تقابل تلك المثل ، وهذا وإن كان جيلا فاني صرت قب ماستقولونه في سورة محمد ﷺ ولكن اذا أشرت إليه هنا فاني أكون شاكرا أجل شكر . فقلت : إن حاسة اللمس تتصل بحسوساتها وحاسة الشم كذلك ، وهكذا حاسة الذوق والسمع والبصر ، فكل واحد منها متصل بالعالم الذي يحس به ، فلا ريب أن يكون للعقل اتصال بعالم عقلي أوسع بما لا حصر له من العالم المشاهد ، وهذا البرهان الذي سأوضحه ان شاء الله هناك أقرب إلى اليقين من برهان سقراط . فقال حسن والله لقد انشرح صدري . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة .

#### اللطيفة الرابعة

في قوله تعالى : ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون إلى قوله : منها تأكلون مع قوله تعالى : وهو الذي في السماء إله إلى قوله : وعنده علم الساعة واليه ترجعون مع ملاحظة نظائر هذه الآيات كقوله تعالى في سورة الزمر : لكن الذين اتقوا ربهم إلى قوله تعالى يخرج به زراعا مختلفا ألوانه الخ

ما أجل العلم ، وأبهج الحكمة ، وحى نزل ، ودنيا منتظمة ، تسمو بهما العقول ، وترقى بهما النفوس ، الدنيا عروس زينت للناظرين ، وجنة بهجة للفسدرين ، نحن نعيش في جو من النور ، والكناب المسطور والعلم المنشور ، فسبحان الله مسدى النعم ، مظهر الحكم ، باري النعم ، أليس من عجب أن نسمع في القرآن وصف الجنة أنها غرف من فوقها غرف مبنية ، ثم نسمع عقبها الكلام على الماء النازل من السماء الذي جرى في باطن الأرض فخرج ينابيع فوقها فكان النبات المختلف الألوان ، ثم أليس من أعجب العجب أن نرى في سورة الغاشية ما يشابه هذا إذ وصفت الجنة بأن فيها عينا جارية ، وسرا ، وأكوابا ، ونمارق ، وزرابي



ثم يعقب ذلك ذكر الابل كيف خلقت ، والسماء كيف رفعت ، والجبال كيف انصبت ، فهنا أتبع ذكر الجنة بالسما والنبات ، وهناك أتبت بالحيوان والسما والجبال ، فها هذا العجب اجنة قد ذكر في القرآن ويندر عقيبها هذه العوالم فيقال هناك : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الخ » ويقال في آية الرمي : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء على سبيل الاستنهام التقرير وهو أبلغ بما لاحد له من جهل الكلام خبرا

أليس هذا من الأسرار المسكنونة والجواهر الحسنة النظام ، نعم هنا سر وأى سر ، فاعلم أن الانسان يصبو للجمال والحب ، فالنوع الانساني كله يطلب الجمال والجمال مطلوب للحب ، والحب هو المقصد الأسنى لهذا الانسان ، والأمة التي قل فيها الحب يقل فيها النافون المفكرون ، والحب لا يكون إلا لجمال ، والجميل ما يناسبنا ويوافقنا ، والقبيل ما ينافرنا ، وكل ما يؤلنا منافر لنا ، والموافق لنا هو الذي جلت صورته الظاهرة في نظرنا أو صورته الباطنة بعلم أو بشجاعة أو احسان ، وبالاختصار كل جمال يرجع لأصوين : العلم والقدرة ، فالعالم محبوب ، والشجاع محبوب ، والمحسن محبوب ، والاحسان والشجاعة يرجعان للقدرة ، والجمال الظاهري فيه نوع من القدرة ، فأما العلم فهو معروف ، ولا جرم أن من يسمعون شجاعة عنتر العبي أوعلم الشافعي وأفلاطون وأبي حنيفة ويرون ذوى الجمال يكون حبههم على مقدار الآثار الواصلة لقلوبهم من أولئك المحبوبين ونرى الرجل في حياته بين امرأتين : إحداهما ترضيه ، والأخرى يسكن اليها ، فالأولى أحبها من طريق الاحسان ، والثانية أحبها من طريق الشهوة والجمال ، فما أبدع القدرة ، وما أجمل الحكمة ، يعيش الناس ويموتون وهم موزعون القلوب بين عوامل لا يدرسونها ، وفي سبيل لا يفهمونها ، فهم يحملون على أجنحة لم يروها ، يدرون بقوانين تجهلون ، ويتحكمون بسنن لم يسنوها

ولا جرم أن الاحسان المذكور والجمال من نوع القوة والقدرة ، ثم ان الانسان فيما بين المرأتين يعلمه الاستاذون ، ويؤدبه المؤدبون ، وذلك من طريق العلم ويكون حبه للاستاذ على مقدار ما عرف من حكمته وما أدرك من فطنته ، وما استفاد من خبرته ، إذن الحب موزع على احسان الأم وجمال المرأة وعلم الاستاذ فهنا اجتماع عند أكثر الناس أصول الأسباب التي بها الجمال ، ولا جرم أن هذا تمرين على ادراك الجمال الأسنى ، واعلم أن الانسان مع هذا كاه محبوس في هذه الأرض ، محكوم عليه بالسجن فيها ، مبعث عن بدائع السموات وتخوم الأرضين ، بل لا قدرة له على معرفة نفس هذه الأرض التي يسكنها إذ يحل بواطن جبالها وبحارها وأنهارها وجوها بل يحل خواص جسمه وعجائب روحه ، ومع ذلك له نفس تواقه الى ادراك ذلك ، فهي تطوف به أعلى العلا ، وتسمو به فوق العرش وتحت الفرش ، نفس وثابة خطواتها تنهب الفلوات وتقطع السموات مع انها محبوسة الجسم مكبلة الروح

نرى الرجل اذا أدخل السجن حن الى وطنه وأهله ، وكان ألمه على مقدار ما عرف من الأهل والأصحاب وما كسب من المال الذي حرمه ، والملك الذي صرف هو عنه ، هكذا نرى نفوسنا تود لتطير الى أقاصي السموات أو تخترق تخوم الأرضين ، إذن هي كالمحبوس في سجنه ، إذن هي كانت تتمتع تمتعا ما بتلك العوالم وحجرت عنها ، والا فلماذا هذا الحنين والغرام ، وما هذا التهافت على العوالم ، وما بالناس نراها مذجبات الى هذه الأرض تقرأ علم الفلك ، وتخترع المجاهر ( المناظر المعظمة ) وتدرس أقدار النجوم ، وتعدها وتحسبها ، وتعدها أبعادها وأقدارها وتفرح بذلك مع أنها لا طعام فيها ولا شراب ولا ملك ولا مال ، ونسمع أن نجمة من نجوم الجبار وهي الجوزاء قدر الشمس ٢٥ مليون مرة كما تقدم في هذا التفسير ، فنفرح بذلك فرحا شديدا ، ثم نقرأ في الكشف الحديث أن المجرة التي تشتمل على آلاف الملايين من الكواكب وشمسنا كوكب واحد منها تدور حول نفسها مرة واحدة ( كما تدور أرضنا في اليوم والليلة ) في مدة ( ٣٠٠ ) مليون سنة فتدهش قلوبنا وتفرح ويكون ذلك لنا سعادة وذكرى ومسرّة وقد اشتركت جميع أمم الأرض في هذه العوالم وكل

أمة تسابق أخرى في هذا الكشف ، ولا ريب أن ذلك كله حصل لما نظر العلماء كواكب السماء بمنظار قطره مائة بوصة ، وهاهم الآن في أمريكا يصنعون (تاسكروا) قطره مائة بوصة ، وهذا سيأتي بما لم يعلم به أهل الأرض من العلم قريبا

ذلك هو طبع الانسان ، فالعلماء يتسابقون الى ازدياد العلم غراما وحباً أكثر من تسابق رجال الحرب في إعداد المعدات الحربية وتدمير المدن ، وهاتان الطائفتان مشتركتان في خلاص الناس من الجهل فالعلم بهامه وصانع القنابل بالقتل يخرج الانسان من هذا الجسم فيرجع الى عالمه الروحي فيدرس على مقدار طاقته إياك أيها الذكي أن تنسك على هذه الجلة ، فنحن الآن في مقام الجمال والحب والعجائب الالهية ، فهذا القتل بالحرب وان كان مذموماً ومحرراً للأثم ذكرناه من حيث أنا ندرس نفس الوجود ، وصانع العالم حكيم يداوى الداء بالداء ، فالناس أشبه بمن أصابه القولنج فأصيب بالجي فكانت سبباً في شفاء القولنج ، فهذا خراب للأثم ، ولكن نفس الأشخاص خرجوا من عالم الأجسام الى عالم الأرواح ، نعم أكثرهم يخرجون ناقصين ولكن النظام نجعله « والله بكل شيء محيط »

إذا عرفت هذا أدركت تفسير هذه الآيات وأمثالها . علم الله تعالى حبس الناس في الأرض وتشوقهم الى الحرية التامة بانطلاق أرواحهم الى باحاتها فأبرز لهم عامين : علما مسموعا ، وعلما معقولا ، أما العلم المسموع فهو ما يذكرك في نحو الآيات من الغرف التي من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ومن السرر المرفوعة ، والأكواب الموضوعة ، والفنادق المصفوفة ، والزراعي المبثوثة . ومثل البناء بلبنة الفضة ولبنة الذهب في الجنة ، وملاط ذلك البناء مسك ، والحصباء لؤلؤ وياقوت ، والتراب زعفران ، وانهم لا يموتون ، ومثل ان الخيمة من لؤلؤة مخوفة ، ومثل ان الجنة فيها مائة درجة ، والدرجة الواحدة تسع العالمين جميعا ، ومثل ان الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، ومثل ان المرأة من أهل الجنة لو ظهرت الى أهل الأرض لأضاءت الدنيا ولملائها ريحا ، وخيارها خير من الدنيا وما فيها . ومثل ان هناك سوقا للصور يدخل فيه المؤمن فيرجع بالصورة التي يحبها ، فهذه العجائب المسموعة في الكتاب تارة والسنة أخرى ترجع الى الجمال والى القدرة ، فالشجرة التي يسير في ظلها الراكب مائة عام ترجع للعظمة والعظمة محبوبة ، فهي ترجع للقدرة كما رجعت شجاعة الشجاع اليها ، والغنى محبوب لأنه يملك مالا ، والملك قدرة . هكذا هذه الشجرة العظيمة ، والحواء الجميلة ، والقصور البديعة ، فيها الجمال ، وفيها القدرة والعظمة مع الاحسان ، فهنا اجتمع الجمال والعظمة والاحسان ، وكل هذا محبوب ، فالؤمن إما شهوانى فيكون حبه لنفس الجنة ، وإما حكيم فينتقل هذا الحب لخالق الجمال ويحب الله نفسه ، واليه الإشارة بحديث الترمذى عن ابن عمر « وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا » وأيضا حديث الترمذى ومسلم : « فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى » اهـ

لما وصات الى هذا المقام واطلع عليه صاحبي الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . فقال حسن ما قلت وبديع ما وصفت ، واسكني سائلك سؤالين : الأول ان هذه الأوصاف التي أسندتها للأحاديث فوق طور العقول ، فما هذه الشجرة التي لا يقطعها الراكب في مائة سنة . ان العقل لا يقبلها قبولا حسنا . الثانى أنت ذكرت أوصاف الجنة من الأحاديث فأحب أن أسميها لأعرف رواتها حتى تطمئن النفوس للرواية ، ومن أى الكتب ولا جرم أن هذا المقام كله فى الكلام على ماهو مسموع ، ومتى تم الكلام عليه نريد أن تشرح المعقول شرحا وافيا كما تشرح المسموع لأن هذا المقام جميل ، فإذا كان مستوفيا شرحه شرح الصدور . فقلت أما كون الشجرة المذكورة وأمثالها لا يقبلها العقل فهذا ممنوع لأن الامكان لا يحصره . فقال نعم هو لا يحصره ولكن الامكان شيء وتصور الممكن وقبوله أمر آخر . فقلت : أليس تذكر الكوكب الذي ذكرت لك انه قدر



الشمس (٢٥) مليون مرة . فقال : بماذا يفيدني هذا ؟ فقلت : هو شمس . قال نعم . فقلت : اذا قسناها على شمسنا كان لها سيارات . قال نعم . قالت : وأرضنا حول شمسنا ليست أكبر كوكب . قال نعم . قلت : وشجرها نهره . ولا جرم أن السيار يكبر بنسبة شمسه ، فلو أن أرضنا كبرت بالنسبة لكبر الشمس (٢٥) مليون مرة لسكان أشجارها أكبر من حالها الآن (٢٥) مليون مرة ، وأكبر شجرة في أرضنا اذا كبرت (٢٥) مليون مرة احتجنا في قطعها الى عشرات السنين ، فاذا كبرنا كوكبا آخر حول الشمس كالشترى زادت شجراته أضعافا مضاعفة ، ألا ترى أن المشتري الذي هو أكبر السيارات حول الشمس حجمه قدر حجم الأولى (١٣٠٠) مرة ، فاذا جعلنا أكبر شجرة فيه أكبر من أكبر شجرة في أرضنا (١٣٠٠) مرة ، وجرى الفارس تحت أكبر شجرة أرضية في زمان ما ، وكبرت شجرة المريح (١٣٠٠) مرة ثم ضربنا هذه في ٢٥ مليوناً فيكون سيرا الفارس تحتها في سنين كثيرة

واذا وجدنا اليوم كوكبا أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة ، فنحن قرياسنسمع عن كواكب أعظم وهليسه تصبح الشجرة المذكورة في الحديث من أصفر الأشجار ، بل اذا تذكرنا أن ذلك الكوكب الذي هو أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة فيه مواضع مسكونة كما أن أرضنا فيها مواضع مسكونة لا كلها كانت الشجرة التي فيها لا يقطعها الفارس في ألف سنة لا في مائة فقط . إذن العلم الحديث اليوم فتح بابا لتصور عوالمنا عظمة الله وعظمة الملك ، واذا كانت العوالم المحسوسة التي ليست بجنة هذه عظمتها وقد وجدنا فيها هذه العظمة فما بالك بعوالم الجنة

هذا ما أقول لك أيها الذكي جوابا على سؤالك الأول وهو أنك تستبعد ما جاء في وصف الجنات ، أما السؤال الثاني وهو أنك تريد أن تسمع نفس الأحاديث بأسانيدها ، فهالك ما جاء في كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » من المجلد الثالث في صحيفة ٣٣٥ وما بعدها وهذا نصه :

## ذكر الجنة والنار

فيه فصلان

### الفصل الأول في صفتهما

ذكر صفة الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عينا رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » أخرجه الشيخان والترمذي ، وزاد البخاري في أخرى عن سهل بن سعد وذكر مثله ، ثم قال ، وقال محمد بن كعب : انهم أخفوا الله عملا فأخفى لهم ثوابا فلو قدموا عليه أقرت تلك الأعين ، وعنه رضي الله عنه . قال قلت يا رسول الله ﷺ خُلق الخلق ؟ قال من الماء . قلت الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابهم . ثم قال : ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الامام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الله تعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين ، أخرجه الترمذي (الملاط) الطين الذي يجعل فوق سافي البناء يملط به الحائط أي يصلح ، وبشس يبأس اذا افتقر واشتدت حاجته

وعن أبي موسى رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان

من ذهب آتيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينقاروا إلى ربهم إلا رجاء الكبرياء إلى وجهه في الجنة عدن ، أخرجه الشيخان والترمذي ، وفي رواية لم . قال رسول الله ﷺ : في الجنة خيمة من أوارة مجوفة ، وفي رواية عرضها ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل لا يرون الآخرين يحلوف عليهم القوم وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام ، (أخرجه الترمذي) ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة . ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها عرش الرحمن ، فإذا سألتهم الله فأسأله الفردوس ، (أخرجه الترمذي) . وعن أبي سعيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم (أخرجه الترمذي)

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، أقرءوا إن شئتم « وظل ممدود » أخرجه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب (أخرجه الترمذي)

وعنه رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب ، أخرجه الشيخان ، وزاد الترمذي عن أنس في أخرى : ولقاب قوس أحكم أو وضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها وللاأت ما بينهما ريحا ولنصفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها (قاب القوس ، وقدمه) قدره

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : لو أن ما يقل ظفرهما في الجنة بدا لتزخرفت له خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم (أخرجه الترمذي) قوله (الزخرفة) الزينة والزخرف (الذهب) وخوافق السماء جوانبها الأربعة وهي جهات الرياح الأربع

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ، فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران في الجنة (أخرجه البخاري) وعن بريدة رضي الله عنه . قال : سألت رجلا رسول الله ﷺ فقال : هل في الجنة خيل ؟ قال : إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تكمل فيها على فرس من ياقوتة حراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان ، فقال آخر : هل في الجنة من إبل ؟ قال : إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ، ولدت عينك (أخرجه الترمذي)

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لمجتمعا للجنات العين يفنين بأصوات لم يسمع الخلاق بمثلا ، يقلن : « نحن الخالدات فلا نبديد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » ، (أخرجه الترمذي) قوله (الحوار) جمع حواراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها (والعيناء) واحدة العين وهي الواسعة العين ، وقوله لا نبديد أي لانهاك ولا تتلف وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في ثيابهم ووجوههم فيزدادوا (١) حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول أهلهم : والله لقد ازددتم حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم حسنا وجمالا (أخرجه مسلم)

(١) هكذا في النسخ ، ولعله فيزدادون



وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتبه الرجل صورة دخل فيها (أخرجه الترمذي) انتهى الفصل الأول

### الفصل الثاني

في ذكر أهل الجنة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تتراءون الكوكب في السماء (أخرجه الشيخان)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تتراءون الكوكب الدري القابر في الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يارسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يليقها غيرهم . قال بلى : والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (أخرجه الشيخان) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتشطون أمشاطهم الذهب وشرحبهم المسك ، ومحاسنهم الألوة (١) والأنجوج (٢) عود الطيب ، أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء (أخرجه الشيخان والترمذي) قوله « الألوة ، والأنجوج » من أسماء العود الذي يتبخربه ، ومن أسمائه الكباء (٣)

وعن جابر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتشطون ، قيل فما بال الطعام ؟ قال يشاء وشرح كرش المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس » (أخرجه مسلم وأبو داود)

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يدخلون الجنة بنى ثلاثين لا يزيدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار » (أخرجه الترمذي)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة بغير مرد كل لا يفتي شبابه ، ولا تبلى ثيابهم » (أخرجه الترمذي)

وزاد في رواية : « عليهم التيجان ، وإن لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . قوله الجرد جمع أجرد وهو الذي لا شعر عليه ، والكحيل هو الذي ترى أجفانه كأنها مكحول من غير كل

وعن أبي رزين رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « لا يكون لأهل الجنة ولد » (أخرجه الترمذي) وزاد في رواية عن الخدري : « إن اشتبه الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة » . قال بعضهم ولكن لا يشتهى

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجباع ، قيل يارسول الله أو يطبق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة » (أخرجه الترمذي)

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفها الجبار بيده كما يتكفي أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة ، فأني رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ، قال بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه . ثم قال : ألا أخبرك بادامهم . قال بلى . قال بالأم ونون . قال وما هذا ؟ قال نور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا (أخرجه الشيخان) . قوله يتكفها أي يغطيها ويميلها ، والجبار من أسماء الله تعالى ، والنزل ما يعد للضيف

(١) بفتح الهمزة (٢) بفتح النون (٣) ككتاب

من طعام وشراب ، والنواجيد الأنساب ، وبالإمام الثوري كما فسره في متن الحديث ، والعسل ، اللبنة ، عيرانية ، والنون الحوت وهو عري

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم ، واثمان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ ورجد ، ويقوت كما بين الجابية إلى صنعاء (أخرجه الترمذي) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه ونفسه وسريره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ ﷺ « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ، (أخرجه الترمذي)

وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « سأل موسى عليه السلام ربه تعالى : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يحبني » بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : أي رب وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال : أما ترضى أن يكون لك مثل ملك (١) ملك (٢) من ملوك الدنيا ، فيقول : رب رضيت ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتيت نفسك ، وأنت عينك ، فيقول : رب رضيت ، فقال : فأعادهم منزلة ، قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر (أخرجه مسلم والترمذي) وقوله أخذوا أخذاتهم أي نزلوا منازلهم المختصة بهم

وعن الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا ، وقد أعطيتنا ما لم نعد أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » (أخرجه الشيخان والترمذي) وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه » (أخرجه الترمذي)

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ، قالوا بلى يا رسول الله . قال : كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر » (أخرجه الشيخان)

ولأبي داود من رواية حارثة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري » . قال والجواظ الغليظ اللفظ . قلت : الجواظ المنوع ، وقيل السمين المختال في مشيته ، وقيل القصير البطين ، والجعظري اللفظ الغليظ والله أعلم اهـ

### رؤية الله تعالى

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه . قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر . فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » أخرجه الخمسة إلا النسائي وعن صهيب رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار . قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، ثم تلا هذه الآية : « للذين أحسنوا

(١) يضم فسكون (٢) بفتح فكسر



الحسنى وزيادة» أخرجه مسلم والترمذى  
وعن أبي ذر رضي الله عنه . قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك تعالى قال نور أنى أراه  
(أخرجه مسلم والترمذى)

وعن مسروق . قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمته : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت : لقد  
قفت شعري مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد  
كذب ، ثم قرأت : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم  
قرأت : « وما تدري نفس ماذا تكتسب غدا » ، ومن حدثك أنه كتم شيئا من الوحي فقد كذب ، ثم قرأت  
« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية . ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين (أخرجه  
الشيخان والترمذى) انتهى الفصل الثانى ، وبهذا تم الكلام على العلم المسموع من الكتاب والسنة

### الكلام على العلم المعقول

لقد عرفت أيها الذكى العلوم المسموعة فى هذا المقام من الكتاب والسنة ، وأدركت أن العلوم التى  
ملأت الدنيا كلها إلا بلاد الاسلام قربت لنا تصور النبوة المحمدية وأصبحنا نشاهد نجومها أقدارها قربت  
لعقولنا تلك الصور الجميلة فى الجنة ، فهالك أجدتك حديثا عجبا فى القرآن نفسه وفى الدنيا : تقدم فى هذا المقال  
انى ذكرت لك أن آيات النبات والماء فى هذه السورة ذكرت عقب ذكر الجنة ، وآيات الإبل والسماء  
والجبال فى سورة الفاشية ذكرت بعد ذكر الجنة ، فما الحكمة فى ذلك ياترى ؟ الحكمة فى ذلك أوخعتها  
العلوم التى فى هذا التفسير ، اللهم إني أحمدك حمدا كثيرا ، أحمدك على نعم العلم ونعم الحكمة ، وهل كان يدور  
بخلدى أيام شبابي وأنا جاهل جدا جاهل ، أنلمس العلم فى النهر وفى الحقل وفى النجم ، اننا سنصل الآن الى  
أبداع الجمال فى هذا التفسير ، واننا ندرك جنة تتمتع بها عقولنا ونحن أحياء فى الدنيا قبل أن نموت ونرى  
الجنة الموصوفة فى الأحاديث الشريفة ، بل هل كان يخطرلى أن السعادة الحقيقية فى جنات العلوم والمعارف  
التي ندركها فى هذه الحياة ، وأنه لولا نكبات الحياة ومساكنها لسكان حبتنا الآن آخذنا بقوانا وعقولنا ولعلمنا  
أن حب الولد لأمه ، وحب الشاب لمن أغرم بجمالها فتزوجها ليس شيئا مذكورا بالنسبة للحب الذى يترتب  
على الجمال العلمى والحب العظيم هو الذى يذهب الحزن والغم ويجعل النفس فى السعادة التى لا سعادة فوقها ،  
ولكن هذا الحب الآن مخبوء عند العلماء ويحسون به فى أوقات قليلة ثم تغلب عليهم أحوال هذه الأرض  
وعوارضها رجة بهم ليزدادوا علما

أقول : فهل كان يخطرلى زمن الشباب أن عقولنا فيها حساب الجذر والتربيع ، وأن نفس الجذر  
والتربيع الجيلين عند عقولنا نراهما فى نفس المادة كما تراه فى ﴿سورة الرعد﴾ عند آية - وكل شيء  
عنده بمقدار - وفى مواضع أخرى هناك إذ تبين أن الضوء والجاذبية جرى حسابهما على الجذر والتربيع ،  
وترى الحجر اذا قذفناه فى البحر جرى بسرعة على تلك القاعدة فلا خطأ فيها ، وهذا أمر عجب أن تكون  
هذه الأحوال الطبيعية على هذا القانون العجيب ، أو كان عقلى يتصور أن للنمل حجرات منظمات كحجرات  
فى أعظم قلعة ، وأن اسكل حجرة سكانها ، فمنهم الجند ، ومنهم الاطباء وهكذا (انظر ذلك كله فى سورة طه  
وسورة النمل مرسوما)

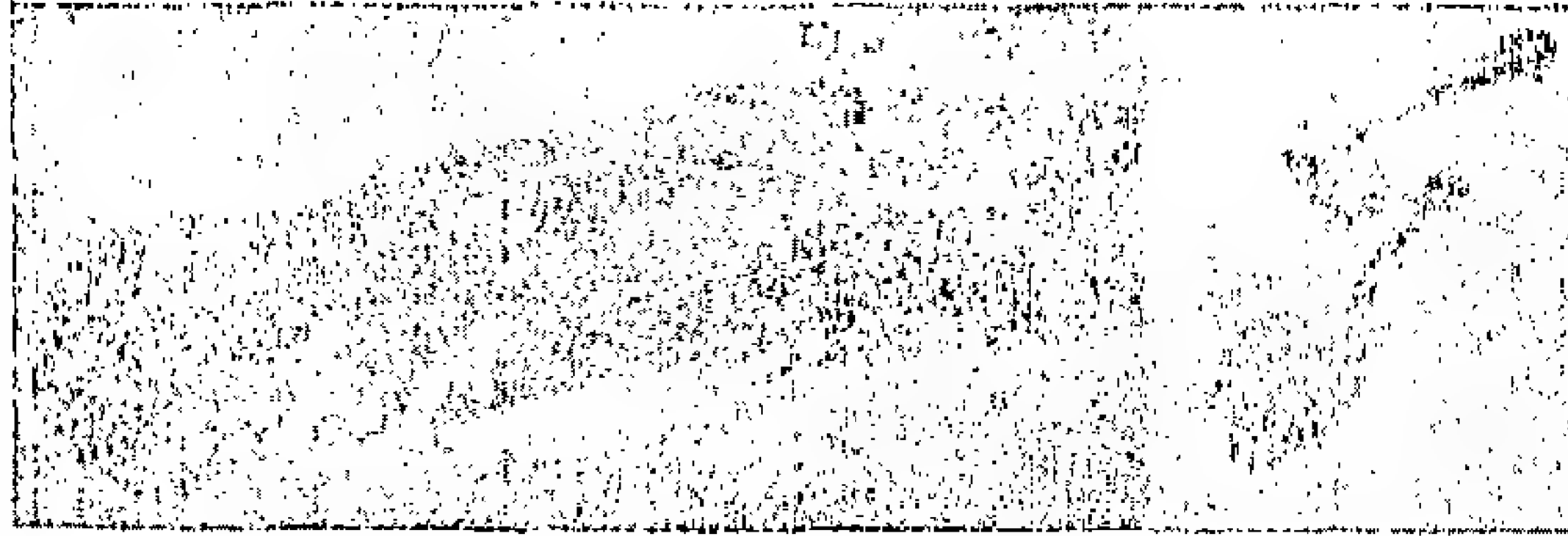
أم كان يخيل لى وأنا فى الشباب أن يدون بعض الطيور خياطا ، ومنها حائك ، وبعض الدود يغزل ،  
وبعض الزناير يصنع الورق ، وأن الخلد يعرف أحوال الطقس ، وأن النحل مهندس ، وأن اللقلق يحكم  
بالمشاورة ، وأن السكب يعرف تعاطى المسهلات فى الطب ، وأن الخنزير يحرق الأرض ، وأن العلق فى بطن

الأرض يبلغ في القدان الواحد آلافاً وهو ينفع لتسميدها ولحرثها قبل أن يحرثها الإنسان ، وأن للسرطان درعا . أقول : هل كانت هذه العجائب تدور بخلدى وأنا أطوف على شواطئ الأنهار وفي الحقول أتلوس الحقائق ، أم كان يختلج بفكرى أن فار الجبل يبنى بناء متقناً ، ويحفر أقنية ليجري الماء فيها حتى قلده الإنسان ، أن أكثر ما ذكرته هنا ملخص مما تقدم في ﴿سورة طه﴾ وأزيد مسألة حفر الخنادق أيضاً هنا مما جاء في إحدى المجلات العلمية ، فقد جاء فيها تحت العنوان الآتى مانصه :

### عجائب المخلوقات

#### الحيوانات التي تحفر الخنادق

إن حفر الخنادق خاصة يشترك فيها كثير من الحيوانات على اختلاف درجاتها من أخط الأنواع إلى أرقاها فبين ذوات الثدي منها عدة أمثلة على ذلك ، وأشهر الأنواع من هذا القبيل (الخلد) وهذه صورته (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ — خلد في حفرة وعلى يمين الصورة هيكل يده التي يحفر بها خنادقه)

وقد منح الله هذا الحيوان يدين مسلحتين بأظافر قوية تمكنه من حفر الأرض بسرعة عظيمة جداً ، حتى أنك لو أخرجت خلد من حفرة ووضعته على سطح الأرض وجدت أنه بهذهنية وجيزة جداً قد احتفر حفرة واختفى عن بصرك ، ولا يكتفى هذا الحيوان بحفر نفق بسيط تحت الأرض بل هو يتفنن في عمله هذا ويشعب من نفقه الأصلي أنفاقاً في غاية البساطة ثم إن الخلد يحفر أخرى عديدة على شكل غريب تعد بجانبها صفوف الخنادق والأنفاق التي يحفرها الجنود في ساحات القتال فضلاً عن هذه الأنفاق غرفة مستديرة يجعلها مركزاً لاقامة العادى ، ويبلغ قطرها بين ثمانى وعشرة سنتيمترات ، ويحفر حول هذه الغرفة المستديرة نفقين بشكل دائرتين الواحدة على مستوى الغرفة والثانية فوقه ، والغرفة متصلة بهذين النفقين بواسطة عدة ممرات حتى يجد لنفسه منفذاً من أى جهة يداخه الخطر ، وفي داخل الغرفة شبه سرير من الأوراق والقش لينام عليه الخلد ، والشعب أيضاً يقضى جزءاً من حياته داخل الأرض لاسيما في النهار ، وهو في الغالب يستولى على حفرة حيوان آخر بدلاً من أن يحفر حفرة خاصة له ، وحفرته عبارة عن ردهات عميقة تنتهى جميعها في غرفة كبيرة لا يقل عمقها عن ثلاثة أمتار ، وهذه الردهات متصلة بعضها مع بعض بممر عديدة

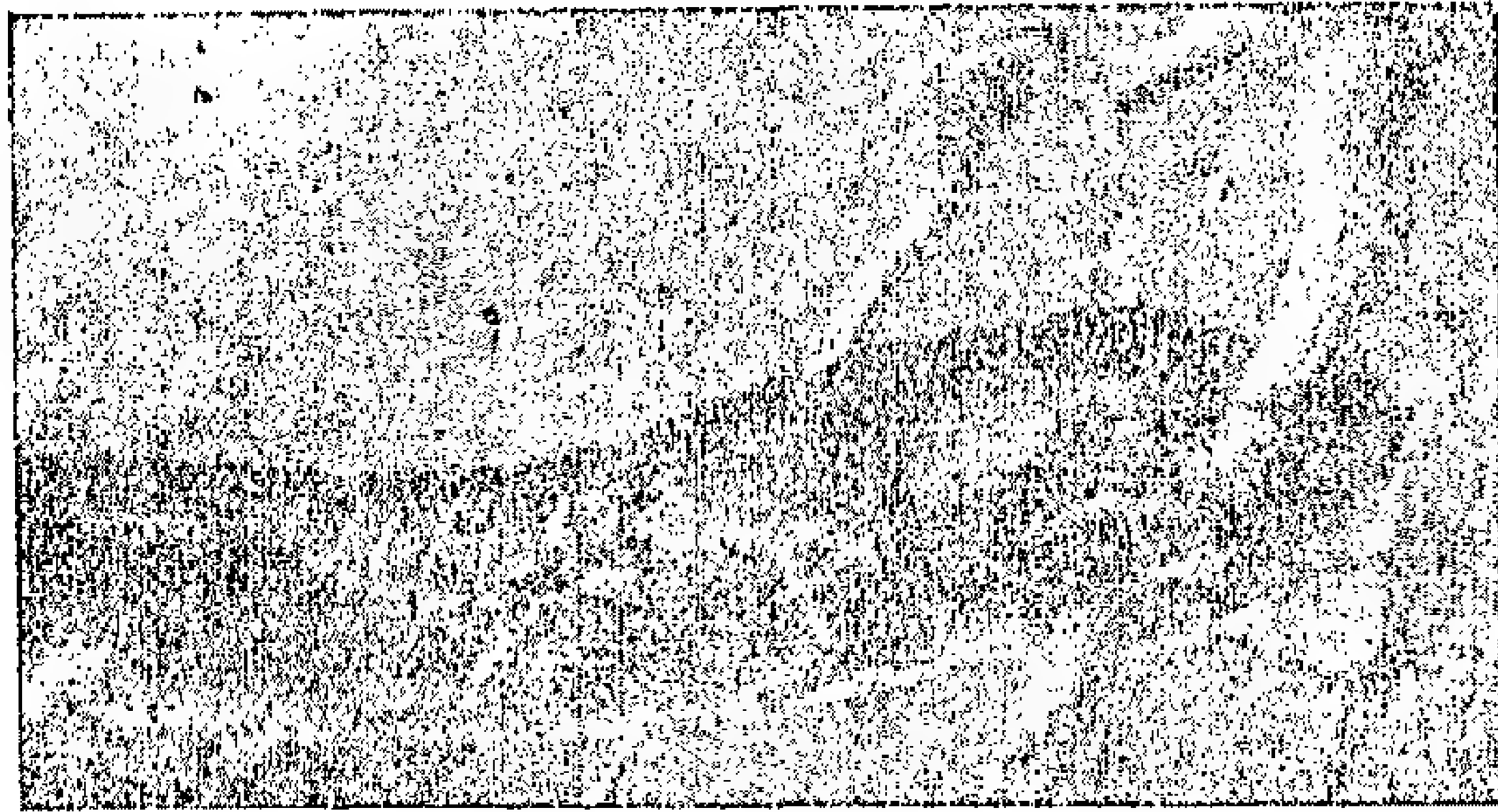
وأشد ذوات الثدي مهارة في حفر الخنادق وأكثرها توسعاً فيها حيوان بين ابن عرس والذب فاتح اللون في الأعلى وقامه في الأسفل يسمى عناق الأرض أو التعه وهو من الحيوانات الليلية ويصرف الشتاء نوماً فان له براثن قوية يحفر بها الأرض بسرعة غريبة ، وكيفية ذلك أنه ينبش الأرض بيديه القويتين ، فاذا تراكم التراب استعمل يديه الخلفيتين لدفعه إلى الوراء ، ثم يرجع إلى خلف بين آن وآخر ، ويجرب جسمه التراب المتراكم إلى خارج الحفرة ، ولنفق هذا الحيوان أبواب عديدة يبعد الواحد عن الآخر نحو ٣٠ قدماً وكل نفق من أنفاقه يبلغ طوله بين السبعة والعشرة أمتار وتنتهى في غرفة كبيرة على عمق متر أو مترين تحت الأرض يجعلها مقره العادى



هذه بعض الأمثلة من الحيوانات الثديية التي تحتفر الأرض ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة يضيق عن ذكرها المقام ، والأغرب من ذلك أن بعض الطيور (والطيور عشيقة الهواء الطلق عادة) تحتفر مثل هذه الأنفاق والحفر ، فن أنوع الطيور الخطاف نوع يحفر أنفاقا على شاطئ البحر ، يبلغ طولها مترا ونصف متر ، ويضع عشه في داخلها ، ولا شك أن مثل هذا الأسر من الغرابة بمكان ، لاسيما إذا أمعنا النظر في تركيب هذا الطير ونخافة جسمه ، وهناك طائر آخر يسمى الأسبان (البناء الصغير) يضع وكره في حفرة عميقة طولها متران أو أكثر ، ومثله طير أزرق صغير يسمى عند الفرنسيين (الخطاف الصياد) يصطادونه من البحيرات حيث يعيش في وكر له منفذان

أما في عالم الحشرات فإن مهارة بعض العناكب في حفر الأنفاق غريبة جدا يقف عندها المرء وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ ، وهي على أنواع تحتفر أنفاقا ودهاليز مختلفة ، ومن أغرب أنواع العناكب نوع يبنى وكرا غريبا في هندسته وهو عبارة عن حفرة عميقة مبطنة بنسيج حريري خشية أن تهبط جدرانها ، وفوقها باب يقي من المطر ومن الضيوف الثقلاء ، وهذا النوع يفتخب عادة لحفرته مكانا محوطا بالحشائش حتى لا يظهر بيته للغادي والرائح ، أما الباب فإنه جميل الهندسة كامل الصورة يشبه الأبواب التي تقفل وحدها بزنبلك لمرونة مفاصله ، ولهذه العناكب مقدرة كبيرة للدفاع عن أوكارها ، فإذا سمى أحد في فتح الباب تشبثت به العنكبوت من الداخل حتى أنه يلزم قوة كبيرة لفتحه

وهناك حشرات أخرى كثيرة ، منها نوع من الجنادب نشرنا صورته هنا وهو يقطع جذور الشجر والنبات ويتغذى منها (انظر شكل ٢٣) ولا ينبغي أن يبرح من ذهننا مهارة النمل في هذا الفن فإنها أشهر من أن تحتاج إلى التذكير



( شكل ٢٣ — نوع من الجنادب في حفرة يقطع جذور الأشجار )

### قوة الحشرات

إذا درسنا قوة الحيوانات بالنسبة إلى حجم جسمها وجدنا أن الإنسان من أضعفها وأضعفها ، فإن الحمار أو البطلينوس مثلا يحمل ثقل ٣٧ رطلا ، ومن السرطان أنواع يحمل الواحد منها ٤٩٢ مرة وزنه وعلى هذا المعدل كان يجب أن يحمل الإنسان المعتدل الجسم ٧٣٨٠٠ رطل وفي مقدمة الذين درسوا مقدرة الحشرات على حمل الأثقال (فليكس فلاتو) العالم البلجيكي ، ومما قاله « إن حمل الذبابة لهود كبريت صغير بأرجلها يعادل رفع الإنسان برجله لهود خشب طوله ١٤ قدما ومساحته عند قطعه عموديا قدما ٦ بوصات مربعة »

ومن البق نوع يجزّ ست عيذان كبريت وهي تعادل للرجل (٣٣٠) عمودا من الخشب بحجمه ، وطريقة العالم المتقدم في درس قوة الحشرات أنه ير بطها إلى ميزان دقيق ثم يخزها خالما تمشي تتحرك عقرب

متصلة بالميزان فتدل على قوة تلك الحشرة . انتهى ما أردته من مجلة اهللال والحمد لله رب العالمين  
 هذه بعض الحجائب التي عرفها عقل الانسان وعلى بها هذا التفسير ، وهناك عجائب وعجائب في سورة  
 المؤمنين عند آية - وما كنا من الخلق غافلين - من تلك الحشرات والحيوانات التي كان حفظها بسبب  
 مشاكتها لما حولها ، وهي مرسومة هناك مصورة ، وكذلك ترى في سورة الفرقان كيف كان للعنكبوت  
 جهاز لغزله ظاهر واضح ، وكيف كان لبعض الحشرات جهاز أشبه بجهاز الطيب الذي به يضع الحقنة في جسم  
 المريض ، وهذا الجهاز عملاً سماً بهيئة عجيبة ، وكيف كان للحشرات آلات للحرب وآلات لجلب المنفعة تراها  
 موضحة هناك مرسومة ، وهكذا في ﴿سورة النمل﴾ من عجائب ومزارعه المنظمة المتقنة ، وكذلك دابة  
 الأرض المصورة المرسومة في ﴿سورة سبأ﴾ وهكذا ترى في أول الرسم عجائب الحشرات وأنواعها التي خلقت  
 لحفظها وحفظ ما مائلها اقتصاداً في الخلقة وابداعاً في النظام ، وهكذا ترى في سورة السجدة بعد سورة لقمان  
 كيف كان نظام النخل من داخله غير نظام الأشجار وحكمة ذلك ، ثم ترى في ﴿سورة يس﴾ عند آية  
 «سبعان الذي خلق الأزواج كلها» تلك الأوراق المرسومة التي كوّنت من حجرات منظمات ذوات  
 سوائل فيها المادة الخضراء ، وكيف كان ذلك سبباً في أن الأوراق تجذب المادة الكربونية المغذية لها  
 من الهواء ، وكيف كانت الورقة قد تنسج لآلاف وآلاف في آلاف من هذه الحشرات الدقيقة الصنع . هذا  
 من عجائب النبات وغيره من عجائب الحيوان يفهمنا لماذا يذكر الله في ﴿سورة الفاشية﴾ الابل ونحوها  
 بعد ذكر الجنة ، ولماذا يذكر الماء والنبات في هذه السورة بعد ذكرها أيضاً ليفتح لنا باب التفكير في  
 الحجائب لنفرح بصانعها في هذه الحياة ونرى حقائق الجمال ، وبهذا ندرك لماذا يقول الامام الغزالي فيما قلناه  
 في ﴿سورة فاطر﴾ : «ان السعادة في معرفة العجائب وهؤلاء هم الذين يرون ربهم أكثر من غيرهم»  
 ونفهم قول اخوان الصفا فيما قدمنا في أول سورة الصافات : «ان معرفة العجائب جزاء المحسنين» اه  
 فلما كتبت ذلك . قال صاحبي : هذا جميل جداً جميل ، ولكني أريد أن تشرح لي جملة لم أفهمها ؟ فقلت :  
 وما هي ؟ فقال : لقد ذكرت الجذر والتربيع المتقدم في ﴿سورة الرعد﴾ وأنا الآن أريد مثالا واحدا تراه  
 فطرنا بهم الحساب ونرى له نظيراً في علم النبات مثلاً حتى يكون ذلك نبراساً نعرف به ملاءمة فطرنا لهذه  
 العوالم من حيث الحساب وان تقدم من هذا كثير ولكننا ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين  
 فقلت : انظر هذا العدد ٣٧ فهذا العدد اذا قسمنا عليه عدد ١١١ كان الخارج ٣ واذا قسمناه عليه  
 ٢٢٢ كان الخارج ٦ اوقسمناه عليه ٣٣٣ يكون الخارج ٩ اوقسمناه عليه ٤٤٤ كان الباقي ١٢ أو  
 قسمناه عليه ٥٥٥ كان الخارج ١٥ اوقسمناه عليه ٦٦٦ كان الخارج ١٨ اوقسمناه عليه ٧٧٧ كان  
 الخارج ٢١

فقال صاحبي : هذا عجب حقاً الآن ضرب ٢١ في ٣٧ يساوي ٧٧٧ وهكذا البواقي . عجب ! إذن  
 الخارج يكون مساوياً لجمع المقسوم فهو ٣ في الأولى و ٦ في الثانية و ٩ في الثالثة وهكذا . فقلت له : لقد  
 فهمت ، فهذه الأعداد من واحد الى ٩ اذا قسمت على ٣٧ كانت بهذه المثابة ، فهذه المسألة في عقولنا عجيبة  
 يدهش العقل لها ونطرب النفس ، فاذا رأينا أن العناصر مرتبة ترتيباً أبدياً وأجل من هذا فانظره في سورة  
 العنكبوت ولها حساب مبني على المتواليات الهندسية والنسبة العددية بحيث يكون العنصر مع ما فوقه وما تحته  
 جارياً على النسبة الهندسية ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ ويكون مع ما قبله وما بعده جارياً على المتواليات العددية ٢ - ٤ - ٦  
 وهكذا اذا رأينا ما تركب من العناصر له أمثال هذا ونظائره فاننا ندخل إذ ذاك في جنة العرفان التي لاحد لها  
 ولعلك تتذكر ما تقدم في ﴿سورة الحجر﴾ عند قوله تعالى «وأنبئنا فيها من كل شيء موزون» وتذكر  
 صور أنواع من النبات ونسبة عدد الدوائر الحلزونية الى عدد أوراق تلك الدوائر وملاحظة المناسبات المدهشة



بين النبات الواحد وما قبله وما بعده في صفه الأفق وفي صفه الرأس ، وأن الأوراق في جميع الأشجار بينها نسب مذهشة يحار العقل فيها « فتبارك الله أحسن الخالقين »

هأنث ذا أيها الذكي قرأت الجبال المسموح ، وأدركت المقول ، ووازنت بينهما ، أفلا يكون ذلك حصنا لبصيرتك تلجأ إليه ، وملجأ يحفظك ، وبلاذا وسعادة ، أولاتنذكر معي ما قلته في أول هذا المقال من أن الرجل بين امرأتين إحداهما ترضعه ، والأخرى يسكن إليها ، ولا جرم أن الأم والزوجة كلاهما مخلوقتان مستخربان لحياة تنقضي سريعاً ، فالرجة في الأولى ، والشهوة في الثانية وضعتا فيهما لغاية نافعة وهي المحافظة على حياة المولود وعلى نظام الأسرة ، ويرباط الزوجية ، وحسن المعاشرة ، فهما إذن محدودتان ، والمحدود لا يصلح للدوام وإنما يصلح للدوام ما كان من النهاية الدائمة رأساً ، وهل ذلك غير العلم بالعجائب ، إذن ظهر لنا السر في آية « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فعبّر بأننا نسكن إليها ، وقل في سورة أخرى « ألا يذكر الله تطمئن القلوب » فالإنسان قد يسكن في منزله وهو غير آمن ولا مطمئن ونهاية السعادة السلامة من المخاوف ، والله نسبح الله تعالى بقول « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وجاء في القرآن أيضاً « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » إذن التعبير بالسكون إلى الزوجية غير التعبير بالاطمئنان بذكر الله ، فالإنسان يكده ويحترق في سقاه أوتجارته أو صناعته أو سياسته ويحتمل ما يحتمل من التعب والتعب والألم ، فلا بد له من وقت فيه يتخلى عن هذه الأعمال والأهموم لتستريح قواه ، وهل هذا إلا الاتقاس بالزوجة والراحة معها ، ولكن هذه الراحة غير تامة « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم »

وأيضاً الإنسان وإن سكن إلى زوجته من هموم الأعمال النهارية ، فليس ذلك السكون تاماً من كل وجه ، فهل في قدرتها أن تحل له مشكلات هذا الوجود والمسائل المشككة ، كأن تحدثه نفسه بأن الحياة شاقة ، والدنيا كلها هموم وأحزان ، فلم خلق هذا العالم ؟ ولم كثرت الظلم فيه ؟ ولم كثرت المرض والحرب ؟ ولم نزل الحيوانات يأكل بعضها بعضاً ؟ ولم يعذبنا الله وهو قادر على كل شيء ، بل أعمالنا كلها هو الذي قدرها ؟ فهذه الشكوك والأوهام لا طاقة للمرأة بحلها . فهذا هو بعض السر في التعبير بالسكون إلى الزوجية دون الاطمئنان ، وفي التعبير بالاطمئنان بذكر الله وعدم الاقتصار على السكون ( وبعبارة أخرى ) أن قراءة العالم والعجائب مثل التي في هذا التفسير تورث الاطمئنان وسكون النفس لا مجرد سكونها إلى الزوجة بل تسكن إلى الحقائق وتطمئن

فلما سمع صاحبي هذا . قال الحمد لله رب العالمين ، أنا الآن عرفت سر ذكر النبات والحيوان بعد ذكر الجنة ، وعرفت الجنة الحسية الجيلة ، والجنة العرفانية البديعة ، وأن هذه مقدمة للقاء الله ، وأن هذه الطائفة أعلى العالمين ، وهم المقربون ، فقلت الحمد لله رب العالمين ، انتهى صباح يوم الاثنين أول سبتمبر سنة ١٩٣٠ م

## الأم الإسلامية وأسماء هذه السور من غافر إلى الحجرات

وحوادث الأيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أكتب هذا قبيل الفجر ليلة عيد الأضحى في عام ١٣٤٩ هجرية ، وأجد الله عز وجل أن أراني بفضلته بعض الأسباب وبعض النتائج لما أصاب أم الإسلام من المحن والازايا ، وما أحاط بهم من النذر ، وما حل بساحاتهم من تعذيب أم الفرنجة لهم وظلمهم وعسفهم ، وفتكهم بأجسامهم وأعراضهم ، واغتصابهم ديارهم وأموالهم وأرضاء لم يطووها

أكتب هذا وقد أصلى الطليان اخواننا الطرابلسيين منذ أيام نارا حامية ، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً وهم آمنون في ديارهم ، وهتكوا أعراض (٧٠) أسرة وشتموا شملهم وأخذوا (١٥) من قوادهم في طياراتهم فألقوهم من أعلى الجوّ ليتساقطوا بذلك وليفرحوا بما يرون من تهشيم وتسكير وموت عاجل ، وأجأوا ثمانين ألفاً من الجبل الأخضر وأنزلوهم في أرض قفراء لا أنيس بها ولا مجلس ، وأخذوا منهم أناساً وضوهم في سلاسل من حديد ورموا بهم في البحر فالتقطهم جنود المصريين ودفنوهم ، وأذلوا آخرين فهاموا على وجوههم في الصحراء ، كل ذلك ذكر في الجرائد أمس ، وتلى في جلسة علنية كنت حاضرها وأرسل به احتجاج لجميع العالم قاطبة

دعاني ذلك أن أفكر الليلة في أمر الأمة المحمدية الحاضرة ، وماساقتها الأقدار إليها ، وكيف نشطت المسيحية ككرة أخرى لتقتيل المسلمين وذبحهم واهلاكهم واشهارهم جروبا صليبية أخرى ، ولقد شرح الله صدرى الليلة وهداني ووفقني أن أكتب ماجاش بخاطري ليكون مما ينظر فيه حكماء الاسلام بفكر ثاقب عسى أن يهتدوا لاسعاد هذه الأمم الاسلامية في أيام حياتي وبعد موتي وبالله التوفيق

كان العرب قبل الاسلام أمماً متفرقة جاهلة خاطئة فأسامت :

- (١) (فغفرت) لها ذنوبها السابقة واستأنفوا حياة جديدة
- (٢) (ففصلت) لهم آيات القرآن تفصيلاً وعرفوا الحقائق فصار أمرهم
- (٣) (شورى) بينهم ، ثم انقلبت الشورى الى استبداد والخلافة الى ملك عضوض ومالوا الى
- (٤) (زخرف) الحياة الدنيا ، فهاهم أولاء أنذرهم الله البطشة الكبرى وأخذ يفتقم منهم وأرسل لهم
- (٥) (الدخان) في الجوّ لما جاءت الحرب الكبرى ، فان أوروبا كلها اصطدمت فيها بالقتال ، وازدادت العداوة والبغضاء ، واسكن كانت النتيجة تقسيم بلاد الاسلام فأصبحت أمة
- (٦) (جائية) لأمم الغرب ، ولما كان من عادة الله عز وجل أن يجعل بعد الضمة رفعة ، وبعد الذل عزاء ، وبعد العناء راحة ، وبعد العسر يسراً ، أخذت أمة الشرق جميعها تستهد للوثبة ، وتجد لأرجاع الوحدة ، فهاهم أولاء الأمراء الاسلاميون في العراق وشرقي الأردن ونجد والحجاز واليمن قد اضمحلت بينهم العداوات القديمة وأخذوا يسترجعون لهم مجداً جديداً ويؤسسون هيكل الوحدة الاسلامية العربية ، ومثلهم أهل الهند والأفغان ومن نحائهم ، فلابد من جهاد هذه الأمم كلها لاسترجاع مجدها ووحدتها ، فقد ظهر فيهم منذرون وهداة ، ذاكرون « أأعاد إذ أنذرقومهم
- (٧) (بالأحقاف) وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه » ولابد من النصر والغلبة في هذا
- (٨) (القتال) الأدبي والحربي ، ثم
- (٩) (الفتح) والنصر ، ثم يكون أمة الاسلام ، بل أمة الشرق بعد ذلك أمماً متضامنة إجابة لقول ربهم في سورة الحجرات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

### الخلافة الاسلامية

وسينظر أمراء الاسلام في هذه الحالات الصليبية التي تشنها أوروبا علينا ، ويفكرون في أمر الخلافة الاسلامية فيجدونها في العصور السالفة كانت على غير أساس ، فلذلك خرب على المسلمين سقفها من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، فياليت شمري أى خلافة كانت هذه الخلافة ، خلافة لفظية لا معنوية فأى خلافة صادقة بعد الخلفاء الراشدين ، إن هي بعدهم إلا ملك عضوض ، أخلافة الأمويين ، أم خلافة العباسيين بدمشق وبغداد ، أم خلافة الفاطميين بمصر ، أم خلافة الأمويين بالأندلس ، وكيف تهتد



الخليفة ، أم كيف يقوم مهدي وراء مهدي ، وكيف يرث الابن أباه فيها ، إن ارث الخلافة ارث خاطئ فكرة جاهلية ، لقد فرق المسلمون أحاديث موضوعية تفرقوا بها شيعا وذائق بعض بأس بعض ، واقتفوا تلك الموضوعات بالتقليد ، ونسى كثير منهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

### لجنة الخلافة في الهند

ومن أمارات اقتراب أيام السعادة أن مساعي الهند شكلوا جماعة خاصة بالخلافة لارجاع مجدها ، إن المسلمين لا بد لهم من الخلافة ليرجعوا العصر النبوي ، لتسكن على نهج أصحابه عليه السلام لتترك نعمة الجاهلية ، وهل يكون الخليفة إلا بالانتخاب ، ليجتمع أصراء الاسلام في زماننا أو بعده ، ولينتخبوا من بينهم أميراً هو الخليفة ، ولا يجوز أن تتعدى خلافته مدة حياته ثم بعد موته ينتخبون سواه ، بل أقول أكثر من ذلك لتسكن خلافته الى مدة معينة ، وبعد تمامها يعاد الانتخاب ، ولا مانع من إعادة انتخابه مرة أو أكثر ، فأما أن تبقى الخلافة في أمة واحدة من أمم الاسلام ، أو أسرة واحدة ، فهذا هو أس الشقاق والنزاع والخلاف والعداوة والحقد . ويجب على كل من اطلع على هذا من أهل العلم في بلاد الاسلام أن ينشره بين أصراء المسلمين ويبعثه الى لجنة الخلافة في الهند متى كان قادراً على ذلك . وههنا يظهر معنى قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ويظهر معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويظهر معنى « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم » ويظهر معنى « وأمرهم شورى بينهم » ويظهر معنى « وشاورهم في الأمر » . ويظهر معنى هذه الحكمة الاسلامية القديمة حكاية عن الله « اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى » وتظهر نتائج « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ونتائج « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وتظهر آثار قوله تعالى « ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله » وآثار « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » وإذا كان المسلم محرماً عليه أن يشهد زوراً لأجل منفعة أبيه أو أخيه ، فأولى ثم أولى أنه يحرم عليه أن يرشح لأجل الخلافة رجلاً مساماً وهناك غيره أحق منه بالخلافة ، هذا هو الحق الصراح

أيتها الأمم الاسلامية : عار عليكم أن تشهدوا تلك المصارع والمخازي والمصائب والفضائح والجهالات المتركة بين العرب والعجم في مدة ١٣ قرناً ، ثم لا تتوبون ولا أنتم تتذكرون

ألم تعلموا أيها المسلمون أن الفرنجة أيام الحروب الصليبية اتحدوا وأنتم متفرقون ، لماذا ذلك ؟ لأنهم طسم (بابا) يجمعهم على الباطل ، فأما أنتم فقد كنتم متفرقين ، فبعد المؤمن بالبلاد المغربية كان يرى انه خليفة (المهدي محمد بن تومرت) وهذا المهدي يجب اتباعه على جميع المسلمين ، فلما لم يعترف صلاح الدين الأيوبي في خطابه لعبد المؤمن بأنه أمير المؤمنين رفض مساعدته وحارب صلاح الدين بمصر هو ومن معه من المسلمين الفرنجة ، وأيضاً أليس من العار الذي يخزي ويخجل أن نرى الفاطميين ببلاد الغرب وبمصرهم كانوا أول من مزق الأمم الاسلامية شراً ممزقاً ، وكان ذلك فتح باب لدخول الفرنجة في بلاد الاسلام وهم لا يشعرون هذه المشاهد يجب أن يعرفها أصراء الاسلام ، ان الله عز وجل جعل هذه دروساً لكم لتتدوا بها ، ودعوا النعرات القديمة التي مزقت الجوع ، وشتت الشمل ، وأبانت الصدع ، وأعظمت الخطب ، وأذات أمم الاسلام « أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون »

يجب على جميع المسلمين أن يعتبروا بتاريخ الأمم الاسلامية ، دعوا أيها المسلمون تلك الشراة والجهالة

والبلاهة ، بأى كتاب ، أم بأية سنة أيها المسلمون تكون الخلافة متجرا ، بأى حق تكون الخلافة التي تخلف النبوة متاعا دنيويا ، الخليفة لا يجوز أن يقوم بها إلا من أحميا أخلاق رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعليّ ، إن لم يكن على منهاج هؤلاء فلتبذره ، ألسكون الخلافة في حجاب كحجاب العذارى كما حصل لبعض الثمانيين والعباسيين ، لا لا ، أيها المسلمون : كفى كفى ، الخلافة زهد في الدنيا وحفظها وغرام بالأهم الإسلامية ، وحب لله ، وجمع للكلمة « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون »

أليس مما يخجل له جبين الدهر ، وتخزي به الانسانية كلها ، وتسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخزي له الجبال هدا أن يقبوا البابا في مكانته بروما ، وترداد هيئته ، ويعظم نفوذه ، ويقوى جاهه ، ويشتد خطره ، وتقوم ايطاليا فتسبى الذراري والنساء ، وتهتك الأعراض ، وتذل السنوسيين . كل ذلك يعلمه البابا وتحت سمعه وبصره ، والمسلمون على بكرة أبيهم لاخليفة لهم ولازعيم ، بل هم أشتات في الأرض فوالله لم أجد أمة كهذه الأمة . كل ذلك اشرفنا وجشعنا وحبنا للمال حبا جارا

يقول كل جماعة من المسلمين : لئلا تكون الخلافة فينا ، ولماذا هذا ؟ ليكون المال والسطوة لهم ويخضعون لهم سواهم كافعل الأمويون والعباسيون والعثمانيون ، الأدهى والأصم أن الأقباط في ديارنا لهم (بطريرك) والمسلمون خلو من رئيس لهم يضارعه على الأقل ، وما ذلك إلا لأن القوم يجعون رئيسهم سواء أكان بابا أو بطريرك منتخبا من بينهم ، أما المسلمون فنتهم أبوا الشورى ، فلما أبوها أصبحت الخلافة تبع السيف ، فبنو أمية غلبوا فكانت فيهم ، وبنو العباس غلبوا فكانت فيهم ، والعثمانيون غلبوا فكانت فيهم . لا لا . كلا . أيها المسلمون : الخليفة ينتخب ، والأمراء والمسلمون يكونون حوله ، والمواصلات اليوم متوفرة ، إن لم يجتمع المسلمون على خليفة ازداد ذلهم وخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

أيها المسلمون : يكون ثلثمائة مليون أوأر بمائة أقل من أمة القبط بين ظهرانينا التي لا تبلغ مليوناً واحدا ورئيسها الديني له السيادة على بلاد الحبشة ، أينس هذا بكم أيها المسلمون ؟  
أيها المسلمون : أيليق بكم أن تكونوا أذل أمة في الأرض بتفرق كلمتكم وفيكم الجحاجيح الشجھان ، والصماصيم الأقران ، والعلماء الأعلام ، والحكام والبلغاء ، والخطباء الفصحاء هاتوا إلى أيها المسلمون أمة من الأمم محرومة من رئيس ديني ، لقد أدبنا الله فأحسن تأديبنا ، وفعل فينا كما قال طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى \* لَكَاطَوَّلَ الْمُرْخَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ

مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَنَفِهِ \* وَمَنْ يَكُ فِي أَسْرِ الْمَنِيَّةِ يُنْقَدِ

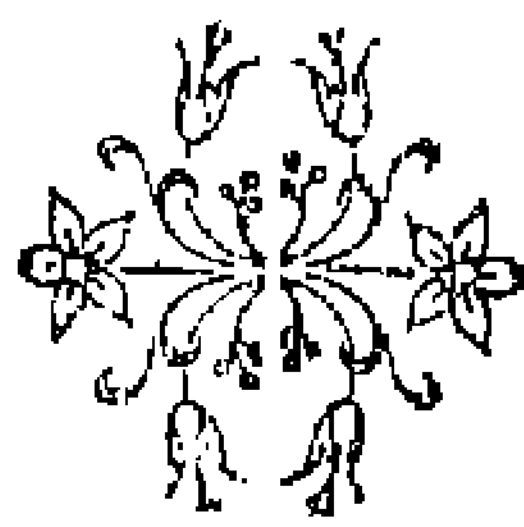
يقول : إن الانسان أشبه بدابة ربطها الموت في جبل وتركها ترعى كما تشاء حتى إذا أراد انتزاع روحها قادها حالا لذلك ، فهكذا هنا العناية الإلهية شامت أن يكون لأهم الاسلام ١٣ قرنا يتخبطون فيها في أمر الخلافة ، وتبقى تبع السيف ، وليس للعقل ولا للرأى ولا للشورى نصيب ، وقال في القرآن ما يفيد أنه عز وجل مأمومه أن يرسل بخوارق العادات إلا أن الأولين كذبوا بها ، لم يقول الله ذلك ؟ يقول الله أنا وأنا علام الغيوب ، علمت الأمم معاملة المختبرين الذين يقيسون الأمور بنظائرهما ، وأنا لا تخفى على خافية ، فلما طغت الأمم الماضية ولم تؤمن لما رأت خوارق العادات أرسلت محمدا ﷺ وجعلت أهمهم معجزاته القرآن ، فإذا



كان الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بكلامه على قدر عقولنا ، وهو العليم بكل شيء ، ويقول لنا : أنا لما وجدت أن الأمم السابقة لم تبال بخوارق العادات جهلت النبوة اليوم راجعة للتفكير لا لخوارق العادات ، أفليس هذا معناه أننا ننظر في الأمور ونزنها ، فإذا وجدنا أسلافنا اتخذوا أنفسهم الخلافة بالسيف فكان ذلك باعنا على الشقاق والافتراق . أفليس يجدر بنا أن نقول الآن : إنك ياربنا أدبنا وفعلت منا ما يفعله الموت مع الناس فنحن طغيانا في أمر الخلافة فأنت عاقبتنا ، وسلبت منا الملك ، وحكمت بتفريقنا جزاء تركنا الشورى ، وأرئيتنا أن أصغر أئمة الأرض لها رئيس ديني ، ونحن ( وإن كنا خير أمة أخرجت للناس ) لم نقيم بالحق في الخلافة ولم نعطيها إلا للقاهرين ، فهنا نحن يا الله رجعنا عن جهلنا السابق وامتلأنا أمرك ، فليكن الخليفة هو من يصطفيه الرؤساء والأمراء في الاسلام ، هذا هو الذي يجب الآن

اللهم إني أكتب للمسلمين ما شرحت له صدى . اللهم إني قد حضرت وأعلنت ، وعلى كل من قرأ هذا من ذوى الرأي في أمم الاسلام أن ينشره وبفسكر فيه المسلمون . وما ذكرني به إلا مناسبات هذه السور لأنى عجبت كيف تكون سورة الزخرف بعد سورة الشورى وتكون بعدهما الدخان . وما المناسبة بين هذه السور من حيث ترتيبها . وإني أشهدك اللهم على التوفيق والتعليم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . وإلى هنا تم الكلام على سورة الزخرف والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العشرون من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم . ويليه الجزء الحادى والعشرون وأوله تفسير سورة الدخان )



## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
أقاموا أقاموا	أقاموا	٢٩	١٢٠	بهنا	بهنا	١٥	١٧
فمنهم	منهم	٩	١٢٣	المغنيين	المغنيين	١٢	٣٣
فيقول	فيقول	١٨	١٢٥	بسبب	بسبب	٢٠	٥٢
لا تقل	لا تقل	٢٣	١٢٦	بمادة الحياة	بمادة الحياة	٢٣	٥٤
أهم	وهم	٧	١٤١	مختلفتين	مختلفين	٩	٥٦
في معنى	معنى	٢٥	١٤١	الصخور	صخور	١٨	٦٢
من	ما	١٦	١٤٤	.....	كالأعلام	٢٣	٦٢
يحجبان	يحجب	٣٢	١٥٥	عن الشمس	عن الارض	٢٠	٦٤
ذلك	قبل	٢٠	١٦٣	وأبعادها وأحجامها	وأبعادها عن	٢١	٦٤
رئيس النصرانية	رئيس الجمهورية	٢٤	١٦٣	تقرب مما	الشمس تقرب		
أصله	أصل	٢	١٦٥	للأرض	من أبعاد الأرض		
النواب	النواب	٢٦	١٧٣		عنها		
من يعتبرهم	حق معتبرا بهم	٢٣	١٧٤	مليون كيلومتر	كيلومتر	٢٩	٦٤
اتخذ	تتخذ	٢٥	١٩١	»	»	٣٤	٦٤
الموازنة	الموازنة	٢٧	١٩١	وعد	وعده	١٢	٦٨
وأورا	وأمر	٩	٢١٧	وأمس	أمس	١٩	٧٤
خطا	خطي	١٦	٢١٨	الاعلى	الا	٨	٧٥
آماد وآماد	آمادا وآمادا	٤	٢٢٠	وما	وأما	١٨	٧٧
.....	لأسأله	٣٣	٢٢٠	بيانها	بيانه	٢٧	٧٧
بالواسطة	بالارابطة	٢٣	٢٢٣	٣٥٦	٣٠٥٦	٢٩	٧٧
مصطنعه	مصنعه	١٤	٢٢٦	وأورانوس	وأدرانوس	٣٠	٧٧
تذكرنا	كبرنا	٥	٢٣١	قدره	قدوه	٧	٧٨
المشتري	الريخ	٨	٢٣١	العاق	العلوم	٤	٧٩
تمتع	تمنع	١٨	٢٣٥	١٣٤٩	٣٤٩	٩	٨٢
في غاية البساطة ثم	القتال	١٨	٢٣٦	الروائح	الروائح	١٢	٩١
ان الخلد يحفر				إلا جزءا	أجزاء	٢٥	٩٢
أوالتفه	أوالتفه	٢٤	٢٣٦	بالآلى	بالآلى	١١	٩٣
قسمنا عليه	قسمناه عليه	٢٤ و ٢٣	٢٣٨	التدخل	التداخل	١٠	١١١
		٢٥ و		والروم فيه	والروم	١٢	١١٦



## فهرست

( الجزء العشرين )

## من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ تفسير سورة الشورى . السورة كلها مكتوبة بالحرف الكبير مشككة
- ٥ هذه السورة قسمان : الأول من أول السورة الى قوله « لهم عذاب شديد » وفي هذا القسم ستة مباحث مبحث الملائكة والقرآن ، ومبحث الكفر والايمان والوحى والنبوة الخ . وأما القسم الثانى فهو من قوله « ولو بسط الله الرزق » الى آخر السورة
- ٧ التفسير اللفظى لهذه السورة ، وبيان أن « حتم عسى » ترجع الى الجدة والحكمة والتسبيح والعزة والعظمة والعلو والقدرة والساعة ، ويتبع ذلك تفسير الآيات من قوله « كذلك يوحى اليك » الى آخر السورة
- ١٣ فى هذه السورة سبع لطائف
- اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : تسكاد السموات يتفطرن وفى قوله : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب . العالم المادى والروحى متشابهان ، فالعالم المادى أكثره مضى بنفسه وهى الشمس والمظلم قليل كالأقمار والأرضيين ، الشمس تفيض النور والهواء شفاف يقبله وهو منفصل وجرم العين شفاف متصل بالجسم ظاهره شفاف كالهواء ، وباطنه من أسفل متصل بالأجسام . والعالم الانسانى كجسم الانسان الواحد والأنبياء فيه كعيون الانسان الواحد ، فكما أن العين تقبل الصور وتوصلها للفرد ، هكذا الأنبياء يقبلون العلم ويوصلونه للأمم ، فهناك أولاء علمناست مسائل : أربعا فى الماديات وهى الشمس والهواء والعين والانسان ، واثنان فى العالم العقلى وهما الأنبياء وأممهم ولم يبق إلا الملك والله المقابلان للشمس والهواء ، وهذه أشبه بالمعادلة الرياضية ، والمجهول يعرف بالمعلوم والمعلوم (٦) والمجهول اثنان . وكل امرئ سمعنا انه أعلم من غيره فان نفسه قبلت الحكمة عن نفوس تحيط بأرواحنا إحاطة الهواء بأجسامنا . ومن ضلّ وغوى فان روحه استمدت العلم من أرواح مثلها ولكنها أشبه بالزجاج الملوّن . وهذا سرّ هاتين الآيتين . فى الأولى تسبيح وتحميد لذات منزهة مفيضنة للخير وهى فى نظير الشمس . والذى يقبل العلم منها هم الملائكة الذين هم كالهواء من حيث الشفافية والقبول وإيصال النور الى الأعين . وهذا ملخص التسبيح والتحميد والاستغفار لمن فى الأرض . وفى الآية الثانية جاء ذكر الأنبياء وأممهم وأن الله لا يكلم الناس إلا بواسطة نبي أو ملك الخ وهذا من أعجب العلم
- ١٥ اللطيفة الثانية والرابعة فى الكلام على التناسل واختلاف الذكور والاناث فى الحيوان ولطف الله فى تغذيته فن الثانى أن السمك حوصلة مملوءة هواء وذنباً أشبه (بالسكان) أى الدفة للسفينة ولولا ذلك لتعطلت ولم تحصل قوتها
- ١٦ فصل فى حكمة خلق الحشرات ، وذلك أن بعضها لا تكون إلا حيث تكون العفونات لتحويلها الى أجسامها رجة بجميع الأحياء ، فلولاها لصار الجز عفنًا فمات كل حيوان ، وهذه (وان نظفت الجو) قد جمعت أشبه بالجنود يلسع بعضها الناس ويؤذيهم ليتيقظوا للتنظيف أما كنهم ، وصغار هذه الحيوانات يأكلها كبارها ، ولو بقيت لتعفن الجو أيضا ، فالتدب يصيد الثعلب وهذا يصيد القنفذ الذى يصيد الأفعى التى

تصيد العصفور الذي يصيد الجراد الذي يأكل الزناير الالاقى تصيد النملة التي تصيد الذبابة التي تصيد  
البعوضة ؟ وهذا كله منفعة وصفاء للجنّ ، وبغير ذلك يكون الفناء العام

١٧ تناسل الحيوان واختلاف تغذيته ، المنى يصل لرحم الأنثى في الانسان وكثير من الحيوان والهواء يفسده  
وقد يلقي المنى على نفس البيض كالسمك والسفاد إما في وقت معين ، وإما في وقت غير معين ، والذكر  
قد يعاود الأنثى ، وقد يدابرها ، وقد ياصق جنبه بجنبها ، ويختلف في تغذية صغاره ، فيكون بالارضاع  
أو بأن يترك أولاده كالجمام ، أو بأن يسمى بأولاده كالسجاج ، وقد يشترك الذكر والأنثى في ذلك كالعصافير  
والانسان ، وقد تنفرد الأنثى بذلك كالحيجل والسجاج

١٨ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ، وأن المؤلف فسرت  
هذه الآية له في المنام واستنتج من تفسيرها دليلا على اليوم الآخر ، ذلك أن العالم كله موزون  
بموازين حقة كالأكواب وجريها وتركيب النبات والماء وكل شيء فكيف يعم الميزان كل شيء ويبقى  
هذا الانسان غير موزونة أعماله ، وكيف تكون موزونة إلا اذا كان كل عمل له جزاء ، والجزاء في  
الدنيا لم يظهر جميعه ، فالأرض مملوءة ظلما ، إذن ذكر القيامة بعد ذكر الميزان تميم للميزان ولولاها  
لكان كل شيء موزونا إلا أعمال الانسان ، وهذا هو الذي نفهم به « أخسبتم أنما خلقناكم عبثا »  
وغيرها من الآيات ، ويقرب من هذا أن جميع أهل الأرض يعتقدون في خالق لهم ويعينونه بما يناسب  
عقولهم ، وانهم يزورون موتاهم وإن اختلفت نحلهم ، فلو كانت أرواحهم معدومة ما انفتحت فطرهم على  
تلك الزيارة

٢٠ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى « وأصرهم شورى بينهم » وأن النبي ﷺ استشار أصحابه في غزوة  
بدر ثلاث مرّات ، وقال سعد بن أبي وقاص في المرة الثالثة « فاطعن حيث شئت الخ » وقال المقداد  
لا نقول كما قال قوم موسى الخ وحديث البخاري أعني ﷺ سبي هوازن وكلم العرفاء ، ثم انه جعل  
أبا بكر وعمر ملازميه يستشيرهما ، وعين عمر لما طعن ستة رهط من قريش مستشارين في الخليفة بعده

٢٢ جوهرة في قوله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، والكلام على أهل الهند الذين يرون  
أن الانسان بعد الموت يكون في حال تشبه حاله في الدنيا ، فالأشهراريق تناسخون والأبرار يتنعمون .

هم أهلوا الطبيعة فهدّوا الآلهة ولكنهم لم يعتقدوا إلا إلهها واحدا . وذلك سرّ عندهم . يقولون إن  
العالم من الله واليه يعود . والروح بعد الموت لها جسم ناري . الانسان نور من الله . للهنود نساك في  
الغابات تعلم منهم (خريستا) سنة ٤٨٠٠ ق.م وهو يقول : « إن النفس سرمدية الخ » ولا بد من  
طلب الوحدة . وفي باطن الانسان صديق وقل من يعرفه الخ وجاء (بوذا) سنة (٦٠٠ ق.م) وقال  
« لا تقتل لا تسرق الخ » وفائدة هذا في الآية ما يأتي : إن التناسخ لم يظهر قبل خريستا بل إن الروح  
لها جسد ناري فهي أقرب الى تعاليم الاسلام . ولما جاء خريستا قال بالتناسخ . ووصايا خريستاروحانية  
معنوية . ووصايا بوذا ترجع الى الطواهر . وقول الهنود : « إن الله في باطن كل امرئ » والله يقول  
« وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون » ويقول « وهو معكم  
أينما كنتم الخ » وبيان رأى علماء الاسلام ورأى المؤلف وأن الذنب لا يكون إلا من النقص والله يرقى  
النفوس بالألم كما يرقىها بالعلم . وأن النفس الشريرة تلاقى ألما والبارّة تلاقى نهما

٢٥ الكلام على رأى الأرواح وأنها تعطى تعاليمها على حسب استعداد السامعين كما أن تعاليم الديانات تكون  
على حسب عقول الأمم . ثم إن اعتقاد قدماء المصريين مشتق من اعتقاد الهنود الذين اتبعوا خريستا



وقد جعلوا للإنسان جسماً فانياً وجسماً روحياً وقلبا الخ (٩) وقد ظهر للمؤلف أن تخنيط الجثث عند قدماء المصريين لم يظهر إلا بعد ظهور دين خريستا بنحو (٣٠٠ سنة) وجعلوا لهم ٢٠ قاضياً ولهم ميزان وهكذا ، والمصريين فهموا التناسخ محرفاً فوقفت عقولهم عند الجسم الانساني الذي يعيش فيه الآن فخطوه وحفظوه ، فترى الهنود يحرقونه والمصريون يحفظونه وكل يسير على مقتضى فهمه ، وما ساعد على عقيدة التخنيط قصة خيالية عند المصريين : يزعمون أن أوزيريس أخذ معه توت وفتح الأرض فسدده سبت فوضعه في صندوق ورماه في النيل ، فأرجعت زوجته (ايزيس) الصندوق فحتر به (سبت) فقطعه (١٤) قطعة ودفنها مفرقة فجمعتها زوجته وخطتها ، وهذه هي السبب في شيوع التخنيط عندهم

## ٢٨ اللطائف العامة للسورة كلها

خيل للمؤلف انسان جسمه من النور يقول له : خيالك تبع علمك ، واذا كانت مسرتك الآن تسكاد تكون فوق طاقتك فان روحك بعد الموت تزيد قوتها على الذات ، أنت الآن تتخيل أن العالم موسيقى وهذه المناظر المتجلية لك الآن بعض أسرار « حم عسق » . فقال المؤلف مادليل ذلك ؟ فسأله الطيف ست مسائل : وهي أجاب المؤلف الطيف عنها تجلي له فها معنى البسملة ومعنى « حم عسق » فأجاب عن الموسيقى عند القدماء والعصرين وهما السؤال الأول والثاني بما يفيد أن الزبر والمثنى والمثلث والجم ترجع الى ٢٧ طاقة من الحرير و ٣٦ و ٤٨ و ٦٤ على الترتيب وهذه مناسبات للأرض والماء والهواء الخ ، هذا في القديم ، أما في الحديث فالموسيقى (١٠) دواوين (١٦) موجة في الثانية و ٣٢ و ٦٤ وهكذا على طريق المتواليات الهندسية ، وقال في جواب السؤال الثالث : إن أبعاد السيارات تكون على حسب الأرقام التالية (٣-٦-١٢-٢٤-٤٨-٩٦) وبإضافة (٤) تظهر الحقيقة وهي هكذا : عطاردة الزهرة الأرض الخ وهكذا قال في الحجر النازل من أعلى يقطع (١٦) قدما انجليزيا في الثانية الأولى ، واذا ربعا الثواني وضربنا المربع في (١٦) يكون ذلك حاصل ما قطعه الحجر جميعه ، وهكذا أمر الصوت والنور والحرارة والجاذبية إذ تكون على عكس مربع البعد ، وعن السؤال الرابع والخامس والسادس بما يفيد أن هذه المجرات والشموس والسيارات قد صارت حفلة بهجة ، وكأن نورها انقلب نفمات ، وهل يتم ذلك كله إلا بنفوس عالية دبرتها . والدليل على ذلك أن النبات ان يعيش إلا بغذاء من الأرض ، وهذا الغذاء لا يفتتح به النبات إلا اذا حمله (الفطر والبكتريا) فهذه نباتات لا ترى تخدم النباتات التي ترى ، واذا احتاج النبات الى فاعل يفتت غذاءه فن باب أولى المجرات والسدم وكواكب السماء فهي في حاجة الى نفوس تحفظها ، وهذه النفوس العالية لها مدبر وهو الله ، فهذا برهان من الطبيعة ، وهذه الكواكب من آثار رجحات ذلك المدبر الحكيم والرجة لاتتم بلا علم « حم » للرجة والحمد ، الرجة مبدأ والحمد نهاية ، وكلاهما لا يتم إلا بعلم ، علم الله فرحم ، وعلمنا فحمدنا وفي العلم (ع) وفي العليّ والعزیز والعظيم كذلك ، والرجة في البسملة ، والحمد في « يسبحون بحمد ربهم » وهؤلاء الملائكة بسبب علمهم برهم ونظم السموات يسبحون . السنين في التسبيح والسموات وبهذا نزل الوحي وهو القرآن . (ق) في القرآن وفي من قبلهن

٣٢ منافع الموسيقى العلمية وضرر الموسيقى العملية ، إن الأمم الاسلامية سرى فيها داء الشعر العربي والغزل ومعظمه يؤدى الى الفجور . وقولهم : « انه يعرف أسرار القرآن » لا يكفي العاقل وقد ضاعت الأندلس وغيرها بسبب الخلاعة كما في كتاب الأغاني وغيره . ولم يحجز علماء الاسلام الموسيقى إلا اذا خلت من

التذكير بالشهوات . وهذا ما درجنا . فإذن أن هذا الالهو أهم سبب في ضياع هذه الأمة المسكينة . وقد أنكى سقراط على طائفة الشعراء بل على (هوميروس) نفسه ، ويقول : « هؤلاء ، لا حقيقة عندهم فهم كالرسام وهو السريحة الثالثة في المعرفة ، وهو إذا رسم اللجام فالصانع قبله وراكب الفرس قبلهما ، فهو راسم للمعقولات لا المتعقل » إذن هو خيالي وآية « حق عسق » جاءت رمزاً لنظام العالم العاوى والسفلى ، وهذه موسيقى علمية وهي العلوية ، أما الشعر والموسيقى فهى الضد من ذلك

٣٤ ﴿ اشراق شمس هذه المقالة ﴾ : (حم) انبعاث النفس للعالم (ع) انقاس النفس بذلك إذ يتجلى للنفس العزة والعلو والعظمة ، ثم يكون الاقتباس بالتسبيح والافاضة بالاستغفار ، وهنا تظهر صفات التنزيه وصفات الافاضة والخلق والرحمة

٣٥ ﴿ حم عسق ومغارة أفلاطون ﴾ ان الذين في مغارة أفلاطون كانوا في ظلام أمامهم نور آت من نار ، وهناك صور رسمت أمامهم فظنوها حقائق ، فخرج رجل عرف الحقائق في الأرض فرجع اليهم فعلمهم فههنا في المغارة صعود فعمل فتعليم ، وفي (حم عسق) صعود عن المادة فعرفة بالله ثم تعليم للناس جوهره في آية : الله الذى نزل الكتاب الخ وبيان أن المتعلمين في بلادنا أكثرهم نبذا الآخرة وكذبها ولكن هذا الكاتب ألقى محاضرة ملخصها أننا نولد في بحر خضم تائهين من أين وإلى أين ولم خلقنا ، لو أننا أغمى علينا ونقلنا إلى مستشفى ثم أفقنا لسألنا من حولنا ما هذا ؟ فإذا أجابونا استرحنا ، فأمر الحياة أولى بالسؤال من ذلك :

- ( ١ ) أجبتنا نعيش ٦٠ أو ٧٠ سنة ثم ننتهى
- ( ٢ ) ليس عندنا تاريخ إلا ستة آلاف سنة وما قبله مجهول
- ( ٣ ) مستقبل الإنسانية مجهول
- ( ٤ ) حياتى وحياتك عدم بالنسبة لهذا الوجود
- ( ٥ ) بل هذه الأرض ستصير هباء منثورا
- ( ٦ ) مصر وغير مصر جزء من الأمم الأرضية ، والأرض شظية من نظام الشمس وهوشى يسير
- ( ٧ ) إذا كان وجودنا على هذا المعنى وهو أن نعيش (٥٠) أو (٦٠) سنة فإن الأحياء جميعا - حتى جهلاء فسكان يجب عليهم الانتحار ، هذه السنين لا تساوى مصيبة واحدة أو مرضا أو حزنا واحدا

- ( ٨ ) وإذا قلنا ان المدار على حياة الإنسانية كلها وهى سر تقيية ، فعنى هذا أن تعذب آلاف الأجيال لأجل جيل واحد يسعد ثم ينفى ، وهذا أيضا جهل ، هذا كله ضلال
- ( ٩ ) الانسان ارتقى في البر والبحر ، وسخر المسادة ، وارتفع ارتفاعا مدهشا ومع ذلك هو عرضة للموت بنسمة الهواء وجرة الماء الخ ، هذه أحوال متناكرة ، فأين الحقيقة إذن ؟
- ( ١٠ ) الحقيقة أننا قبس وشعاع من معلم أودع فينا الآلام والذات ، وهما مهمازان يدفعان الانسان للرقى ، وهذا التلميذ يتعلم فى مدرسة الوجود ويرتقى تابعا معلمه والتجارب هى الدروس ، ولقد ارتقى الآن فأخذ يسمع الشرقى ما يقوله الغربى ، وليس صغرا وصمة بل فى قلب كل منا سر الوجود ، وهذا القبس الذى فى نفوسنا أعلى من الأرضين والسموات وميزان الحياة يكون بالمسكارم والنضائل تقليدا للمعلم الأكبر بالدور والقصور ، فكل أعمال الحياة آلات مقصودة لغيرها ، الحياة مدرسة والتلاميذ درجات بعضها فوق بعض



وههنا موازنة بين هذه الخلفية وآراء أفلاطون : انه لا يرى أحدا يصلح للحكم إلا الفيلسوف لأنه وقف على الحقائق ولا يحقائق إلا ما كان ثابتا لا يندم ، فالنايت يعلم ، والمتردد بين الوجود والعدم يتصور ، وإدراك المعدوم جهل ، وكل ما نسميه أو ننظره متردد بين الوجود والعدم ، فادراكه ليس بعلم ، وهو لا ينبغي الفرغ به ، إذن يجب جعل هذه المتغيرات وسيلة لمعرفة ماهو ثابت وتكون نفس الفيلسوف مضطربة بذلك سعيدة ، أما النفوس الأخرى فهي مترددة بين السرور والألم بوجود ما فرحت به وبعدمه فهنا قول أفلاطون ، فهو يقول على الدائم لا غير ، هذا الخاطئ يحقر الحياة التي لا تدوم وهو حق ٤ الفيلسوف الحقيقي غير مدعى الفلسفة ، فالأول يدرك الموجود الحقيقي ، والثاني يكتفى بالظاهري ، وههنا محاورة بين سقراط وذاوكون إذ وصف الذين لا هم لهم إلا سماع الجوقات والأغاني والمحبين بالجيل من الأصوات والأشكال والألوان والصور وكل ما أنتجه الفن فلاسفة زائفين ، ووصف من عرف الجمال المطوب ، وأكب على دراسة كل علم ، وأحب جميع العلوم وعشقتها بأنه فيلسوف ، وههنا جعل للعالم منطقة وهو كل ما هو ثابت ، وللجهل منطقة وهو المتردد بين الموجود والمعدوم ، وههنا أظهر الجمال المطلق والعدالة المطلقة بأن كلا منهما وحدة والظواهر كثيرة ، فالفتون بالأشكال والأصوات مفروغ ، ولكن المدرك للجمال المطوب هو الفيلسوف السعيد : فالحقائق غير هذه الظواهر

٤ الجوهرية الثانية في ذكر ما خطر بقلب المؤلف ليلة ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية ، ينادي المؤلف أهل الأرض وقد رأى الدنيا قد ازينت له بهيئة جميلة ، ويقول : ايه يا أهل الأرض ، يظهر لي انكم كنتم في عوالم جميلة فلم تصلحوا لها فطرتم منها ، وأهل أرواحنا أشبه بالمواد التي لم تهضم في المعدة فخرجت بهيئة قدرة فصلحت سمادا فعادت ثانيا فأكهسة ، إذن نفوسنا شريفة عرض لها الدنس ولا بد من رقيها ثانيا ، الانسان في صباه لا يحب إلا نفسه ، وإذا كبر ودرس أخذ يتسح حبه للولد والأهل والعشيرة ، فالشحاؤون وبعض رجال السياسة والمحاملون كلهم صبيان الأمم ، ومن عجب أن هذه النفوس مع انها لا تحب إلا لذاتها وحدها ، أحيطت بالجمال ليكون سببا في ارتقاها ، ولقد عجت الرحمة قلوب الحيوان لصغاره ، وهذه كلها مظاهر رحمة وجمال إلهيين ، الله سلط بعض الناس على بعض بالحرب كل يحارب لمنفعة نفسه وهذا قد استخدم للنفع العام كما ان الحرب العظمى أعقبتها السلام العام وفن الطيران ، وهذه المواد المستخرجات من نفس الآزوت في الحرب جهلت في السلم سمادا ، وملخص هذا أن هذه الأرواح أحيطت بالجمال والرحمة لتتذكر وترجع الى عالمها

٥١ هذا كله من أسرار (حاء وباء) أي (حب) وهذا الحب هو المذكور في آية ابراهيم « فلما جن عليه الليل الخ » فانه ذكر الكوكب والقمر والشمس و « قال لا أحب الآفلين » فلفظ الحب هو سر الأسرار لأن المقام مقام عبادة لا مقام حب ، فلما ذكر الحب عرفنا المقصود لأن العبادة القائمة على الخوف ضعيفة ، أما المبنية على الحب فهي المقصودة وهي الملازمة لليقين ، واقتران الحب بعدم الاقول موافق كل الموافقة لقول أفلاطون : « إن ما لا بقاء له لا يتعلق به علم ولا حب ولا رغبة الخ » وههنا تعجب المؤلف من تعبير القرآن بالحب هنا ، وأظهر أن هذه يعجز عنها كل فيلسوف في الأرض فكيف تجتمع خلاصة الفلسفة في الحاء والباء ، والحب على مقدار معرفة الحقائق قلة وكثرة

اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « وهو الذي ينزل الغيث الخ » وذكر الأشجار التي يرجع تاريخها الى ما قبل ١٥ مليون سنة

٥٥ الاطيفة الثالثة في قوله تعالى : «ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام» وبيان أن هذه المسألة لا يمكنها

إلا رجل درس ، والدارس لا بد له من صبر على التحصيل فينال العلم ، فهنا صبر ، وهنا شكر

٥٦ خيالي يوم الأحد ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٩ م - الماء بطي الحرارة والبرودة ، والأرض بالعكس ،

وبهاتين الصفتين عمرت الدنيا ، وما الهواء إلا كدولاب دائر حول الأرض (شكل ١)

٥٧ (شكل ٢) الأرض تقبل الحرارة بسرعة عند طالع الشمس ، والماء يقبلها ببطء فيسرع الهواء فوق

الأرض الى الارتفاع فيتحل محله الهواء الآتي من البحر ، ومتى جاء الليل تغيرت الحال فيبطئ دخول

البرودة الى الماء فيجري الهواء من فوق اليابسة الى البحر ، وهذا بعينه هو الحاصل في الرياح الموسمية

ولكن السابق في الليل والنهار واللاحق في الصيف والشتاء (وبعبارة أخرى) الأول في الدورة

اليومية ، والثاني في الدورة السنوية ، القارة هنا بدل البر هناك ، والصيف كالنهار والشتاء كالليل ، فجبال

همالايا تشتد حرارتها لنقل كثافة الضوء فوقها فتهب الرياح من المحيط الهندي اليها في زمن الصيف ،

وهذه هي الرياح الموسمية ، وهذا أمر عجب أن تكون حرارة وبرودة سببا في هذه النعم كلها

٥٩ التيارات البحرية وتأثير دورة الأرض على محورها (شكل ٣) انعطاف مركبة الترام في طريق منحني

(شكل ٤) دورة الأرض على محورها

مناطق الضغط العظيم خلف المدارين (شكل ٥)

(شكل ٦) الرياح التجارية والرياح العكسية ، مناطق هبوطها

٦٠ تلخيص ما تقدم وخطاب الله للرياح التجارية وقوله لها : ليكن تيار منك في جنوب خط الاستواء

وتيار في شماله ويتجهان معا الى سواحل أمريكا الخ

٦١ (شكل ٧) دورة التيارات البحرية في الدنيا ، وههنا تجلي جمال الله في هذه التيارات بين آسيا

وأوروبا وأمريكا وكما تجلي لها وكأنه يخاطبها هكذا يخاطب الناس كأنه يقول لهم : لماذا لا تكون سياستكم

كسياستي ؟ فان التيارات تجري من الجهات الباردة الى الحارة فتلطفها ، والتيارات الاستوائية تجري

الى الجهات الباردة فتقل برودتها ، فلماذا لا يكون الشرق والغرب متعاونين تعاون هذه التيارات

٦٢ جوهرة في قوله تعالى : ان يشأ يسكن الريح الخ . نظرة راكب السفينة فيما حوله من الماء والأرض

والسما ، فاذا نظر الى السماء رأى عطارده والزهرة والريح والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون ، وأخذ

يعرف دوراتها وأبعادها عن الشمس وأحجامها كأن يرى بهد عطارده ٥٧ مليون كيلومتر والزهره

أكثر منه وهكذا كوكبا بهد كوكب الى أن يكون بهد نبتون يبلغ نيفا ومليوننا من الفراسخ ، ويرى

أن عطارده يدور في ٨٨ يوما ونبتون يدور في ١٢٥ سنة ، والباقي بينهما . ثم ينظر في عالم الماء فيرى

أن هذا الماء نفسه أشبه بميزان توزن به المواد الأرضية . فاذا كان السنتيمتر المسكب من الحديد

يساوي (٧٨) من الجرامات والبلاطين يساوي (٢١٥) من الجرامات . والمعادن الأخرى بينهما

فهني هذا أنا اذا أخذنا مقادير من هذه المعادن مساوية لحجم السنتيمتر المسكب من الماء فان أوزانها

تزيد عليه بهذه المقادير . وهذا هو الوزن النوعي . ومعنى هذا أن النجوم والسيارات طاقعات في مداراتها

وهذه الأحجام مطيحات في أرضها . وهذا معنى قول الأرض والسما «أتينا طائعين»

٦٦ وههنا تطبيقات : منها أن السفن تنفخ في البحار المايحة أقل من انغماسها في الانهار . ومنها أن السمك

يغوص ويظهر بحوصلته . ومنها أن السفينة الغارقة تنجور ببطها بسفينة أخرى ثقيلة الحلة ثم يرفع عنها



وأيضاً بحث الفرقى تطفو لظهور الغازات فيها بعد أيام

٦٧ الأوزان النوعية للأردواز والبلاطين والحديد الخ . الآيات على قسمين : آيات في الرياح وقد تقدمت وآيات في نفس السفن ، ولولا حفظ ذرات الماء لأختل سير السفن ، فهي محفوظة كما حفظت الكواكب في مداراتها

٦٨ قطرة الماء إذا بلغ حجمها حجم الأرض فإن الجزء منها لا يبلغ حجم رملة ، وهذا دليل على شدة صغر المادة ، فهل يجمعها إلا قوة التماسك ، وكما أن الماء أساس الوزن النوعي هو كذلك أساس الوزن الصناعي ، والبناء الذي طوله وعرضه وعمقه متر إذا ملأناه ماء بلغ ٣٣ قنطاراً وأوقات وهو الطنولاته فلما بثباته أرانا الوزن النوعي والصناعي ، وهل يفهم هذا كله إلا صبور على الدرس شكور على معلم

٦٩ جوهرة في قوله تعالى : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام الخ » مع آية : « فما أوتيتم من شيء فتأخروا في قوله تعالى » وفي هذا المقام بيان عجائب البحر مثل (الكاشولات والروكالب) البالغ طوله (١٢٠) قدماً ، وعمق البحر (٣٧٥٠) قامة ، والنور لا يبعد أكثر من (٣٠٠) قامة والسماك يخرج النور منه نفسه ، والمرجان له جزائر يبنىها كما تبنى الأرض في البر ، والماء سهل المسير (٧٠) مرة

٧٠ الإنسان ومغالبة البحار : ملاحه الأنهار . علاقتها بالسكك الحديدية والقنوات . ملاحه البحار والمحيطات . مراكب التجارة . الموانئ وأنواعها . وأشهر الموانئ التجارية . الموانئ المصرية . تأثير القنوات . الملاحة في تجارة المحيطات . قناة السويس . قناة بناما . لقد كانت الأمم قديماً تسكن في أنهارها كمصر وما بين النهرين ، وكانت تسكن في بلادها ، والطرق البرية بين الممالك كانت متأخرة وخاصة بالمواد الغالية ، وذلك لخوف اللصوص وصعوبة النقل بالسواب ، ثم انتقل الناس من الأنهار إلى البحار ومن صنع الخشب فوق الماء إلى البوص المخروم إلى الكتل الخشبية المفرغة فلهيكل المحوط بالجلد فالقارب المصنوع من الخشب ، ثم ظهرت السكك الحديدية مع الأنهار ليتم الانتفاع ، مثلاً حوض الأمازون تجري المواصلات فيه وفي فروعه ، والشلالات الكثيرة في الفروع تعميق الملاحة فتقل البضائع برّاً بالسكك الحديدية ، وحوض الكونغو من أمثلة اكتمال التجارة النهرية بالسكك الحديدية والشلالات من خواص الأنهار العظيمة الأفريقية ، وهي أيضاً كانت سبباً في تباطع كشف إفريقيا . النيل يمتد من الشلال الأول إلى البحر الأبيض (٧٠٠) ميل ونهر النيل سكة الحديد بجانبه ثم تنقطع لضيق الوادي وتبتدىء عند حلقا في حوضه الأعلى إلى السودان ، والأنهار تسعف في نقل الأحمال الثقيل كالقمح ، وأنهار الملاحه في أوروبا مشتبكات نافعات في الملاحة مثل الرين والرون والألب وهكذا . والمسيبي وفروعه عماد للحركة التجارية في أمريكا . مراكب التجارة عند الرومان أقصى مجموعها ٥٠٠ طن فأخذت تزيد حتى صار محمول بعضها في زماننا أكثر من ١٢٠٠٠ طن بل ١٥ ألف طن ، فضعف المحمول ٣٠ مرة . ثم إن الموانئ التي على مصب النهر مثل لندن ولفربول وهمبرغ نافعات للتصدير إلى الخارج والداخل منها . والموانئ الطبيعية مثل موانئ بلاد الفروج نموذج للموانئ الصناعية فصنع الناس نظيرها في الاسلندرية ومينا دوفر . إن ميناء ريفا على البلطيق . ومينا سان لورانس في كندا تغلقان فوق ربع السنة لأجل الثلج فنظامها كنظام الليل والنهار سيكون حركة . ولقد وصل الناس البحر الأبيض بالبحر الأحمر كما حفرها قناة بناما فانصلت الأمم وزادت التجارة

٧٦ مباحج العلم ومناهج الحكمة في ملخص سورة الشورى :

( ١ ) القرآن العربي

- ( ٢ ) ملائكة السموات والارض  
 ( ٣ ) تتأبجها  
 ( ٤ ) التوسط في انزال الرزق لحكم  
 ( ٥ ) ذكر ما لدينا من الحيوان  
 ( ٦ ) والقرآن ينذر به الناس  
 ( ٧ ) وهذا الدين ليس بدعا  
 ( ٨ ) وهو صلى الله عليه وسلم مأمور أن يستقيم كما أمر  
 ( ٩ ) وأن يهدل بين الناس  
 ( ١٠ ) والله أنزل الكتاب بالحق الخ  
 ( ١١ ) والله أتصف باللطيف

ولأخصّ الكلام بأمرين : نظام السموات ، ونظام القرآن ، وأن نظام سير الشمس والقمر يتبعه المد والجذر ، إن البحر ينخفض ويرتفع كل يوم مرتين ، وأوقات المد والجذر تتأخر كل يوم ( ٥٠ ) دقيقة بحسب تأخير مرور القمر بمستوى الزوال ، وارتفاع المد يوجب انخفاض الجذر كثرة وقلة . وينسب الارتفاع والانخفاض الى ميل الشمس والقمر ، وكما أن البحار ومدّها وجذرها مرتبطات بالشمس والقمر هكذا النباتات تتبع في زرعها سير الشمس . فانظر زراعة القمح في هاتور والحلبة في كيهك وهكذا الباقي تقدم في سورة الزمر . إذن عالمنا جسم واحد

٨٠ خطاب المؤلف ربه . وبيان فرحه بهذا الجلال

٨١ خطاب المؤلف للمسلمين : أما نظام القرآن ففيه فصلان : الفصل الأول في أن القرآن عربي . الفصل الثاني في ذكر أم القرى ومن حولها ﴿ الفصل الأول ﴾ تقدم في سورة فصلت . وأما ﴿ الثاني ﴾ وهو تخصيص أم القرى فبيان أن فارس والروم كانتا تحكمان أغلب بلاد العرب . ثم ظهر الاسلام فغلب الأمتين وحكم البلاد فعمّ الأمن ، وحادثه العقبة شاهدة لذلك بالعهد الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لأهل ايلة ، وهكذا حادث قبائل البجّة وهم من البربر وكانوا يسكنون البلاد من سواكن الى قوص ويؤذون المسلمين غار بهم المأمون وغلّهم وكتب عهدهم بيد عبد الله بن الجهم ، وبهذا العهد حققت الدماء وأمنت الطرق

٨٤ ذكر تعداد المسلمين في بلاد الاسلام مثل ان في بلاد الهند الصيني والسين ٧٠ مليوناً ، وفي بلاد الهند وماجاورها ٧٥ مليوناً وهكذا حتى يبلغ مجموع بلاد الاسلام ( ٣٥٠ ) مليوناً

٨٥ وبلى هذا كيف يتحد المسلمون ، وبيان انهم كالجسد الواحد فيجب أن يكونوا جماعة تكون أشبه بالرأس ولتسكن لهم فروع يمتدّون الى بقاع الأرض ، والفروع قسمان : قسم لنشر العلم ، وقسم يدرس أعمال أوروبا ، وهؤلاء يقاطعون كل دولة تعتدي على الاسلام فتعجب مقاطعة تجارة كل دولة تؤذي المسلمين

٨٧ فصل في أن الكعبة دار ندوة وهذه نعمة على المسلمين بل معجزة كبرى لأنه ظهر أنها اليوم أعظم مرجع للمسلمين وهم معاقبون اذا لم يؤسسوا هذه الجمعية ، من ذا الذي كان يعلم الغيب وأن الكعبة ستكون مرجعاً للمسلمين ، وبهذا تمّ الكلام على القسمين قسم السموات وقسم انزال القرآن الخ

٨٩ وههنا خطاب وجهه المؤلف لعموم المسلمين ، وشرح المجرة والسيارات ثم النبات وأوراقه وثمراته ، وقال ان هذه كلها كجسم واحد ثم شرح اتصال الأمم الاسلامية في مكة وهذه أمة العرب جمعها الاسلام واللغة



٩٦ وتقارب الوطن ، فإذا لم تبادر بالاجتماع فإن الله مهلكها لاحالة ، وبينها وبين الفرس والترك علاقة ، فليكن السلاقة معهم أيضا ، ولهم التعليم في هذه الأمم لاسيما التاريخ ، وهناك تكون السعادة المستقبلة ولا جرم أن الأنبياء أرقى في السعادة من السارسين من نوح الانسان ، والأب والأم ضربهما الله مثلا من حيث حب أطفالهما للأنبياء وأئمتهم ، وإذا كان الأب يربي ولده رجة وشفقة وحباً هكذا الأنبياء بل خلناؤهم أيضا عندهم هذا الحب وان كانوا أقل من الأنبياء « قل لأسألكم عليه أجرا » . ان أعظم سعادة في الدنيا سعادة الحب ، وإذا وجدنا كتابا في زماننا يضرب مثلا لسعادة الحب بما يبدو من محبوبه ويقول : « إن السكائب الفسكا هي يتلهم سعادته من السامعين والمتسكلم سعادته بأن يسمع حديثه الناس ، والرجل يسعد بحب امرأته ، وإذا أتى لها بالمشمش وأكلته فرح وسعد والعاشق يفرح بأكل محبوبه العنب ، وهذه أفاض السكائب بذكر انبعاث الحياة في الطبيعة وبذكر النسيم والعشب والسكر وضوء الشمس والقمر ، فإذا كان هذا تصور كاتب لعلاقة له بنظام الأمم في هذا المقال ، وسعادة المجموع المرتبط بحكم واحد فكيف حال الحكماء والأنبياء الذين يجمعون الأمم ان سعادتهم لاحد لها

٩٧ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » . إن هذه الآية يناسبها ما جاء عن الشيخ السباع ، وبيان أن هذا ليس وحيا لأنه ليس نبيا بل هذا مذكر للناس فقط ، فهم كالبنايع ، وعلى كل مسلم أن لا يذر شجرا ولا شجرا ولا مدرا ولا حكمة إلا فكرفها بعقله

٩٨ فهم الصحابة القرآن ونشروه في الأرض خلف من بعدهم خلف أضاعوا ما جمع آباؤهم واكتفوا بالقشور وأحرقوا الكتب فحرموا من العلم ، وقد كتبت ثمرات العلوم المحروم منها المسلمون في هذا التفسير ، ففي أيام جهلهم قبض الله لهم معلمين أميين مثلهم ليعقلوا عنهم فليسوا أنبياء ، وقد جرى بيني وبين عالم من علماء صراكش هذا الحديث . فقال : « إن الشيخ السباع أتى في تفسير الحروف في أوائل السور بما يفوق طاقة الانسان في المعارف فكيف هذا ؟ إذ يقول في معنى (ص) : « انها بمعنى الفراغ ، فكل امرئ له في نفسه نعيمه أو حبيبه يلزمه في فراغه ، وكل امرئ بنفسه مشغول فكأنهم واقفون بين يدي الله تعالى ، ولوعلموا الحقيقة ماخالف أحد منهم ربه الذي هو الآن واقف بين يديه » ويقول : « إن تكبيرة العيسد سبعا وستا في الركعة الأولى والثانية بها يشهد المصلي المكوّنات التي في الأرض الأولى وفي السماء الأولى ويشاهد المكوّن سببها لأنها أفعاله وهكذا الى السابعة سماء وراء سماء ، وأرض وراء أرض ، وفي الركعة الثانية يشاهد ما خلق في اليوم الأول وهو يوم الأحد في التكبيرة الأولى ، وفي الثانية ما خلق في اليوم الثاني وهكذا الى السادسة ، ولكن في الركعة الأولى يشاهد أصول المخلوقات في السموات والأرضين السبع ، وفي الركعة الثانية يشاهد المخلوقات اجالا فيهما ، ومن فتح الله عليه فلا كلام فيه ، ومن لم يفتح عليه فليستحضر ذلك اجالا ويفرح بربه في كل عيد ، فالله لا يخرج من الأرض حتى يطلع هذا الاطلاع » وقال أيضا : « إن التكبير ثلاثا عقب ١٥ فريضة من ظهر يوم النحر الى صبح اليوم الرابع يلاحظ العبد فيها :

(١) خلق الانسان من نقطة

(٢) ثم كمال خلقه

(٣) ثم فساد صورته

والمصوفة يستعملونه قبل السلام في كل صلاة . فلما أتمّ سؤاله أجابه المؤلف بقوله : « إن المسلمين

لما كرهوا العلم والحقائق قال الله لهم : يا عباد أنا أعلمكم بقوم أميين مثلكم لأن الله رحيم بعباده ، ولا جرم أن الصالحين كثير في بلاد الاسلام وبعض هؤلاء الصالحين وبعض علماء الدين وجميع الأمم المستعمرة أشبه بالعمكروت يصطاد الذباب والله أنطق أمثال الدباج بالحكمة ليصدق الجاهل بما سمع من قول فوق طاقة الناس وايكون هؤلاء أشبه بأوتاد الخسكين الاسلام وبقائه ، وإذا قامت النصرانية بالتبشير فليقم الاسلام بنصر من الله وفيض على بعض عباده

١٠١ حكم أرباب القلوب وتفسير الجواهر كلاهما من مصداق قوله تعالى : « وما كان ابشر الخ » مع قوله أيضا « سنريهم آياتنا الخ » وذلك ان ما قاله من استيعضار ما في السموات وما في الأرض من العجائب عند التكبير في عيد الأضحى هو عينه الذي يقال في هذا التفسير ، إن هذه الأمة أمة واحدة فان عصر الصحابة كان عاموا بذكر الله وبالعلم ، ثم تجافى المسلمون عن التفكير واكتفوا بالقشور جيلا فجيلا ، ثم حرموا علوم الحقائق في السموات والأرض وناموا نوما عميقا فأرسل الله لهم نفوسا أسيمة رمنت لهم بما صرح به القرآن وعرفه الصحابة والتابعون ، وجاء تفسير الجواهر فأوسع المجال للنظر في هذه الدنيا ، إذن الأمة الاسلامية اتصل آخرها بأولها فسكاننا في زمن النبوة فان عصر الصحابة المعهود بذكر الله أعقبه رموز الصالحين ، ثم جاء درر عصرنا ، فستر جمع الأمة الى أن تعرف كل شيء بعقولها ، ومما مثل المسلمين أيام جهلهم إلا كمثل الأرض أيام تركها بلا سقى ولا زرع فانها تخرج حشائش ضارة تمتلئ حشرات ، ويقل فيها الشجر الثمر ، فهذه الأمة الاسلامية قل فيها أمثال الدباج وكثير فيها الدجالون ، وفي الزمان المقبل سيفعل خلفنا في الاسلام ما يفعله الزارعون لأرض متروكة إذ يزرعونها ويبيدون حشائشها ، والمؤلف لا يشك أن الأمم الاسلامية بعد أن تقرأ هذا التفسير تحقر التباعد المزمى لأجل خلاف في عدد الركعات أو التكبيرات ، لأن هذا خلاف بسيط لا ضرر فيه وسيجتمع المسلمون على ما في هذا التفسير حتى الصوفية لأنه يحض على معرفة جمال الله تفصيلا ، وهذا هو قول أمثال الدباج وغير الدباج اجالا

١٠٥ جمال العلم وبهجة الحكمة ، وههنا سؤالان : أولا ان الدباج يقول : « الجنة والنار يستدل عليهما بنفس المظاهر الطبيعية » والمؤلف يقول : « إن الذباب والطيور والأنعام تختلف أغذيتها باختلاف أنواعها فاستنتاج الجنة والنار من هذا عسير » — (ثانيا) ان المفونات وما يقابلها من الشهوات يهونها الايضاح . فأجاب المؤلف عن السؤالين بأن في العقل مناطق لتربية الآراء كما ان في القناة الهضمية مناطق لهضم الغذاء . فاذا كان في الفم (٦) أنهر لهضم المواد النشوية وأسفل منه البنكرياس وغدة الصفراء وعصارات المعدة والامعاء ، وكل هذه معامل هضم بقية المواد الغذائية ، فهكذا في المخ معامل مثل هذه ، ففيها مخازن للمعلومات ، ومنها ما هو للتحليل والتركيب ، ومنها ما هو للتذكر ، ومنها ما هو لابرار المعاني بالفاظ . إذن تربية نفوسنا أشبه بتربية أجسامنا وهكذا تربية كل نبات وكل حيوان ، ولا جرم أن لكل نبات نتائج من ثروته وحب ، أفلا يكون كذلك تربية عقولنا وتكون نتائجهما بحسب التربية الحاصلة فيها . فاذا كان الحنظل ينتج ثمرا مرّا . والعنب ينتج ثمرا لذيذا ، فلماذا لا تكون هكذا عقولنا والجنة والنار كالعنب والحنظل . وإذا كانت عقولنا مزروعة في أدمغتنا وهذه تربيتها فكيف تكون تربية بلاتيجة . هذا ما لا يكون فاذا تجردت أرواحنا من أجسامنا فانها لا تكون إلا في مرّا كزها التي تستحقها ، فهذا هو السبيل الطبيعي على الجنة والنار . الكلام على قوله تعالى « وأسريهم شورى بينهم »



- ١٠٩ لم تظهر الشورى في الأمم إلا بعد ظهور الاسلام . إن انكترا التي هي من الجنس (السكنى) من (برطانية) شمال غرب فرنسا جاءوا الى هذه الجزيرة وسموها (بريطانيا) وانتقلوا الى ايرلنده ثم دخلوا في الامبراطورية الرومانية ، ثم خرجت الرومان منها فدخل الانجليز والسكسون والجات وهم من شمالي ألمانيا في القرن الخامس والسادس المسيحي ، وأقلب الفاتكون عليهم وسموها (انجلند) فأغار عليهم (دوق نرمنديه) وصار ملكا عليهم . وظهر ماوك انكترا في فرنسا . ثم كانت حرب المائة سنة ، وبه خرجت انكترا من فرنسا في القرن الخامس عشر المسيحي ، ولما حكمت أسرة استيوارت ثار البرلمان على شارل الأول وأعدوه سنة ١٦٤٩ وأصبحت انكترا جمهورية ، ثم جعلوها ملكية مقيدة إذ عينوا شارل الثاني سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٨٥ فصارت ملكية مقيدة ، ثم ظهر (فلتير) و(روسو) في فرنسا ، وقد نشر الأخير العقد الاجتماعي ، وجاء بعده (مونتسكيو) ففتح أذهان الشعب وعرفهم الحرية التي يتمتع بها الانجليز ، وفصل القوى التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وثارت الأمة وهدمت حصن الباستيل يوم ١٤ يوليو وازداد الجوع وساء ظن الفرنسيين بملكهم لويس وحكموا عليه بالقتل واندوه سنة ١٧٩٣ م ثم صارت جمهورية ولكن تولي نابليون العرش سنة ١٨٠٤
- ١١٢ خطاب المؤلف لله عز وجل يشكو ضعف هذا الانسان ، وخطابه للأمم الاسلام يقول لهم : « إن انكترا فعلت مع شارل الأول ، وفرنسا فعلت مع لويس السادس عشر نص ما قاله عمر : من رأى منكم في أعوجاجا فليقومني ، عمر الذي كان ثوبه مرقعا ١٤ رقعة ، ليصلح كل مسلم أهل قريته ، ويخاطب أمراء الاسلام يقول لهم : علموا الشعب كما فعل امبراطور اليابان إذ علم الأمة وقد حفظت جيله . إن جهل الشعوب يضر الأمم ويضر الملوك
- ١١٥ موازنة بين سيرة عمر وجمهورية أفلاطون وتطبيق نظام الأمم الهربية والشرقية والفرنجية عليها . تقسيم الحكومة الى خمسة أقسام : اروستقراطية ، وديموقراطية ، وديموقراطية ، واستبدادية . فالاولى هم الفلاسفة ، والثانية الجند ، والثالثة أصحاب المال ، والرابعة اعموم الشعب ، والخامسة للمستبد الظالم . وقد أدهش المؤلف ما رأى من أن تعاليم الجمهورية جاء نظيرها على يد عمر وهو لم يعرفها ولم يقرأها ولكنه استنتجها من القرآن
- ١١٧ يحمد المؤلف ربه إذ عرفه دام الاسلام ودواؤه ، وقال : يجب أن يكون للأمة مجلس شورى والملك منفذ ، وبيت الملك أولى بالأمانة بشرط أن يكون مقيدا ، ومتى كان كذلك فلا ضرر على الأمة منه ، فإذا لم يكن بيت ملك فليكن بالانتخاب ، وليكن خليفة الاسلام بالاقتراع بين أمراء الاسلام وتكون له مدة معينة ، ويجوز تجديد لها ، وهنا حديث دار بين المؤلف وبين شيخ طريقة حكم أتباعه في الصعيد ومنعهم من المعاصي بوجههم انه مطلع على أسرارهم ، وهذا ضار ونافع لأنه لا ينفع إلا عند جهل الأمة وهذه طرائق كجمل السامري
- ١١٩ بيان العدل العام في السموات والأرض وأن العدل والجمال يرجعان لشيء واحد ومقياس جسم الانسان والموسيقى يثبتان ذلك وكل هذه العوالم موزونة ولكن الانسان لم يقدر على مجازاة العدل والجمال في هذه العوالم ولم يصل لعدل النحل والنمل والأرض في رعيته فأمر رسوله بالشورى واستشار صلوات الله وسلامه عليه أصحابه يوم أحد واتبع آراءهم فخرج وكان من رأيه هو أن لا يخرج ولكنه اتبع الشورى :
- ( ١ ) ولم يأخذ من بيت المال عمر درهما إلا باستشارة أصحابه
- ( ٢ ) وما أдал عمر بين بردين ، ولا جمع بين أدمين ، حتى لقي الله

( ٣ ) ضرب رجلا بالهرة لما ألح عليه ثم طابه وقال له اقتصر مني واضربني كما ضربت بك فساحه الرجل

( ٤ ) وقضية القبطى مع ابن عمرو بن العاص معلومة  
( ٥ ) كان شقيقا على أهل النمة ، ورأى شيخا ذميا يسأل الناس لجعل له رزقا من بيت المال  
( ٦ ) أمر العمال أن لا يمسكوا الجند أكثر من أربعة أشهر  
( ٧ ) شرط على العمال أن لا يركبوا برذونا ، ولا يأكلوا نقيما ، ولا يلبسوا رقيقا ، ولا يغلقوا أبوابهم دون الناس

( ٨ ) شاطر سعد بن أبي وقاص على ماله وأبا هريرة  
( ٩ ) كان يريد أن يأخذ فضل الأغنياء فيصرفه على الفقراء  
( ١٠ ) حرّم ضرب الأجسام  
( ١١ ) وشرط أن يكون العامل رقيق القلب  
( ١٢ ) حكاية عمر مع جبلة بن الأيهم ملك غسان إذ لم يفرق في العدل بين الأمير والعمالوك  
( ١٣ ) عزل سعد بن أبي وقاص بمجرد شكوى لم تثبت خيفة العاقبة  
( ١٤ ) أمر العمال أن لا يفرقوا بين الضعفاء والأقوياء ، والعبيد والسادة  
( ١٥ ) أمر العمال أن تكون منازلهم قريبة ليسهل الوصول إليها  
( ١٦ ) حرّم في خطبته الضرب

( ١٧ ) لما حضر الموت سلمان الفارسي عامل عمر على المدائن ( وكان يأكل خبز الشمير ويركب الجار بغير إكاف ) بكى وقال : إن النبي ﷺ قال : إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون ، فنظروا فلم يجدوا إلا دواة وركوة ومطهرة

١٢٧ خاطب المؤلف المسلمين يقول لهم : « ارجعوا الى نفس النبوة فادرسوها درسا مفصلا ، قد مضى عمر بالمسلمين أن يكونوا تحت إمرة من يتولى الخلافة بحق النسب خيفة أن تترك الشورى سدى ، وقد حصل ما كان يخافه ﷺ في خلافة بنى أمية وبنى العباس ، عرف المسلمون نعمة الشورى في زمن النبوة وخلافة أبي بكر وعمر فقتلوا عثمان بسبب ضئيل جدا لم يبلغ عشر معشار ما حل بالفرنسيين والانجليز والألمان لما قاوموا ملوكهم

١٢٨ جمال الحكمة والعلم في آية الشورى وآية : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » إن من تفسير القربى قولاً يفسرها بالتقرب الى الله تعالى كآية « إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا » ولقد تعالى الناس في اعظام الصالحين وبعض أرباب النسب حتى أضاعوا الشورى ، وأنت يا الله تقول « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، اللهم إن الأمانة لا تجوز إلا بالكفاءة ، وأكرام آل البيت لا يختلف فيه اثنان ، ولكن ليس معناه أن نولى أحدهم الولاية وغيره أنفع للأمة منه ، أو ننذر لهم النذور ، ولقد تطابقت آراء العلماء والصلحاء على ذلك ، وقد قالوا : إن أسباب الانقطاع عن الله :

- ( ١ ) الهدية للصالحين دون وجه الله
- ( ٢ ) التوسل الى الصالحين بالله
- ( ٣ ) زيارة الصالحين وعليهم صلوات
- ( ٤ ) خوفهم من الظالم على العمر وعلى الرزق



- (٥) الطمع في الظالم
- (٦) النصرة للكافرين
- (٧) عدم النصيحة للمسلمين
- (٨) استجداء التعب في طلب الدنيا
- (٩) طلب الدنيا بما ذموا هون منها
- (١٠) أن يعمل العبد بقصد رحمة لا بقصد الله الكريم
- (١١) المعاصي في نحو المساجد
- (١٢) اللواط
- (١٣) ضرب الرجل امرأته
- (١٤) المنة على العيال
- (١٥) الحسد
- (١٦) الاقدام على المعصية مع معرفتها
- (١٧) جمع الدنيا من الحرام
- (١٨) عقوق الوالدين
- (١٩) مخالطة المحجوبين
- (٢٠) التفريق بين الخلفاء الأربعة

١٣٢ من فراسة عمر رضي الله عنه انه قال لابن عباس : إني أخشى أن استعملتك أن تستعملني النفي على التأويل « واعلموا أنما غنمتم من شيء » الآية ، وقد حصل ذلك فعلا أيام علي رضي الله عنه لما استعمله ، وقد منع صلى الله عليه وسلم قرابته أن يعملوا له عملا في حياته لئلا تتحدثهم أنفسهم بالامارة ، وطلب العباس إمارة من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرض بذلك ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى »

١٣٣ الحياة النيابية في أفغانستان ، وخطاب الملك نادر شاه يقول : « إنما المؤمنون اخوة ، وشكر الله على أن أمته بعافية ، وذكر انتشار الاسلام والشورى في أول الأمر وهناك لم يفرقوا بين المسلمين من حيث العشائر والقبائل والأهم ، والصفوف في الصلاة مثال من أمثلة المساواة ، وتأسف لأن المسلمين لا يعرفون المصلحين بل يقتلونهم ، ولا بد من وجود أصل ثابت لأفغانستان وهو مجلس الشورى (البرلمان)

١٣٧ ﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾ السورة مكتوبة مشككة كلها  
١٤٠ تفسير البسملة . الناس كلما اعتادوا شيئا جهلوا جلاله كالطعام وكالبسملة وكالشمس والقمر ، إن في سورة الزخرف ذكر الرحمة ثمان مرات (٢) على هيئة المصدر و (٦) بهيئة الصفة المشبهة ، فليكن البحث أولا في الماء كل والمشارب ، وأن الاكسوجين جزء من الماء بل هو الجزء المهم وهو نصف الأحجار وثلاثة أرباع الحيوان ، إذن الماء حين يغسل به البسلاط نقول الاكسوجين سائلا غسل الاكسوجين جامدا وهو أيضا في الهواء تنفس به ، إذن هو طعام وشراب ونفس (بالفتح) وغيرها والقناة الهضمية فرقت على مناطقها المراد العضوية التي لازلال فيها كالنشاء والسكر والكزيت والشحم فهذه دخلها الفحم ولازال فيها ، والمواد العضوية التي فيها الزلال كالقول والعدس والبسلة والقمح

والنرة ، وهناك مواد غير عضوية مثل كربونات الجير وفوسفات الجير في العظام ، فطعامنا مفرق على البر والبحر والانسان يجمعها وينزلها في القناة الهضمية ، فيجد كل طعام منطقة لهضمه ، فالناطق الأرضية تقابلها المناطق في أجسامنا للهضم ، وهذا الفهم الذي يكون في السكر والورق والريش والعظام واللحم والجلد والشمع والدهن والزيت له آثار وهي المادة السوداء ، وهو في الحجر وليس يخاو منه إلا الملح ، والفحم أمير والا كسوجين وزير ، والاوزوت في الهواء هو نفس المواد الزلائية الداخلة في اللحم والحبوب والبيض ، وإذا كانت الرجة ذكرت ثمان مرات فوق ما جاء بالبسملة و (٢) في البسملة فلا بد من فهم الرجة . ولا معنى للرجة إلا ما هو ثابت ، أما المتغير فهو مقدمة الرجة ، وههنا شرح للعقواس الخمس من اللس والدوق والشم والسبع والبصر ، وذكر (٢٦) حكمة في البصر ومنها طبقات العين ، وانها هي التي أمكنها أن تنظر الشمس ، ثم ان هذه كلها نعم متغيرة كالذي جاء في آية « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » الآية ، وههنا يقال ان العين ليست هي الشمس كما ان الانسان ليس هو الله ، فالعين فينا بالنسبة للشمس كأرواحنا بالنسبة لله ، إذن الحول والاتحاد خطأ فاحش ، فكل ما جاء في كتب الصوفية « كالفتوحات المكية » مما يؤهم خلاف ذلك يجب تأويله أو تركه ، وعلى الانسان أن يترقى من الأخص الى الأعم ، ومن المحسوسات الى المعقولات ، وهو عالم المثال ، وعالمنا متغير . وهذا كله كلام أفلاطون ، فرد عليه أرسطاطاليس بقوله : « ليس هناك إلا المادة والصورة » ، ورد عليه من بعده بأن في كلامه تناقضا ، ثم تركوا هذه المباحث ، وههنا ذكر المؤلف ملخص المقام كله وهو أن الجلال موضح في السجدة ، والطعام والشراب يظن الصبيان أنهم يعلمونهما ، ولكن الذي يفهم حقائقها هم العلماء ، والرجة ذكرت (٨) مرات في هذه السورة ولما أخذنا في تفصيل الرجة وجدنا أن الحاسة كلها كانت أقرب الى محسوسها كانت أخس ، فاللس أدناها والبصر أعلاها ، وهل بعد الضوء المبصر إلا عالم العقل وهو الدائم وهو المشرف على جميع الوجود لأن الموجود كلها كان أبعد عن المادة كان أبقي وأدوم ، ثم جاء قوم وقالوا : « ليس هناك عالم مثال ، بل المدار على المادة » ، وبعد ذلك اعترض قوم على هذه الأقوال ، وملخص ذلك كله أن سعادة أهل الأرض لا تكون بالانغماس في الشهوات ، وسنحقق هذا المقام في « سورة القتال » بعد هذا أمكن فهم الآيات مثل : « وإذا بشر أحدهم الخ » ، وههنا محاورات فلسفية يونانية ، وثابت أن هذه السورة مفسرة قبل نزولها بالفلسفة

١٥٢ ﴿ مقاصد السورة ﴾ - ذكر هنا (١٨) مقصدا ولكل مقصد آية من السورة

١٥٣ التفسير اللفظي من أول السورة الى قوله « ويحسبون أنهم مهتدون »

١٥٦ الكلام على المقاصد من العاشر الى الثالث عشر من قوله « إذا جاءنا » الى قوله « ومثلا للآخرين »

١٥٨ ذكر المقاصد من ١٤ الى ١٨ وهي الأخيرة من قوله « ولما ضرب ابن مريم مثلا » الى آخر السورة

١٦٠ حيوان ذرى يدير دولابا

١٦١ في هذه السورة سبع لطائف ، اللطيفة الأولى والثانية ، ما تشير اليه (حم) من الحمد يرجع في نهايته الى العلوم الطبيعية والفلسفية وكل ما هو دليل على جمال الصنع الإلهي

١٦٢ بيان أن أبناء العرب خصوصا اليوم مسؤولون عن القرآن ونشره ، ولن يتم لهم ذلك إلا بقراءة علوم الأمم كلها ودرس لغاتها ، ثم تفهيم الأمم دين الاسلام بالحسنى والمودة عملا بقوله تعالى هنا « وسوف تسألون » . وقد قال الأورد هيدلي للمؤلف : « إن كثيرا من الانجليز يحبون أن يساءوا ، ولكن لا يجدون



لا يجدون من يعتمدون عليهم من علماء الاسلام حتى يحتاجوا بهم عند عشيئتهم . إن أبناء العرب والمسلمين اليوم يحملون القرآن ، وأوروبا قد درست بعض العلوم ، فليس كل عمل في رقي الانسانية . وهذا وذلك في الحقيقة متعقدان ، وهذا يوافق آية « ليظهره على الدين كله » . ألم تر أن بابا رومه كان يستعبد مارك أوروبا ، ويمسكون ركابه اذا ركب ، ويحرق بالنار مخالفيه ، وألزم أمبراطور ألمانيا أن يتقف حافيا على بابه ثلاثة أيام ليفخر له ، ورفس صرة برجله ملك بسمانيا

١٦٤ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى « إنا وجدنا آباءنا على أمة » وبيان أن هذا النوع الانساني ابتلى بالتقليد والاتباع بلا عقل ، وهذه الآية تلزم كل من له ذكاء في الاسلام أن يفكر في الدين وارتقاء الأمم الإسلامية

اللطيفة الرابعة في قوله تعالى « قالوا هذا سحر » الى قوله « فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ » ١٦٥ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى « حتى اذا جاءنا » الى قوله « إلا المتقين » وبيان ما معنى الحب في الله ، وكيف يكذب من يظن أن معنى الحب لله أن لا يكون له سبب بل سبب حب الله كل طاعة وما يقرب منها وابطالها تميز الأشياء

١٦٧ اللطيفة السادسة في قوله تعالى « وانه لعلم للساعة » وأن هذه الآية لا تدل على نزول المسيح إلا على وجه من ثلاثة وجوه ، فدلائلها غير قطعية ، وبيان الأحاديث المروية في المهدي المطعون فيها والمسيح وآراء الصوفية في ذلك وفي غيره ، وكيف كانوا قديما لا يتكلمون في المهدي ، ثم اقتبس المتأخرون منهم القول بالحلل والوحدة من الامامية والرافضة القائلين بألوهية الأئمة وحاول الاله فيهم وقالوا بالقطب والابدال والنقباء ، وأشربوا أقوال الشيعة فقرءوا كتب الاسماعيلية وفيها الكلام على المهدي المنتظر وأن هذه كلها آراء وهمية كالذي ظهر في كتب ابن العربي من تحديد زمنه فظهر خطؤه ، وههنا تأسف المؤلف على هذه الأمة المسكينة التي تطرق الوهم الى أكابرها وعظمائها وأجلاتها الأعلام ، وبيان رأى ابن خلدون أن المهدي لن يقوم إلا بعصبة وعصبة قریش قد ذهبت كأمس الدابر ، وانه اذا صح فأنما يكون ذلك فيمن لهم اليوم عصبة كبنی الحسن الخ ، فأما قيام رجل يدعى المهدي ولا عصبة فذلك لا بقاء له ، وبيان رأى المؤلف وهو أن المسلمين عليهم أمر واحد وهو أنهم يجتدون من الآن في ترقية التعليم في الأمم الإسلامية وتعليم كل ذكر وكل أنثى بالتدريج ، فههنا نعم الهداية ونعم الرحمة العيسوية ، فاذا نزل المسيح أو المهدي أو غيرهما وجد الأمم مستعدة لفهم روحه ، إن المسيح أو المهدي لن يقلب طباع الأمم في بضع سنين . كلا . فلنقلب نحن طباع الأمم ليعم السلام ، لأننا معاشر المسلمين خلقنا رحمة للعالمين تبع رسولنا ﷺ ولن تكون رحمة عامة إلا بذلك ، وهذا هو الحق الصراح ، فأما أن ننام نحن الآن لننتظر من يأتي بعد آلاف السنين ويربي جيلا هناك فهذا خور في العزائم وجهل بالدين والقرآن ، وهنا ذكر المؤلف أن الأمم الإسلامية يجب على قادتها أن يوجهوا همهم الى التعليم العام ومعرفة هذا الوجود ، ومتى عرفوا الحقائق زال الاشكال ، وهذا هو الذي يوجب اتحاد المسلمين ، ومنع المؤلف الأمم الإسلامية من المناقشات في المذاهب المختلفة من سنية وشيعة وزيدية ونحوها ، فليترك لكل امرئ ما اعتقده ، ولتوجه القلوب لغرض واحد عام

١٦٩ اللطيفة السابعة في قوله تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم » وبيان أن النصارى منهم ملكانية يعتقدون بالتثليث ، ونسطورية يقولون باشراف الكلمة على جسد عيسى الخ ، ويعقوبية يقولون : « انقلبت الكلمة لحما ودما الخ » . الملكانية هم الكاثوليكية ، والقسمان الآخران ليسا في أوروبا

ورئيس السكاتوايكية البابا الذي أذل ملوك أوروبا قديما وأنكره (البروتستانت) الذين يخالفون فيه كما يخالفون في كيفية العيام فلا يمنعون إلا أكل اللحم وما تولد منه ، وهناك طائفة (الاورثودكس) بالروسيا ، وهناك فرقة اسمها (اللاتينية) ، وهناك ذكر تاريخ أم أوروبا في المسيحية الذي تقدم بأوضح من هذا في «آل عمران»

١٧١ اللطائف العامة للسورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى : «إنا جعلناه قرآنا عربيا» مع آية «وانه لذكر لك ولقومك» ، وههنا مقامان : الأول في غريب القرآن ، والثاني في الكلام على الأم العربية ، والمقام الأول جاء فيه أحاديث وآثار للحض على معرفته ، وفيه ذكر ما توقف فيه عمر رضى الله عنه وأكابر الصحابة ، وإسهاب الكلام على ما روى عن ابن عباس من تفسير غرائب القرآن كلها . وقد جاء هنا منها كثير من قوله «يؤمنون» أى يصدقون الى قوله «حما مسنون» طين رطب ، وقد أحال المؤلف من أراد الاطلاع على الباقي منه على كتاب «الاتقان» في علوم القرآن وهكذا ذكر المؤلف الأشعار المروية عن ابن عباس شواهد على كلمات في القرآن مثل تفسير الوسيلة بالحاجة وشاهدها قول عنتره \* إن الرجال الخ \* . وههنا ذكر (١٠) أبيات من نحو (١٥٠) بيت وأحال القارئ على كتاب الاتقان المذكور

١٧٥ الكلام على نفس الأمة العربية التي اختارها الله بما فيها من المزايا وصفات الشهامة لفكر دينه ، وكيف اضمحل بعد ذلك ، وأصبحت متفرقة ، فهي في شرفها لا تضارعها أمة ، وفي ذلها كذلك لتفرقها تفرقا معيبا

١٧٦ محاوره بين المؤلف وبين المرحوم لطيف باشا سايم ، وقول الثاني : «ان الأمة المصرية لن ترقى لأنها لم تقتبس من الأمم شيئا» ، وقول الأول : كلا . ان آراء مصطفى باشا كامل التي كانت تنشر في جريدة اللواء غيرت آراء تلاميذ المدارس فعرفوا معنى الوطنية ، ونسبتهم الى تلك المعرفة تقرب بعض القرب من نسبة معرفة العرب الجاهلة للاجتماع إذ جاءهم الدين ، وهذا الشعب العربي كله مامنعه من الرقي إلا انه لم يتعلم وسيرتقى الآن ، وظهر صدق قول المؤلف بظهور أحزاب بمصر كالحزب الوطنى والوفد والأحرار الدستوريين : وهكذا جمعيات الشبان المسلمين ، وظهرت أيضا في سوريا وفلسطين والعراق جمعيات ونابغون ، إذن صدقت دراسة المؤلف ، وههنا حكم المؤلف بأن رقى هذه الأمم اليوم ابتداء فعلا ، وعقد لذلك سبعة فصول : الفصل الأول في المدنية العربية في نهضة أوروبا ، وأن برتسوا العالم الفرنسى الكيمائى لفت أوروبا الى وجوب معرفة تاريخ العلوم وانه عقد مؤتمر في هذه السنة بباريس حضره علماء الأمم حتم معرفة تاريخ الأمة العربية لهذا الغرض ، ولقد ألقى (سفرىست) العلامة في الطب محاضرة في الحلقة التي أقيمت بألمانيا على مضى ألف سنة على الطب العربى ودهش من الجدة وحب البحث المجرد عن الغرض والتحمس للعلم

١٨١ أثر الطب العربى . وانه انما ظهر واتسع في عهد الدولة العباسية لاسيما في عهد المأمون ، وظهر نابغون في القرن العاشر الميلادى فيه منهم الرازى في آسيا ، وابن الجزار في افريقيا بالقيروان ، والزهرائى بالأندلس ، وللرازى مائة كتاب في علوم مختلفة ، وههنا جاء ذكر ابن سينا واهتمام أوروبا بعلمه ، ونقلت كتبه الى اللاتينية

١٨٣ الفصل الثانى في أسرار قوله تعالى : «وسوف تسألون» وأن هذه الأمة قد عوقبت بما أهملت ، وذلك ظاهر فيما كتبه الأمير شكيب أرسلان في رحلة الأندلس ، وكيف رأى المآذن لاتزال كما هي



أيام العرب ، ولسكنها جعل فيها نواقيس السكناس التي حوّلت اليها تلك المساجد ، وأبان أن المدن العظيمة العربية هناك أصبحت اليوم قرى صغيرة ، وخمس بالذكر (طليطلة) التي دلّ أخذ الازدفونش لها ، وهو طاغية (قشتالة) الذي اتمز فرصة اختلاف ملوك الطوائف ، والتجأ القادر بن ذي النون له ليعاونه في توطيد سلطته في طليطلة فاحتلها ، وبذلك ابتدأ انهيار ملك العرب من بلاد الأندلس ، وقد عوضه بلادا غيرها ، وهذه هي المقالة الأولى من الفصل الثاني

١٨٥ المقالة الثانية : ان الازدفونش المذكور أخذ قرطبة وأشبيلية له ، ولكن بعد ذلك أغاث الرابطون والموحدون من أفر يقية ملوك الأندلس ، ولشدة اختلاف ملوك الطوائف استفاد المهلاء بابن ناشفين إذ أراد الرجوع الى افر يقية بعد واقعة الزلاقة المشهورة ، وأفتوا بأنه يجب أن يجعل البلاد تحت حكمه وقد حصل ذلك ، وههنا اسقبان السبب في ضياع ملك العرب وهوانهم جميعا يحبون أن يكونوا ملوكا فيملكهم الأجانب

١٨٦ المقالة الثالثة : في بيان أن الجامعة الاسلامية ليست بالمعنى الذي يظنه الاوروبيون ولم يكن هناك التثام حقيقى إلا أيام الخلفاء ثم جاء الانشقاق ، ومن عجب أن الأمم المسيحية أيام الحروب الصليبية اتحدت اتحادا أكثر من اتحاد المسلمين لأنهم قاموا باحدى عشرة حملة صليبية ولم يقاتلهم إلا المصريون والسوريون وسكان ما بين النهرين ، ولم يجب دعوة صلاح الدين مساهموا فر يقية ، إذن تضامن المسلمين كان جزئيا كتضامن أهل افر يقيا والأندلس إزاء الأمم المسيحية

١٨٩ الفصل الثالث في أن القرآن ذكر للمسلمين عموما وللعرب خصوصا ، وبيان أن المؤلف رأى في صفه الظلم مجسما في القرى المصرية وفي الحكومة ، ولكن الأحوال أخذت ترتقى حتى ظهر العدل وأثب هذه الكتب وبحث مع العقلاء في أمم الاسلام ، وظهرت جمعيات في مصر وغيرها وما هوذا (السكتن غوردون) كتب مقالين أظهر فيهما أن انكلترا وفرنسا لشرهما ستنحل معاكهما كالمملكة الرومانية فيجب ترك بلاد العرب ، وتخرج انكلترا وفرنسا معا من سورية وفلسطين ، وعلى أبناء العرب أن يظهروا مقدرتهم ، ويضبطوا بلادهم كما فعل آباؤهم في القرون الأولى ، ويجب أن يصدق الانجليز والفرنسيون مع الأمم العربية ويتركوا التعامل بحماية الاقليات المسيحية واليهودية ، فهذه البلاد لم تكن الاقليات فيها مهددة ، ولكن أمم أوروبا تتخذ تلك الاقليات ساعا للتدخل في شؤون البلاد ، واقترح أن يعقد مؤتمر في القاهرة دائم ، أوفى جسدته ، أو الشام ، ويوجب ذلك المؤتمر أن يتعلم العرب في مدة (١٥) عاما فيتم التعاون بين هذه البلاد وتخرج انكلترا منها وتكون صديقة للأمم مخلصه ويقلّ تحملها النفقات الباهظة ، ولن يتم هذا إلا بمساعدة انكلترا للعرب في ذلك ، إن تاريخ الأمم العربية يشهد أنهم أهل لحفظ بلادهم ، وهؤلاء المهاجرون السوريون لهم مقام رفيع في نيويورك وبوس وغيرها ، وقد كان آباؤهم مؤسسى دولة عظيمة ، وكان في وسع التاجر أن يتجول من البصرة الى دمشق مثقلا بالسلع ولا يعتدى عليه أحد . وفي عام ٩٨٠ م كان المسافر يقطع الشقة بين المهديّة والقاهرة بلا خوف ولا وجل من قطاع الطرق ، فلاحجة لمن يقول لهم ليسوا أهلا لحفظ بلادهم

١٩٣ الفصل الرابع : التنافس الدولي ونصيب العرب منه ، وفيه بيان أن الشعب العربي الذي يسكن من خليج الاسكندرونه الى مضيق جبل طارق مقسم بين ايطاليا وفرنسا وانكلترا . ولما كان التنافس بين الافراد يوجب الضغائن ، هكذا يكون التنافس بين الأمم . إن التنافس بين روسيا وانكلترا هو الذي أبقي الاستانة الى الآن في يد الترك ، وأبقى الدولة العثمانية الى أجل قريب ، وهذه ألمانيا

لا يهجمها استيلاء هذه الأمم الثلاث على العرب . كان العرب يحكموا عليهم بالفناء ، ولكن نهضة حديثة ظهرت اليوم لهم ، وقد كان لهم اجتماع عظيم في (برلين) للاحتجاج على مرور مائة عام على احتلال الجزائر ، وسيكون نتائج ذلك خلق اتحاد عربي ، وههنا وجب ذكر الجمع النسائي العربي الذي أنشئ سنة ١٩٢٩ في بيروت وفيه أن النساء العربيات من بلاد العراق الى داخل السودان ومن طنجة الى الموصل كاهن أصبحن مطالبات بالرقى العام للأمم العرب خصوصا النساء

١٩٥ الفصل الخامس : في الكلام على الوطن اليهودي بفلسطين ودفاع محمد علي باشا المصري أمام اللجنة الدولية ، وبيان أن الأمة الفلسطينية لم تعترف بالوطن اليهودي ، وأن النزاع فيها لا يرفع الى أوروبا بل للشريعة الإسلامية ، وأن اليهود كانوا مطرودين من كل مكان والذي آواهم انما هم المسلمون قديما ، وأن استئثار هذه المسألة يحدث مطاردتهم في كل مكان ، وأن المسيحيين باختلافهم في أماكن عبادتهم ظهرت فيهم آثار سيئة ، فبالأولى الاختلاف هنا ، وبيان أن أغنياء اليهود قد اشتروا أرض العرب الفقراء ، فيجب على المسلمين أن يحفظوا أرضهم ، وأن المصريين يجب عليهم أن يتولوا قيادة العرب

١٩٨ وههنا ذكر أمر عظيم لمناسبة آية « وانه لذكر لك ولقومك » بل هو من أعظم المعجزات في زماننا وهو دفن محمد علي المجاهد الهندي في فلسطين ، وهذا الحادث لم نعهد له نظيرا في اتحاد المسلمين ، فههنا (٧٠) مليوناً من الهنود ، ومثلهم من العرب بسبب هذا القبرسيته بدون معا في مواجهة الخطر الأوروبي الذي استعمل أن يعطى اليهود وطناً قومياً في فلسطين ، وقد شيع جنازة الفقيد نحو (٢٠٠) ألف ومائة ألف يشهدون الصلاة ، وقال أخوه الاستاذ شوكت : نحن معاشرا الهنود المسلمين مدينون للعرب كافة بإسلامهم ومدنيتهم « فهذا القول جاء خير تفسير لآية « وانه لذكر لك ولقومك »

٢٠٠ ههنا صورة النعش والمشييعين (شكل ٨ و ٩)

٢٠٢ بيان أن موت هذا الزعيم في نظر أخيه يحلّ مشا كل الهند ، وههنا اعتراض على المؤلف في وضع هاتين الصورتين على غير عادته ، وجوابه أن هذا لاظهار معجزة لم تظهر إلا في زماننا ، ولم نر للمسلمين اتحاداً مثل ما نراه في زماننا ، فالترك ضربوا العرب ، وقدماء الفرس أحدثوا رجة سياسية أطارت نوم العرب وفي الحروب الصليبية لم يتحد إذ ذاك إلا أهل مصر وسوريا والعراق وبقية المسلمين كانوا نائمين نوما عميقاً

٢٠٣ نداء الى ملوك الاسلام وشعوبه جميعاً بأن الفرنسيين قد اعتدوا على دين الاسلام وأخذوا ينصرون البربر وهم (٧) ملايين ، وقد أبطلوا العبادات والقرآن ، وجعلوا قانونهم هو القانون القديم البربري القائل بأن المرأة متاع للرجل وله أن يتزوج منهنّ ماشاء بلا عدد ، وبيان أن المسلم الذي يرضى بارتداد مسلم كافر أيضاً ، وإعلان فرنسا أن المسلمين يجاهرونها بالعداء اذا دامت على ذلك لأن الاسلام لم يمت ومثل ما حدث بمراكش حصل بتونس فان الحكومة الفرنسية قررت مليونين من الميزانية التونسية وخمسة ملايين من ادارة الأشغال العامة وهكذا مبالغ غيرها لتعطيتها لرهبان ينصرون المسلمين ، ومن المحزن أن الباي نفسه وشيخ الاسلام والمفتى والوزراء وغيرهم جعلوا أعضاء في هذا العدوان ، وقررت الأمة الاضراب عن العمل وأظاهروا ، وتدخل الجند ، وحصل هرج وصرع كثير

٢٠٦ الكلام على آية : « والذي نزل من السماء ماء بقدر » وبيان أن العلوم كالمخازن ، وأن التفسير وظيفته أن يأخذ من تلك المخازن ما يغذي الناس على مقتضى الآيات ، وأن تكرار الآيات في سور مختلفات في



موضوع واحد يقصد به أن تنوع العلوم بتنوع تلك الآيات ، وذلك التنوع هو الذي يثير في النفوس الرغبة وانسراح الصدور

٢٠٧ تقدم الكلام على جذور النبات في سورة النمل ورسم بعض أشكالها هناك ، فلنذكر هنا الجذور التي لم تنشأ من الجذر الأصلي بل من الساق وهي الجذور العرضية (شكل ١٠) للشليك وكالفرة والقاصح لأنها عارضة ، ولذلك يستعمل ترقيد النبات لأجل أن يكثر المحصول (شكل ١١) وقد تكون الجذور هوائية (شكل ١٢) في الفيكوس البنغالي

٢٠٨ إن اتجاه الجذر دائما يكون إلى أسفل تجربة (شكل ١٣) بادرة معكوسة ، وتجربة الاصيل المنكس (شكل ١٥) وههنا بيان (شكل ١٦) لانتشار الغشائي ، وذلك أن أنبوبة مسدودة بمثانة فيها ماء محلول فيه سكر يحيط بها ماء نقي ، فهذه المثانة سمحت للماء الخارج أن يدخلها فيرتفع إلى أعلى وللماء الداخل فيها الذي ذاب فيه السكر أن يتسرب إلى ماحولها ، وهذه العملية بعينها هي التي تكون في النبات فهو يسمح لماحوله أن يرتفع فيه كما يرتفع في الأنبوبة ولكنه يأخذ ولا يعطي بعكس الأنبوبة والمثانة

٢٠٩ ههنا شكل ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ لاثبات ارتفاع العصارة في النبات إلى أعلى ، ومن عجب أن الجذور تذيب المواد الصلبة (شكل ١٨) فقد حطت الرمل ، والجذر يثبت النبات في الأرض بالمنطقة القريبة منها ويتنفس في الأرض وحريتها يعين على ذلك ، وموازنة الجذر في إفرازه بما يفعله الانسان في هضم الطعام . الجذور تهدم المنازل بإفراز السوائل ، فأما الثلج فتكسیره الجبال يكون بالضغط ، وهذا درس للناس ، فالأثم الضاغطة على الأثم كالشاج تسخرها تسخيراً مادياً والأثم الراقية تعلمها كما هو شأن الجذور ، والماء كالأثم العاقلة والثلج كغيرها . والشكل الثالث وهو (١٩) لورقات الترمس لأنها تنام ليلاً وتنتيقظ نهاراً . وفي (شكل ٢٠) هيئة الانتفاخ المحرك للأوراق فيدفع الماء الورقة للحركة بنزوله فيها وتنقبض إذا قلّ اندفاعه ، وللضوء تأثير في الماء شدة وضهاف ، والنباتات المستحسية تهيجها الملامسة فهي كالحيوان ، وهناك حركات ذاتية (شكل ٢١) فيه ورقنا القاعدة تتحركان وتتمان الدورة في مدة من دقيقتين إلى خمس دقائق

٢١١ الورق في زمن الخريف يصفر ، وذلك لأن هناك طبقة من الفلين تدخل قبل سقوط الورقة في قاعدتها فتساعد على عدم وصول العصارة إليها وعلى سقوطها ، وقبل السقوط أيضا يتكون برعم يسكن مدة الشتاء وينمو في الربيع وهذه أوراق متجددة كما في الشمس ، وهناك دائمات الأوراق كالصنوبر واليوكالبتس

٢١٢ بهجة العلم في آية : « والذي نزل من السماء ماء بقدر » وانه أربعة فصول : أولها ان النبات موزع على الماء وعلى الصخر والبلاد الحارة والباردة الخ وههنا خاطبت الشمس الأرض قائلة : اذهبي الى مدارك وأنا أرسل زوجك وهو الضوء اليك ، وستلدين ذرية وهم أبناء آدم المطرودين من الجنة ، نفذي المغنسيوم والكبريت والفوسفور والحديد والسكرور لاصلاح العضلات والدم والمخ واهرار الدم وهضم الطعام . فهذا هو الجهاز أخذته الأرض لتهيا للزوجه . والفصل الثاني في تقسيم النبات على الفصول فأكثر في زمن الربيع والخطة وما عطف عليها في زمن الخريف وهكذا . والفصل الثالث في تقسيمه على حيوان ، فالأزهار للنظر ، والروائح للشم ، وحركاته للأذن ، وطعمه للذوق ، واعوامة القطن مثلاً للس

٢١٥ الفصل الرابع في تقسيمه على منافع الانسان ، فهو فاكهة ودواء ، إما عام كالصفصاف إذ هو يمنع الحى

إذا غلى أوقيتان منه في رطل ماء وشربا ، وكالكافور إذ يمنع الأمراض العصبية التي تجعله لا يحس (وهو المفترت) فيستعمل له التفريح ويسحق الكافور له ابرش على فرشته ليمنع القشنج وينع الاستمناء باليد ومغلى قشر الباطون ورق الحور أو الزيتون مثل الصفا ، ثم ان الجلد والأعصاب والخوف ومرض الكاية والكبد والنزلة المعوية ينفعها ما يأتي على الترتيب أكل الجزر والخس والبرتقال والبقدونس والطماطم والقرلة ، وهكذا الخل والماء لضربة الشمس ، وعصير الليمون للدفتريا ، ومسحوق الطباشير مع لبن البقر لمنع اسهال الطفل ، وبزر الخلة لوجع الشقة

٢١٦ بيان أن هذه الأمثلة مقدمات أساسية ذكره من أن هذه العوالم حولنا أشبه بالروايات والقصص كقصة مدينة النحاس التي كان فيها صور مصنوعة بالحكمة ، وحولها السيف الذي يقتل من يقرب منها وكقصة فرعون ملك مصر الذي رأى صورة ابنة الجان فيهام بها وساح لأجلها في الشرق وعان الموت ثم عثر عليها ونزوحها ، هكذا نذكر هنا أن حمامتين جراء وبيضاء ارتفعتا فوق الجوّ وهناك عجلات تجري فيه وقرب خرجت من البحر فالتحمت مع العجلات ، وهناك في الأرض تماثيل من الطين . وبسبب الحمامتين وضعت هذه الصور ونطقت ، وهناك نمل كثير وضعت ما يشبه الحصى والرمل وقد ارتفع فرقهما ما يشبه القصور الخضراء فيها مخازن ، وهناك صورة جبل همالايا تخرج أصوات من أعضائها وجاء النمل فأخذ من تلك المخازن ووضعها على مواضع الأصوات في تلك الصورة الهائلة فتقطع تلك الأصوات حالا أو بعد حين ، وتفسيره أن الحمامتين هما الحرارة والضوء والعربات الرياح وقرب الماء هي البخار وباجتماعهما يكون السحاب ، والحرارة والضوء بالخاصة على التربة يكون ظهور النبات والحيكل عظيم الجثة هو نوع الانسان ، والأصوات دلائل الأمراض الموزعات على الأجسام ، وطوائف النمل هم الأطباء ، وههنا ذكر أن النبات لو اختص بزمان لتعطل الناس ، أو بمكان لتعطل الأرض ، النبات (٢٥٠) ألف نوع موزعات على حاجات الحيوان والانسان عضوا عضوا ، والحرارة والضوء يساعدان المغنسيوم على منع الفتق بدخوله في الخيار ، والكبريت على منع الروماتيزم بدخوله في نخع الفجل ، والجير على شفاء الجروح بدخوله في نخع السكرن والفسفور وعلى تغذية النخ بدخوله في الخيار والجوز والحديد وعلى امرار الدم بدخوله في نخع السكرن ، والكلورين وعلى هضم الطعام بدخوله في نخع الجزر الخ

٢٢١ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « ومن يش عن ذكر الرحمن الخ » وذكر أن سعادة الجنات الحقيقية محصورة في الوقوف على الحقائق العالية ، وهذه لها مقدمة بذكر ثلاث مسائل حسابية وأخرى هندسية وهي تقسيم العدد بقسمين وتقسيمه بنصفين ثم العددان المجذوران على الولاء ومساواة زوايا المثلث لقائمتين ، وذكر أن مربع الوتر المقابل للزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين ، وذكر الزاويتين المساويتين لقائمتين

٢٢٢ وعلى مقتضى هذه المسائل الست الجزئية الرياضية يمكننا أن نعرف الحقائق الكلية اليقينية ، إن هذه القواعد تشتمل على مالا نهاية له من الأشكال والأعداد وهي معقولات بالبصائر والذي يحسن هو المعداد والألفاظ وما الأعداد والأشكال إلا صور في الذهن ، إن الذي في الذهن لا يتغير وما في الخارج متغير والنفس هي المدركة لتلك الحقائق ، ولتوضيح ذلك نقول :

(١) الشمس (٢) وشجرة الورد (٣) وصورتها (٤) والعين (٥) والقواعد العلمية (٦) والنفس (٧) والله (٨) وعالم المثال



إن (٧) و (٨) في نظير (١) و (٢) فكما صنع الله شجرة الورد بواسطة الشمس صنع هو نفسه بلا واسطة الكليات العقلية ، وكل هذا عرفته من آية « وجعلنا سراجا وهاجا » وأنا أصلى في السحر ، وههنا موازنة للمقول في استخراج المعقولات بحرارة الشمس تستخرج البخار ، وهذه النظرية نعرف بها أكثر أسرار القرآن مثل « أفتمارونه على ما يرى » ومثل « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ذلك لأنها من غير عالمنا ، وذكر اللات والعزى ضرب مثل للعالم المادى ، وآية « ومن يعيش عن ذكر الرحمن الخ » فالرحمن يشير للأمور الثابتة والشیطان للأمور التي لا ثبات لها وقد ظهر ذلك كله بابرهان

٢٢٥ يقول سقراط : « لا يقدر على معرفة ما لا يتغير إلا الفلاسفة ، وغيرهم تأثرون بين الصور ، فهم ليسوا فلاسفة ، والفلاسفة أحق بحفظ الممالك ، وغيرهم أشبه بالهميان ، إن الفلاسفة يتفردون الحقيقة كالمصور يتفرد الصور ، ومن أوصاف الفلاسفة أنهم يهيمون بسائر المعارف ليعرفوا حقيقة الوجود الخالد وهم لا يتركون فرعاً واحداً من العلم ، ومن صفاتهم الصدق من الصغر إذ لا يجتمع الكذب والفلسفة في عقل واحد ، والفيلسوف يحب اللذة العقلية لا غير ، ويكون عفيفاً ، ويترك الصفات الساقلة ، والوصفات الشائنة كالطمع والصغار ، ويكون شجاعاً ، ولا يبالي بالموت ، فهو ليس حادثاً صرّوعاً ، ولا تكون فيه عجرفة ولا سفالة ولا جبن ، ولا يكون صعب المراس معتدياً ، ويكون ذا عقل لطيف عادلاً سريع الذهن فيجمع في العلم سريعاً ، غير حليف للنسيان ، ويكون غرامه بالعلوم كغرام الشاب بمحبوبه فيقول في قصير الأنف انه جذاب ، وفي الأنف الأفتى انه بديع ، وفي المتوسط انه يجهل الوجه واسعا ، وهكذا يمدح أنواع الخربأى حال ، وهكذا المولعون بالسماع في جوقات الطرب ، وبالفنون الجميلة ، فهؤلاء كلهم فلاسفة زائفون ، وهم يعيشون في أحلام ، فليسوا أحياء ، وعقولهم نسميها عند التلطف بهم متوسطة

٢٢٨ وهنا أجاب من سمع كلام المؤلف قائلا : « انه فهم بهذا الشرح ما لم يفهمه من كلام أفلاطون »  
٢٢٩ اللطيفة الرابعة في آية « ادخلوا الجنة الخ » مع آيات أخرى وبيان الحكمة في اتباع وصف الجنة بأن فيها غرفا بالكلام على انزال الماء من السماء والينابيع ، وفي ذكر الأبل وخلقها والسماء ورفعها بعد السرر والأكواب والنمارق . الرجل بين امرأتين مريض ومشتهة ، وبيان الجلال والقدرة والعلم ، وأن الجلال والعشق في الأرض تمرين ومقدمات لذلك الجلال الأعلى

٢٣٠ ملخص من الأحاديث الواردة في صفة الجنة مثل اللبسات من الفضة والذهب والياقوت واللؤلؤ الخ  
٢٣١ كيف نهقل الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام في الجنة ، وبيان أن ذلك سهل لأن المشتري أكبر من أرضنا (١٣٠٠) مرة . وإذا فرضنا انه هو يسير حول كوكب الجوزاء الذي هو أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة لم يكف مائة سنة لسير الفارس تحت تلك الشجرة فكيف بها اذا كانت في نفس الجوزاء  
٢٣٢ بيان أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، وذكر الأنهار الأربعة في الجنة ، وأن المرأة فيها لو ظهرت في الدنيا لأضاءتها ، وساق الشجر من الذهب ، وسوار الرجل يطمس ضوء الشمس ، وأن الانسان لو اشتهى خيلاً أو إبلاً في الجنة أعطيها فهو يعطى ما يشاء ، وهنا بيان غناء الخور في الجنة « نحن الخالدات الخ » وذكر سوق الجنة وأن داخلها يزداد حسناً لأنه يعطى الصورة التي يمتناها

٢٣٣ بيان أن غرفهم ترى كالأكواب في السماء ، وانها ليست خاصة بالأنبياء ، وهم لا يبولون ولا يتغوطون الخ

ورشحهم المسك ، ومجاصهم أنواع العود ، وأول زمرة منهم على صورة القمر ، ومن بعدهم كالسكواكب  
الدرية سنهم ( ٣٠ سنة ) وآلئ تيجانهم تضيء ما بين المشرق والمغرب ، وهم جرد مرد ، والأرض  
تكون خبزة يوم القيامة نزلا لأهل الجنة ، وأدنى أهل الجنة منزلة من له ( ٨٠ ) ألف خادم و ٧٣  
زوجة ، والقبة المنصوبة للمؤمن من ثؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ، وأدنى أهل الجنة  
منزلة من ينظر إلى ما يملكه مسيرة ألف عام . وأعلى الجميع من ينظر ربه صباحا ومساء ، وهذا يملك مثل  
ملك من ملوك الأرض خمس صرات مضروبة في ( ١٠ )

٢٣٤ رؤية الله تعالى ، وبيان أن أهل الجنة يرون القمر ، وأهل الجنة لا يحبون شيئا أكثر من أن  
يروا ربهم

٢٣٥ الكلام على العلم المعقول بعد المسموع . وبيان أن السعادة الحقة في العلوم والمعارف ، وأن المؤلف لم  
يكن ليخطر بباله زمن الشباب أن الزنبور يصنع الورق ، والخلد يعرف الطقس ، والنحل مهندس ،  
والقلق يحكم بالمشاورة ، وعلق الأرض يسملها ويحرقها

٢٣٦ ( شكل ٢٢ ) وهي صورة الخلد في حفرة التي ارتقى فيها على الجند في حفر خنادقها ، وههنا وصف  
ذلك النفق بأن له شعوبا تشعب منه ، ثم هو يحفر حجرة مستديرة ، ويجعل حولها نفقين مستديرين  
أيضا متصلين بها ، وفي الحجرة ما يشبه السرير ، وبين كل باب من أبواب النفق وما يليه ( ٣٠ ) قدما  
وطول النفق من ( ٧ ) أمتار إلى ( ١٠ ) ومن العجب أن بعض الطيور يحفر نفقا في الأرض كالخطاف  
يحفر النفق على شاطئ البحر ويضع عشه فيه ، وهناك طائر يضع عشه في حفرة طولها متران أو أكثر  
وهكذا خطاف آخر ، وبعض العناكب تحفر أنفاقا ودهاليز ، ومنها ما يبني وكرا مبطنًا بنسيج حريري  
ويضع الحشائش حوله إضلالا للمارّة ( شكل ٢٣ ) نوع من الجنادب في حفرة يقطع جذور الأشجار  
من السرطان أنواع إذا قبست من حيث ماتحمله بالإنسان كان حمله يبلغ ( ٧٣٨ ) قنطارا ، وقوة  
الإنسان لو كانت بحسب قوة البق في الحل الحل ( ٢٣٠ ) عمودا من الخشب بحجم الإنسان

٢٣٨ عجائب العدد وأن ( ١١١ ) إذا قسم على ( ٣٧ ) كان الخارج ( ٣ ) وهكذا الأعداد بعده مثل ( ٢٢٢ )  
يكون الخارج مساويا ( ٦ ) وهكذا سائر أسماء غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان ، وأن هذا  
يوافق تاريخ الأمم الإسلامية لأنها فصل لها الدين فسكان الشورى ، هم أولعوا بالزخارف فهُو قُبوا  
بأهلك بأمثال الدخان فهُو وذلوا ، وهامهم أولاء الآن يريدون التخلص فيكون الفتح ثم الاتحاد ،  
٢٤٠ بيان أن الخلافة يجب أن تكون شورى بينهم ، فأما الخلافة السابقة فقد كانت تبع السيف ، وهذه  
طريق وعرة فليجتمع أمراء الإسلام ولينتخبوا منهم خليفة إما مدة حياته وإما لمدة معينة ، ولا يجوز  
أن يكون هذا ميراثا ، وقد دهش المؤلف إذ وجد أن القبط بمصر لهم رئيس ديني والمسلمون في جميع  
الأقطار ليس لهم ذلك ، وذلك لأنهم يختارونه بالانتخاب والمسلمون لم يفعلوا ذلك ، إن الخلافة شرف  
لاسلعة تباع وتشري والحمد لله رب العالمين



مطبوعات جديدة تطلب من مكتبتنا

---

الشيخة السليمانية

المسماة

إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون

للعلامة علي بن برهان الدين الكلبى الشافعى

(طبعة جديدة منقحة بتصحيحها بحرف جيل ونظام بديع على ورق جيد واقع في مجلدين كبار)

---

تقريب الاصول

لتسهيل الوصول

لمعرفة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

شيخ الاسلام ببلد الله الحرام . السيد أحمد زيني دحلان رحمه الله آمين

---

درة الناصحين

المحتوى على حكم باللغة في الوعظ والارشاد

جمع

العلامة الفاضل . الفهامة الكامل عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوى نفع الله به آمين

# فتح الباري

الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

افتخر اليمن بالجدال ، نادرة زمانه ، مفهم أخصامه ، غزير المادة قوى الحججة  
محيي السنة ، قامع البدعة ، رافع لواء العلم بين الأنام ، العلامة القاضي الحافظ الضابط  
المحدث المفسر الشهير .

## مجلد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني

صاحب (نيل الأوطار وغيره) المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ رحمه الله تعالى آمين  
القاتل في خطبته ، وصفا لتفسيره [ فهذا التفسير وإن كبر حجمه ، فقد كثر  
عامة ، وتوفر من التحقيق قسمه ، وأصاب غرض الحق سهمه ، واشتمل على  
ما في كتب التفسير من بدائع الفوائد ، مع زوائد فوائد ، وقواعد شوارد ، فإن  
أحببت أن تعتبر صحة هذا ، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة ، انظر تفاسير  
المعتمدين على الرواية ، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ، ثم انظر في هذا  
التفسير بعد النظرين ، فهند ذلك يسفر الصبح لدى عيني ، ويتبين لك أن هذا  
الكتاب ، هو لب الباب وعجب العجائب ، وذخيرة الطلاب ، ونهاية مأرب أولى الألباب [   
جارطيه من النسخة الوحيدة المكتوبة بخط المؤلف ، المحفوظة كالدرّة اليتيمة  
في خزانة الدولة اليمنية المحمية ، نحو [ القرن من الزمان ] ولله الحمد لم تمتد إليها  
يد الحدثان .

وقد اعتنى بطبعه على ورق جيد ، بحرف جديد ، مع ضبط القرآن بالشكل  
التمام ، مصححاً بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف .

يحتوي على ٢٠٠٠ صحيفة تقريباً بقطع النصف مقسم على أربعة مجلدات  
وقريباً يظهر بمشيئة الله تعالى بشكل يسر الناظر ، ويبرج الخاطر والله ولي التوفيق .